peper

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ

ر

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالدي وللمسلمين

الجلد

(١-٢)

طبع بإشراف مرة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

provora

gyorgy

646

átala

blato

EXTHERSTA

Gyergterarovergyerover

16

tootCAMCOMCOMCOM#

(ح) مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ١٤٢٨هـ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
لنا. النشر لسمين، محمد بن صلع
لحكام من القران والسلة / محمد بن صالح العثيمين - الرياض - ١٤٢٨هـ

ا مع
رسه: 6 - ٠٠ - ١٩١٨ - ١٩١٠ – ١٧٨ (مجرعة)
٢ - ٦ - ١٩١٨ - ٩٩١٠ – ١٧٨ (ج ١) ا- لمران

1- القران - لمكام
لبري: ٢٢٦.٢

١١٢٨/٨٠٢٠

رام الاباح: ١١٢٨/٨٠٠٠
رسه: ١ - ٠٠ - ١١١٨ - ١١١٠ - ١٢٨ بمرم)

جميع النور محفوظة ليمونت
إلا لمن أراد طبعه لتوزيه مجانا بدماجعة نوشته الشيخ صالح اليمين الخيرية
نات

(١) ١٧٨ - ١١١٠ - ١٩١٨ - ١٠٢

المملكة العربية السعودية
عنيزة .ص.ب : ١٩٢٩
مات : ٢١٤٢١.٧/٩. . ٢١٤٢.٩ / ١.

www.binothaimeen.com
info@binothaimeen.com

البريد الإلكتروني

موقعنا على الإنترنت :

الطبعة الثانية
1434 هـ - ٢٠١٣م

:

مدار الوطير للنشر
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ ٥١ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ ـ صب : ٣٣١٠ فرع السويدي : هاتف : 4167177 ـ فاكس : ٤٢٦٧٣٧٧ المنطقة الغربة : ٥٠٤١٤٣١٩٨ . المنطقة الشرقية والرياض : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ المنطقة الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧ التوزيع الخيري : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣ التسويق والمعارض الخارجية : ٥.٦٤٩٥٦٢٥ .

Pop@dar-alwatan.com
www.madar-alwatan.com

Gyorgyeroverøyprøverøverovi

↓ Holdtb ↓ dtb ↓ dibidab ↓ atb ↓ ató

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢)

أحكام القران الكري
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسامين

المجلد

(١-٢)

طبع باشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح اليمين الخيرية

îGyeraye

د

ود

pre

kergyergyergyangyangyangyan
WW

2

prongye

ngr

Abtd.

تقديم

ي

تقديم
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فقد طبع من هذا الكتاب أوله عام ١٤١٥هـ من سورة الفاتحة وحتى
قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل وتدلوا بها إلى الحكام ..... الآية [البقرة: ١٨٨]،

واعتنى بتلك الطبعة – مشكورا – الشيخ/ عبد الكريم بن صالح المقرن - جزاه الله خيرا -.

وقد رأى المؤلف - صاحب الفضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – أن يراجع الكتاب المطبوع قبل إعادة طبعه مرة أخرى، فشرع في ذلك غير أنه وافاه الأجل – رحمه الله تعالى – قبل أن يكمله، حيث بلغ في مراجعته قوله تعالى: (الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولنيك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وإنفاذا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها صاحب الفضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى – لإخراج مؤلفاته عهدت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية إلى الشيخ عبدالكريم بن

تقديم

صالح المقرن بإكمال العمل وإعداد باقي محتوى الأشرطة المسجلة المنتهية بقوله تعالى: (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله روف بالعباد » [آل عمران: 30] وتخريج الأحاديث الواردة، وعاونه في ذلك الشيخ خالد بن أمان الله الصاوي فجزاهما الله خيرا.

1

هذا وقد أدخلت التعديلات التي كتبها فضيلة الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى في مراجعته، وتم توثيق باقي المادة العلمية على الأصول السمعية للأحاديث التي كان يلقيها – رحمه الله – على حلقات منتظمة، وتبثها إذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية، فصدر - بعون الله تعالى وتوفيقه - كاملا في طبعته الأولى بمجلدين عام ١٤٢٥هـ . نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، موافقا لمرضاته، نافعا لعباده، وأن يجزي فضيلة شيخنا المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويسكنه فسيح جناته، إنه سميع قريب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية غرة محرم ١٤٢٨هـ

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

نبذة مختصرة عن
العلامة محمد بن صالح العثيمين
١٣٤٧ - ١٤٢١هـ

نسبه ومولده:
هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة ـ إحدى مدن القصيم ـ في المملكة العربية السعودية. نشأته العلمية

ألحقه والده ـ رحمه الله تعالى ـ ليتعلم القرآن الكريم عند جده من جهة أمه المعلم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ ـ رحمه الله ـ، ثم تعلم الكتابة، وشيئا من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ ـ حفظه الله ـ، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلم علي بن عبدالله الشحيتان ـ رحمه الله ـ حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الحادية عشرة من عمره بعد. وبتوجيه من والده ـ رحمه الله ـ أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ يدرس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتب من طلبته الكبار؛ ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ـ رحمه الله ـ لتدريس

المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقته حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في

التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم. ويعد فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفة وطريقة أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتّباعه للدليل. وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله ـ قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبدالرزاق عفيفي

ـ رحمه الله ـ في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرسا في تلك المدينة. ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣هـ

ولقد انتفع ـ خلال السنتين اللتين انتظم فيها في معهد الرياض العلمي ـ بالعلماء الذين كانوا يدرسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن

رشيد، والشيخ المحدث عبد الرزاق الأفريقي ـ رحمهم الله تعالى -. وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبدالله ابن باز ـ رحمه الله ـ، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويعد ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام 1374 هـ وصار يدرس على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال

الشهادة العالية.

تدريسه

توسم فيه شيخه النجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجعه على التدريس وهو ما زال طالبا في حلقته، فبدأ التدريس عام 1370هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولما تخرج من المعهد العلمي في الرياض عين مدرسا في المعهد العلمي

بعنيزة عام 1374هـ.

وفي سنة 1376هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ فتولى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه ـ رحمه الله ـ عام ١٣٥٩ هـ.
ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ ـ رحمه الله ـ يدرس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إماما

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

وخطيبا ومدرسًا، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى .. بقي الشيخ مدرسا في المعهد العلمي من عام 1374هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذا فيها حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ..

وكان يدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ ، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ..

وللشيخ ـ رحمه الله ـ أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويلقي الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفس مطمئنة واثقة، مبتهجا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس. آثاره العلمية

من
ظهرت جهوده العظيمة ـ رحمه الله تعالى ـ خلال أكثر من خمسين عاما العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى .. ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، وترك ثروة علمية كبيرة، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذا للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته ـ رحمه الله تعالى ـ لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - بعون الله وتوفيقه ـ بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناء على توجيهاته ـ رحمه الله تعالى ـ أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية من أجل تعميم الفائدة المرجوة ـ بعون الله تعالى وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية .

أعماله وجهوده الأخرى:
إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى ـ كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها ما يلي:
* عضوا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧ هـ إلى وفاته.

* عضوا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ ـ ١٤٠٠هـ.

* عضوا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
* وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألف عددا من الكتب المقررة بها. * عضوا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢ هـ إلى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ حيث كان يلقي دروسا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
* ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥ هـ إلى وفاته.
* ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
* من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشريعة، وذلك عبر البرامج الإذاعية من

المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج «نور على الدرب». * نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفه ومكاتبة ومشافهة. * رتّب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.

١٢

* شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية. * ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
* وللشيخ ـ رحمه الله ـ أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البر ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

١٣

مكانته العلمية
يعد فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله ـ بمنه وكرمه ـ تأصيلا وملكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه ودقة النظر واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعرابا وبلاغة.
ولما تحلى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبه الناس محبة عظيمة، وقدره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد منح جائزة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي
أولًا: تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم
وعامتهم.
ثانيا : انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريسا وإفتاء وتأليفا.

14

نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين

ثالثا
: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة. رابعـا : مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.
خامسا : اتباعه أسلوبا متميزا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلًا حيا لمنهج السلف الصالح؛ فكرا وسلوكا.
عقبـه
له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبدالرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم . وفاتـه
تُوفي ـ رحمه الله ـ في مدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة. وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صلي عليه صلاة الغائب في جميع
مدن المملكة العربية السعودية.
رحم
الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومن عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خيرا.

اللجنة العلمية
في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

القديـة

القدمـة

15

نالج الجيني

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أما بعد:

فإننا نستفتح هذا الكتاب، «أحكام من القرآن الكريم»، راجين الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون مباركا، نافعا لنا ولإخواننا المسلمين. وأحكام القرآن العظيم هي ما تتضمنه الآيات الكريمة من الفوائد الدينية، والدنيوية، والفردية، والاجتماعية. ولا ريب أن كل آية في كتاب الله تتضمن فوائد عظيمة يعرفها الإنسان بحسب علمه وفهمه، ولا ريب
كذلك أن الإنسان يؤتى العلم بحسب ما معه من الإيمان، والهدى، والتقى، كما قال الله ـ تعالى -: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى »، وقال ـ تعالى -: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى واتهم تقولهم » ، وقال - تعالى -: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه، إيمينا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون »، وكلما كان الإنسان أشد إقبالا على القرآن الكريم، وإيمانا به، وحبا له، وتدبرا لآياته ـ كان به أفهم، وبها يدل عليه من

المقدمة

الفوائد العظيمة، والأحكام أوسع؛ ولهذا، فإني أحث إخواني المسلمين على تدبر كتاب الله ـ عز وجل ـ، وتفهم معانيه، والرجوع فيها لا يعرفونه إلى أهل العلم ليبينوه لهم، وإن لم يتيسر ذلك فإلى كتب التفسير الموثوق بها؛ كتفسير ابن كثير - رحمه الله ـ وتفسير شيخنا عبدالرحمن بن سعدي، وتفسير القرطبي، وتفسير الشوكاني، وغيرها من التفاسير المعروفة الموثوق بمؤلفيها في علمهم ودينهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى إنا أنزل القرآن لهذا، كما قال الله ـ تعالى ـ: «كتب أنزلته إليك مبرك ليدبروا ، اينته، وليتذكر أولوا الألبب؟

-

فالقرآن الكريم لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية، تلاوة الآيات الحرفية، بل نزل من أجل هذا ومن أجل ما هو أتم وأكمل، وهو تدبر الآيات وتفهم معانيها، ثم التذكر با فيها من القصص، والأخبار، والمواعظ، والأحكام، ولهذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لا يتجاوزون عشر آيات من القرآن حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعا، وكثير من الناس اليوم لا يهتم بهذا الجانب، أعني جانب المعنى وجانب التدبر،

وما تتضمنه الآيات من الفوائد والأحكام، ولا يهتمون به.

وهذا قصور بلا شك من الإنسان، وتقصير منه. ومن الناس من يتجرأ ويتكلم في القرآن با لا يعلم فيكون شاهدا على الله ـ سبحانه

وتعالى ـ بما لا يعلم، وهذا محرم، قال ـ تعالى -: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، فكل إنسان يتكلم في معنى آية من كتاب الله فهو شاهد على الله ـ تعالى ـ بأنه أراد بها كذا وكذا، وهذا أمر خطير؛ لأنه سيسأل عنه يوم القيامة فيقال: من الذي أعلمك بأن الله ـ تعالى ـ أراد كذا وكذا؟ ويكون قد قال في القرآن برأيه. ومن الناس من يعلم أن القرآن يدل على كذا وكذا، ولكن لديه عقيدة سابقة ونحلة يؤمها، ويقتدي بها وتقليده لمن يثق به، فتجده يحرف الكلم عن مواضعه، ويصرف آيات كتاب الله عز وجل إلى ما كان يعتقده وينتحله من هذا المذهب، وهذا أشد من الذي قبله؛ لأنه خالف الحق عن علم به، فالواجب على كل مسلم مؤمن أن يتقي الله عز وجل حين يتكلم في معنى آية من كلام الله، وأن يكون على حذر، فلا يقول إلا ما يعلم أنه هو المراد، أو يغلب على ظنه أنه هو المراد، وأما مع الشك فلا يجوز له أن يتكلم في شيء، ونحن في هذا الكتاب لن نتكلم كثيرا عن تفسير الآيات، وبيان وجوهها اللغوية من البلاغة والإعراب وغير ذلك؛ لأن هذا ـ والحمد لله ـ موجود في كثير من كتب المفسرين، ولكن يهمني أن أبين الفوائد التي تستنبط من هذه الآيات، وأبين وجه ذلك غالبا فيما يحتاج إلى بيان، وفيا خفيت دلالته؛ لأن الاستفادة من القرآن الكريم بهذه الطريقة يحصل بها علم كثير؛ ولهذا

سئل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: هل عهد إليكم النبي ﷺ بشيء؟ فقال: «لا والذي برأ النسمة، وخلق الحبة إلا فها يؤتيه الله ـ تعالى ـ في كتابه وما في هذه الصحيفة؛ وهي فكاك الأسير»(١)... إلخ ما فيها، لكن المهم أنه قال: «إلا فها يؤتيه الله ـ تعالى ـ في كتابه»،

وهـذا يدل على أن الفهم في كتاب الله يحصل به خير كثير، وعلم غزير، ولكن يجب أن يكون الفهم مبنيا على هذا الأساس كما أشرنا إليه؛ لأن النـاس أربعة أقسام: فمنهم من عنده علم، ولكن ليس عنده فهم، ومن الناس من عنده فهم ولكن ليس عنده علم، ومن الناس من عنده علم وفهم، ومن الناس من لا علم عنده ولا فهم، والمراد مـن هـذا الكتـاب هـو استنباط الفوائد من كتاب الله ـ عز وجل ـ؛ ليحصل بذلك خير كثير. واعلم أن الدلالـة تنقسـم إلى ثلاثة أقسام: مطابقـة، وتضمن،
والتزام .

فدلالة اللفظ على جميع معناه دلالة مطابقة، ودلالته على جزء معناه دلالة تضمن، ودلالته على أمـر لازم خـارج دلالـة التـزام، ولنضرب لذلك مثلا معنويا ومثلا حسيا.

أما المثل المعنوي: فانظر إلى اسم من أسماء الله؛ وهو «الخالق» تجد
أنه دل على صفة الخلق وعلى الخالق نفسه، فدلالته عـلى الخلـق نـفـسه

(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم (٣٠٤٧).

وعلى صفة الخلق دلالة مطابقة، ودلالته على الخالق نفسه وحده أو على صفة الخلق وحدها دلالة تضمن، ودلالته على العلـم والقـدرة دلالة التزام؛ لأن الخلق لا بد فيـه مـن عـلـم وقـدرة، فمـن لم يكـن عالما لا يستطيع أن يخلق، ومن لم يكن قادرا لا يستطيع أن يخلق.

أما المثال الحسي فكأن نقول: «هذا بيت» كلمة بيت تدل على جميع البيت، على كل ما يحيط به سور البيت دلالة مطابقة، وتـدل عـلى هـذه الغرفة، وغرفة ثانيـة، وغرفة ثالثـة، وغرفـة رابعـة، وعـلى الحـوش (البراح)، وعلى المجلس، والصالة دلالة تضمن، وتـدل عـلى أن لهـذا البيت بانيا دلالة التزام، هذه الأنواع الثلاثة من الدلالة إذا استعملها الإنسان استعمالا جيدا حصل بها فوائد كثيرة، ولهذا تجد بعض أهـل العلم إذا تكلم عن آية، أو حديث؛ لاستنباط أحكامها استخرج منها أشياء كثيرة؛ لاستعماله هذه الأنواع الثلاثة من الدلالة، ومن الناس من يقصر فهمه عنها فلا يستطيع أن يستنبط إلا فوائد قليلـة، نسأل الله أن يوفقنا لخدمة كتابه، وأن يفقهنا في دلالاته واستنباط فوائده، وأن ينفـع
بهذا العمل؛ إنه سميع مجيب.

محمد بن صالح العثيمين

سـورة الفاتحة

٢١

(١) سورة الفاتحة
و بسم الله الرحمن الرحيم الله الحمد لله رب العلمين من الرحمن الرحيم و مثلك يوم الدين و إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم به صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) »

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل على رسوله محمد ﷺ هـذا الـقـرآن العظيم، وأنزل عليه سبعا من المثاني، كما قال ـ تعالى ـ: (ولقد ءاتينك سبعا من المثاني والقرءان العظيم » .

«والسبع المثاني» هي فاتحة الكتاب، وهـي أعـظـم سـورة في كتـاب الله، ولهذا فرضت قراءتها في الصلوات، فلا صلاة لمن لم يقـرأ بفاتحة الكتاب، افتتحها الله - سبحانه ـ بالحمد والثناء والتمجيد، والحمد هـو وصف المحمود بالكمال، والثناء تكرار هذا الوصف، والتمجيـد ذكـر المجد والعظمة وقوة السلطان؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله ـ تعـالى -: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي مـا سـأل، فـإذا قـال العبد: «الحمد لله رب العالمين ، قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرّحمن الرّحيم»، قال الله - تعالى -: أثنى علي عبـدي، وإذا

أحكام من القرآن الكريم

قال: «مثلك يوم الدين ؟، قال: مجدني عبدي [(وقال مرة: فوض إلي عبدي)]، فإذا قال: « إياك نعبد وإياك نستعين»، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «أهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»(1).

ففي قولـه ـ تعالى ـ: «الحمد لله رب العالمين دليـل عـلـى كمال صفات الله ـ عز وجل ـ، وعلى كمال نعمه على عبـاده؛ لأن الحمـد لا يستحقه إلا من كان كاملا في وصفه، كاملا في فعله،

وأعني بالحمـد الحمد المطلق الكامل، وإلا فقد يحمد الإنسان حمـذا كـاملا عـلى فـعـل ناقص، أو على كمال ذاتي ناقص.

وفي قوله: «لله* دليل علي ثبوت ألوهية الله ـ عـز وجـل ـ، فـالله ـ سبحانه وتعالى ـ إله الحق، وما سواه فهو باطل، وفي الإتيان باللام دليل على استحقاق هذا الحمد لله وحده، لا يشاركه فيه أحد، فالحمد المطلق الكامل لا يكون إلا الله ـ عز وجل ـ؛ لأن كل ما سـواه إنـا يحمـد عـلى شيء معين حمدا يليق بهذا الشيء المعين، ويكافئ هذا الشيء المعين. وفي قوله: «رب العالمين * إثبات ربوبيـة الله ـ عـز وجـل - والرب هو الخالق المالك المدبر، فـلا خـالق إلا الله، ولا مـالـك إلا الله،

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة....، رقم (395).

ولا مدبر إلا الله ـ عز وجل -، وإضافة الخلق إلى غير الله، أو الملـك إلى غيره، أو التدبير إلى غير الله ـ إضافة ناقصة، ناقصة في ذاتها، وناقصة في شمولها وعمومها، أما خلـق الله، وملـك الله، وتدبير الله، فهـو كـامـل شـامل عام، وفي الآية الكريمة إثبات رب ومربوب، مما يدل على التباين بين الخالق والمخلوق، ويكون فيه رد على قـول أهـل الإلحـاد القـائلين بوحدة الوجود.

وفي قوله: «رب العالمين ، دليل على أن العالمين كلهم يفتقرون إلى الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه لا قيام للمربوب إلا بالرب، فالرب هو المربي القائم على غيره من كل وجه، وفي قوله: «رب العلمين - دليل على أن الملائكة، والرسل، والأولياء، لا حق لهم في التدبير والخلق، ويتفرع على ذلك أنه ليس لأحد أن يـدعـو هـؤلاء، وأن يستغيث بهـم، وأن يستنصر بهم؛ لأنهم مربوبون، هم بأنفسهم محتاجون إلى الـرب، غير مستغنين عنـه، فكيف يـمكـن أن يكـونـوا مـلـجـأ للعباد ومـلاذا لهـم يستعيذون بهم، ويستغيثون بهم، ويسترحمون بهم؟!

وفي قوله : (رب العلمين » دليل على أن العـالم حـادث، وهـو كذلك؛ فإن العالم حادث بعد أن لم يكـن، كـا قـال الله ـ تعـالى ـ يعـني نفسـه:« هو الأول والأخر والظهر والباطن) [الحديد: 3]، قال النبي ﷺ في تفسيرها:«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعـدك

شيء»(١)

شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك

وفي قوله: (رب العالمين » دليل على أن هذا العالم علم وآية دالة على الله - عز وجل -، فإن ما في هذا الكون من الانتظام البديع والاطراد، وعدم التناقض، والإحكام، دليل على كمال موجده ـ عز وجل -، كا قال - تعالى -: (وفي الأرض عاينت للموقنين - وفي أنفسك أفلا تبصرون ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وفي الأرض قطع متجوزت وجئت من أعتب وزرع ونجيل صنوان وغير صنوان يشقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لايت لقوم يعقلون ﴾ [الرعد: 4]، فهذا الكون المربوب
المخلوق علم على خالقه ـ عز وجل -، ودليل عليه، وآية من آياته. وفي قوله ـ تعالى ـ: « الرحمن الرحيم» إثبات صفة الرحمة، والرحمة صفة من صفات الله ـ عز وجل ـ الثابتة، قال ـ تعالى -: « وربك الغني ذو الرحمة» [الأنعام: 133]، وهي غير الإرادة، وغير الإحسان، بل هي صفة مستقلة ينشأ عنها إرادة الإحسان، وإيصال الإحسان إلى الخلق، ويصف الله نفسه بـ«الرحمن الرحيم»، بعد ذكر ربوبيته العامة، ففي ذلك دليل على أن ربوبيته ـ عز وجل - ربوبية رحمة وإحسان إلى الخلق،

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، رقم (٢٧١٣).

بجلب النعم، ودفع النقم، كا قال ـ تعالى ـ: (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مشكم الضر فإليه تجترون ﴾ [النحل: 53].

وفي وصفه بـ«الرحمن الرحيم» دليل على سعة رحمته، وهذا مستفاد من «الرحمن» ؛ لأن «رحمان» على وزن «فعلان» ، وهذه الصيغة تدل على الامتلاء والسعة؛ كما يقولون: «غضبان»، و«ندمان»، وما أشبه ذلك للممتلئ غضبا وندما.

وفي قوله: « الرحيم» دليل على إيصاله هذه الرحمة إلى من شاء من عباده، ورحمة الله ـ عز وجل ـ عامة وخاصة، فأما العامة فهي لجميع الخلق، فكل الخلق مرحومون برحمة الله، ولولا رحمة الله ما أكلوا وما شربوا، وما اكتسوا، وما سكنوا، ولكن الله رحمهم؛ فهيأ لهم ما تقوم به أبدانهم من المعيشة الدنيوية، وأما رحمته الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين الذين تستمر

رحمتهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا رحمهم الله ـ تعـالى ـ بحصول ما تقوم به أبدانهم، وفي الآخرة رحمهم الله ـ تعالى ـ بحـصول ما تقوم به أديانهم.

وفي قوله: « الرحمن الرحيم » رد عـلى منكـري الرحمـة الـذين يقولون: إن الرحمة ليسـت صفة حقيقية الله، بل هي إرادة الإحسان، أو الإحسان نفسه، وذلك لأن الأصـل في الوصـف الحقيقـة، فـإذا قيـل «الرحمن»؛ أي ذو الرحمة، فالأصل أنه متصف بها حقيقة، ولا يلزم مـن

اتصاف الله ـ تعالى ـ بالرحمة أن يكون مماثلا للمخلـوق، ولا يلـزم مـن ذلك أن يكون ناقضا؛ لأن النقص الـذي يمكـن أن يكون في صـفة الرحمة ـ إن كان ـ إنها ذلـك في رحمـة المخلـوق الـتي قـد لا تكـون عـن حكمة، فتكون ناقصة.

وقوله ـ تعالى ـ: (مثلك يوم الدين) .
يوم الدين هو يوم القيامة، والدين هنا بمعنى الجزاء، وكـا يكـون الدين بمعنى الجزاء يكـون أيـضا بمعنى العمـل، فمـن مجيئـه بمعنى العمل، قوله ـ تعالى ـ: « ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: 3]، ومـن مجيئه بمعنى الجزاء هذه الآية؛ فقوله: (ملك يوم الدين » ؛ أي مالك يوم الجزاء الذي يدان فيه كل عامـل بـا عـمـل، وأضـاف الله ـ تعـالى ـ الملك إلى يوم الدين، وإن كان ـ سبحانه وتعالى ـ مالكا للدنيا والآخرة؛ لأن ملكيته تظهر جلية واضحة في ذلك اليوم، ويعترف بها كل مخلوق، كا قال الله ـ تعالى ـ: (لينذر يوم الثلاق يوم هم برزون لا تخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم يله الواحد القهارات اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب» لغـافر: 15 - ١٧]؛ ولهذا قال ـ تعالى : (مالك يوم الدين) .
ع
وفي هذه الآية الكريمة دليـل عـلى أن الملك في ذلـك اليـوم، يـوم

القيامة، لا يكون لأحد لا جزئيا ولا غير جزئي، لا حقيقة ولا مجـازا؛ لأن الناس كلهم يوم القيامة

يحشرون حفاة عراة غرلاً). حفاة: ليس في رجل أحدهم نعال، وعراة: ليس عليهم ثياب، وغرلاً: ليسوا مختونين، لا فرق في ذلك بين السيد والعبد، ولا بين الراعي والرعية، ولا بين الأب والابن، فكل الناس على حد سواء، وفي قوله: « ملك يوم الدين » - أيضا - دليل على أن الله - عز وجل - في ذلك اليوم تام الملك والسلطان، كما تدل عليه القراءة الثانية الصحيحة السبعية، وهي ملك يوم الدين ، فهي قراءة صحيحة سبعية، فينبغي للإنسان أن يقرأ بها أحيانا، لكن لا بحضور العامة؛ لئلا يشوش عليهم؛ فإن الملك له من السلطة والنفوذ ما ليس للمالك، لكن الملك أحيانا لا يملك فيكون ملكاً قاصر الملك، فباجتماع القراءتين يكون الكال، أن الله - تعالى - «ملك» و«مالك»: «ملك»: أي ذو سلطان، وقهر، وعظمة، وكلمة نافذة، و«مالك»: ذو تصرف كامل في ملكوته - عز وجل -. وفي قوله - تعالى -: (مثلك يوم الدين » إثبات اليوم الآخر، وهو حق، والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة، فاليوم الآخر حق ثابت كا أن الدنيا الآن حق لا ينكره أحد، فكذلك اليوم الآخر المستقبل الموعود

(1) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا»، رقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩).

حق ثابت ولا بد منه، كما قال - تعالى -: (أفحسبتم أنما خلقتكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [المؤمنون: 115]، فلو كان الناس خلقوا لهذه الدنيا يعيشون فيها ما يعيشون على ما فيها من التعب، والنصب، واللأواء، والعدوان، والظلم، والصلاح، والفساد، لو كانوا خلقوا لهذا فقط لكان ذلك نقصا بالغا في حق الله - عز وجل -؛ لأنه سفه وباطل، ولعب، وقد أشار الله - تعالى - إلى هذا المعنى في قوله : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعبين ﴾ [الدخان: ٣٨]، وقوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلا »[ص: ٢٧]، وقول واتحسب الإنسين أن يترك سدى ﴾ [القيامة: 36]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه لا بد من لقاء ومجازاة على هذه الأعال التي عملناها في هذه الدنيا، ولا يمكن أن يقوم الإنسان بشرع الله حق القيام، إلا إذا كان مؤمنا بأن هناك يوما يلاقي فيه الإنسان ربه فيحاسبه على عمله؛ قال - تعالى -: (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كذجا فملاقيه [الانشقاق: 6].

ـه

وفي قوله ـ تعالى ـ: (ملك يوم الدين » ـ أيضا ـ إثبات الجزاء والحساب، وأن الإنسان يحاسب على عمله، ويجازى عليه، وهو حق ثابت، ولكنه ـ أي الحساب ـ على وجهين:
الوجه الأول:حساب المؤمن، وهذا لا يناقش الحساب، وإنما يخلو

به الرب ـ عز وجل ـ فيكلمه وحده، ويقرره بذنوبه، حتى يقر بها، ثم يقول الله له: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم» (1) ، فالحمد الله على ستره، ما أكثر الذنوب التي يفعلها العبد إما باطنة في قلبه، وإما ظاهرة في جوارحه، لكن لا يعلم بها الناس، ومع هذا فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يمن عليه ويستره، ويقول الله ـ عز وجل ـ في حسابه
له يوم القيامة: (قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم».

أما الوجه الثاني من الحساب: فهو حساب الخزي والعار ـ والعياذ بالله ـ، وهو حساب الكافر؛ فإنه يجزى بأعماله يوم القيامة، وينادى على رءوس الأشـــــهاد: «هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على
ج
الظلمين ﴾ [هود: ١٨].
وفي قوله ـ تعالى ـ: «ملك يوم الدين * ترغيب وترهيب ترغيب في العمل الصالح؛ لأن الإنسان إذا أيقن بأنه سيحاسب على عمله، ويثاب عليه حرص على الأعمال الصالحة، واجتهد، ورغب فيها؛ وترهيب لأنه إذا علم بأنه سيجازي على عمله ويعاقب على سيئته، أو على الأصح يستحق العقاب على سيئته فإنه يخشى من ذلك، ويتجنب الأعال السيئة، خوفا من يوم الدين الذي يجازى فيه

(1) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظلمين»، رقم (٢٤٤١)؛ ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٢٧٦٨).

العاملون بأعالهم؛ كا قيل: «كا تدين تدان»،فعلينا أن نأخذ لهذا اليوم عدته، وأن نعمل صالحا

يقربنا إلى الله ـ عز وجل -، ويسعدنا في ذلك
اليوم.
وفي قوله ـ تعالى ـ: «مثلك يوم الدين * دليل على كال حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ حيث جعل لهذا الخلق مآلا يدانون فيه ويجازون بأعالهم؛ لأنه لولا ذلك لكان الأمر عبثا كما سبق أن ذكرنا. وفي قوله ـ تعالى ـ: *ملك يوم الدين * إشارة إلى كال العدل؛ لأن الدين هو المجازاة، مجازاة العامل بقدر ما عمل، ولكن ـ مع هذا ـ نقول: إن مجازاة الله - سبحانه وتعالى ـ لعباده دائرة بين العدل والفضل، فهي بالنسبة للكافر عدل محض ليس فيه ظلم، فالكافر عقوبته الخلود في النار أبد الآبدين، لا يخرج منها أبدا، ولا تخبو النار التي يعذب فيها أبدا؛ لقول الله ـ تعالى ـ في ثلاث آيات من القرآن: «خلدين فيها أبدا، فالآية الأولى في سورة النساء، قال ـ تعالى ـ: « إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خلدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [النساء: ١٦٨ـ 169]، وتأبيد الخلود يدل على تأبيد المكان الذي فيه الخلود، والآية الثانية في سورة الأحزاب؛ قال الله ـ تعالى ـ: « إن الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا و خلدين فيها أبدا لا تجدون وليا ولا نصيرا ﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، والآية

الثالثة في سورة الجن؛ قال ـ تعالى -: ﴿ ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [الجن: ٢٣]، ولا قول لأحد بعد أن صرح الله ـ عز وجل ـ بتأبيد الخلود في نار جهنم، لا قول لأحد بعد ذلك، وكل قول يخالف هذا فهو مردود على قائله؛ لأن القائل بالتأبيد هو العالم بما سيكون، وهو الخالق ـ عز وجل ـ، فمجازاة الله الكافر بالخلود في النار أبد الآبدين هو عدل، وليس فيها ظلم.

قد يقول قائل: إنك إذا قست مدة بقاء الإنسان في الحياة الدنيا فإنها لن تكون شيئا بالنسبة إلى التأبيد الأبدي، فيكون تأبيده على أكثر من بقائه في الدنيا شيئا من الظلم.

والجواب على هذا: ألا ظلم في ذلك:
أولا: لأن هذا الإنسان استغرق جميع حياته في الكفر، فيكون من العدل أن يستغرق جميع بقائه في الآخرة في العذاب.

وثانيا: أن هذا الإنسان الكافر قد أرسلت إليه الرسل، وأنزلت معهم الكتب، وبينوا للناس الطريق، ورغبوا الناس في الحق، وحذروهم من الباطل، ولم يبق للناس حجة على الله بعد الرسل، فيكون هو الذي اختار لنفسه هذا المقام الأبدي، لأنه يعلم أن الكافر سيبقى في هذا المكان الأبدي، فحينئذ يكون هو الظالم لنفسه؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [البقرة: 57؛ والأعراف: 160].

أحكام من القرآن الكريم

أما الجزاء الفضلي، الذي هو فضل الله ـ عز وجل ـ؛ فهو جزاء المؤمن، فالمؤمن يجازي بالنسبة للحسنة الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأما بالنسبة للسيئات، فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله ـ تعالى ـ عذبه، وإن شاء ـ تعالى ـ غفر له؛ لقوله ـ تعالى ـ: ه إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء:116]، إذن فجزاء الله ـ تعالى ـ للمؤمن من نوع الجزاء الفضلي، وأما الظلم فهو ممتنع في حق الله ـ عز وجل ـ، فهو لا يمكن أن يظلم أحدا فيزيد في سيئاته، أو ينقص من حسناته.

ثم قال الله ـ عز وجل -: «إياك نعبد وإياك نستعين . العبادة: هي التذلل لله ـ عز وجل ـ؛ محبة وتعظيها بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والاستعانة: طلب العون. والإنسان مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ في العبادة والاستعانة؛ أما افتقاره إليه في العبادة؛ فلأن العبادة هي
مادة سعادته، وأما الاستعانة؛ فلأن الله إذا لم يعنه وكله إلى نفسه، فيكله إلى ضعف، وعجز، وعورة، ولا قيام للإنسان إلا بالله ـ عز وجل ؛ ففي إياك نعبد * إخلاص العبادة الله ـ عز وجل ـ؛ ووجه ذلك تقديم المعمول «إياك» ولو جاءت على الترتيب لقال: «نعبدك»، فلما قدم المعمول؛ دل على الإخلاص، وتخصيص العبادة الله وحده؛

لأن من القواعد المقررة في اللغة العربية أن تقديم المعمول يفيد الحصر؛ أي: الاختصاص، ويكون قوله: «إياك نعبده متضمنا لمعنى قول الإنسان: «لا إله إلا الله».

وفي قوله: «إياك نعبد» دليل على اتباع الشريعة؛ شريعة الرسل - عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن العبادة لا تتم إلا بأمرين: الإخلاص لله، والموافقة لشريعة الله؛ وذلك باتباع الرسل؛

ولهـذا نقـول: لا إشراك ولا ارتـداد؛ فـالإشراك ينـافي الإخلاص، والارتـداد ينـافي الاتبـاع؛ فالعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ إخلاص واتباع، لا شرك ولا ارتداد. وفي قوله ـ تعالى ـ: «إياك نعبد» دليل على أن العبادة إذا أشرك بها مع الله أحد؛ لم تكن عبادة الله، ولا تقبل من العابد؛ ويؤيد ذلك مـا رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: قال الله ـ تبارك وتعالى -: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»(١).

وفي قوله ـ تعالى ـ: * وإياك نستعين * دليل على إفراد الله ـ تعالى بالاستعانة؛ ووجهه تقديم المعمول؛ لأن تقديم المعمول يفيد ـ على ما تقتضيه اللغة العربية - الحصر؛ أي: الاختصاص، فلا استعانة للإنسان إلا بالله ـ عز وجل ـ، ولا يستطيع الإنسان أن يقـوم بـشيء إلا بمعونة

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

الله له، وفي قوله: ﴿ وإياك نستعين * دليل على أنـه ينبغي للإنسان حال العبادة أن يستحضر أنه مستعين بالله ـ سبحانه وتعالى ؛ لتتيسر له العبادة، ولتكون عبادة؛ لكونها متبعا فيها الرسول ﷺ، مخلصا لله فيهـا؛ ولكونه مستعينا بالله عليها؛ ولهذا نقول: ينبغي للعابـد أن يستحضر ثلاثـة أشـياء: الإخـلاص، والمتابعـة، والاستعانة؛ فـالإخلاص
والاستعانة الله وحده، والمتابعـة لـرسـول اللى ﷺ؛ ليوصل إلى الله؛ أمـا الإخلاص الله: فأن يقصد الإنسان بعبادتـه وجـه الله والـدار الآخـرة. وأما الاستعانة: فأن يشعر بأن الله هو الذي أعانه عـلى هـذا، ويـسـر لـه أسباب القيام به، ولولا أنه أعانه ما حصل. وأما المتابعة: فأن يستحضر كأنها الرسول ﷺ أمامه، وهو خلفه يقتدي به.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي للعابد أن يكون مستحضرا لها؛ ليكون ذلك
أعون له في إتمام العبادة.
فوائد الآية الكريمة: «إياك نعبد وإياك نستعين *:

1ـ أن الإنسان دائر بين أمرين: بـيـن عبادة الله، واستعانة النفس؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي عن هـذه الآيـة: «هـذا بينـي وبين عبدي»(1)؛ فالعبادة الله والمعونة للعبد.

(١) هو جزء من حديث سبق تخريجه ص(١٢).

٢-

٢ - وفي هـذه الآيـة دليـل عـلى تخصيص الله بالاستعانة؛ أي: أن الإنسان لا يستعين استعانة مطلقة إلا بالله؛ لأن الاستعانة المقيـدة هـذه جائزة حتى بغير الله فيها يقدر عليه المخلوق؛ ولهذا قال الرسول ـ عليـه الصلاة والسلام -:«... وتعين الرجل في دابته فتحمله عليهـا، أو ترفع له عليها متاعه صدقة...»(١)، فأثبت عون الإنسان لأخيه؛ فالاستعانة بمخلوق فيها يقدر عليه لا بأس بها، ولا تنافي العبادة ولا الإخلاص، لكنها ـ في الحقيقة ـ استعانة مقيدة وليست عامة شاملة؛ فهـي اسـتعانة قاصرة ـ أيضا ـ؛ لأنها على عمل معين يقدر عليه المستعان به؛ وعلى هذا فالاستعانة بأصحاب القبور على قضاء الحوائج محرمـة، بـل هـي مـن الشرك؛ وذلك لأن أصحاب القبور لا يستطيعون أن يعينوا أحدا وهـم أموات؛ فهم بأنفسهم لا يستطيعون أن يعملوا لأنفسهم شيئا، فكيف يعملون لغيرهم؟! فإذا أردت أن تستعين في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فلا تستعن إلا بالله ـ عز وجل.

3ـ وفي قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين » دليل على أنه ينبغي للمتكلم أن يأتي بالأشياء التي تثير فطنة المخاطب وتنبهه؛ وذلك لأن الآيات الأولى الثلاث كلها بصيغة الغائب، أو كلهـا في سياق الغيبة؛ حيث قال تعالى: «الحمد لله رب العلمين في الرحمن الرحيم ملك

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، رقم (٢٨٩١)؛ ومسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩).

يوم الدين ، ولكـن في الآيـة الرابعـة قـال: «ملك يوم الدين فهـذا التفات من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات ـ بلا شك ـ يوجب استيقاظ المخاطب؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد انساب الإنسان وغفـل، ولم يحصل له انتباه، فإذا تغير الأسلوب؛ فإن الذهن ينصدم بهذا

التغير، ثم ينتبه فكأنه صوت منبه، ينبه الإنسان على ما سيخاطب به؛ ولهذا قال: «إياك نعبد ولم يقل: «إياه تعبد» ، وفي هذه الآية دليل مبني على الالتفات الذي ذكرناه ـ وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ـ؛ وهو دليل على أهمية العبادة والاستعانة، وإخلاصها لله، كأن هذا الذي أثنيت عليه ـ وهو الله ـ عز وجل ـ فيما سبق من الآيات الثلاث، كأنه ـ لقوة إيمانك به ـ أمامك، تخاطبه، ولا شك أن الإنسان إذا قرأها في الصلاة؛ فإنه يستقبل الله ـ عز وجل ، والله ـ تعالى ـ يكون قبل وجهه، فيقول: «إياك نعبده ، ولكن ليعلم أن الله ـ تعالى ـ قبل وجهه، وإن كان هو في السماء فوق العرش، ولا تناقض في ذلك؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ لا يقاس بخلقه؛ « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى: ١١].

٤ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « إياك نعبد وإياك نستعين * دليل على اجتماع الأمة؛ فإنه لم يقل: إياك أعبد، وإياك أستعين، وأنه ينبغي للأمة أن تتفق وتجتمع على العبادة والاستعانة بالله ـ عز وجل ـ وقد يؤخذ منها إثبات علم الله - سبحانه وتعالى ؛ فإن هذه السورة فرضت قراءتها

في جميع الصلوات، ومنها الصلاة الجهرية التي يجتمع فيها الإمام والمأموم، ولو جاءت بصيغة الإفراد «إياك أعبد وإياك أستعين»؛ لكان في ذلك إخلال بالنسبة للمأمومين؛ لأنه سيكون ـ في هذه الحالة - الإمام وحده هو الذي يقول: «إياك أعبد وإياك أستعين»، فمن المعلوم أن الذين وراءه لن ينالهم نصيب من هذا لو كانت الآية بصيغة الإفراد، أما قوله: * إياك نعبد * فإن المأموم يشعر بأنه هو والإمام على حد سواء في عبادة الله ـ تعالى ـ والاستعانة به.

هـ وفي الآية دليل على أن الإنسان ينبغي أن يستعين بالله في كل شيء حتى في الأمور الصغيرة؛ كالذهاب، والمجيء، والأكل والشرب، واللباس، فينبغي للإنسان أن يستعين بالله في كل شيء؛ حتى يكون بذلك مدركا لحاجته، متعبدا لربه ـ عز وجل ؛ لأن الاستعانة من العبادة، وإذا استعان الإنسان بربه؛ يسّر له الأمر وسهله عليه؛ ولهذا يؤمر الإنسان إذا حلف على شيء مستقبل أن يقول: إن شاء الله؛ حتى يشعر باستعانته بربه، فإنه إذا قال: إن شاء الله؛ كان ذلك عونا على قضاء حاجته؛ وفي الصحيحين في قصة سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال:« لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا؛ فلم

تحمل منهن إلا امرأة واحـدة، جـاءت بـشـق رجل. وايم الذي نفس محمـد بيـده لـو قـال: إن شاء الله؛ لجاهـدوا في

سبيل الله فرسانا أجمعون»، وهنا لم يقل سليمان ـ عليه السّلام ـ: إن شاء الله؛ اعتمادا على ما في قلبه من العزيمـة، فـلـم تحـمـل إلا امرأة واحـدة، جاءت بشـق رجل؛ وذلك ليتبين له ولغيره أن الأمر بيد الله؛ قال النبي : «لو قال: إن شاء الله؛ لم يحنث وكان دركا لحاجته» (١) .

*

أحكام من القرآن الكريم

*

ثـم قـال الله ـ تعالى ـ: « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *.

هذه الآيات الثلاث كلها للإنسان؛ فـسورة الفاتحـة سـبـع آيات: ثلاث منها الله خالصة، وثلاث منها للإنسان خالصة، وآية وسط بينها كا جاء في الحديث الصحيح: «قال الله ـ تعالى ـ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبـد: «الحمد لله رب العلمين ؛ قال الله ـ تعالى ـ: حمدني عبدي، وإذا قـال الـعبـد: «الرحمن الرحيم ؛ قال الله ـ تعالى ـ: أثنـى عـلـي عبـدي، وإذا قـال: * ملك يوم الدين؟ قال: تجدني عبدي ـ وقال مرة: فوض إلي عبـدي ـ فـإذا قـال: وإياك نعبد وإياك نستعين ؛ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سـأل، فـإذا قـال: «أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ رقم: (6639)، واللفظ له؛ ومسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؛ قـال هـذا لـبـدي ولعبدي ما سأل» (١).

وقوله تعالى: «أهدنا الصراط المستقيم ؛ الهداية بمعنى: الدلالة والتوفيق، فإن كانت معداة بإلى فهي للدلالة، وإن كانت متعدية بنفسها فهي للتوفيق والدلالة، وهنا الهداية متعدية بنفسها؛ فيكون المراد بها الدلالة والتوفيق؛ أي: أن الله ـ تعالى ـ يرزقك علها تهتدي به إلى شريعة الله ـ عز وجل ـ، ويوفقك لهذه الشريعة حتى تقوم بها. وقوله: «الصراط المستقيم» ؛ الصراط: هو الطريق الواسع،
والمستقيم: الذي ليس فيه اعوجاج، ولا ارتفاع، ولا انحدار. فوائد وأحكام:
1ـ في قوله - تعالى -: «أهدنا الصراط المستقيم » دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله ـ عز وجل ـ بهذا الدعاء: أن يهديه صراطه
المستقيم.

٢ـ وفي قوله: «أهدنا الصراط المستقيم » ـ أيضا ـ دليل على أن الإنسان مفتقر إلى الله ـ عز وجل ـ في الهداية؛ ويتفرع عن ذلك أنه يجب على الإنسان أن يترك الإعجاب بنفسه، والقول: اهتديث؛ لأنني

(١) سبق تخريجه ص(١٢).

أعرف الحق، وهذا مني؛ فيمن باهتدائه على الله ـ عز وجل ـ، وقد أنكر الله ـ عز وجل ـ على الأعراب الذي يمنون على رسول الله أن أسلموا؛ فقال: « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليك أن هذنكر للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات: ١٧]؛ فالإنسان لو لم يهده الله لم يهتد؛ قال الله ـ تعالى -: « من يهد الله فهو المهنده [الكهف: 17]، وقال - تعالى -: ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد * [الرعد: 33]. فإن قال قائل: إن قلتم هكذا فتحتم الأبواب للمتهاونين والكسالى
الذين إذا دعوا إلى الحق قالوا: الهداية بيد الله، واحتجوا بذلك. فالجواب أن نقول: إن الله ـ تعالى ـ لما قال: «أهدنا الصراط المستقيمة ، وأرشدنا إلى أن ندعوه هذا الدعاء لم يرد منا أن نتوقف عن أسباب الهداية، بل نحن نسأل الله الهداية، ونسعى في أسبابها؛ ولهذا قلنا: إن الهداية هداية دلالة وهداية توفيق؛ هداية الدلالة التي هي العلم، هل يمكن أن تحصل للإنسان بلا تعب على تحصيله؟ لو قال الإنسان: اللهم ارزقني مالا، هل معنى ذلك أن

يبقى في بيته ولا يتحرك؟ بل عليه أن يتحرك ويسأل أسباب الرزق، كذلك الهداية إذا سألت الله إياها فتسعى في أسبابها، لو سألت الله ـ تعالى ـ أن يرزقك أولادا، هل تبقى لا تتحرك لا تتزوج؟ لا؛ لابد أن تتزوج حتى ترزق بالأولاد، فسؤال الشيء من الله لا يستلزم أن يبقى الإنسان جامدا، لا

ج
يتحرك ولا يسعى إلى الأسباب التي توصل إلى هذا الشيء؛ إذن فلا حجة لهذا الذي يحتج بهذه الآية وأشباهها على فسقه وفجوره، ثم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا حرم الإنسان الهداية؛ فلعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه ليس أهلا لها؛ لأن الله - عز وجل ـ يقول: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفسقين﴾ [الصف: 5]، كما أن الله ـ عز وجل ـ جعل الهدى في قلوب أهل الهداية؛ لعلمه أنهم أهل لذلك؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: «الله أعلم حيث تجعل رسالته ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. 3ـ ومن الفوائد ـ أيضا ـ التي تستفاد من الآية الكريمة: « أهدنا الصراط المستقيم » : أن فيها دليلا على أن دين الإسلام دين واسع شامل يتسع لكل أحد؛ فالصراط ـ في اللغة العربية ـ هو الطريق الواسع الذي يتسع لجميع السالكين.

4ـ وفي الآية دليل على عموم الإسلام وشموله؛ لأنه شامل لكل ما يتعلق بالإنسان في معاشه ومعاده؛ ولهذا كان منظما للعباد فيما يتعلق بعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وفيما يتعلق بالمعاملة فيا بينهم؛ ويتفرع من
هذه الفائدة: الرد على من زعم أن الدين الإسلامي إنها ينظم العمل فيما يتعلق بين العبد وبين ربه، ويرى أن أمور الدنيا لا علاقة لها بدين الله - عز وجل ـ، وهذا خطأ عظيم؛ فإن الدين الإسلامي نظم كل شيء، وعلم النبي ﷺ أمته كل شيء تحتاج إليه؛ قال أبو ذر ـ رضي الله

عنه ـ: «توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر

منه عليا»).
ويدل على شمول الشرع ودين الإسلام لكل شيء أن أطول آية في كتاب الله آية الدين، وكلها تتعلق بمعاملة الخلق بعضهم مع بعض؛ فالدين الإسلامي كما نظم المعاملة بين العبد وبين ربه، نظم المعاملة بين العبد وبين غيره من عباد الله، بل نظم علاقة العبد الإنسان بينه وبين البهيم غير الناطق؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت؛ فدخلت فيها النار؛ لا هي
أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «إن امرأة بغيا" رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموتها؛ فغفر لها»، فالله - سبحانه وتعالى - غفر لهذه المرأة رغم أنها بغي زانية،

(٥)

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٥٥) وذكره الدارقطني في «العلل» (٢٩٠/٦). (٢) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٢) واللفظ له؛ ومسلم: كتاب الحيوان، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢).
(3) أي: زانية.
(٤) يطيف ببئر: يدور حولها..
(5) أدلع لسانه: أخرجه؛ لشدة العطش.
(6) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم (٥٤)، حديث رقم (٣٤٦٧)؛ ومسلم: كتاب الحيوان، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥).

وهذا يدل على أن الإسلام له تنظيم في كل ما يتعلق بالعبد. فإن قال قائل: أليس النبي ﷺ حين قدم المدينة، ورآهم وهم يؤبرون النخل - أي: يلقحونها بوضع طلح الفحال في ثمر النخل - قال «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا»، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له فقال : إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم؛ فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر ، وهذا يدل على أن أمر الدنيا مفوض للعباد؟
والجواب على ذلك: أن هذا الذي أشار إليه الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا يتعلق بالأحكام، وإنما يتعلق بالصناعة والحرف، ومعلوم أن الإنسان في حرفته قد يكون أعلم من عالم

بـشرع الله وأدرى بهـا؛ فالنجار ـ مثلا ـ يعرف كيف يصرف الخشبة حتى يجعـل منهـا بـابـا والصانع يعرف كيف يصنع الحديد فيجعله طائرات وسيارات أكثر مما يعلمه العالم الشرعي في هذا، هذا هو الذي أراده النبي ـ عليـه الـصـلاة
والسلام.

هـ وفي قوله: « أهدنا الصراط المستقيم دليـل عـلى أن هنـاك صراطا غير مستقيم ـ وهو كذلك ـ، بل هناك سبل كثيرة غير مستقيمة؛

(١) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون مـا ذكـره ﷺ مـن مـعـاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم (٢٣٦٢).

كا قال الله ـ تعالى ـ: « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ﴾ [الأنعام: 153]، فهناك طرق كثيرة للباطل متنوعة من أفعال، وأقوال، وانتهاكات، وأما الحـق فـهـو طـريـق واحـد يوصل إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلى دار كرامته.

6 - وفي قوله: « أهدنا الصراط المستقيم » دليـل عـلى أن ديـن الإسلام كامل لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وأن من ظن أن فيه قصورا فهو القاصر، ولا أحد يظن أن في ديـن الإسـلام قـصـورا إلا أن يكـون قاصرا في فهمه أو قليلا في علمه، أو سيئا في قصده، أمـا حـسـن النيـة الذي آتاه الله علما وفهما فإنه يدري ويعلم علم اليقين أن ديـن الإسـلام ليس فيه قصور، وهو مستقيم لا اعوجاج فيه، وأن الناس لـو طبقـوه؛ لكانوا على الاستقامة، والسداد، والصواب، ولما ضاقت عليهم السبل، ولكن قاصر الفهم، أو ناقص العلم، أو سيئ القصد هو الذي يظـن أن في الإسلام قصورا؛ فيذهب يأتي بالقشور من هنـا وهـنـاك؛ ليطبقهـا في بلاد الإسلام.

7- وفي قوله ـ تعالى ـ: « أهدنا الصراط المستقيم دليـل عـلى كمال حكمـة الله ـ عـز وجـل ـ وكـال رحمتـه؛ حيـث جعـل الـصراط الموصل إليه صراطا مستقيما لا متاهة فيه ولا ضـلال، ونحـن نـعـلـم أن الصراط المستقيم يوصل إلى المقصود بسرعة بخلاف الطريـق المعـوج،

الذي ينحرف بالإنسان يمينا وشمالا؛ فإنه ـ على تقدير إيصاله إلى المطلوب ـ يكون شاقا وبعيدا؛ بسبب التعرجات، أو الطلوع، أو النزول، بل هذا صراط مستقيم.

8 – وفي الآية الكريمة دليل على أنه لا هادي إلا الله ـ عز وجل ؛ فهو الذي يلجأ إليه في طلب الهداية لا إلى غيره.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله ـ تعالى ـ عن نبيه : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى: ٥٢]؟

فالجواب: بلى، قد قال الله ذلك، وهو حق، لكن الهداية إلى الصراط المستقيم التي أثبتها الله لرسوله هي هداية الدلالة، وكل إنسان عنده علم بالشرع؛ فإنه يهدي الناس بهذا العلم إلى الشرع، فالدلالة على الخير ليست هي التوفيق إلى الخير؛ أما الدلالة التامة التي فيها الهداية والتوفيق فهي الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ لنبيه : (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين؟
ج
[القصص: ٥٦].

ثم قال ـ تعالى ـ: « صراط الذين أنعمت عليهم »: هم الذين أتم الله عليهم النعمة بتوفيقهم لشريعته، وهم أربعة

أصناف، ذكرهم الله في قوله: «ومن يطع الله والرسول فأولنيك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا في ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماك (النساء: ١٩، ٧٠ .
وغير المغضوب عليهم ولا الضالين»؛ يعني: صراط غير المغضوب عليهم؛ والمغضوب

عليهم هم الذين علموا الحق واستكبروا عن اتباعه، و«الضالون» الذين جهلوا الحق؛ فأخطئوا في العمل، وأول من يدخل في «المغضوب عليهم» اليهود، وأول من يدخل في «الضالين» هم النصارى.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:
1 - وفي الآية الكريمة (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أن الناس انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ فهدوا إلى الحق عليها وعملا، وقسم غضب الله عليهم؛ فهدوا إلى الحق علها لكن لم يوفقوا للعمل به، بل استكبروا عنه وهم المغضوب عليهم، وقسم ثالث لم يهدوا إلى ا- ـ ق لا علها ولا عملا؛ فتعبدوا الله ـ تعالى ـ عن جهل؛ فضلوا وهم الضالون، فمن المغضوب عليهم اليهود، ومن الضانين النصارى.

٢ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أنه ينبغي أن نبحث عن سيرة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من هم؟

وكيف كان حالهم؟ حتى نهتدي لطريقتهم؛ ويتفرع على ذلك: الحث على معرفة سيرة النبي ﷺ؛ لأنه خير من أنعم الله عليه، وبهذه المناسبة فإنني أحث إخواني المسلمين على قراءة السيرة النبوية من الكتب الموثوق بها؛ مثل«البداية والنهاية»، لابن كثير ـ رحمه الله ـ؛ فإنه كتاب جيد جدا في بابه.

3ـ وفي قوله: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أن نعمة الدين أكبر من نعمة الدنيا؛ فإن في المغضوب عليهم والضالين من أنعم الله عليه نعا عظيمة في الدنيا، لكن هذه النعم ليست بشيء بالإضافة إلى نعم الدين؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم ، ولما دخل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على النبي ذات يوم، فوجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد تأثر جنبه من الاضطجاع على سريره الذي عنده؛ بكى ـ رضي الله عنه ـ فقال له النبي ﷺ : «ما يبكيك يا عمر؟» قال: أنت نبي الله، وكسرى وقيصر على أسرة الذهب؟ قال:«يا عمر، أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ »؛ وعلى هذا نقول: إن النعمة الحقيقية الكبيرة العظيمة هي نعمة الله ـ تعالى ـ على عباده بدينه، ولا يخفى على الجميع أن الله ـ تعالى ـ

(1) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب « تبتغي مرضات أزوجك »، رقم (٤٩١٣)؛ ومسلم: كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، رقم (١٤٧٩).

نـــال: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة: 3]، فجعل إكمال الـديـن مـن تمـام النعمـة ـ وهـو
كذلك.

٤ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: «صراط الذين أنعمت عليهم دليل على أن من سلك هـذا الصـراط فهو في نعمة، في سرور، في انشراح؛ ويـدل لـذلك قولـه ـ تعالى ـ: « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحـــل: ٩٧] فمن كان من هؤلاء كان في نعمة وإن كان في ضيق مـن العـيش، باعتبـار نعمة الجسد؛ لأن النعمة بالدين تقتضي أن يكون الإنسان دائـها منـشرح الصدر، مطمئن القلب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن!إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر ؛ فكـان خـيـرا لـه، وإن أصابته ضراء صبر ؛ فكـان خـيـرا لـه»، وقـال بـعـض «لو يعلـم الملـوك وأبنـاء الملـوك مـا نـحـن فـيـه لجالدونا عليـه

بالسيوف».
هـ وفي قوله: «صراط الذين أنعمت عليهم أسند النعمة الله وحده، وقـال في الآخـرين: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فـأتى

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩)

بالغضب على وجه الإبهام؛ للدلالة على أن الله - سبحانه وتعالى ـ لـه المنة الكبرى على هؤلاء

الذين أنعم الله عليهم، وأنه لا مئة لأحد عليهم بما أعطاهم الله - سبحانه وتعالى ؛ ويتفرع على ذلك: أن يحمد الإنسان
ربه على كل عمل صالح يفعله؛ لأن ذلك بمعونة الله وبنعمته. 6 ـ وفي قول الله ـ تعالى ـ: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين * دليل على عظم ذنب من أتي العلم ولم يعمل به؛ لأنه يستحق الغضب؛ حيث إن الله ـ تعالى ـ أنعم عليه بوجود السبب الذي به يهتدي، ولكنه استنكف واستكبر، وفي هذه الآية ـ أيضا ـ دليل على أنه ينبغي لنا أن نعرف سيرة هؤلاء المغضوب عليهم، ولماذا غضب الله عليهم؟ وباذا أخذهم؟ كا قال الله ـ تعالى ـ: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبب﴾ [يوسف: ١١١].

ـ وفي قوله: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أنه يجب على المسلم الذي هداه الله إلى الصراط المستقيم أن يتبرأ من طريقة هؤلاء؛ فكما سأل الله أن يعصمه من طريقهم فليتبرأ منه، وليبعد عنهم، وليتجنب ما هم عليه من الضلال، بل إن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال:«من تشبه بقوم؛ فهو منهم»)؛ فيجب علينا أن نتجنب

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠)؛ وأبو داود: كتاب الحام، باب في لبس الشهرة، رقم (4031)؛ وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٥٢٢)، ورمز له بإشارة الحسن.

ما يختصون به ـ حتى في غير العبادات ـ؛ وذلك لأننا إذا تشبهنا بهـم في غير العبادات، وفعلنا ما هو مـن خصائصهم؛ فـإن هـذا يجرنا إلى أن نتشبه بهم في العبادات؛ ولهذا قال العلماء: إن التشبه بهم في الظاهر يجـر إلى التشبه بهم في الباطن؛ فيهلك الإنسان كا هلكوا. 8- وفي قوله: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أنه يجب علينا معاداة هؤلاء، وبغضهم، وعدم مناصرتهم، سواء ناصرنا بعضهم على بعض أو ناصرناهم على أحد من المسلمين، فكل ذلك حرام، لكن الثاني أشد وأعظم، أما محبتنا أن ينتصر بعضهم على بعض فإن هذا لا بأس به إذا كان هذا المنتصر أهون على المسلمين وعلى الإسلام من الآخر؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: «الما غلبت الروم (4) في أدنى الأرض وهم من بعد عليهم سيغلبون و في بضع سنين لله و
الأمر من قبل ومن بعد ويوميذ يفرح المؤمنون و ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [الروم : :1 - 5]؛ يعني: بنصر الله الروم على الفرس، ومن المعلوم أنهم لم يفرحوا بذلك إلا لأنهم يحبونه؛ لأن الإنسان لا يفرح بشيء إلا وهو محبوب إليه، فلا حرج علينا إذا أحببنا أن ينتصر بعض الكفار على بعض؛ لكونهم أهون من الآخرين، وأقل خطرا على الإسلام والمسلمين، لكن الجميع يجب علينا أن نتبرأ منهم، وأن نعاديهم، وألا يكون بيننا وبينهم ولاء، قال الله ـ تعالى ـ: « والذين
م

سـورة الفاتحة

اه

ج
كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبيره [الأنفال: 73]، وقال - تعالى -: «يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظلمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيهم يقولون تخشى أن تُصيبنا دايرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم تدمين ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٢]. ـ وفي قوله: * غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أن كلتا الطريقتين سيئة، يجب البعد عنها، والتنزه منها، لا الاستكبار على الحق مع العلم به، ولا الجهل بالحق؛ ويتفرع على هذه الفائدة: أنه ينبغي للإنسان أن يتعلم؛ حتى لا يكـون مـن الـضالين، وأن يتعبـد حتى لا يكون مـن المغضوب

عليهم. وطلب العلم قد يكون فرضا على الأعيان، وقد يكون فرضا على الكفاية، وقد يكون مستحبا؛ فهو فرض على الأعيان في كل ما يتوقف عليه العلم بالعبادة التي يتعبد بها الإنسان؛ فالطهور والصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم منها ما يحصل به الواجب، وكذلك الأمر في الصيام، وكذلك في الحج، وكذلك في الزكاة، وفرض على الكفاية فيها لا يتعين على الإنسان العمل به، فتعلمه فرض كفاية إذا قام به من يكفي؛ لأنه في هذه الحالة يسقط عن الباقين. وأما القسم الثالث وهو السنة، فهو ما يكون فرض كفاية، إذا قام

به من يكفي فإنه يكون سنة في حق الباقين. وإنني ـ بهذه المناسبة ـ أحث إخواني ـ ولا سيما الشباب منهم ـ على أن يحرصوا على العلم الشرعي؛ لأن الناس ـ الآن ـ في حاجة ماسة بل في ضرورة إليه؛ لكثرة الجهل - الجهل البسيط والجهل المركب ـ؛ لأن كثيرا من الناس لا علم عندهم، وكثير من الناس عندهم علم، ولكن ليس عندهم فهم، وإني أضرب مثلا لذلك بها سمعته من أن بعض الناس قال: الأفضل أن يتوضأ الإنسان إذا كان عنده ماءان في أيام الشتاء ـ ماء دافئ وماء بارد ـ بالماء البارد، وكلما كان أبرد كان أفضل، يقول ذلك؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأن مما يرفع الله به الدرجات ويكفر به الخطايا؛ إسباغ الوضوء على المكاره، قال: فينبغي أن يختار الأبرد؛ لأنه أكره إلى الإنسان، وهذا جهل عظيم، وفهم قاصر، والرسول عليه الصلاة والسلام لم يقل: الوضوء بالماء البارد، أو إسباغ الوضوء بالماء البارد، لكن قال: إسباغ الوضوء على المكاره؛ يعني: أن الإنسان لا يمنعه كراهة استعال الماء عن إسباغ الوضوء، بل يسبغ الوضوء مع كراهة استعمال الماء؛ لشدة برودته، ولا يريد الرسول عليه الصلاة والسلام من أمته أن يعجز الإنسان عن الماء الدافئ المناسب لطبيعته إلى الماء البارد الذي قد يفوته الإسباغ، والمعروف من قاعدة الشريعة العظيمة أن كل ما كان أيسر

(1) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم (٢٥١).

فهو أقرب؛ قال الله ـ تعالى ـ: « يريد الله بكم اليسر ﴾ [البقرة: 185]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه...»(١)

وكان رسول الله ﷺ يبعث أصحابه ويقول: «يسّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يخير بين شيئين إلا اختار أيسرها ما لم يكن إثما").

ولا شك أن الأيسر للإنسان إذا كان عنده ماء دافئ وماء بارد أن يتوضأ بالماء الساخن، ووضوءه بالماء الساخن ليس إثها؛ إذن فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو خير بين هذا وهذا لاختار الدافئ؛ وعلى هذا يكون القول بأن يختار الماء البارد قولا بلا علم، وإن شئت قل قولا بلا فهم؛ لذا فإنني أحث إخواني ـ ولا سيما الشباب ـ على العلم، والفهم، والتأني في الأمور، وعدم التسرع في الحكم على الشيء؛ حتى يتقن ذلك إتقانا بينا؛ لأن المقام خطير، والكلمة الخطأ قد يصعب انتشال الناس منها فيما بعد.

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩). (٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، رقم (٤٣٤١)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم (١٧٣٣). (٣) انظر البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ رقم (3560)؛ ومسلم: كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، رقم (٢٣٢٧)

١٠ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » دليل على أن من علم الحق ولم يتبعه أسوأ حالا ممن جهله؛ لأن الأول جعلت عقوبته الغضب؛ حيث قال:* غير المغضوب عليهم * ويتفرع على هذا التحذير عدم عمل العالم با علم؛ لأن العالم إذا علم قامت عليه الحجة، وليس المراد هنا بالعالم من كان علمه واسعا، بل المراد كل من علم بمسألة من مسائل الدين؛ فهو عالم بها حتى وإن كان وصفه عاميا، فكل من علم حكتها من أحكام الدين فإن عليه أن يطبقه، وإن لم يفعل كان مستحقا لغضب الله ـ عز وجل ـ غضبا بحسب ما خالف به أمر الله، والله ـ تعالى ـ قال : « غير المغضوب عليهم ولم يقل: «غير من غضبت عليهم» ؛ كما قال في القسم الأول:(صراط الذين أنعمت عليهم ، وهذا دليل على أن من غضب الله عليه؛ فإنه يغضب عليه كل ولي الله؛ ويتفرع على ذلك أنه يجب علينا نحن المسلمين أن نغضب على كل من غضب الله عليه، وأن نعلم بأن كل من كان حربا الله فهو حرب لنا، وأن كل من كان عدوا الله فهو عدو لنا؛ كما قال تعالى: من كان عدوا لله ومليكته،

ورسله، وجبريل وميكئل فإن الله عدوّ للكفرين ﴾ [البقرة: ٩٨].

١١- وفي قولـه - تعالى -: « غير المغضوب عليهم ؟ دليـل عـلى
مهانة هؤلاء، وخشتهم، وغلوهم؛ ولهذا ذكروا بوصف اسم المفعول،

ولم يعطوا حق اسم الفاعل؛ لأنهم مغضوب عليهم مهانون مطرودون
مبغضون.

ج
١٢- وفي قوله: « غير المغضوب عليهم » دليل - أيضا - على إثبات الغضب الله - عز وجل -، وهو من صفاته الثابتة له في كتابه، وأجمع عليها السلف؛ قال الله - تعالى -: (قل هل أنبئكم بشر من ذالك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطفوت﴾ [المائدة: 60]، وقال - تعالى -: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا﴾ [النساء: 93]، والغضب صفة من صفات الله - عز وجل - تدل على كمال سلطانه وقدرته، وتستلزم عقوبة المغضوب عليهـم؛ قال الله - تعالى -: ﴿فلما ءاسفونا أنتقمنا منهم ﴾ [الزخرف: 55]، ولا يصح تفسير الغضب بالانتقام ولا بإرادة الانتقام؛ لأن الغضب شيء ينشأ عنه إرادة الانتقام ثم الانتقام؛ ولهذا قال - عز وجل -: «فلما اسفونا» ؛ أي: أغضبونا، ثم قال: «أنتقمنا منهم فأغرقنهم أجمعين ﴾ [الزخرف: 55]. ١٣- وفي قولـه - تعـالى -: ﴿ ولا الضالين * إشارة إلى أن الضلال صفة ممقوتة؛ لأن المؤمن يسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يعـصـمـه مـن طريق الضالين؛ فيتفرع على ذلك: أن العلم صفة كال - وهو كذلك ؛ ولهذا قال الله - تعـالى -: (أمن هوفنيث ءاثاء اليل ساجدا وقاهما تحذر

-

الآخرة ويرجوا رحمة ربي قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر: 9). ولكن ما هو العلم الذي يستحق المرء الثاء عليه؟ إن العلم الذي يستحق المرء الثاء عليه هو العلم بشريعة الله؛ العلم بأسماء الله وصفاته، العلم بأفعال الله؛ لأن ذلك هو الذي يحقق العبادة التي خلق من أجلها الإنس والجن؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات: 56]، وأما العلم بالصناعة، والأمور السفلية الأرضية فهذا لا يحمد ولا يذم على الإطلاق، بل إن أدى إلى خير ونفع كان محمودا، وإن أدى إلى شر وضرر كان مذموما، وإن لم يؤد إلى هذا ولا إلى هذا، كان لا هذا ولا هذا، لا يحمد ولا يذم إلا أن يفوت به ما هو أنفع وأصلح؛ فإنه قد يذم على ذلك. ١٤- وفي قوله: (ولا الضالين » - دون أن يعلق الغضب على ضلالهم - دليل على أن الضال لا يستحق العقوبة؛ أي: أن الإنسان إذا كان جاهلا بالشيء لا يستحق العقوبة عليه - وهو كذلك ؛ لقوله - تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لكن إن كان مفرطا بترك التعلم فقد يؤاخذ على تفريطه لا على جهله؛ لأن الإنسان يجب عليه أن يتعلم من أحكام دينه ما يحتاج إليه، وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في الرجل يترك المأمور جهلا به هل يؤمر بقضائه أم لا يؤمر بقضائه؟

فمنهم من قال: إنه يؤمر بالقضاء؛ لأن الواجب لا يسقط بالجهل، ومنهم من قال: إنه لا يؤمر بالقضاء؛ لأن النبي ﷺ لم يأمر المسيء في صلاته بقضاء ما كان قد فعله من قبل؛ وكان هذا الرجل يصلي ولا يطمئن، فجاء ذات يوم فصلى والنبي ﷺ ينظر إليه، فلا سلم على النبي ﷺ قال له: «ارجع فصل؛ فإنك لم تُصل»، فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل» (ثلاثا)، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيره، فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»)، فلم يأمره النبي ﷺ بإعادة ما سبق من الصلاة مع أنه كان لا يصلي على وجه مجز، وكذلك المرأة المستحاضة - التي كانت تستحاض فلا تصلي - لم يأمرها النبي ﷺ بإعادة الصلاة"، قالوا: فهذا دليل على أن الجاهل لا يؤمر بقضاء ما تركه جهلا. ومن الأدلة على هذا: حديث عمار بن ياسر :«بعثني رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب قراءة الفاتحة للإمام والمأموم...، رقم (٧٥٧)؛

ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم (٣٩٧).
(٢) انظر فتح الباري: (١/ ٤٤٠)؛ وصحيح مسلم (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣).

في حاجة فأجنبتُ(١)، فلم أجـد المـاء؛ فتمرغـت في الصعيد كـا تمـرغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنـا كـان يكفيـك أن تقول بيدك هكذا»، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحـدة، ثـم مـسـح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه»(٢)، فلم يأمره النبى ﷺ بقضاء ما صلاه بذلك التيمم الذي لم يكن على وفق الشرع، وهذا القول ـ بـلا شـك ـ موافق لعموم قاعدة الشريعة؛ وهـي اليـسـر وعـدم الـعـسر؛ لأن الإنسان لو أخل بواجب لسنوات كثيرة، ثم قلنا: إنه يجب عليك قضاء ما فات لكان في هذا صعوبة، وربما يكون فيه تنفير، وربما يكره أن يقوم بالعبادة من أجل هذه المشقة.

نعم لو فرض أن الإنسان بلغـه شيء من العلـم، ولكنـه تهـاون، وسكت، وقـال ـ كما يقـول البطالـون ـ: « لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ [المائدة: 101]، فهذا قد يلزمه بقضاء ما فات؛ مـن أجـل تفريطه وتهاونه في الأمر، ولكل مقام مقال، والذي ينبغي في هذه المسألة ألا يفتى فيها بوجه عام لكل الناس، بل تكون الفتوى فيها حسـب حـال كل قضية بعينها، وبإمكان الإنسان أن يعرف من المفرط من غيره.

(1) أي: أصابته جنابة..
(٢) رواه البخاري: كتاب التيمم، باب المتيمم هل ينفخ فيها، رقم (٣٤٧)؛ ومسلم: كتاب الحيض، باب التيمم، رقم (368).

١٥ـ وفي هـذه السورة العظيمـة ـ التي سـاها الرسـول ﷺ أم الكتاب، وأم القرآن ـ دليل على مضمون مـا جـاء بـه القـرآن؛ فهي أم وفاتحة؛ لأنها تشتمل على أنواع التوحيد، وتشتمل على الإشارة إلى الشرائع، وتشتمل على الإشارة إلى الرسل والملائكـة، وعـلى الـيـوم الآخر، وعلى

أقسام الناس؛ فكل معاني القرآن تتضمنها هـذه السورة، بالإشارة والدلالة التضمنية والالتزامية.

ففيهـا مـن توحيـد الألوهيـة قـولـه ـ تعـالى ـ: * الحمد لله رب العلمين فإن الله هو ذو الألوهية على خلقه أجمعين. وفيها من توحيد الربوبية قوله: « رب العلمين » ، والربوبية تكون عامة وتكون خاصة، وقد اجتمع النوعـان في قولـه ـ تعـالى ـ: (قالوا امنا برب العالمين ﷺ رب موسى وهرون ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]؛ فربوبية الله ـ تعالى ـ لموسى، وهارون، وأمثالها من الرسـل ليـسـت كربوبيتـه لفرعون، وهامان، وقارون؛ لأن ربوبيته لموسى، وهارون، وأمثالها من

الرسل ربوبية خاصة، بها عناية وتوفيق لأمر لم يوفق له أكثر الخلق. أما الأسماء والصفات ففيهـا ـ أي السورة ـ الألوهية، والرحمة، والوصف بالحمد والثناء، كل هـذا مـن أجـل كـال صفات الله ـ عـز وجل.

أحكام من القرآن الكريم

أما اليوم الآخر ففي قوله : « ملك يوم الدين *
وأما العبادة والاستعانة ففي قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين وهي تشمل جميع الشريعة؛ من أقوال، وأفعال، واعتقـادات؛ إمـا شيء يطلب إيجاده، وإما شيء يطلب اجتنابه، وكلهـا داخلـة ضـمن قوله: وإياك نعبد وإياك نستعين» ؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يـدع شيئا إلا بمعونة الله، ولا يقوم بشيء إلا بمعونة الله. وأما الإيمان بالملائكة؛ فإنه يؤخذ مـن قوله: « صراط الذين أنعمت عليهم ؟ ؛ لأن الذين أنعم الله عليهـم هـم الرسـل، والواسطة بين الله وبين رسله هو جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأنه موكـل بـالوحي، ثم إن صراط هؤلاء الذين أنعم الله عليهم متضمن للإيمان بالملائكة. وأما الإيمان بالقدر فيؤخذ من قوله: « الحمد لله رب العالمين » ؛
لأن مقتضى الربوبية أن يكون كل شيء بتقديره، وقضائه، وقدره. وأما أقسام الناس فيها أوحى الله إلى رسـلـه فقـد تتضمنها قوله:
و صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ؟. فالمهم أن من تدبر هذه السورة وجدها ـ كما وصفها رسول اللى ﷺ أم القرآن، وفاتحة الكتاب؛ ولهذا أوجب الله ـ تعالى ـ على لسان رسـوله قراءتها على كل مصل؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حـديث

عبادة بن الصامت الثابت في الصحيحين:«لا صلاة لمن لم يقـرأ بفاتحة الكتاب»(١)، وفي حديث أبي هريرة قال ـ عليه الصلاة والسلام -: «كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج، فهي خـداج» (٢)؛ يعني: فاسدة، وهذا يدل على أهمية هـذه الـسـورة، ولكـن هنـاك شيء ينبغي التنبه له، وهو أن بعض الناس يستفتح بها كـل شيء، ويجعلهـا السورة التي يتبرك بها في كل مناسبة، وهذا شيء من البدع؛ لأنه لم يعلم أن النبي ﷺ كان يستفتح الأمور بها، وإنا كـان يبتـدئ بهـا في قـراءة الصلاة، نعم، هي رقية إذا قرئ بها على المريض بإخلاص؛ فإنـه ينتفـع
بها بإذن الله، والله الموفق.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجـوب قـراءة الفاتحة للإمـام والمأموم...، رقـم (٧٥٦)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم (٣٩٤). (٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم (395).

(٢) سورة البقرة
قال ـ تعالى ـ: « المي ذالك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقتهم ينفقون » . في هذه الآيات يقول الله ـ عز وجل : (ذالك الكتب»؛ وهـو القرآن الكريم، وأشار الله - سبحانه وتعالى ـ إليه بإشارة البعيـد؛ لعلـو مرتبته، وعظيم منزلته؛ فإنه كلام الله ـ عـز وجـل ـ الـذي أنزلـه عـلى رسوله محمد ﷺ، وقد وصفه الله ـ تعالى ـ في القرآن بأوصـاف عظيمـة بالغة، وسماه الله كتابا؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتـوب في

الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوب في الصحف التي بأيدينا. وقوله ـ تعالى ـ: * لا ريب فيه ؛ أي: ليس فيـه ريـب ولا شـك؛ لأنه حق نازل من عند الله، وفي قوله: « هدى للمتقين»؛ أي:

الـذين اتقوا عذاب الله ـ عز وجل ـ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه . وقوله: «الذين يؤمنون بالغيب»؛ أي: الذين يؤمنـون بـا غـاب عنهم، لإخبـار الله ـ تعـالى ـ بـه ورسـوله، ويقيمون الصلوة »؛ أي: يأتون بها قائمة مستقيمة على وفق الشريعة، ومما رزقتهم ينفقون »؛ أي: ينفقـون ممـا رزقهـم الله؛ مـن الـزكـوات الواجبـة، والـصدقات
المستحبة، والنفقات اللازمة.

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؛ أي: من الكتب المنزلة على الرسل؛ مثـل التـوراة والإنجيـل، والزبـور،« وبالآخرة هم يوقنون »؛ أي: إيقانا كاملا لا مرية فيه.

* أولتيك على هدى من تيهم »؛ أي: عـلى صراط مستقيم وعـلم نافع، « وأولتيك هم المفلحون »؛ أي: الذين اهتدوا بهداية الله ـ عز وجل ـ، واتبعوا ما أنزل الله؛ فأصبح مآلهم هـو الفـلاح؛ والفـلاح هـو
حصول المطلوب والنجاة من المرهوب.

فوائد وأحكام هذه الآيات الكريمات:
1ـ في هذه الآيات إشارة إلى الصنف الأول والأعـلى مـن أصناف بني آدم نحو هذا الكتاب العزيز؛ فإن الناس انقسموا في هـذا الكتـاب العزيز إلى ثلاثة أقسام: قسم آمنوا به ظاهرا وباطنا، وقـسـم آمـنـوا بـه ظاهرا وكفروا به باطنا، وقسـم كفروا به ظاهرا وباطنا، فبدأ الله ـ تعـالى بالذين آمنوا به ظاهرا وباطنا، ثم ثنى بالذين كفروا به باطنا وظـاهرا، ثم ثلث بالذين آمنوا به ظاهرا وكفـروا بـه باطنا، وهـذا التقسيم مـن أحسـن التقاسيم، وأجملها، وأوضحها؛ فبدأ بالأعلى ثم بما يقابله تماما، ثم بما هو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وأخـر الـكلام عـلـيـهـم؛ لطولـه، ولبيان أوصافهم؛ حتى يحترز منهم؛ ففي قوله ـ تعالى ـ: *الم» إشارة إلى أن هذا القرآن العظيم ـ الذي أعجز أمـراء الفصاحة والبلاغـة ـ لم

يكن بأحرف خارجة عن الأحرف التي كانوا يتحدثون بها، ومع ذلـك أعجزهم؛ فعجزوا أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، أو بعـشـر سـور مثلـه ؛ قال الله ـ تعالى ـ: « فليأتوا تحديث مثله، إن كانوا صدقين ؟ [الطور: ٣٤]، وهـذا يـشمـل مـا يـكـون بـه الإعجـاز وإن قـل، وقـال ـ تعـالى -: ﴿ قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: 38]. وقـال ـ تعـالى -: ﴿ وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال ـ تعالى ـ: « قل فأتوا بعشر سور مثله، مفتريت ﴾ [هود: 13]، وقـال - تعـالى -: (قل لين اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله، ولوكانت بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [الإسراء: 88]، هذا القرآن الذي أعـجـزكـم أيهـا البلغاء والفصحاء لم يأت بحـروف جديدة حتى تقولوا ليست هذه الحروف معلومة لنا فلا نستطيع، هـذا هو الأصح في الحكمة من ذكر الحروف الهجائية في أوائل بعض السور، أما الحروف نفسها فليس لها معنى؛ لأن الله ـ تعالى ـ أنزل هـذا القـرآن بلسان عربي مبين، وهذه الحروف الهجائيـة لـيس لهـا معنى في اللغـة العربية..

٢ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « ذلك الكتب دليل عـلى علـوّ مرتبـة القرآن، وهو كذلك؛ لأن القرآن كلام الله - عز وجـل ـ الـذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مـن خـلفـه؛ فهـو أعـلى الـكلام في الفصاحة، والبلاغة، وما يحتوي عليه من العلوم النافعة.

٣ـ وفي قوله: « الكتب» دليل على أن هـذا الـقـرآن مـكتـوب وهـو كـذلك؛ قـال الله ـ تعـالى -: (بل هو قرءان مجيد) في لوح محفوظ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقال الله ـ تعالى ـ: * فمن شاء ذكره (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة دي بأيدي سفروت كرام بررو ﴾ [عبس:
١٢ ـ ١٦]، وهو كذلك مكتوب في الصحف التي بأيدينا. 4. وفي قوله: « ذلك الكتب»؛ «ال» دليل على أن هذا الكتاب معروف معهود، وهو كذلك؛ فإن كتاب الله ـ عز وجل ـ كـان معروفا معهودا بين الصحابة، لم يفتقد منه شيء، وقد ذكـر أهـل العلـم أن مـن أنكر حرفا واحدا اتفق القراء على إثباته؛ فهو كافر.

وأما اختلاف القراءات السبع؛ فإن هذا مما ثبت عن النبي ـ عليـه الصلاة والسلام ـ؛ لأن هذه القراءات السبع كلـهـا حـق تجوز القـراءة
بها.

هـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « هدى للمتقين » دليل على أن الاهتـداء بالقرآن مربوط بالتقوى؛ فكلما كان الإنسان أتقى الله كان أهدى بكتاب
الله.

6ـ وفي قوله: « هدى للمتقين » دليل على أن غير المتقي لا يهـدى بالقرآن، وهـو كـذلك؛ ولهـذا قـال الله ـ عز وجل ـ : (كلا إن كتب الفجار لفي سجين) وما أدرنك ما سجين (كتب مرقوم ﴾ [المطففين: ٧ -٩]

أحكام من القرآن الكريم

وقـال ـ تعـالى -: ﴿ ويل يوميذ للمكذبين و الذين يكذبون بيوم الدين (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه ايثنا قال أسطير الأولين و كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطفـين ١٠ - ١٤]، فأخبر الله ـ تعالى ـ أن هذا إذا تتلى عليه آيات الله؛ لم ينتفع بها، ولم تصل إلى قلبه، ولم ير لها شأنا عظيها، بل يقول: «أساطير الأولين » ؛ يعني: مثل الحكايات التي تحكى عن الأولين، ويتحدث بها لماذا؟ لأنـه ران على قلبه ما كان يكسبه من الآثام؛ فلم ينتفع بـالقرآن، وكلـا كـان الإنسان أتقى الله كان أهدى بكتاب الله؛ ويدل على ذلك آيات كثيـرة؛ منها: قولـه ـ تعـالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى [مريم: 76]، وقوله - تعالى -: (فأما الذين امنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون » [التوبة: ١٢٤]، وكلا نقص الإنسان من التقوى نقص من اهتدائه بكتـاب الله بقدر ما نقص من تقواه.

قال الله ـ تعالى ـ: * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقتهم ينفقون - والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » .

هنا بين الله ـ تعالى ـ أوصاف هؤلاء المتقين؛ فوصـفـهـم ـ سـبحانه - بأنهم يؤمنون بالغيب؛ أي: با غاب عنهم مما أخبر الله به ورسله؛ لأنهم

يصدقون بها أخبر الله به ورسله أكثر مما يصدقون بـا شـاهدوه بـأعينهم أو سمعوه بـآذانهم، وأمـور الغيـب التـي أخـبر الله بها ورسـلة كثيرة معروفة في كتاب الله وفي سنة رسـول اللہ ﷺ. ومـن أوصـافهـم أنهـم يقيمـون الـصلاة؛ أي: يـأتون بهـا قائمـة تامـة بـشروطها، وأركانهـا، وواجباتها، ويتممون ذلك بمتماتها من المستحبات، ومن أوصافهم - أيضا ـ أنهم ينفقون مما رزقهم الله - عز وجل ـ على حـسـب مـا تقتضيه الشريعة إنفاقا دائـرا بـين الإفراط والتفريط؛ كـا قـال الله ـ تعـالى -: والذين إذا أنفقوا لم يشرفوا ولم يقتروا وكان بين ذالك قواما ←
[الفرقان: ٦٧].
وفي قوله: « أولتيك على هدى من ربهم وأولتيك هم المفلحون » يخبر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية بأن هـؤلاء على هـدى، وعلى علـم مـا وهـبهم الله ـ عـز وجـل ـ، وبيـن الله ـ تعـالى ـ مـآلهـم وهـو الفـلاح؛ والفلاح هو حصول المطلوب، والنجاة من المرهوب.

فوائد الآيات الكريمات:
1ـ أن الإيمان بالغيب من تقـوى الله ـ عز وجل ـ وهـو أسـاس التقوى؛ لأن ضد الإيمان الشك والتكذيب؛ فإن الناس فيها أخبر الله بـه ورسله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم يؤمنـون بـذلك ويوقنـون بـه وقسم ينكرون ذلك ويجحدونه، وقـسـم يترددون فيـه ويـشكـون فـيـه

والنـاجـي مـن هـذه الأقـسـام هـو القـسم الأول؛ الـذين يؤمنـون بـه ويصدقون به.

٢ـ أن الإيمان بالشيء المشاهد لا يجدي ولا ينفع؛ لأنه إيمان يقتضيه الواقع؛ فلا يمدح الإنسان عليـه، فالإنسان الذي يقـول: أنـا أؤمـن بالشمس، وأؤمن بالقمر، وأؤمن بالنجوم لا نمدحه على مـا يـؤمن بـه من هذه الأشياء المحسوسة، وإنما يمدح الإنسان على ما يؤمن بـه مـن الأشياء الغائبة؛ ولهذا لا ينفع الإنسان إيمانه إذا شاهد الأمر عيانا؛ كا قال الله ـ سبحانه وتعالى -: « فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده
وكفرنا بما كتابه، مشركين فلم يك ينفعهم إيمهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده، وخير هنالك الكفرون) غـــــار: ٨٤، 85]، وقال الله ـ تعالى ـ في فرعون لما أدركه الغـرق ـ: « قال امنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسراعيل وأنا من المسلمين * فقيـل لـه

والفين وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩١] 3ـ فضيلة إقامة الصلاة، وأن ذلـك مـن تقـوى الله ـ عـز وجـل
والصلاة ـ هنا ـ شاملة لصلاة الفريضة وصلاة النافلة. ٤ـ أن الصلاة قد يفعلها الإنسان على غير وجه الإقامة لها؛ مثـل أن يفعلها غير تامة، أو يفعلها ناقصة من الأركان، أو من الواجبات، فمـن النقص في الأركان الذي يتهاون فيه الكثير من الناس عـدم الطمأنينة؛

فإن بعض الناس يتهاون في الطمأنينة، ولا يطمئن، لا سيما في القيـام بعد الركوع، وفي الجلوس بين السجدتين، ومن المعلوم أن الطمأنينة في هذين الركنين وفي غيرهما مـن أركـان الـصلاة، وأن الصلاة لا تصح بدون الطمأنينة فيها وفي غيرهما من الأركـان؛ ففـي الـصحيحين مـن حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «أن رسـول اللـه ﷺ دخـل المسجد، فدخل رجل، فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد وقـال:«ارجـع فـصل؛ فإنك لم تصل»، فرجع فصلى كما صلى، ثـم جـاء فـسـلـم عـلى النبي ﷺ فقال:«ارجع فصل؛ فإنك لم تصل» (ثلاثا)، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسـن غيره، فعلمني، فقال:«إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقـرأ مـا تيسـر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعـا، ثـم ارفـع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمين ساجدا، ثـم ارفـع حتى تطمين جالسًـا، وافعل ذلك في صلاتك كلها»(١)، وإنـا أمـره الـرسـول ﷺ أن الصلاة مرة بعـد أخـرى؛ مـن أجـل أن يشتد توقانـه إلى معرفة الصلاة
وأحكامها؛ حتى يتلقى ذلك بنفس مشرئبة متطلعة إلى معرفة الحكم؛ فيكون ذلك أرسخ في قلبه، وفي رواية للحديث :«إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر» (٢)، وإنها قال لـه النبـي
يعيد

(١) سبق تخريجه ص(٣٨).
(٢) رواه البخاري: كتاب الاستئذان، باب من رد فقال: عليـك الـسلام، رقـم (٦٢٥١)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

ﷺ:«إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء»، مع أنه لم يشاهده ﷺ وهـو يتوضـأً؛ لأن مـن جـهـل هـذه الأركـان في صـلاتـه قـد يـكـون جـاهلا للوضوء، فأرشد النبي ﷺ إلى ما ينبغي أن يقوم به من إسباغ الوضـوء، المهم أن رسـول اللہ ﷺ أمرنا أن نطمئن في هذه الأركان، وهو دليل على أن الصلاة لا تصح دون الطمأنينـة فيهـا، فـالكثير مـن الـنـاس يـضيع الطمأنينة في هذه الأركـان؛ فيكـون غـيـر مـقـيـم لـلصلاة، ومـن إقامـة الصلاة صلاتها في المساجد مع الجماعة؛ لأن النبي ﷺ قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا يصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها، فأمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم») . وعن أبي هريرة قال: «أتى رجل أعمى فقال: يا رسول اللّٰه، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسـول اللہ ﷺ أن يرخص له، فيـصلي في بيته، فرخص له، فلما ولّى دعاه فقال: «هل تـسمع الـنداء بالصلاة؟ » فقال: نعم؛ قال: «فأجب»(٢)؛ فمن لم يـأت بـصلاة الجماعـة مـع قـدرتـه عليها وعدم وجود عذر شرعي في تركها؛ فإنه غير مقيم للصلاة، فـلا يكون داخلا في هذه الأوصاف الحميدة الجليلة.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم (٦٤٤)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (651).
(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم

(٦٥٣).

أما النساء فلا تجب عليهنّ صلاة الجماعة في المساجد؛ لأن الرجـال هم المخاطبون بالاجتماع إليها، أما النساء فقـد قـال النبي ﷺ: «... وبيوتهن خير لهن»(١)، ولكن المرأة مأمورة بأن تحضر صلاة العيد؛ لأن النبي ﷺ أمر أن يخرج إليها النساء حتى الحيض وذوات الخدور إلا أنه أمر الحيض أن يعتزلن المصلى)؛ لأن مصلى العيـد مـسجد تثبـت لـه أحكام المسجد كلها.

خمسة؛
ومن إقامة الصلاة المحافظة عليها في أوقاتهـا، بـل هـذا مـن أهـم إقامتهـا، وأوقات

الصلوات معروفة ـ ولله الحمد ـ، وهي - فالفجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والظهر من زوال الشمس ـ أي: ميلها إلى جهة المغرب ـ حتى يصير ظل كل شيء مثله بعد فيء الزوال، والعصر من ذلك الوقت ـ أي: من صيرورة ظل كل شيء مثله ـ إلى أن تصفر الشمس، هذا وقت الاختيار، والضرورة إلى غروب الشمس. أما صلاة المغرب فوقتها من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر، والعشاء من مغيب الشفق الأحمر إلى نصف الليل. وطلوع الفجر إلى طلوع الشمس يمكن إدراكه بالمشاهدة، وزوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله يمكن أن يعرف بوضع عصا أو

(١) رواه أبو داود: كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد، رقم (567). (٢) انظر البخاري: كتاب العيدين، باب خروج النساء والحيض إلى المصلى، رقم (٩٧٤)؛ ومسلم: كتاب صلاة العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، رقم (٨٩٠).

نحو ذلك قائمة في الشمس، وينظر إلى ظلها، فا دام الظل ينقص فالشمس لم تزل، فإذا بدأ الظل يزيد ـ ولو يسيرا جدا ـ فقد زالت الشمس، وحينئذ اضبط مكان الزيادة، فإذا صار من مكان الزيادة إلى منتهى ظلها طولها فقد خرج وقت الظهر ودخل وقت العصر. أما انتهاء وقت العصر فهو معلوم بالمشاهدة، وهو اصفرار الشمس؛ أي: أن تكون الشمس صفراء، ومن اصفرار الشمس إلى الغروب ـ أيضا ـ معلوم بالمشاهدة. أما صلاة المغرب فوقتها من الغروب إلى مغيب الشفق الأحمر، وهو معلوم بالمشاهدة ـ أيضا ، وتقريبه في الساعة: ما بين ساعة وربع أو سبع عشرة دقيقة من الغروب إلى ساعة ونصف ساعة أو ساعة واثنتين وثلاثين دقيقة بعد الغروب؛ لأن طول مدة وقت المغرب يختلف باختلاف الفصول، ومن بعد ذلك يدخل وقت العشاء مباشرة إلى نصف الليل، وبيان ذلك أن تنصف ما بين غروب

الشمس إلى طلوع الفجر؛ فالنصف هو منتهى وقت صلاة العشاء. فلا يجوز للإنسان أن يؤخر الصلاة عن وقتها المحدد لها شرعا إلا لعذر يبيح الجمع؛ فيجوز أن يؤخر الصلاة الأولى التي تجمع لما بعدها إلى دخول وقت الثانية؛ لأن السبب المبيح للجمع يجعل وقت الصلاتين وقتا واحدا؛ فمن أخر الصلاة عن وقتها، وصلاها بعد الوقت بدون عذر شرعي؛ فإن صلاته مرفوضة لا تقبل؛ لقول الله - تعالى -: (وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله

٤
[الطلاق: 1]، وقوله في آية أخرى: « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولتيك هم الظلمون ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، والظالم لا يقبل منه عمل؛ لأنه ظلم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يحب الظالمين، ويؤيد القول بأن الصلاة بعد وقتها لا تصلح بدون عذر قوله : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»(١)، ومن المعلوم أن من أخر الصلاة عن وقتها بدون عذر فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله ورسوله؛ فيكون مردودا غير مقبول.

هـ فضيلة الصلاة؛ حيث نض الله ـ عز وجل ـ على إقامتها بخصوصها، ومن المعلوم أن النص على الشيء بخصوصه يدل على عناية كاملة به، وعلى مرتبة عالية له.

٦ـ فضيلة الإنفاق مما رزق الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ومما رزقتهم ينفقون، والإنفاق من المال ينقسم إلى واجب ومستحب، وأوجب الواجبات الزكاة التي فرضها الله - عز وجل ـ على العباد، فمن قام بها وأداها؛ فإنه يدخل في هذه الآية الكريمة أول من يدخل، ويدخل في الإنفاق ـ أيضا ـ الإنفاق على من يجب الإنفاق عليه؛ من زوجة، وقريب، ومملوك، وإنني بهذه المناسبة أحذر بعض الناس الذين يبخلون با آتاهم الله من فضله، فيظنون أن ذلك خيرا لهم، وأن ذلك
(1) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

تنمية لأموالهم؛ فإن هذا ليس خيرا لهم، بل هو شر لهم؛ كا قال الله ـ تعالى -: ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتهم الله من فضله، هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما تخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ [آل عمران: 180]، أحذر

هؤلاء البخلاء من أن يمنعوا الزكاة، وأحذرهم من أن يمنعوا الإنفاق على زوجاتهم، وأحذرهم من أن يمنعوا الإنفاق على من أوجب الله عليهم الإنفاق عليه، وأحذرهم من أن يمنعوا ما أوجب الله عليهم بذله من المال؛ من إطعام جائع، أو كسوة عار، أو غير ذلك مما ذكر أهل العلم وجوب الإنفاق فيه، وليعلم الإنسان أن كل نفقة ينفقها يبتغي بها وجه الله ـ تعالى ـ يثيبه عليها، ويأجره عليها، ولا تزيد ماله إلا ناء وبركة؛ كما جاء في الحديث الصحيح:«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(١) .

(أولتيك على هدى من ربهم وأولتيكهم

المفلحوت .

من فوائد وأحكام هذه الآية:

أن هؤلاء المتقين المتصفين بهذه الصفات على هدى من الله، وعلى

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

بصيرة، وعلى برهان بأن مآلهم الفلاح؛ وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، وهذا غاية كل إنسان؛ قال ـ تعالى ـ: « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. نسأل الله ـ تعالى ـ أن نكون من الفائزين السعداء في الدنيا والآخرة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « إن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾.

يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ حال هؤلاء الكفار المكذبين لرسول الله ﷺ ومآلهم؛ أما حالهم فقد قال ـ سبحانه وتعالى -: ﴿ سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»؛ أي: أنهم لا يؤمنون سواء أنذرتهم أم لم تنذرهم؛ وذلك لأن الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، وهذا كقوله ـ تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل ءاية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس: 96،97]، ولا ينافي هذا ما علم من أن بعض الناس يكون كافرا بالله ـ عز وجل ـ ثم يهديه الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى الإسلام؛

فيكون من أئمة المسلمين، ودعاة المسلمين، وأنـصـار الـدين؛ لأن الكلام فيمن كان كافرا، وقد حقت عليه كلمـة الله ـ عز وجل ؛

فإنه لا يمكن لأحد أن يهديه، أما من كان كافرا، ولم تحـق عـليـه كـلـمـة الله، وعلم الله منه أنه سيتوب، ويدخل في الإسلام؛ فإنـه لا يدخل في هـذه الآيـة * إن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصرهم عشوة * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم؛ أي: جعل الله عليهـا الخـتم؛ وهـ الطبع بعد الإغلاق والاستيثاق، يختم على الشيء حتى يبقـى مختومـا لا يصل إلى خير، فهؤلاء ختم الله على قلوبهم؛ فلا يـصـل إلـيـهـم الإيان، وعلى سمعهم؛ فلا يستمعون إلى ما يتلى عليهم على وجـه ينتفعـون بـه أما الأبصار ـ والعياذ بالله ـ فجعل الله عليهـا غـشـاوة؛ لا يبصرون ولا ينظرون إلى آيات الله ـ عز وجل ـ التي تدلهم على الحق، وبين الله ـ تعالى ـ أن لهم في الآخرة عذابا عظـيا؛ حيـث قـال ـ تعـالى -: ﴾ ولهم عذاب
عظيم .

فوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ أن من حقت عليه كلمة الله من الكافرين لا يمكـن أن يـؤمن، سواء أنذر أم لم ينذر، وسواء رغـب أم لم يرغـب؛ لأنه قد طبع على قلبـه؛
فلا يمكن وصول الهداية إليه.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية ـ أيضا ـ تسلية النبي ﷺ حتى لا يضيق صدره، ولا يكون في نفسه حرج، كما قال الله ـ تعالى ـ: « فلعلك بنخع

نفسـك على اثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴿ [الكهـ ف: 6]، وقال ـ تعالى ـ: « لعلك بخع نفسـك ألا يكونوا مؤمنين ﴿ [الشـعراء: 3]، فالنبي ﷺ ومن ورثه من أهل العلم عليهم

البلاغ والدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ وبعد ذلك لا يضرهم من ضل ما داموا على الاهتداء، كا قال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم * [المائدة: 105].

3ـ ومن فوائد الآية الكريمة أنه ينبغي للمؤمن الذي مـن الله عليـه بالإيمان أن يحمد الله - سبحانه وتعالى ـ على هذه النعمة العظيمة. ٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة أن رسول اللى ﷺ قد قام بإنذار هؤلاء الكافرين، ولكن هؤلاء الكافرين قد حقت عليهم كلمة العذاب؛ فلـم يجد فيهم الإنذار شيئا.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة أن الله - سبحانه وتعالى ـ يمن على من يشاء من عباده؛ فمن عباد الله من يشرح الله له صدره، وييسر له أمره، يشرح صدره للإسلام حتى يفرح به ويستبشر به، ويتسع صدره لقبوله؛ فيقبله، وينفذ أحكام الله - عز وجل ـ على الوجه الذي يرضاه
هذا؛
الله - سبحانه وتعالى ـ، ومن الناس من يكون على العكس من فيضيق صدره حرجا با سمع من آيات الله - سبحانه وتعالى ـ، قال الله ـ تعالى ـ: « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه؟

[الزمر: ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله تجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك تجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »

[الأنعام: ١٢٥].
فإن قال قائل: كيف يهدي الله قوما ويضل آخرين؟

فالجواب: أن هذا السؤال لا يرد؛ لأن الله ـ تعالى ـ له أن يفعـل مـا يشاء، فله أن يمن على من يشاء من عباده فيهديهم إلى صراطه المستقيم، كا قالـت الرسـل لأقـوامـهـم: « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده، * [إبراهيم: 11]، ونقول ثانيا: إن الله -

سبحانه وتعالى ـ لا يهدي إلا من كان أهلا للهداية، ولا يضل إلا من كان أهـلا للضلالة، كما قال الله ـ تعالى ـ: «الله أعلم حيث تجعل رسالته ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال ـ تعالى ـ: « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفسقين ﴾ [الصف: 5]، فلا يضل من ضل إلا بسبب من نفسه، يكـون
قلبه غير مريد للحق وغير قابـل لـه، والله ـ تعـالى ـ يعـلـم منـه ذلـك؛ فيكتب الله له الشقاء والضلال؛ نسأل الله الهداية.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة أنه ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا عـلى حذر، وألا يعتمد على نفسه، وأن يخـشـى مـن الـزيـغ والضلال، وأن يسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ دائما الثبات على الحق، والمـوت عليـه، وأن

يحمد الله الذي من عليه بالهداية، وقد أضل قوما آخرين.
- ومن فوائد الآية الكريـمـة إثبـات الجـزاء في قولـه ـ تعـالى -:
ولهم عذاب عظيم ".

٨- ومن فوائـدهـا إثبـات حكمـة الله؛ فإنـه ـ سـبحانه وتعالى ـ لم يعـذب هـؤلاء إلا لاستحقاقهم العـذاب بكفـرهـم بـالله ـ سـبحانه وتعالى ـ، وبها يجب عليهم الإيمان به.

ثم قال الله ـ عـز وجـل ـ: «ومن الناس من يقول : امنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين خدعون الله والذين ءامنوا وما تخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ؟ .

وهذا هو القسم الثالث من الأقسام التي ابتدأ الله بها هذه السورة، وهم: المؤمنون الخلص والكافرون الخلص، والمؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم.

قال - تعالى -: ﴿ ومن الناس * أي: بعض الناس يقـول: آمنـا بـالله وباليوم الآخـر، لـكـن يـقـول ذلـك بـلـسانه؛ ولهـذا قـال: «وما هم بمؤمنين» أي: ما هم بمؤمنين بقلوبهم، بل هم في قلوبهم منكـرون، لا يعترفون بهذا ولا يقرون به ـ والعيـاذ بـالله ـ، خدعوت الله والذين

ءامنوا وما تخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون» ؛ أي: أنهم في عملهم هذا وسيرتهم هذه يخادعون الله والذين امنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم. والخداع، والمكر، والكيد، معانيها متقاربة؛ وهي الإيقاع بالخصم من غير أن يشعر، هؤلاء يتظاهرون، بالإيمان؛ ليخادعوا الله والمؤمنين، فيظنون أنهم أحسنوا صنعا، ولكنهم أساءوا صنعا وسبيلا؛ ولهذا قال الله - عز وجل -: «وما تخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، - فهم في الحقيقة خدعوا أنفسهم، ولعبوا بها، وغروها، واغتروا بصنعهم؛ فلم ينفعهم هذا الخداع؛ لأن الحساب يوم القيامة على ما في القلوب، كا قال الله ـ تعالى ـ: « إنه على رجعه، لقادر يوم تبلى الشراير فما له من قوة ولا ناصر ﴾ [الطارق: ٨ - ١٠]، وقال ـ تعالى -: ٥ أفلا يعلم إذا بعير ما في القبور وحصل ما في الصدور ون إن تهم بهم يومين لخبير ﴾ [العاديات: ٩ ـ ١١].

وقوله ـ تعالى ـ: «وما تخدعوت إلا أنفسهم » ؛ أي: أن هؤلاء المنافقين الذين ظنوا أنهم خدعوا الله والمؤمنين با يتظاهرون به من الإيمان وهم على الكفر لا يخدعون إلا أنفسهم؛ لأنهم غروها، واغتروا با صنعوا، وظنوا أنهم يحسنون صنعا، ثم قال: «وما يشعرون» ؛ أي: لا يشعرون أنهم خدعوا أنفسهم؛ ولهذا استمروا على ما هم عليه من النفاق.

ج
في قلوبهم مرض ؛ أي: شك، وريب، ونفاق؛ «فرادهم الله مرضاه ؛ أي: أعطاهم مرضا أكثر من المرض الأول، وهذا في قوله ـ تعالى -: «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمنا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون من وأما الذين في قلوبهم مرضت فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كفرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، فهؤلاء المنافقون لما كانت قلوبهم مرضى؛ صاروا يزدادون مرضا فوق مرضهم؛ لأنهم كلما كذبوا شيئا وأنكروا شيئا؛ ازدادوا بذلك كفرا وبعدا من الله - عز وجل. ولهم عذاب أليم »؛ أي: مؤلم « بما كانوا يكذبون » أي: *

بسبب كذبهم؛ حيث قالوا: إنهم مؤمنون، وما هم بمؤمنين. في هذه الآيات الكريمة يبين الله - سبحانه وتعالى ـ أن مـن النـاس من ينافق؛ والنفاق هو إظهار الخير وإبطان الشر، وهو بالنسبة لحـق الله نفاق عقدي مخرج عـن الإيـان، وقـد يكـون نفاقا عمليا؛ كالـريـاء، وبالنسبة لحق المخلوق نفاق عملي لا يخرج من الإيمان، كـا قـال النبي : «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن
خان).

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، رقم (٣٣)؛ ومسلم: كتـاب الإيـان، بـاب بيان خصال النفاق، رقم (٥٩).

فوائد وأحكام هذه الآيات:

1ـ إثبات النفاق في بعض الناس؛ لقوله: ﴿ ومن الناس من يقول* والنفاق لم يحدث في هذه الأمة إلا بعد أن قويت، وكـان لهـا سـلطان، وعزة، ورفعة؛ ولهذا قال العلماء: إنه لم يظهر النفـاق في هـذه الأمـة إلا بعد غزوة بدر؛ حيث انتصر فيها المسلمون على أعـدائهم، ووجـه هـذا ظاهر؛ فإن المنافق إنما ينافق؛ خوفا على نفسه وماله، ولا يمكن الخـوف على النفس والمال إلا مع قوة المخوف منه.

٢ـ ومن فوائدها: أن الأقوال لا تنفع إذا لم يكن القلب مطابقا لهـا، فإذا قال الإنسان قولا ولكن قلبه منكر؛ فإن هذا القـول لا ينفعـه عنـد الله، بل لا يزيده من الله إلا بعدا.

٣ـ ومن فوائدها: أن أحكام الدنيا تجري على الظاهر؛ أي: عـلى مـا يظهر من حال الإنسان دون الأمـر الباطن الـذي في قلبـه؛ لأن الأمـر الباطن لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ، أما الأمر الظاهر فيعلمه كـل مـن ظهر لـه؛ ولهـذا لم يقتـل النبي ﷺ المنافقين، وقـال حـين اسـتُؤذن في قتلهم:« لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»(١)؛ ويتفرع على ذلك

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب قول الله ـ تعالى ـ: «يقولون لين رجعنا إلى المدينة ليخرج الأعز منها الأذله، رقم (٦٠٩٤)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧)

أننا نجري الناس في أحكام الدنيا على ظـاهـر حـالهم، ولا نسيء الظـن بأحد إذا لم تظهر لنا قرائن قوية تذيل هذا الأصل؛ ومن ثم قال الفقهـاء ـ رحمهم الله ـ: إنه يحرم سوء الظن بمسلم ظـاهره العدالة؛ ومـن هـنـا أحذر بعض الإخوة الذين يطلقون مثل قولهم: هذا منافق، هـذا كـافر هذا كذا.. إلخ، ويصفونه بأوصاف تخالف ظـاهـر حـالـه بـنـاء عـلى مـا يظنونه في قلبه، وهذا خطأ؛ لأنه ليس لنا أن نحكـم إلا بـا ظـهـر، قـال النبي ﷺ : إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحـن بحجته من بعض؛ فأقضي له على نحو مما أسمع منه ... »(١)؛ فدل هـذا عـلى أنـه ليس لنا أن نحكم إلا بما هو ظاهر، أما ما هو بـاطـن فـأمره إلى الله، ولا يجوز لنا أن نرمي عباد الله بما يخالف ظاهر حالهم، اللهم إلا إذا وجدت قرائن قوية تبين كذبه، فهذا يحكم له بما تقتضيه الشريعة. ٤ـ ومن فوائدها: أن المنافق ليس بمؤمن؛ لقوله ـ تعالى ـ:* وما هم بمؤمنين وهو كذلك، ولكن هل يصح أن نقـول: إنهـم مـسلمون؟ يرى بعض أهل العلم أنه يصح أن نقول عن المنافق: إنـه مـسلم؛ لأنـه مسلم ظاهرا، وربـا يـستدلون بقولـه ـ تعـالى ـ في قـصـة لـوط ـ عليـه الصلاة والسلام -: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ع فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ [الذاريات: 35، 36]، وهذا البيت يضم زوجـة

(١) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، رقم (٢٦٨٠)؛ ومسلم: كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم (١٧١٣)

لوط ـ عليه الـصلاة والسلام ـ، وهـي تتظاهر بالإسلام، وليست بمؤمنة، كما قال الله ـ تعـالى -: ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا أمرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صلحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم: ١٠]، فسمى

الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا البيت بيت المسلمين، بل سمى من فيه مسلمين، مع أن فيه هذه الزوجة التي ليست بمؤمنة، والمنافقون - في الحقيقة ـ مسلمون إسلاما عمليا؛ لأنهم لا يخالفون في الظاهر ما كان عليه المسلمون، وإن كان ذلك يثقل عليهم، ويشق عليهم، كا قال - تعالى -: «إن المتفقين خدعون الله وهو خدعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا [النـــساء: ١٤٢]، وقال النبي ﷺ:«ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا»، وعلى كل حال فالمنافق إذا لم

يظهر نفاقه ويعلنه فهو مسلم ظاهرا، وإن كان غير مؤمن. هـ ومن فوائد الآية الثانية. وهي قوله ـ تعالى ـ: «خدعون الله والذين ءامنوا وما تخدعوت إلا أنفسهم وما يشعرون أن هـؤلاء المنافقين إنما صنعوا ما صنعوا؛ مخادعة، ومكرا، وكيدا؛ فيذل هذا على ذم الخداع، والمكر، والكيد ـ وهو كذلك ؛ فالمكر، والخداع، والكيد

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، رقم (657).

أمور ممقوتة ومذمومة إلا إذا كان في ذلك مصلحة، بحيث يكون في مقابل من يخدعك؛ فإنه يجوز أن تخدع من خدعك، كما قال الله ـ تعالى وإن المتفقين خدعون الله وهو خندعهم» [النساء: ١٤٢]؛ ولهذا نقول: إن الحرب خدعة، ويذكر أن علي بن أبي طالب لما خرج إليه عمرو بن ود ليبارزه صرخ علي فقال: إني لم أخرج لأبارز رجلين، فظن عمرو أن معه ه آخر، فالتفت؛ فضربه علي حتى قتله، فإن هذا لا شك أنه خداع، لكنه خداع لمن يحسن خداعه؛ لأنه مستحق له.

6 ـ ومن فوائدها: بيان أن المنافقين من أعداء المؤمنين؛ ولهذا يقول: خدعون الله والذين ءامنوا ، كا أنهم أعداء الله ـ عز وجل ؛ ويترتب على هذه الفائدة الحذر من المنافقين، وأن يحترز الإنسان من الإفضاء إليهم بالأسرار والأمور المهمة؛ خوفا من أن يطيحوا به، وأن يلقوه في المهلكة.

ـ ومن فوائد قوله ـ تعالى -: «وما تخدعوت إلا أنفسهم وما يشعرون أن الإنسان قد يعمى عن الضلالة؛ فيظن أن ما فعله حسن وهو سيئ، وهؤلاء هم أخسر الناس أعمالا كما

قال الله ـ تعالى ـ: «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعملًا و الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم تحسبون أنهم تحسنون صنعا ﴾ [الكهف: 103، 104].
فإن قال قائل: بم نزن حسن الفعل وقبحه؟

قلنا: نزن ذلك بكتاب الله، وسنة رسوله و، وما كان عليه السلف الصالح؛ فإن خير الكتب كتاب الله، وخير الهدي هـدي محمـد و، وشر الأمور محدثاتها.
ثم قال الله ـ عـز وجـل ؛ « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم
عذاب أليم بما كانوا يكذبون .

من فوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ أن قلوب المنافقين مرضى، والمرض ـ هنا ـ ليس مرضا عـضويا يكون به الألم الجسدي، ولكنه مرض معنوي يرفض بـه القـلـب الحـق ويقبل الباطل، وهذا وصف منطبق تماما على المنافقين. ٢ـ ومـن فـوائـد الآية الكريمـة: أن القـلـب عـليـه مـدار الـصلاح والفساد بالنسبة للعمل؛ لأن الله ـ تعالى ـ وصف القلب بالمرض، وهـو دليل على أنه إذا مرض مرض معه الجسد، وإذا صح صح معه الجسد، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»

3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن يعتني بقلبـه فينظر: أصحيح هـو أم مـريض؟ فـإن كـان مريضا؛ فليحـرص غايـة

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩)

الحرص على طلب الشفاء لـه، وإن كـان صـحيحًا؛ فليحمـد الله عـلـى ذلك، وليسأله الثبات عليه،

ونحن نشاهد أن الإنسان إذا مرض عـضو من أعضائه مرضا جسميا ذهب إلى كل طبيب من أجل أن يحصل على شفاء من هذا المرض، ولكن مرض القلب لا يهتم به كثـير مـن النـاس مع أن مرض القلب أشد خطرا، وأعظم فتكا من مرض البدن. ٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان إذا لم يحرص عـلى عـلاج مرض قلبه؛ فإنه يعاقب بزيادة المرض؛ لقوله: « في قلوبهم مرض فزادهم اللّٰه مرضاه ولا شك أن هذه العقوبة أعظم من العقوبة بفقـد الـولـد، والأهل، والمال، وكثير من الناس يغفل عنها، فكثير من الناس يظنـون أن العقوبـة إنـا تـكـون في الأمـور الظـاهرة؛ كالأبـدان، والأمـوال، والأولاد، والحقيقة أن العقوبة بمرض القلوب وفسادها أشـد وأعظـم من العقوبة بمثل تلك الأمور، بل إن كثيرا من الناس يكون قلبـه ميتـا، يصاب بالمصائب من الخوف، والجوع، وغير ذلك من المصائب الماديـة المحسوسة، ولا يرعـوي ولا يرتـدع عـا هـو عـليـه مـن الـفـسـوق والعصيان.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن اللّٰه - سبحانه وتعالى ـ عـدل في قضائه وقدره؛ فإنه لم يجاز هـؤلاء المنافقين بزيـادة المرض، إلا حيـث كانت قلوبهم مريضة عفنة؛ ولهذا قال: «فزادهم فأتى بالفـاء الدالـة

على تفرع ما بعدها على ما قبلها.
6 ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن المنافقين ـ كما يبتلون بزيادة مرض القلب؛ يبتلون أيضا بالعذاب وهو العقوبة على أعالهـم الـسيئة، وهـو عذاب أليم مؤلم، ولا يقاس بألم الدنيا وعقوبتهـا؛ ولهـذا قـال: « ولهم غذات ألين .

ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات السبب؛ لقوله ـ تعالى ـ: « بما كانوا يكذبون والباء ـ هنا ـ للـسببية، ولا شـك أن ارتبـاط المسببات بأسبابها وترتبها عليها من مقتضيات حكمة اللّٰه ـ عـز وجـل ـ، ونحـن نعلم جميعا أن من أسماء اللّٰه (الحكيم) الذي يضع الأشياء مواضـعها، ومن ذلك ترتيب المسببات على أسبابها؛ ويتفرع على هذه الفائـدة الـرد على من أنكروا تأثير الأسباب، وقالوا: إن الأسبـاب لـيس لهـا أثـر في مسبباتها، وظنوا أن هذا هـو التوحيد، وأن إثبـات تـأثير الأسباب في مسبباتها نوع من الشرك، ونحن نقول: إن تأثير الأسباب في مسبباتها ليس تـأثيرا ذاتيًا، ولكـنـه تـأثير وسيلة؛ فالأسباب وسيلة لحصول المسببات، والذي جعلها سببا لمسبباتها هو اللّٰه ـ عـز وجـل؛ ولهذا قـد تتخلف المسببات عن أسبابها بقضاء

الله وقدره، أفلا ترى النار المحرقة تكون بردا وسلاما بأمر الله، كما في قـصـة إبـراهيم الخليـل حـين أضرم قومه النار؛ ليحرقوه، وألقوه في النار فعلاً، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ

قال للنار التي ألقوه فيهـا: « قلنا يشاركوني بردا وسلاما على إبراهيم [الأنبياء: 69]؛ فكـانـت بـردا وسلاما «بزدا لم تحرقه، و«وسلما لم تؤذه، قـال أهـل الـعـلـم: لـو قـال الله لهـا: «كوني بردا ولم يقـل: ووسلما؛ لكانت بردا مؤذيا له أو مؤثرا عليه ضارا به، ولكنه قـال - سبحانه وتعالى - ؛ وسلما؛ فكانت بردا لطيفا لا يضره ولا يتأثر به، وهذا من تمام قدرة الله - عز وجل -، وهو أكبر دليل على أن الأشياء لا تؤثر تأثيرا ذاتيا بنفسها، وإنما تؤثر بتقدير الله ـ عـز وجـل ـ، وأنـت إذا أثبت الأسباب على هذا الوجه لم تكن مثبتا مع الله ـ تعالى ـ فـاعلا، بـل الأسباب ومسبباتها كلها مفعولات الله ـ عز وجل ـ. هـ ومـن فـوائـد قـولـه ـ عـز وجـل : ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * ؛ معرفة سوء النتائج والعواقب للكذب، وأن الكذب سبب للعذاب، ولكن لا شك أن الكذب تتفاوت مراتبه، وإذا تفاوتت مراتبه تفاوتت عقوباته؛ فالكذب على الله ورسوله ـ مثلا ـ أعظم من الكـذب على غير الله ورسوله، والكذب الذي يترتب عليه إتلاف مال أو إتلاف أنفس أعظم من الكذب الذي لا يترتب عليه ذلك، ولكن الكذب كله حرام، ولا يصح تقسيم من قسّم الكذب من العامـة إلى كـذب أبيض وكذب أسود، ويقولون: إن الكـذب الأبيض هـو الـكـذب الـذي لا يترتب عليه إتلاف مال ولا إتلاف نفـس، وإن الكـذب الأسـود هـو

)

الذي يترتـب عليه شيء من ذلك، فنقول: إن الكذب كله أسود، وليس في الكذب شيء ممدوح، سواء ترتب عليه إتلاف مال أو أنفس، أو ظلم لأحد أم لم يترتب عليه شيء؛ ويدل لذلك أن النبي ﷺ جعـل الـكـذب من صفات المنافقين ومن علاماتهم فقال:«آية المنافق ثلاث: إذا حـدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»(١).

ويدل لهذا أن جميع العقلاء ينكرون الكذب، ولا يرضون أن يكون خلقا لهم، ألا ترى إلى أبي سفيان حين قدم على هرقل ملك الروم قبل أن يسلم، فسأله هرقل عن حال النبي ﷺ، وصفاته، وحال أصحابه؛ فلم يشأ أبو سفيان أن يتكلم بكلمة كذب فتؤثر عليه، وكل العقلاء يذمون الكذب، ولا يرضى أحد منهم أن يوصف بأنه كذاب، وقد حذر النبى ﷺ من الكذب وقال:«.. وإياكم والكذب؛ فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور؛ وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»")، والكذوب المعروف عند الناس بالكذب لا يوثق بخبره، حتى وإن كان صادقا؛ لأن الناس يحكمون على الإنسان بغالب أحواله، ويصفونه بغالب أخلاقه، فعلى

(١) سبق تخريجه ص (٥٥).
(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب قول الله - تعالى -: (يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصدقين * رقم (6094)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم (٢٦٠٧)

المسلم أن يبتعد عن الكذب كله صغيره وكبيره، ما تضمن الظلم منه وما لم يتضمنه.

ثم قال الله - تعالى -: ﴿ وإذا قيل لهم » ؛ أي: قيل للمنافقين:* لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » لم يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ القائل للمنافقين هذا القول؛ ليشمل كل من قال لهم من الناس، فكلما قال لهم الناس: لا تفسدوا في الأرض بالوشاية، والكذب، والخيانة، وإظهار الإسلام، أمام المسلمين، وإظهار الكفر أمام الكافرين قالوا: «إنما نحن مصلحوت» من أجل أن نسلم من القتل والحرب مع المؤمنين، ونسلم من الكراهية والبغض من الكافرين، نصلح طريقنا وسيرتنا مع هؤلاء وهؤلاء، ﴾ وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شيطينهم قالوا إنا معكم؟ .

وتأمل قوله: «إنما نحن مصلحون»؛ حيث حصروا حالهم في الإصلاح، فقال الله ـ عز وجل ـ مكذبا لهم ورادا عليهم: (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» فقابل الله - سبحانه وتعالى ـ القول بقول أبلغ منه؛ حيث حصر الإفساد فيهم، وصدره بـ(ألا) الدالة على التوكيد

فـقـال: «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»، وصـدق الله - عز وجل ؛ فـإن المنافقين هـم المفسدون الـذيـن يفسدون في

الأرض، ويجعلون فيها الفتنة بما يسيرون عليه من النفاق. من فوائد وأحكام هاتين الآيتين:
1ـ أن المنافقين قد يأتيهم من ينصحهم، ويبين لهم حـالهم، وأنهـم يفسدون في الأرض، ووجه الإفساد من هؤلاء أنهم يعطون للمسلمين ألسنة طيبة وقولا معسولا؛ فيظن المؤمن أنهم من أوليائه فيفضي إلـيهم بأسراره، ولكـنـهـم كـاذبون في ذلك، ويحـصـل بهـذا الفساد؛ حيـث يحصلون على أسرار المؤمنين وينشرونها بين الكفار.

ومن إفساد المنافقين في الأرض ـ أيضا ـ أنهم يريدون أن تُمحى شريعة الله - عز وجل -، وأن يكون الحكم والتحاكم إلى الطاغوت؛ والطاغوت كل نظام يخالف شرع الله - سبحانه وتعالى ـ أي: يخالف ما شرعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده، فالمنافقون يحاولون بكل جهودهم أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله؛ لقول الله ـ تعالى ـ: « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به.، ويريد الشيطن أن يضلهم ضللا بعيدا) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنفقين يصدون عنك صدودا (فكيف إذا أصبتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك تحلفون بالله إن أردنا إلا إحسنا وتوفيقا - أوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في

أنفسهم قولا بليغا ﴾ [النساء: 60 - 63]، فالمنافقون لا يريدون أن تبقى شريعة الله هي الحكم بين خلقه في أرضه، تحت سائه، ولكن يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت؛ وهو كل ما خالف شريعة الله مما سنه البشر، ولا شك أن هذا فساد عظيم ـ أعني: رجوع الناس إلى غير شريعة الله في التحاكم بينهم ـ فيه الفوضى، وفيه الظلم، وفيه الجور؛ لأن كل حكم يخالف حكم الله لا شك أنه جور؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ هو الذي يحكم بين عباده بالقسط، وقد

أمر الله ـ سبحانه ـ أن يكون التحاكم إليه لا إلى غيره فقال: « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: * فإن تنزعتُم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذالك خير وأحسن تأويلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ومن إفساد المنافقين في الأرض أنهم يؤذون رسول الله ﷺ بكل ما يستطيعون من أذية؛ قولية أو فعلية، صريحة أو تلميحية، كما قال الله - عز وجل : « ومنهم الذين يؤذون النّبي ويقولون هو أذن قل أذن
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين ءامنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ [التوبة: 61]، وهم يؤذون رسول الله ﷺ لا لشخصه، لا لأنه محمد بن عبدالله؛ ولكن لما جاء به من الشريعة؛ لأنهم يكرهونها، ويرون أن من قام بها فإنه مستحق للأذية، ولكنهم ـ بحمد الله، ورحمته، وعزته، وقدرته، ونُضريه لنبيه

لا يضرون النبي ﷺ كما قال ـ تعالى -: «لن يضروكم إلا أذى﴾ [آل عمران: ١١١)، فهم لا يضرون الرسول ﷺ بأذيتهم، وإن علمنا أنهم يؤذون رسول الله ﷺ؛ من أجل أن يتنازل عن شيء من شريعة الله خوفا من أذيتهم، فإننا نعلم كذلك أنهم يؤذون أتباع رسول الله ﷺ لعلهم يحدون من التمسك بشريعته ، وإذا كانوا يؤذون من اتبع رسول الله ﷺ فإن على المؤمنين المتبعين لرسول الله ﷺ الصبر على أذيتهم القولية أو الفعلية، التصريحية أو التلميحية، وليعلموا أن الله - عز وجل ـ جاعل كيدهم في نحورهم.

ومن إفساد المنافقين في الأرض أنهم يثبطون عن الجهاد في سبيل الله وعن قتال أعداء الله؛ لأن أعداء الله يوافقونهم في الكفر، فالكل كافر، لكن هؤلاء مخادعون يظهرون الإسلام، والكافرون صرحاء أشجع منهم يعلنون كفرهم ولا يبالون، وهم يثبطون عن قتال هؤلاء الكافرين، كما ذكر الله - سبحانه وتعالى ـ عنهم في عدة آيات من القرآن العزيز.

ومن إفساد هؤلاء ـ أعني: المنافقين ـ في الأرض أنهم يوالون أعداء الله، ويتولونهم أكثر مما يتولون المؤمنين؛ لأن أعداء الله الكفار إخوانهم، إخوانهم في الكفر، إخوانهم الحقيقيون؛ لأنهم متفقون وإياهم على الكفر بالله - سبحانه وتعالى ـ؛ فهم يتولونهم أكثر مما يتولون

لأنهم إنا يتولون المؤمنين في الظاهر لا في الباطن، ومـن المعـلـوم أن توليهم للكافرين يزيد الكافرين قوة ويزيدهم ثباتا في مجابهـة المـؤمنين، وهذا يتضمن نصر الكفر على الإيمان.

وأنواع إفسادهم في الأرض كثيرة يعرفها من يتتبع الآيات الكريمة في كتاب الله ـ عز وجل ـ كـا في هـذه الـسـورة، وكـا في سـورة آل عمران، وكما في سورة النساء، وكـا في سورة التوبة، وكـا في سـورة الأحزاب، وكما في سـورة المنافقين، نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يحمي الإسلام من كيدهم، وأن ينصر المسلمين عليهم. يقول الله ـ سبحانه وتعالى -: ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » وهذه دعـوى مـنهم ينظـر هـل يـصدقها الواقع أو لا يصدقها، فبين الله - عز وجل ـ أنه لا يصدقها الواقع. ويستفاد من هذا: أن كل إنسان يدعو إلى باطل فإنها يزعم أنـه عـلى حق، وأن كل إنسان يدعو إلى فساد فإنها يزعم أنه يدعو إلى صلاح، فإذا قال قائل: بأي شيء يوزن الصلاح والفساد، والحق والباطـل؟ قلنـا: بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فبها يعرف الحق من الباطل، ويعرف الصلاح من الفساد.
ثم قال الله - عز وجل -: «وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا

أنؤمن كما ءامن الشفها ألا إنهم هم الشفها، ولكن لا يعلمون . لم يبين الله ـ تعالى ـ القائل، وقوله: «كما ،امن الناس المراد بهـم المؤمنـون؛ رسـول اللى ﷺ وأصحابه، وقـد قـال هـؤلاء المنافقون في الجـواب عـلى مـن يـدعوهم إلى الإيمان: «أنؤمن كما ءامن الشفها وهذا الاستفهام للإنكار، يعني لـن نـؤمـن كـا آمـن الـسفهاء؛ لأنهـم سفهاء وليسوا راشدين؛ أي: ليس عندهم رشد، بل هم في سـفه؛ قـال الله ـ تعالى ـ: «ألا إنهم هم الشفها، ولكن لا يعلمون * .

وتأمل في الفرق بين قوله هنا: «ألا إنهم هم الشفها وقوله في الآية التي قبلها: ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون هناك نفي الشعور عنهم؛ لأن الإفساد أمر ظاهر معلوم يدرك بالحس والحواس الظاهرة، أما الإيمان فإنه أمر باطن يدرك بالبصيرة الباطنة؛ ولهذا قال:* ولكن لا يعلمون» فأبطل الله ـ تعالى ـ دعواهم بأن المؤمنين سفهاء، وبين أنهم هم السفهاء، وحصر السفه فيهم فقال: «ألا إنهم هم الشفهاء» ؛ أي: لا غيرهم، ولكنهم في عمى وضلال، لا يعلمون أنهم سفهاء؛ ولهذا استمروا على ما هم عليه من الضلال
والعمى.

من فوائد الآية الكريمة:
1ـ أن هؤلاء المنافقين قد دعوا إلى الحق ودعوا إلى الإيمان، ولكنهم

لكبريائهم وغطرستهم، واحتقارهم غيرهم ـ يجيبون من يدعوهم إلى ذلك بأنهم لا يؤمنون كا آمن السفهاء.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء المنافقين يدّعون أنّ الإيمان سفه، يدعون ذلك إما عن اعتقاد وإما عن إضلال للخلق، يحتمل أن الله ـ تعالى ـ أعمى بصيرتهم؛ فرأوا الحق باطلاً، ويحتمل أنهم يرون الحق حقا ولكن لم يوفقوا إلى اتباعه، وهذا هو الأقرب، إذن فهم يريدون بوصف المؤمنين بالسفهاء، يريدون بذلك تنفير الناس من المؤمنين ومن طريقتهم، ومن الإيمان بالله.

٣ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن لتنفير المنافقين عن دين الله عدة طرق منها؛ شجب أتباعه كما في هذه الآية.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه يجب أن يرد على ذي الباطل باطله، ويبين أنه هو الذي على الباطل؛ لقوله - تعالى -: «ألا إنهم هم
الشفها

هـ ومن فوائد الآية: أن السفه وصف رديء، كل أحـد ينـفـر منـه وهذا أمر لا شك فيه، ولكن ما السفه؟ السفه ـ كل الـسفه ـ أن يرغـب إنـسـان عـن ديـن الله ـ عـز وجـل ـ وعـن الملـة التي عليهـا الأنبياء والصالحون، قال الله - تعالى -: «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من شفة نفسه * [البقرة: 130]؛ ولهذا نقول: كل إنسان يرغب عن دين الإسلام؛

فإنه سفيه مهما بلغ في الذكاء، ومهما بلغ في الإدراك، لكنه لو كان راشدا عاقلا عقل تصرف وتدبير؛ لكان متبعا لما جاء به رسول اللى ﷺ ـ

*

ثم قال الله - تعالى -: ﴿ وإذا لقوا الذين امنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مشتهرة ون ان الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون».

هؤلاء المنافقون من أوصافهم المراوغة، والدجـل، والتمويه؛ فهم إذا لقوا الذين آمنوا وقالوا ءامنا ؛ إرضـاء للمؤمنين، وخـداعـا لهـم، * وإذا خلوا إلى شيطينهم طواغيتهم أئمة الكفر قـالوا: «إنا معكم»؛ يعنـي ولـسـنـا مـؤمنين؛ وإنما نحن مستهزون» أي: مستهزئون بالمؤمنين، نسخر منهم، ونلعـب بعقولهم، هـكـذا زعمـوا، فقـال الله تعالى ـ ردا عليهم:

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغييهم يعمهون» واستهزاء الله بهـم يعني: أنه ـ عز وجل ـ يستهزئ بهم، يتخذهم هزوا، فيملي لهم، ويمهل لهم، فالاستهزاء صفة مـن صـفات الله الثابتـة لـه عـلى وجـه الحقيقة، ولازمـه أن الله يمهـل هـؤلاء، ويمـدهـم ويـدعهم في هـذا الطغيـان يضيعون ويتيهون.

من فوائد الآيتين الكريمتين:

١ـ بيان مراوغة هؤلاء المنافقين؛ حيث يقولون للمؤمنين قولا، ويقولون للشياطين من الكافرين قولا آخر مضادا له؛ ﴿ وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وهذه غاية المراوغة؛ ففيها خداع لهؤلاء ولهؤلاء، خداع للمؤمنين بأنهم مؤمنون، وخداع للكافرين بأنهم معهم، ولكن خداعهم للكافرين ليس كخداعهم للمؤمنين؛ لأن حقيقة حالهم أنهم مع الكفار، فهم لي بمؤمنين حقا، وهم كافرون حقًا.

٢ـ ومن فوائدهما: أن الإنسان يؤخذ بظاهره؛ فالمؤمنون إذا قال لهم هؤلاء المنافقون: «آمنا» تركوهم وظاهرهم؛ ولهذا كان رسول الله يعاملهم على ظاهرهم حتى إنه استؤذن في قتلهم فقال:«لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»(١)، وهكذا الأحكام في الدنيا إنها تكون على الظاهر لا على الباطن، أما في الآخرة فتكون الأحكام على الباطن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض؛ فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه؛ فإنا

(١) سبق تخريجه ص(56).

أقطع له به قطعة من النار»(1).
٣ـ ومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين لا يقولون للمـؤمنين: «إنّا معكم» ؛ بل يقولون: «إناء، ولكنهم في خطاب الكافرين يقولون: «إنا معكم»، وهذا في عقـد المـوالاة بينهم وبين الكفـار؛ لأن المعيـة تقتضي المناصرة والموالاة؛ فهم مع الكفار أولياء مناصرون، لكـن مـع المؤمنين يقولون: «إناك، وما يدرينا لعلهم بقولهم: «إناء يعنون: آمنا بالطاغوت.

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله ـ عـز وجـل ـ يستهزئ بـمـن يستهزئ به وبعباده حين قال: «الله يستهزئ بهم، وهذا الوصف الذي وصف الله به نفسه ـ وهو الاستهزاء على قاعـدة أهـل الـسنة والجماعـة السلفية ـ يجرى على ظاهره، ويقال: إن الله - عز وجل ـ يستهزئ بمـن يستحق الاستهزاء، وهو استهزاء حقيقي يليق بالله ـ عز وجل ـ لـيس استهزاء يتضمن نقصا؛ لأن الله وصف به نفسه فهو كال، كما قال الله تعالى -: «ويله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ [النحل: 60]؛ ولهذا لا تجد الله ـ عز وجل ـ يصف نفسه بالاستهزاء عـلى وجـه الإطلاق، وإنـا وصف نفسه بالاستهزاء في مقابلة المستهزئين بعباده؛ ليبيـن بذلك أن الله ـ عز وجل ـ أقوى منهم وأعظم، فإذا سخروا من المؤمنين سخر الله منهم.

(١) سبق تخريجه ص(٥٧).

هـ ومن فوائد الآيتين: بيان حكمة الله ـ عز وجل ـ؛ حيـث جـعـل الجزاء من جنس العمل، فكـا أن هـؤلاء استهزءوا بالمؤمنين؛ فالله - تعالى ـ استهزأ بهم، وهذا مـن عـدل الله ـ عـز وجـل ـ، وهـو ثـابـت في الدنيا وفي الآخرة، بل إن جزاء الله ـ عموما ـ دائر بين العدل والفضل، فهو بالنسبة للعصاة عدل، وبالنسبة للطائعين فضل. والقاعدة العامة عند أهل السنة والجماعـة، والسلف الصالح: كل ما وصف الله به نفسه فهو حق على حقيقتـه، سـواء أكـان ذلـك في كتاب الله، أو فيها صح عن رسول الله ﷺ، ويجب أن نعلم علم اليقين أن كل صفة وصف الله بها نفسه فإن حقيقتها تخالف حقيقة ما يتصف به العبد من جنسها؛ وذلك لأن الصفة تابعة للموصوف، فكـا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كمثله شيء في ذاته؛ فليس كمثله شيء في صفاته، لا يجوز ـ مثلا ـ أن نقول: إن هذه صفة لا تليـق بـالله، الواجـب نفيهـا وتحريفها إلى

معنى آخر؛ لأننا إذا قلنا بذلك صرنا نحكم على الله ـ تعالى ـ في صفاته بعقولنا لا با بلغنا عنه ـ سبحانه وتعالى ـ ومن المعلوم أن الله ـ عز وجل ـ أنزل هذا الكتاب؛ ليبين للناس الهدى كا قال الله ـ تعالى -: «يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال: «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ [النساء: ٢٦]، وقال: «ونزلنا عليك الكتب يبيننا لكل شيء ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: «الر كتب أنزلته إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى الثور

بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم: 1] وقال: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم [إبراهيم: 4]، وقال: «كتب أنزلته إليك مبرك ليدبروا ايته، وليتذكر أولوا الألبب» [ص: ٢٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وليس من حقنا، ولا يسوغ لنا أن نحكم على الله ـ تعالى ـ بعقولنا، بل نقول: سمعنا، وأطعنا، وآمنا، وصدقنا؛ فوظيفتنا نحو ما أخبر الله به عن نفسه أن نقول: سمعنا، وأطعنا، وآمنا، وصدقنا، وألا نحرف ظواهر النصوص إلى معان نعينها بعقولنا، ونحكم بها على ربنا، كما أنه يجب علينا نحو هذه النصوص ألا نعتقد فيها تمثيلاً؛ أي: أن الله ـ تعالى ـ مماثل لخلقه فيها؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [الشورى: ١١]، فنحن نعلم بالعقل أنه لا يستوي المخلوق مع الخالق في أي صفة من
ہے
الصفات.

ثم قال الله ـ عز وجل -: «أولتبك الذين اشتروا الضليلة بالهدى فما ريخت تجرتهم وما كانوا مهتدين ؟.

الإشارة في قوله: «أولتيك» إلى المنافقين، وأشار إليهم باسم الإشارة الدال على البعيد ـ وإن كان الكلام فيهم قريبا ـ للتبرؤ منهم والبعد عنهم؛ فإن الإشارة للبعيد تارة تكون لعلو منزلة المشار إليه

وتارة تكون لدنو منزلته، وهـذا هـو المقصود في هذه الآية، وقوله: الذين اشتروا الضللة بالهدى؛ أي: أخذوا الضلالة وتركوا الهـدى؛ فسلكوا طريق الضلال وتركوا طريق الهـدى، ولكنـه عـبر بالاشتراء؛ ليبين أنهم سلكوا هذا الطريق عن محبة وشغف، كـا يـحـب المشتري أن يحصل على السلعة التي يشتريها، والمراد بالضلالة هنا ما خالف الحـق، وبالهدى ما وافق الحق، قال الله ـ تعالى ـ مبينا نتيجة هذا الفعـل: * فما ريخت تجرتهم وما كانوا مهتدين * بل خسروا خسرانا عظيما، وضلوا
ضلالا بعيدا.

من فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ بيان سفه المنافقين؛ حيث اختاروا الضلالة وتركوا الهدى، وكل إنسان يسلك هذا المسلك فإنه سفيه بلا ريب، كـا قـال الله ـ تعـالى -: ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة: 130].

٢ـ ومن فوائدها: أن المنافقين يحرصون عـلى كـل مـا فـيـه ضـلالة، سواء أكان من الأمور الكبيرة العامة، أو كان من الأمور الصغيرة حتى الوسائل التي يتوصلون بها إلى إيذاء الخلق، ثـم ضرب الله لهـم مـثلا مطابقا لحالهم تماما فقال: « مثلهم كمثل الذي أستوقد نارا فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) .
وهذا المثل مطابق لحالهم تماما، وهو من أمثال التمثيل، كما في علـم

البلاغة؛ فهذا رجل احتاج إلى نار يستدفئ بها ويستنير بها، ولكن ليس معه ما يستنير به فاستوقد نارا من شخص؛ أي: طلب أن يوقد لـه نـارا فأوقد له النار، فلا تبين ضوءها من الشعلة طفـئـت الـشعلة؛ فبقي في ظلمة بعد أن كان في نور، وبقيت حرارة النار التي قد يكون فيها ضرر؛ ولهـذا قـال: «ذهب الله بنورهم» ولم يقـل بـنـارهم؛ أي: بقيـت النـار بحرارتها، وذهب النور المستفاد من الشعلة التي انطفأت، وبقـوا في ظلات لا يبصرون، وإنا كـانوا في ظلـات؛ لأن انطفـاء النـور بعـد وجوده يحدث الظلمة، ولا سـيا عنـد انطفائه في أول وهلة، هؤلاء المنافقون ليس عندهم نور في قلوبهم؛ إنما يستفيدون ما يستفيدونه مـن النور من بعض المؤمنين من أقاربهم أو جيرانهم فيستضيئون بـه لحـظـة، ولكنهم يعودون إلى

أصلهم من الظلمة والضلالة، يستضيئون به لحظة، ثم ينطفئ؛ فيبقى ذلك حرارة في قلوبهم؛ لأنهم ليس لهم نور
يهتدون به.

ثم قال: «صم بكم عمى فهم لا يرجعون»؛ «ص» يعني: لا يسمعون الهدى، * بكم» لا ينطقون به، «عمى لا يبصرونه، فنفى عنهم طرق الهداية كلها، وقوله: «فهم لا يرجعون»؛ هذا حال المنافق، لا ينطق بالحق، ولا يستمع إليه، ولا ينتفع به لو سمعه، ولا يبصره، وإن أبصره لا ينتفع به، فهو بمنزلة الأعمى.

سورة البقرة

فوائد الآيتين الكريمتين:
١ ـ يضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمثال هنا؛ فيستفاد من ذلك أن من البلاغة أن يضرب المتكلم الأمثال المحسوسة للمخاطب؛ ليتوصل بها إلى المعاني المعقولة؛ لأن إدراك الشيء المحسوس أقرب من إدراك الشيء المعقول، كما قال الله - تعالى - : ﴿ويلك الأمثل نضربها للنّاس وما يعقلها إلا العلمون » [العنكبوت: ٤٣]، وقال الله - عز وجل -:
ج
يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾
[المؤمنون: 73]؛ فالأمثال مهمة في تعليم المخاطب بتقريب المعاني إلى ذهنه وتصورها.
ومن فوائدهما: أن المنافقين ليس لهم نور ذاتي يستضيئون به وإنا نورهم من نور خارجي يضيء عليهم ثم يخبو، ويبقون في ظلمة؛ فتشتد الظلمة عليهم بعد النور الذي أضاء لهم.

3

3ومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين إذا استضاءوا بهذا النور الذي يأخذونه من غيرهم، فإنهم قد يلوح لهم شيء من الهدى، ولكن لعلم الله - عز وجل ـ بحالهم، وأنهم ليسوا أهلا للهداية ـ لما في قلوبهم من الزغل، والأفكار الخبيثة ـ يذهب الله بنورهم ويدعهم، وعلى هذه الفائدة تتفرع فائدة أخرى عظيمة وهي أنه يجب على الإنسان أن يطهر ،

أحكام من القرآن الكريم

قلبه تطهيرا كاملا من كل زغل وخبث، وأن يعتني بطهارة قلبه أكثر مما يعتني بطهارة بدنه وثيابه؛ لأن طهارة القلب عليها المدار، وبها تكون طهارة الأعمال الظاهرة.

٤ـ ومن فوائد الآيتين السابقتين: بيان حال المنافقين، وأنهم - والعياذ بالله ـ لا يصل إليهم الهدى من أي طريق؛ فهم صم لا يسمعونه ولا يسمعون ما اهتدوا به، بكم لا ينطقون به، بل ينطقون بالباطل، وما ينطقون به من الحق إنما يريدون به باطلا لا يريدون به حقيقة معناه،

وهم عمي لا يبصرون الحق، ولو أبصروا الحق ما انتفعوا به. هـ ومن فوائدهما: أن هؤلاء المنافقين قد رأوا أنهم على صواب، وعلى حق، وعلى طريق صحيح؛ ولهذا لا يرجعون عن غيهم، بل يبقون على ما هم عليه، ويتفرع على هذه الفائدة فائدة أخرى وهي أنه يجب على الإنسان أن يعتني دائما بالتنقيب والنظر في عمله، وهل هو صواب أم خطأ؛ فإن كان صوابا فليحمد الله وليستمر عليه، وإن كان خطأ فليتب إلى الله، وليرجع إلى الصواب أينما كان.

ج
ثم قال ـ تعالى ـ في المثل الثاني: « أو كصيب من السماء فيه ظلمت ورعد وبرق تجعلون أصبعهم في ،اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكفرين ان يكاد البرق تخطف أبصرهم كلما أضاء لهم مشوا فيه

سورة البقرة

وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة: ١٩- ٢٠]

هذا المثل الثاني لطائفة أخرى من المنافقين، وإن شئت فقل: لحال أخرى من المنافقين، ضرب الله لهم مثلا بصيب من الساء؛ أي: مطر نازل من السماء؛ وهو الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ، هذا الصيب فيه ظلات، فيه رعد، فيه برق، فيه ظلمة المطر، ظلمة السحاب، ظلمة الليل، وفيه ـ أيضا ـ رعد وبرق، وهذا الرعد رعد شديد فيه صواعق؛ الصواعق عبارة عن كشف حال هؤلاء المنافقين،
وبيان أسرارهم، وخبثهم، وعا في القرآن من الزواجر والوعيد لمن عصى الله ـ عز وجل ـ، لكن هؤلاء المنافقين يجعلون جة لا تجنُّهم، ويستترون بستر لا ينفعهم، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق؛ يظنون أنهم إذا لم يسمعوا الصاعقة لم تنزل عليهم، ولكنهم أخطئوا

في هذا التقدير.

وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ: «تحسبون كل صيحة عليهم ﴾ [المنافقون: 4]؛ فيظنون كل آية نزلت في وصف يين عيوبهم، ويهتك أستارهم، يظن كل واحد منهم أنه هو المعني بذلك فيمشي في الناس وكأنه خائف حذر، ولكن هذا لا يغنيه بشيء؛ البرق بشدته وقوته يقع على بصر ضعيف لا يتحمل، ليس عنده قوة ولا قدرة على تحمل الإضاءة؛ ولهذا

قال: «يكاد البرق تخطف أبصرهم»، والبصر الضعيف يتأثر بكل نور، وكلما قوي النور قوي تأثيره، وانظر إلى الأعشى إذا خرج، أو انظر إلى ضعيف البصر إذا خرج للشمس تجده ينكسف بصره وتهل دموعه؛ لأنه لا يقوى على تحمل هذا النور، فهم كذلك بصرهم ضعيف ويكاد البرق تخطف أبصرهم؛ لأن النور قوي، والبصر غير مقاوم لضعفه؛ فيكاد البرق يخطف أبصارهم؛ لشدته، وضعف البصر، وعجزه عن المقاومة، ومع ذلك فهم ينتهزون الفرصة «كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا؛ لأنهم لا يستطيعون المشي مع هذه الظلات، وبعد هذا النور العظيم قال الله ـ عز وجل -: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم * لذهب بسمعهم فلم يكن لهم سمع، وبأبصارهم فلم يكن لهم بصر،«إن الله على كل شيء قديره .

فوائد الآيتين الكريمتين:
1ـ أن حال هؤلاء المنافقين حال ضعيفة لا تستطيع المقاومة ولا القيام بشرع الله ـ عز وجل.

٢ـ أن هؤلاء المنافقين عندهم من الخوف والرعب ما يجعلهم يظنون أن كل صيحة عليهم، وأن كل وعيد لهم، وأن كل إنذار لهم أيضا؛ فهم جبناء ضعفاء لا يستطيعون أن يقاوموا الحق؛ لقوته أمامهم، وضعفهم أمامه؛ ويترتب على هذه الفائدة فائدة عظيمة؛ وهي أنه ينبغي

على الإنسان أن يتقبل الحق حيثما كان، وأن يكون عازما على تطبيقه سواء أكان ذلك شاقا على نفسه أم هينا عليها؛ لأن المؤمن ـ كما ذكر الله ـ تعالى ـ من وصفه ـ يقول: سمعنا وأطعنا؛ قال ـ تعالى : (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؟ [البقرة: ٢٨٥].

٣ـ ومن فوائدهما: أن القرآن الكريم كالمطر، غيث للأرض تنتفع به، وينتفع به أهل الأرض أيضا، وهكذا وحي الله وشرعه الذي نزل؛ هو كالغيث؛ فمن الناس من يقبل هذا المطر، ويستخرج منه الثمرات العظيمة، وينتفع الناس به، ومن الناس من لا ينتفع بهذا الوحي، ويكون كالأرض الصماء التي تبتلع الماء، ولا تنبت شيئا، ومن الناس
من يكون على أوصاف أخرى بالنسبة لهذا المطر النازل من السماء. ٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة التي فيها المثل الثاني: أن هؤلاء المنافقين قد يستضيئون بعض الشيء ـ أحيانا ـ با يرون من النور الحاصل من الوحي، ولكن سرعان ما يزول ويذهب مع أنهم ينتفعون به على مشقة حتى إنه يكاد يخطف أبصارهم.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات المشيئة الله ـ عز وجل ـ؛ لقوله: ولو شاء الله لذهب يسمعهم وأبصرهم ، وقد أثبت الله ـ تعالى - مشيئته في عدة آيات من القرآن، وكل شيء فإنه بمشيئة الله؛ ولهذا أجمع المسلمون على هذه الكلمة»ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن» ، ولكن

*

أحكام من القرآن الكريم

مشيئة الله - سبحانه وتعالى ـ تابعة لحكمته؛ فلا يشاء ـ سبحانه وتعالى ـ
إلا ما اقتضت حكمته مشيئته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيمًا﴾ [الإنسان: 30]. فبين أن مشيئته مقرونة بعلمه وحكمته ـ وهو كذلك ـ ولكن حكمة الله - عز وجل - منها ما هو معلوم لنا ومفهوم نشاهده ونعرفه، ومنها ما هو خفي علينا؛ لأننا قاصرون في العلم والإدراك، كما قال ـ تعالى ـ: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء: 85].

فا يرد على الذهن ـ أحيانا ـ من الإشكال في بعض الآيات الكونية أو الآيات الشرعية؛ إنها ينشأ من قصور الإنسان أو تقصيره، ولو أن الإنسان بحث بحثا جديا يريد به الحق؛ لتبين له من حكمة الله ـ تعالى ـ في أحكامه الكونية والشرعية ما لا يتبين للغافل المعرض الذي لا يريد إلا

أن يشكك الناس في بعض الأمور التي تخفى في حكمتها، كما يعرف من بعض الناس الذين يأتون ويقولون: ما الحكمة في كذا؟ ما الحكمة في كذا؟

نحن لا نسيء الظن بأحد، لكن من الناس من يقول ذلك؛ ليشكك العامة فيها هم عليه من الهدى والحق، لا لقصد أن يصل إلى المعنى المطلوب الذي يسأل عنه، ومع هذا فإني أقول: إن علمت حكمة الشيء الواقع بقضاء الله وقدره، وحكمة الشيء الواقع بشرع الله ودينه، فهذا

بلا شك من نعمة الله عليك، وإن لم تعلم فسلم الأمر وكل الأمر إلى عالمه ـ سبحانه وتعالى ـ، واعلم أنه لا يحكم إلا لحكمة عظيمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

6ـ ومن فوائد الآية: أن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير، وقدرته ـ عز وجل ـ قدرة تامة، لا يعتريها عجز بوجه من الوجوه؛ ولهذا كان أمره بالشيء أمرا واحدا لا يكرره، بل إذا أمر بشيء كان في لحظة، قال الله ـ تعالى ـ: «وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصرة [القمر: 50]. فتأمل قوله: «وما أمرنا إلا وجدة »؛ يعني: لا يقول للشيء: كن، ثم يقول له: كن مرة ثانية، بل إذا قال: كن؛ كان كلمح البصر، وتأمل قوله ـ تعالى -: «إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ [يس: 53] وقوله - تعالى -: «فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة ﴾ [النازعات: 13، 14]، تجد أنها زجرة أو صيحة واحدة، يبعث فيها الخلائق كلهم؛ فيحضرون للقضاء بينهم بقدرة الله ـ عز وجل ـ وهذا دليل على كمال قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ؛ ولهذا قال: إن الله كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذا شيء أبدا؛ فكل شيء الله قادر عليه؛ ويتفرع على الإيمان بهذه الفائدة أن الإنسان ينبغي أن يسأل ربه كل ما يرى فيه مصلحة، ولا يستصعب الأمر، ولا يقول: هذا لن يكون، هذا بعيد؛ ولهذا قال النبي ﷺ:«لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي

إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته؛ إنه يفعل ما يشاء لا مكره له »(1)؛ فلا أحد يكره الله حتى يقال: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فلا يقال: «إن شئت» إلا لمن هو مكره فينظر هل يشاء أو لا يشاء، أما الذي يفعل باختياره، وبإرادته، وبقدرته؛ فإنه لا يقال في حقه: «إن شئت»؛ ولهذا نهى النبي ﷺ عن ذلك، وقال: «إنه يفعل ما يشاء لا مكره له».

ثم قال الله ـ عز وجل ـ: «يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وجه الله الخطاب إلى الناس؛ لأن الناس جميعا يجب عليهم عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة هي التذلل إلى الله ـ عز وجل ـ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد تطلق على المتعبد به، وهي العبادات التي .

يقوم بها الإنسان؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وقوله: «أعبدوا ربكم » الرب: هو الخالق المالك المصرف المدبر لجميع الأمور، وقوله: «الذي خلقكم ؟ يعني: الذي أوجدكم من العدم، والذين من قبلكم؟ ؛ أي: خلقهم وأوجدهم الله من العدم كا أوجدكم ولعلكم تتقون»؛ أي: من أجل أن تصلوا إلى هذه المرتبة

(1) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم (٧٤٧٧).

العالية؛ وهي تقوى الله ـ عز وجل ، والتقوى: اتخاذ الوقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:

١ـ بيان أهمية هذا الطلب؛ وهو عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، ووجه ذلك أنه لا يصدر الخطاب بالنداء إلا للعناية به؛ لأن النداء نوع من التنبيه؛ فأنت إذا ناديت المخاطب انتبة واتجة إليك. ٢ـ ومن فوائد الآية: أن العبادة حق الله، واجب على جميع الناس؛ ولهذا قال: «يأيها الناس اعبدوا ربكم» فكل الناس يجب عليهم عبادة الله، وعبادة الله ـ تعالى ـ هي التعبد له؛ أي التذلل له بفعل أوامره واجتناب نهيه خشب شرعه الذي أرسل به رسله، وهي مختلفة؛ بمعنى أن من الناس من يجعل الله له شريعة كذا، والآخر شريعة كذا، خشب ما يصلح به الخلق، ولكن

الشرائع كلها اجتمعت بشريعة محمد و وصارت شريعة محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع؛ فلا عبادة الله إلا عن طريق شريعة محمد ﷺ، والعبادة لابد أن تكون مبنية على أساسين هما: الإخلاص لله - عز وجل ، والمتابعة لرسول الله ﷺ
أما الإخلاص الله ـ عز وجل ـ فهو أن ينوي الإنسان بعبادته وجه الله والدار الآخرة، لا ينوي بذلك حطاما من الدنيا، ولا جاها، ولا رئاسة، ولا تزلفا لمخلوق، بل ينوي بذلك وجه الله والدار الآخرة،

ومتى
كانت هذه نيته؛ فإنه سوف يحسن العمل، سوف يعبد الله كأنه يراه. فإن لم يكن يراه فإن الله - سبحانه وتعالى ـ يراه، وضد الإخلاص في العبادة الشرك في العبادة؛ بأن ينوي بعبادته غير وجه الله والدار الآخرة؛ ينوي بها حطاما من الدنيا، ينوى بها تزلفا لمخلوق، ينوي بها الحصول على الجاه بين الناس، وهكذا فإن هذه النية باطلة مبطلة للعمل.

أما الركن الثاني أو الشرط الثاني فهو متابعة الرسول محمد ﷺ، ولا يمكن أن تتحقق المتابعة إلا إذا كانت العبادة موافقة للشريعة في أمور ستة: في سببها، وجنسها، وقدرها، وصفتها، وزمانها، ومكانها، فإن خالفت الشريعة في واحد من هذه الأمور الستة؛ لم يكن الإنسان متبعا فيها لرسول الله ﷺ، فمن أحدث عبادة لسبب غير شرعي؛ فإن عبادته غير مقبولة، بل مردودة عليه؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(١)، وهذا الحديث أساس لكل الأوصاف التي ذكرناها، ومن تعبد الله بجنس غير مشروع؛ فإن عبادته غير مقبولة، فلو أن الإنسان ضحى بفرس؛ فإن أضحيته لا تقبل؛ لأنه ضحى بجنس غير مشروع؛ فإن الأضحية إنها تشرع من بهيمة الأنعام، من الإبل،
والبقر، والغنم.

(١) سبق تخريجه ص(٤٩).

ولابد أن تكون موافقة للشرع في قدر العبادة، فمن تعبد الله بأمر زائد على ما شرعه؛ فإن هذا الزائد لن يقبل، ثم قد يبطل العبادة كلها، وقد لا يبطلها، لو صلى الإنسان الظهر خمسا لم تقبل منه؛ لأنها على غير القدر الوارد في الشرع، وهذه الزيادة تبطل العبادة، لكن لو أخرج الفطرة صاعين من الطعام لم يثب ثواب الفطرة على كلا الصاعين، وإنها يكون أحد الصاعين هو الذي يثاب عليه ثواب الفطرة، والثاني يثاب عليه ثواب الصدقة، وهناك فرق بين الفطرة والصدقة؛ لأن الصدقة تطوع والفطرة فرض، والإنسان يثاب على الفرض أكثر مما يثاب على التطوع، ويدل على الفرض حديث ابن عباس ـ رضي الله عنها - قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»

ولابد أن تكون موافقة للشرع في صفتها، فإن خالفت الشرع في الصفة؛ لم تكن مقبولة، لو أن الإنسان صلى فبدأ بالسجود قبل الركوع؛ لم تكن صلاته مقبولة؛ لأن ذلك على خلاف الصفة التي ورد بها الشرع؛ فتبطل الصلاة ولا تقبل، وكذلك على القول الراجح من أقوال أهل العلم لو توضأ الإنسان فبدأ برجليه، ثم رأسه، ثم يديه، ثم

(1) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، رقم (١٦٠٩)؛ وابن ماجه: كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر، رقم (١٨٢٧).

-

وجهه؛ لم يكن وضوءه مقبولا؛ لأنه على غير الصفة الواردة عن رسول الله ﷺ

ولابد ـ أيضا ـ أن تكون موافقة للشرع في الزمان؛ فلو تعبد الإنسان عبادة الله ـ عز وجل ـ في غير زمانها؛ لم تكن مقبولة، لو أن الإنسان حج ـ مثلا ـ في غير وقت الحج؛ لم يكن حجه مقبولا ولو زار أمكنة المناسك؛ لأنها في غير الوقت.

ولابد أن تكون موافقة للشرع في مكانها، فلو اعتكف الإنسان في بيته؛ لم يكن اعتكافه مقبولا؛ لأنه لم يتبع فيه شريعة الله . والخلاصة أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع، ولا تكون موافقة للشرع إلا إذا وافقت ما جاء به الشرع في السبب، والجنس،

والقدر، والصفة، والزمان، والمكان.

*

ثم قال ـ تعالى ـ: «الذي جعل لكم الأرض فراشا والشماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به، من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا يلي أندادا وأنتم تعلمون).

هذه الآية تكملة للآية التي قبلها؛ وهي قوله ـ تعالى ـ: « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»؛ ففي

الآية الأولى الإيجاد الذي خلقكم والذين من قبلكم»، وفي الآية الثانية الإمداد؛ فإن الله ـ تعالى ـ خلقنا وأمدنا بالرزق الذي نتأهل به لإعداد أنفسنا لقبول شريعته، فذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما أمدنا به من المقر الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء»، ومن الرزق الذي به قوام البدن * وأنزل من السماء ماء فأخرج به، من الثمرات رزقاً لكم ، وبتمام الإمداد يجب الاستعداد لما أمر الله به؛ ولهذا قال: «فلا تجعلوا لله أندادا» أي: شركاء في عبادته أو في شيء من حقوقه وخصائصه، «وأنتم تعلمون»؛ أي: تعلمون أنه لا يد له في ربوبيته، فإذا كنتم تعلمون أنه لا شريك له في ربوبيته؛ فإن مقتضى ذلك ألا تجعلوا له شريكا في عبادته، تتألهون إليه، وتعبدونه، وتتقربون إليه؛ كا تتقربون إلى الله ـ عز وجل ـ.

فوائد وأحكام هذه الآية:
1ـ في هذه الآية من الأحكام أن الأرض جعلها الله ـ تعالى ـ فراشا لبني آدم، جعلها قرارا مستقرا لا تميد ولا تضطرب، ولو كانت تميد أو تضطرب ما صح أن تكون فراشا يطمئن فيه الإنسان ويستوطن. ٢ـ من فوائدها: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الساء بناء، وستاها الله ـ عز وجل ـ في آية أخرى سقفا محفوظة؛ فهي مبنية ومحفوظة بحفظ الله ـ عز وجل ـ، وهو الذي (ويمسك السماء أن تقع

على الأرض إلا بإذنه ﴾ [الحج: 65]، فلولا أن الله أحكم البناء؛ لوقع على الأرض، وهذه من نعمة الله علينا.

3ـ ومن أحكامها: إثبات أن الأسباب لها أثر في مسبباتها؛ لقوله ـ تعالى ـ حين ذكر إنزال الماء من الساء -: «فأخرج به من الثمرات ؛ أي: أخرج بسببه، ولا يشك عاقل في أن للأسباب تأثيرا في مسبباتها، وهذا التأثير الذي أودعه الله في الأسباب هو من خلق الله ـ عز وجل ـ فمن أنكر تأثير الأسباب في مسبباتها؛ فقد خالف ما هو معلوم ببداهة العقول، ومن جعل الأسباب مؤثرة بذاتها؛ فقد أثبت مع الله شريكا، ومن أثبت تأثير الأسباب لكن بإرادة الله ـ تعالى ـ ومشيئته؛ فقد وافق الحق والواقع، وهذا هو المذهب الراجح الذي جرى عليه المحققون من أهل العلم، خلافا لمن قال: إن الأسباب لا تؤثر، وأن ما يحصل بها من الأسباب حاصل عندها لا بها؛ لأن هذا مكابرة للواقع، فهؤلاء يقولون: إن النار إذا أحرقت الورق لم تكن هي التي أحرقته، ولكن حصل الإحراق عندها لا بها، ونحن نقول: بل حصل الإحراق بها، لكن بأمر الله، فهو الذي خلق فيها هذه القوة المحرقة، ولو شاء الله - تعالى ـ لسلبها هذه القوة؛ بدليل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال للنار التي ألقي فيها إبراهيم: «يتار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء: 69]، فكانت بردا وسلاما عليه، بردا خلاف طبيعتها التي هي الحرارة، وسلاما خلاف أثرها الذي هو الإحراق، قال بعض العلماء: ولو قال

الله: «گونى بردا»، ولم يقل: «وسلما»؛ لأهلكه بردها، المهم أن في هذه الآية الكريمة إثبات الأسباب وتأثيرها في مسبباتها، ولكن من الذي جعل السبب مؤثرا؟ هو الله، والسبب؛ هو المطر. ٤-.وفي الآية الكريمة من الفوائد: منة الله - سبحانه وتعالى ـ على عباده بهذا الماء النازل من السماء؛ حيث أخرج به من الثمرات رزقا لنا ورزقا لمواشينا أيضا؛ كا قال ـ تعالى ـ في سورة النحل: * هو الذي أنزل من السماء ماء لكر منه شراب ومنه شجر فيه نسيموت) [النحل: ١٠]؛ تسيمون: أي ترعون أنعامكم.

5ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب شكر المنعم؛ لقوله: «فلا تجعلوا له أندادا»؛ أي: هذا الذي أنعم عليكم يجب أن تشكروه وتوحدوه بالعبادة كما أنه هو الذي أنعم عليكم وحده فلا

تجعلـوا لـه أندادا.

6 ـ وفي الآية الكريمة من الفوائد: شدة اللوم عـلى مـن اجـتـرأ عـلى المحرمات مع العلـم؛ لقوله: «فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون»؛ فإن من علم بالقبيح وتجرأ عليه؛ أعظم جرما وقبحا ممن لم يعلم به ولـو تجرأ عليه.

-وفي الآية الكريمة من الفوائـد أيضا: أن الأرض التي يـستولي عليها الإنسان تكون ملكا له، قـراراً وهـواء؛ قـراراً يؤخـذ مـن قـولـه

ه الذي جعل لكم الأرض فراشا»، وهواء من قوله: « والسماء بناء »؛ فكل ما كان فراشا لي من الأرض فإنها يقابله من السماء بنـاء لي؛ ولهـذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: إن الهواء تابع للقرار؛ أي: أن من ملك أرضا فله قرارها وله هواؤها إلى السماء؛ فلا يملك أحد من جيرانه أن يبنـي جناحا يكون ظله على أرض الجـار، بـل قـال العـلـاء: لـو أن أغـصـان شجرة جارك صارت فوق بيتك فلك المطالبة بإزالة هذا الغصن.

ثم قال ـ تعالى ـ: « وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بشورة من مثله، وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين - فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
أعدت للكنفرين .

هاتان الآيتان لها ارتباط با قبلها من حيث المعنى؛ وذلك أن في الآيتين السابقتين تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله بإفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وفي هاتين الآيتين تحقيق رسالة النبي ﷺ؛ وذلك في قوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا؛ فالآيات الأربع متضمنة لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والريب هو الشك مع القلق والضجر، والمراد بالعبد ـ هنا ـ محمد ﷺ، وأشرف أوصافه - عليه الصلاة والسلام - وصفان العبودية والرسالة، وقد ذكر الله -

سبحانه وتعالى ـ وصف نبيه محمد ﷺ بالعبودية في أعلى مقاماته، فوصفه بالعبودية حال إنزال القرآن، وحال الإسراء، وحال المعراج، وحال التحدي والذود عنه؛ فقال في الحال الأولى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجاء [الكهف: 1]، وقال: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان: 1]، وقال في الحالين الثانية والثالثة : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصاه [الإسراء: 1]، وقال: «ثم دنا فتدلى ع فكان قاب قوسين أو أدنى : فأوحى إلى عبده، ما أوحى [النجم: ٨ - ١٠]، وقال في الحال الرابعة مقام التحدي: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، والمراد ـ هنا ـ با نزل القرآن الكريم، فأتوا بسورة من مثله، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك، وقال: «وأدعوا شهداءكم من دون الله ؛ يعني: كل من تقدرون على الاستعانة به ممن تدعونهم أولياء أو شفعاء فادعوهم معكم؛ ليعينوكم على أن تأتوا بسورة من مثله «إن كنتم صدقين فيها تدعون من أن هذا القرآن ليس من عند الله، ولكنهم لن يفعلوا ذلك؛ ولهذا قال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة »؛ أي: فإن النار ستكون مأواكم؛ فاتقوها واحذروها، وذلك بالرجوع إلى الحق وتصديق رسول الله ﷺ، هذه النار التي وقودها الناس؛ الناس المستحقون لها من الكفار والمنافقين، والحجارة هي حجارة عظيمة

ليست كحجارتنا في الدنيا، تحمى في نار جهنم؛ فتزداد حرارة النار، ويزداد اشتعالها ـ والعياذ بالله ـ «أعدت للكفرين»؛ يعني: أعدها الله

للكافرين به وبرسله، وكذلك للمنافقين؛ كما قال ـ تعالى ـ: «وقد نزل عليكم في الكتب أن إذا سمعتم ءايت الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنفقين والكفرين في جهم جميعا﴾ [النساء: ١٤٠].
ج

فوائد الآيتين الكريمتين:
1ـ وفي هاتين الآيتين الكريمتين يبين الله - عز وجل ـ أن رسول الله صادق فيما جاء به من الوحي، وأن هذا الوحي نازل من عند الله . ٢ـ ومن فوائدهما: تحدي المكذبين لرسول الله ﷺ،

ومن كان معهم
من أعوانهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولكنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، قال أهل العلم: وتحدي الله المكذبين بالقرآن جاء على ثلاثة أوجه بل على أربعة؛ فتحداهم بالقرآن كله في قوله: «قل لين اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله، ولوكات بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: 88]، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله؛ فقال ـ تعالى -: «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بعشر سور مثله مفترينت * [هود: 13]،
وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله كا في هذه الآية الكريمة: «وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة

ورة البقرة

من مثله ، وتحداهم أن يأتوا بأقل من ذلك؛ كما في قوله ـ تعالى -: وفليأتوا بحديث مثله، إن كانوا صندقين ﴾ [الطور: 34]، وكل هذه التحديات لم يتصد لها أحد من بلغاء الناس وفصحائهم في عهد النبي ، ويدل هذا على صدق رسالته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأن هذا القرآن ليس من عنده.
3- ومن فوائد الآيتين الكريمتين: إثبات علو الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «مما نزلنا على عبدنا؛ والنزول إنما يكون من الأعلى إلى الأدنى، وعلو الله - عز وجل ـ ينقسم على قسمين: علو ذات وعلو
صفة.

فأما علو الذات فهو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عال على كل شيء، مستو على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات، وهذا العلو ثابت بالقرآن، والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة؛ أما الكتاب فأدلته على علو الله بذاته أكثر من أن تحصى، وقد جاءت على وجوه متنوعة؛ تحقيقا لهذا العلو، وأما السنة؛ فكذلك دلت على علو الله بذاته بأدلة كثيرة متنوعة، فمنها ما دلالته بالقول، ومنها ما دلالته بالفعل، ومنها ما دلالته بالتقرير؛ أي: بإقرار الغير على ذلك، وأما الإجماع؛ فقد أجمع السلف من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة، بل وعامة الأمة الذين بقوا على فطرتهم على علو الله ـ تعالى ـ بذاته، ولم يقل أحد منهم: إن الله ليس في

العالم ولا خارجه؛ بل كلهم يجمعون على أنه ـ سبحانه وتعالى ـ فوق كل شيء، وأما العقل؛ فلأن العلوصفة كال لا شك في ذلك؛ فالله - عز وجل ـ قد ثبت له جميع صفات الكال؛ كا قال ـ تعالى ـ: «ويل المثل الأعلى﴾ [النحل: 60]، وأما الفطرة؛ فإن كل شخص مفطور على على الله ـ عز وجل ـ حتى وإن لم يقرأ كتابا أو يدرس على عالم؛ ألا ترى إلى الرجل إذا دعا الله ـ تعالى ـ يرفع يديه إلى السماء، ويرفع قلبه كذلك إلى السماء بدون أن يدرسه أحد ذلك؟! لأنه يعلم ذلك من فطرته، وقد ذكر أن أبا المعالي الجويني كان يقرر ويقول: إن الله كان ولا شيء، وهو ـ الآن ـ على ما كان عليه؛ يريد أن ينكر استواء الله على العرش، فقال له أبو العلاء الهمداني ـ رحمه الله ـ: يا أستاذ، دعنا من ذكر العرش وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط: يا الله؛ إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، فلطم أبو المعالي رأسه، وجعل يقول: حيّرني الهمداني، حيّرني الهمداني؛ أي: أن هذا دليل فطري على علو الله لا ينكره أحد، ولكن يجب أن نعلم أن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء، لكنه ليس محصورا بشيء؛ كما يكون الواحد منا فوق السطح، فيكون محصورا بجدران السطح، ولكن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء، وليس محصورا بأي شيء من الأشياء؛ لأن الفوق المطلق ليس فيه شيء إلا الله ـ عز وجل.

وأما القسم الثاني ـ وهو علو الصفة ؛ فمعناه: أنه ما من صفة كال

إلا والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلاها وأكملها؛ ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: و سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى: 1]، وقوله: «وبله المثل الأعلى [النحل: 60]، وقوله: «وله المثل الأعلى﴾ [الروم: ٢٧]، ودلالة هذا القسم في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، وفي إجماع الصحابة، وفي العقل، وربما يكون في الفطرة دليل عليه أيضا؛ فأما الكتاب فذكرنا منه ما سبق؛ وهو قوله ـ تعالى ـ: «وله المثل الأعلى﴾ [الروم: ٢٧]، وقوله: ولله المثل الأعلى﴾ [النحل: 60]، وقوله: «سبح اسم ربك الأعلى
[الأعلى: 1].

وأما السنة؛ فالأحاديث فيها كثيرة دالة على كمال الله ـ عز وجل ؛ فقد حدث النبي ﷺ عن كمال الله وعن عظمة صفاته بأحاديث لا تحصى، وكان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: سبحان

ربي الأعلى؛
فيثبت له صفة العلو المطلق، وهو كما يشمل علو الذات ـ أيضا ـ يشمل علو الصفات.

وأما الإجماع؛ فقـد أجمع المسلمون على أن الله ـ تعـالى ـ صـفات
الكمال من كل وجه.

وأما العقل؛ فلأن مـن المعـلـوم أنـه لا يمكـن أن يعبـد باستحقاق العبادة إلا من كان كامل الصفات؛ ومن ثم أنكر إبـراهيم الخليـل عـلى أبيه أن يعبد ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني عنه شيئا، وقال: «يتأبت

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ [مريم: ٤٢]؛ لأن مثـل هذا ناقص؛ والناقص لا يمكن أن يكون ربا يعبد لنقصه، ولا أحد مـن المخلوقات له الكمال المطلق سوى رب الأرض والسموات. وأما دلالة الفطرة على علو الصفة؛ فلأن الإنسان بفطرته يلجأ عند المصائب والشدائد إلى الله ـ عز وجل ؛ لعلمه أن الله قادر عـلى كـشـف هذه المصائب والشدائد.

من
٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: «وإن كنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا إثبات أن القرآن كلام الله؛ وذلك لأن القرآن كلام لـيس عينـا قائمة بنفسها، وإنما هو كلام، وإذا كان نازلا من عند الله؛ لزم أن يكون كلام الله، وهذا هو الذي أجمع عليه السلف وأئمـة الأمـة: أن القـرآن كلام الله غير مخلوق؛ فقد تكلم الله ـ تعالى ـ به حقيقة، وسمعه جبريـل الله، وألقاه على قلب النبي و؛ قال الله ـ تعـالى ـ في سـورة الشعراء: وإنه لتنزيل رب العالمين ﷺ نزل به الروح الأمين و على قلبك لتكون من المنذرين دي بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]؛ فبيـن الله في هذه الآية المنزل، والمنزل، والنازل به، والنازل عليه، واللغة التي نـزل بها؛ خمسة أشياء ؛ فقال: «وإنه»؛ أي: القرآن المنزل لتنزيل رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٩٢] هذا المنزل منزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، هذا النازل بـه *على

١٢٧١

قلبك [الشعراء: ١٩٤]، هذا المنزل عليه «بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٥]، هذه اللغة؛ فالقرآن جمع هذه الأوصاف كلها؛ إذن فهو كلام الله ـ عز وجل ـ بهذه اللغة، اللغة العربية، والكلام لا أحد يشك في أنه من صفات الكمال؛ فإن المتكلم أكمل من الذي لا يتكلم، وبهذا احتج السلف على من قالوا: إن القرآن مخلوق، فإنه لو كان مخلوقا؛ لم يكن هناك كمال في الله من هذا الوجه؛ فالكلام من الكمال. هـ ومن فوائد هذه الآية أيضا: الإشارة إلى فضل القرآن؛ حيث إنه كلام الله؛ فإن الكلام يشرف بشرف من تكلم به، ولا سيما إذا كان هذا الكلام متضمنا لمعاني الأخلاق، وكمال الآداب؛ كما في القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم أصدق الكلام وأكمله من جميع الوجوه من حيث الفصاحة، والجودة، والنفع، والحكم، ولو لم يكن منه إلا أنه كلام الله لكان كافيا في الشرف والفضل.

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضل رسول الله ﷺ؛ لكونه عبدا الله، ولا شك أن العبودية الله من أشرف المناقب، بل هي أشرف المناقب، ومن لم يكن عبدالله صار عبدا لهواه؛ لأن الإنسان لا بد أن يكون متذللا لشيء، فإما أن يكون متذللا لربه، وإما أن يكون متذللا لهواه وشيطانه.
ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن النبي ﷺ لا حق له في شيء من

١٢٨

أحكام من القرآن الكريم

خصائص الربوبية؛ لأن العبد خلاف الرب؛ فلا شيء لرسول الله ﷺ من خصائص الربوبية، فلا يملك نفعا لأحد ولا دفع ضرر عنه، ولا يعلم الغيب، وليس عنده خزائن الله، وقد أمره الله ـ تعالى ـ أن يعلن ذلك للملا؛ فقال: «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾ [الأنعام: 50]؛ يعني ما أنا إلا رسول مبلغ عامل بها أوحي إلي مبلغ له، وقال الله ـ تعالى ـ: « قل إني لا أملك لكر ضرا ولا رشدا و قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه، ملتحدا إلا بلغا من الله ورسلته ﴾ [الجن: ٢١ - ٢٣]؛ يعني: لست إلا مبلغا من الله - سبحانه وتعالى ـ ورسولا من عنده، وأنا لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، ولو كان يملك شيئا لملك أن ينقذ من شاء من الهلاك والضلال، ويهدي من شاء، وهذا ليس إليه؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: «ليس لك من الأمر شي:﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وأمره - تعالى ـ أن

يقـول: «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما معنى الشوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٢٢

هـ ويتفرع عن هذه الفائدة بيان ضلال أولئك الذين يتعلقـون برسول اللى ﷺ فيدعونه، ويستغيثون به، ويرجون شفاء المرض، وإزالة الضرر، وحصول المطلوب، ويعرضون بذلك عـن رب العالمين ـ عز وجل ـ، كما أن بعضهم ربها يظن أن ما عند الرسول ﷺ أقرب ممـا عنـد

سـورة البقـرة

١٢٩

الله مع أن النبي ﷺ لا يملك من هذا الأمر شيئا، وقـد ضـل مـن هـذا الوجه طائفتان: طائفة ادعت أن لرسول اللى ﷺ شيئا من خصوصيات الربوبية، وطائفة أخرى كذبت الرسول ﷺ، وقالت: إنه ليس برسـول؛ إما أنها نفت رسالته مطلقا أو نفـت عـمـوم رسالته، وكلتا الطـائفتين ضالتان، والحق أن رسول اللى ﷺ عبد رسول، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، والعبودية تنقسم إلى قسمين: عبوديـة عامة، وعبودية خاصـة؛ فالعبوديـة العامـة هـي التعبـد للقـدر؛ وهـي العبودية الكونية القدرية التي تشمل كل المخلوقات، فما من مخلـوق إلا وهو عابد ذليل لقضاء الله وقدره حتى أكفـر الخلـق؛ كـا قـال الله - تعـالى -: «إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدا [مريم: ٩٣]؛ فكل الناس عبيد الله بالعبوديـة الكـونيـة القدريـة، وهـذه لا يمدح الإنسان عليها؛ لأنها تكون قهرا عليه وبغير اختيار منه.

أما القسـم الثاني فهو العبودية الخاصـة؛ وهـي التعبـد الله ـ تعـالى - بشرعه، وهذه لا تكون إلا من المؤمنين؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: «وعباد
الرحمن الذين يمشـون علـى الأرض هونا وإذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما﴾ [الفرقان: 63]، وذكر بقية صفاتهم، وهـذه العبوديـة فيهـا ـ أيـضـا ـ مـا هـو أخـص مـن مطلـق العبوديـة، وهـي عبوديـة الـوحي والرسالة؛ كما في هذه الآية الكريمة: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا.

١٣٠١

9ـ ومن فوائد الآية الكريمة: الفضيلة العظيمة لرسول الله ﷺ بإضافة عبوديته إلى الله ـ عز وجل ـ؛ أي: أن الله أضاف إليه عبودية محمد ﷺ؛ أنه عبده، ولا شك أن في هذا فخرا لرسول الله ﷺ وعـزة
ورفعة.

١٠ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من آداب المحاجة والمناظرة تحدي الخصم؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول هنا: «فأتوا بسورة من مثله»، ولا شك أن في تحدي الخصم إظهارا لضعفه، وأنه لا يستطيع المقابلة، والتحدي طريق من طرق المناظرة المفيدة، ولكن ينبغي ألا يتحدى الإنسان أحدا إلا وهو واثق من أنه عاجز؛ لأنه لو أتى بالشيء على صيغة التحدي، ثم تبين قدرة المتحدى صار في ذلك انهزام شديد للمتحدي؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في هذه الآية: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا إشارة إلى أنهم عاجزون عما تحدوا به، ولن يستطيعوا ذلك. ١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا أحد يستطيع أن يأتي بسورة من مثل هذا القرآن ولو دعا من دعا إليه ليعاونه؛ لقوله: وادعوا شهداءكم من دون الله»؛ أي: كل من تعبدونه وتستعينون به
من دون الله فادعوهم؛ ليكونوا معكم في الإتيان بسورة من مثله. ١٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لن يستطيع أحد من هؤلاء المعارضين لرسول الله ﷺ أن يأتي بسورة من مثل ما جاء به الرسول

سورة البقرة

؛ لقوله: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا.
١٣-ومن فوائدهما: أن من كابر وأصر على عناده، وكذب الرسول ؛ فإن النار مثواه؛ لقوله: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة.

١٤- ومن فوائدهما: أن يأتي المتكلم بـا يقتضي التهديد؛ لقوله: والتي وقودها الناس والحجارة»؛ فإنه إذا قيل: إن النار وقودها الناس؛ فلابد أن يحذر الإنسان منها ويخشى أن يكون من جملة الوقود. ١٥ـ ومن فوائد الآيتين: أن النار موجودة الآن؛ لقوله: «أعدت للكفرين» ؛ فإنّ الإعداد بمعنى التهيئة، ولا شك أن الجنة والنار موجودتان الآن؛ كا دل على ذلك القرآن والسنة؛ فقال الله ـ تعالى ـ في الجنة: «أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: 133]، وقال في النار:

«أعدت للكفرين﴾ [البقرة: ٢٤]، وعرضت الجنة والنار على النبي ﷺ وهو يـصلي بالناس صلاة الكسوف، ورأى في النار من يعذب. وكما أن الجنة والنار موجودتان الآن، فهما باقيتان أبد الآبدين، لا تفنيان؛ لأن الله ـ تعـالى ـ ذكر التأبيد في عدة آيات؛ فأما التأبيد في الجنة؛ فالآيات في هـذه كثيرة، وأما التأبيد في النار؛ ففي ثلاث آيات من القرآن؛ في سورة النسـاء في قولـه ـ تعـالى -: «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدأ وكان ذلك على الله

يسيرا [النساء: 168، 169]. وفي سورة الأحزاب في قوله ـ تعالى ـ: «إنّ الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ [الأحزاب: ٦٤- ٦٥]، وفي سورة الجن في قوله ـ تعالى ـ: «إلا بلغا
من الله ورسليه، ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا [الجن: ٢٣]؛ ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعـة اعتقـاد أن الجنة والنار موجودتان الآن، وأنها لا تفنيان أبد الآبدين، وإن كان قـد ذكر خلاف في أبدية النار فإنه خلاف مرجـوح؛ فالراجح بـل المتيقن القول: إن النار لا تفنى كما أن الجنة لا تفنى.

١٦ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن القـرآن الكـريـم سـيبقى آية إلى الأبد لرسول الله ﷺ؛ لأن هذا التحدي الذي وقـع بـه ثـابـت إلى يـوم القيامة، فلن يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن إلى يوم القيامة. ١٧-.ومن فوائد الآيتين: الكـريمتين الإشارة إلى أن هـذا الـقـرآن سيبقى، وذلـك أنـه قـال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»، وإذا كـان وقودهـا النـاس، وهـو يـشمل الناس إلى يوم القيامة المخالفين لهـذا القـرآن؛ دل هـذا عـلى أن القـرآن سيبقى متحديا لجميع الناس إلى يوم القيامة، وأن من خالفـه فـسيكون وقود النار. ١٨ـ ومن فوائد الآيتين: إثبـات الجـزاء؛ فيـدل عـلى إثبـات اليـوم

الآخر، وهو أحد أركان الإيمان الستة، التي هي الإيمان بالله، وملائكته، وكبته، ورسـله، واليوم

الآخر، والقدر: خيره وشره.

ثـم قـال ـ تعالى ـ: « وشر الذين ءامنوا وعملوا الصلحت أن لهم جنت تجري من تحتها الأنهر كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأثوابه، متشبها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها
خلدون .

هذه الآية الكريمة لها ارتباط با قبلها؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى - بين فيها سبق أن النّار أعدت للكافرين، وكان هذا القرآن الكريم مثاني تثنى فيه المعاني؛ فإذا ذكر الثواب ذكر العقـاب، وإذا ذكـر الكـفـر ذكـر الإيمان، وهكذا؛ كـا قـال الله ـ تعالى ـ: « الله نزل أحسن الحديث كتبا متشبها مثاني﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي هذه الآية الكريـمـة يـقـول الله ـ عز وجل -: «وبشر الذين امنوا»، وهنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه؛ فهـو مأمور بالبشارة، إن كان للرسول ﷺ فكل من خلفه في العلم والـدعوة فإنه يمكن أن يقوم بهذه البشارة، والبشارة فيهـا الإخبـار بـا يـسر، وسميت بذلك؛ لأن الإنسان إذا أخبر بما يسره ظهر ذلك عـلى بـشرته، وهنـا المبشر: والذين ءامنوا وعملوا الصلحت»، والمبـر بـه

جنت تجري من تحتها الأنهر، والمبشر: الرسـول ـ عـليـه الـصلاة والسلام ـ، والأمر بالتبشير هو: الله ـ عز وجل ـ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات هـم الـذيـن جمعـوا بـين الاستسلام الباطن والاستسلام الظاهر؛ الاستسلام الباطن في الإيمان، والظاهر في عمـل الـصالحات، وجمعوا ـ أيضا ـ بين الإخلاص والمتابعة؛ فالإخلاص في القلب؛ وهـو أمر باطن، والمتابعة في الجوارح؛ وهو أمر ظاهر؛ فالبشرى لمن جمع بين الأمرين، بين الصلاح في الباطن والصلاح في الظاهر، والصالحات: هي الأعمال التي اشتملت على الإخلاص الله، والمتابعة لرسول الله ﷺ أما الإخلاص لله؛ فـأن ينـوي الإنسان بعملـه وجـه الله، والـدار الآخرة، وامتثال أمر الله، وأما المتابعة؛ فأن يكون متبعا لرسـول الله ﷺ فـيـا يقـول، ويفعـل، ويذر، ولا تتحقـق المتابعـة إلا بموافقـة العبـادة للشريعة في أمور ستة: السبب، والجنس، والقدر، والكيفية، والزمـان، والمكان؛ فمن تعبد الله ـ تعالى ـ عبادة مقيدة بسبب لم تـرد بـه الـشريعة؛ فعبادته مردودة

عليه غير مقبولة منه؛ كما لو تعبد الإنسان الله بذبح شاة؛ تقربا إلى الله ـ تعالى ـ عند مناسبة لا يشرع فيها ذلك؛ فإن هذا يكون غير مقبول عند الله؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(1)؛ فإذا ضحى الإنسان بفرس؛ لم تقبل منه؛ لأنها ليست من

(١) سبق تخريجه ص(٤٩).

جنس مما يضحى به شرعا، ولو زاد الإنسان في عبادته؛ لم تقبل منه هذه الزيادة؛ لأنها ليست على أمر الله ورسوله، ولو فعل العبادة على غير الوجه الذي وردت عليه؛ لم تقبل منه؛ كا لو توضأ منكسا مثلا؛ فإن ذلك لا يقبل منه؛ لأنه على خلاف ما جاء عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولو ضحى في غير وقت الأضحية؛ لم تقبل منه؛ لأنها في غير الزمان المعين للأضحية، ولو اعتكف في غير المسجد؛ لم يقبل منه؛ لأنه ليس في المكان الذي خصص شرعا للاعتكاف؛ فإذن لا تتحقق

المتابعة لرسول اللى ﷺ إلا إذا تضمنت العبادة هذه الأمور الستة. وقوله: «أن هم جنت تجري من تحتها الأنهر الجنات: جمع جنة، وجمعت لاختلاف أنواعها، وأسائها، وأحوالها، والأصل في معنى الجنة أنها البساتين الكثيرة الأشجار؛ لأنها تجن من فيها؛ لكثرة أشجارها وأغصانها، والمراد بالجنة ـ التي ذكرها الله هنا ـ دار النعيم التي أعدها الله ـ تعالى ـ للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها؛ أي: من أسفلها وتحت القصور والأشجار أربعة أصناف بينها الله ـ تعالى - في قولـــه: «مثل الجنة التي وعد المثقون فيها أنهر من ماء غير اسن»؛ أي: غير متغيره وأنهر من لبن لم يتغير طعمه، وأنهر من خمر لذة للشربين وأنهر من عسل مصفى » [محمد: 15]، وبين الله ـ تعالى ـ أنه كلا رزقوا من هذه الثمرات رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل؛ لأنه يشبهه في اللون والحجم، فيقولون: هذا الذي رزقنا من قبل، ولكنهم إذا طعموه

تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمرة متشابها، ولكنه يختلف في الذوق؛ فصار في هذا شيء من اللذة؛ ولهذا قال: «وأتوا به، متشبها، وبين الله ـ عز وجل ـ أن فيها أزواجا مطهرة، مطهرة الظاهر والباطن؛ فهي مطهرة الباطن من الحقد على زوجها والكراهة له، وفي الظاهر من كل قذر وأذى، وتمام هذا النعيم أنهم فيها خالدون.

فوائد هذه الآية:

1ـ في هذه الآية الكريمة من الحكم والفوائد أنه ينبغي أن يبشّر العامل بها يستحق من الثواب؛ لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على
العمل.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل؛ فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل؛ و
؛ ولهذا يربط الله ـ تعالى ـ دائها ـ الإيمان بالعمل الصالح. 3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه كلما كان الإنسان أقوى إيانا وأكثر عملا كان أحق بالبشارة بالجنة؛ وذلك لأن الحكم المعلق على وصف يقوى بقوة ذلك الوصف، ويضعف بضعفه.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأعمال الفاسدة لا ترفع صاحبها ولا تنفعه، بل هي حرام عليه؛ لأنها نوع من الاستهزاء بالله ـ عز

وجل ؛ ويتفرع على هذه الفائدة أنه لا يجوز للإنسان ـ مثلا ـ أن يصلي بلا وضوء أو يصلي بنجاسة لا يعفى عنها؛ لأن ذلك من العمل الفاسد، وإذا فعله صار كالمستهزئ بالله.

5 - ومن فوائد الآية الكريمة: أن هؤلاء المؤمنين العاملين للصالحات جزاؤهم الذي يبشرون به هذه الجنات العظيمة التي تشتمل على كل خير، وقد بين الله ـ تعالى ـ في آية أخرى أن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

6 ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن هذه الجنات فيها القصور الشامخة والأشجار العالية؛ لقوله: «من تحتها الأنهر»؛ فإن التحت، لا بد أن يكون له فوق، ومعلوم أن هذه الأنهار لا تجري من

أسفل أرض الجنة؛ ولكنها تجري من تحت ما فيها من الأشجار والقصور، وقـد قـال الله ـ تعـالى ـ في سـورة الـرحمن: «خور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢]، وبينت السنة هذه الخيام الجميلة الرفيعة.

ـ ومن فوائـد هـذه الآية الكريمة: أن في الجنـة أنهـارا؛ لقوله: وتجري من تحتها الأنهره، وأن فيها ثارا؛ لقوله: «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، ولكن هذه الأنهار وهذه الثمار لا تشبه ـ في الحقيقة ـ ما في الدنيا من الأنهار والثمار؛ فهي تختلـف عنها اختلافا عظيما لا يمكن أن يدركه الإنسان بحشه في الدنيا؛ كما قال

Y

= ١١٣٨

أحكام من القرآن الكريم

الله ـ تعـالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: 17]، وكما في الحديث القدسي: «قال الله: أعـددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

-
بشر»(١)، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسـاء».

وقوله ـ تعالى ـ: «فيهما فكهة ونخل ورمان* [الرحمن: ٦٨]، النخل، والرمان، والفاكهة موجودة في الدنيا، لكن تختلف؛ كما أن الحياة هناك تختلف عن حياة الدنيا، انظر ـ مثلا ـ إلى الناس في هذه الدنيا يحتاجون إلى النوم، وفي الجنة لا يحتاجون إلى النوم؛ فلا ينامون، تصيبهم الأمراض والأوصاب في الدنيا، وفي الجنة لا تصيبهم، في الدنيا إذا سقط الإنسان في النار احترق ومات، وفي الآخرة إذا سقط في النار؛ فإنه ـ وإن احترق ونضج جلده من النار ـ لا يموت * كلما نضجت جلودهم بذلتهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيمًا ﴾ [النساء: 56].

هـ ومن فوائد هـذه الآية الكريمة: أن أهـل الجنـة كـا يتنعمـون بالطعم يتنعمون أيضا باللون؛ حيث يؤتى إليهم بهذه الفاكهة المتشابهة،

(1) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٣٢٤٤)؛ ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفة الجنة، رقم (٢٨٢٤).

ثم إذا أكلوها صارت مختلفة عما سبق، وهذا يعطـي الإنسان زيادة في اللذة وشهوة الطعام.
ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن في الجنة أزواجا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن ويتمتع بهن؛ كما قال الله - تعالى -: « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فيكهون و هم وأزواجهم في ظلال على الأرابك متكفون ي لهم فيها فكهة ولهم ما يدعون ع سلام قولا من رب رحيم ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ في سورة الرحمن: «فيهما من كل فنكهة زوجان فبأي :الاء ربكما تكذبان ع متكين على فرش بطاينها من إستبرق وحتى الجنتين دان 5 فبأي الاء ربكما تكذبان و فيهن قصرت الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن: ٥٢ - ٥٦]؛ وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والاتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم. ١٠ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أهل الجنـة خـالـدون فيهـا، وقد بينت الآية الأخرى أن هـذا الخلـود خـلـود أبـدي (لا يبغون عنها حولًا [الكهف: ١٠٨]، ولا يخرجون منها.

١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الحـث عـلى الإيمان والعمـل الصالح والتريث فيه؛ لأن الأمر بالبشارة في الجنـة لمـن آمـن وعـمـل صالحا يقتضي حث هؤلاء المبشرين على الإيمان والعمل الصالح.

ج
ثم قال الله - تعالى -: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفسقين» .
ج

ج
في هذه الآية يقول الله ـ تعالى ـ: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي مثل كان؛ وذلك لأن الأمثال التي يضربها الله للناس فيها من العبر والمصالح ما يجعل ضربها من الحكم العظيمة التي ينتفع بها العباد؛ فقد ضرب الله مثلا بالعنكبوت، ومثلا بالذباب، وهنا قال: بعوضة فما فوقها»، وقال الله ـ تعالى ـ: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بينا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ [العنكبوت: 41]، وقال الله ـ تعالى ـ: «يتأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلفوا ذبابا ولو اجتمعوا له, وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب [الحج: 73]، والرب ـ عز وجل - يضرب هذه الأمثال من أجل العبر ومصالح العباد؛ ولهذا لا يستحي أن يضرب هذه الأمثال وإن قلت، قال هنا: «بعوضة فما فوقها»؛ البعوضة: واحدة البعوض وهو معروف، «فما فوقها كالذباب والعنكبوت؛ فالله لا يستحي من ذلك؛ لأنه حق، والله ـ تعالى ـ لا يستحي من الحق؛ لما في هذه الأمثال من المصالح والمنافع العظيمة.

-

ثم يبين الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أن الناس انقسموا نحـو هـذه الأمثال إلى قسمين: «فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم؛ لما تتضمنه هذه الأمثـال مـن المصالح والمنافع. وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا»، يقولون ذلك استهزاء، وسخرية، واحتقارا لهذه الأمثال، وبين الله ـ عز وجل ـ أنه يـضـل بهـذا المثـل مـن يشاء، بل يضل به كثيرا ممن اقتضت حكمته أن يضلوا، ويهدي به كثيرا ممـن اقتـضـت حكمتـه أن يهتـدوا؛ ولهـذا قـال: «وما يضل به إلا الفسقين الخارجين عن طاعة الله.

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى انتفاء استحياء الله - عز وجل ـ مـن الحق؛ وهذا يدل على أن الله ـ عز وجل ـ يستحي مـن غـيـر الحـق؛ لأن الحياء من غير الحـق وصـف كـال، والله ـ سبحانه وتعالى ـ متّصف بصفات الكـال؛ ولهـذا جـاء ثبـوت الحيـاء الله في حـديث رسـول الله
إنّ الله خيي كريم، يستحي إذا رفع الرجـل إلـيـه يـديـه أن يردهمـا صفرا خائبتين» (۱)؛ فالحياء ـ هنا ـ ثابت الله في هذا الحديث نطقا صريحا بدلالة المنطوق، وفي الآية الكريمة: «إن الله لا

يستحي أن يضرب مثلًا ما بعوضة ثابت الله بطريقة المفهوم، والحياء ـ كسائر صفات الله ـ يجب

(١) رواه أبو داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨)؛ والترمذي: كتاب الدعوات، باب رقم (١٠٤)، حديث رقم (٣٥٥٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»؛ وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥)؛ والحاكم (1/ 675)، وصححه.

أحكام من القرآن الكريم

على الإنسان اعتقاد ثبوته الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الله أثبته لنفسه، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بنفسه وبغيره، فإذا أخبر عباده بصفة من صفاته وجب عليهم قبول هذه الصفة، ولا يجوز لهم أن يعارضوها با يظنونه عقلا وهو وهم في الواقع؛ وذلك لأن كلام الله اجتمع فيه كل الصفات التي تستلزم قبول الخبر؛ فإنه صادر عن تمام العلم، وتمام النصح والبيان، وكمال الفصاحة، وكمال الصدق، فالكالات التي تكون في الكلام هي

هذه الأوصاف الأربعة: العلم، والصدق، وحسن الإرادة والقصد، والفصاحة والبيان؛ أما العلم؛ فلا أحد يشك أو ينكر أن الله - تعالى ـ أعلم بنفسه من غيره،وأما الصدق؛ فكلام الله ـ تعالى ـ أصدق الكلام، وأما الفصاحة؛ فكلام الله ـ تعالى ـ أفصح الكلام؛ ولهذا عجز العرب ـ مع كال فصاحتهم ـ عن الإتيان بمثله.

وأما الإرادة؛ فقد قال الله ـ تعالى -: « يريد الله ليبين لكم ويهديكم من الذين من قبلكم ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال ـ تعالى -: ويبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم [النساء: 176]، فإذا أخبرنا الله ـ تعالى ـ عن صفة من صفاته؛ وجب علينا قبول هذا الخبر واعتقاد مدلوله، ولا يجوز لنا أن نحرف معناه إلى ما يخالف ظاهره إلا بدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ

وهذه هي الجادة التي بنى أهل السنة والجماعة عقيدتهم عليها.

سورة البقرة

فوائد هذه الآية الكريمة:

١ـ من فوائد هذه الآية: ضرب الأمثال بتقريب المعقولات؛ لأن الأمثال تكون أمورا محسوسة يستدل بها على الأمور المعقولة. ٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي لمن أراد الإيضاح

والبيان ـ وكان ذلـك يتوقف على ضرب المثل ـ أن يبين ذلك بالمثـل؛ كـا قـال الله ـ تعـالى -:
وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العلمون ﴾ [العنكبوت: 43]، وقال الله ـ تعالى ـ: «
ولقد ضرتنا للناس في هذا القرءان من كل مثل *
[الروم: ٥٨].

143

الله

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الناس ينقسمون فيها ضرب الأمثال إلى قسمين: قسم مصدق مؤمن موقن بأن ذلك حق، وقسم آخر مستكبر ساخر يقول: * ماذا أراد الله بهذا مثلا »، هكذا أخبر الله في هذه الآية، وهذا هو الواقع، ونظير هذه الآية الكريمة قوله ـ تعالى ـ: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمننا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمنا وهم يستبشرون (وأما الذين في قلوبهم مرضت فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم
كفرون ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، فهذا القرآن ينقسم الناس فيه إلى هذين القسمين، فمن اهتدى به فقد وفق، ومن ضل عنه واستكبر فقد خرم خيرا كثيرا.
ج

من

= ١١٤٤

أحكام من القرآن الكريم

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الهداية والإضلال بيد الله * يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا "، وأخبر الله بـذلك مـن أجـل أن نلجأ إليه، وهنا فائدة تترتب عـلى مـا سـبق؛ وهـي اللجوء إلى الله ـ تعـالى ـ لطلب الهداية منه والعصمة من الضلال، وألا يعتمد الإنسان على نفسه فيزكيها ولا يرى الله عليه فضلاً بالهداية، فالهداية بيد الله ـ عز وجل. هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هدايـة الله وإضلاله مبنيـان على الحكمـة؛ لأن الله لا يـضـل إلا مـن كـان أهـلا للإضـلال؛ وهـم الفاسقون، ونظير هذا قـول الله ـ تعـالى -: «فلما زاغوا أراع الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفسقين﴾ [الصف: 5]، فمـن كـان طالبـا للخير، وسلك الأبواب التي توصله إليه، بل وسلك الطرق التي توصله إليـه؛ وفق له، ومن فسد وأعرض فلا يلومن إلا نفسه.

ج

6 ـ ومن فوائد قوله ـ تعالى ـ: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها» إثبات الإرادة الله ـ عز وجل ـ، والإرادة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين: إرادة شرعية، وإرادة كونية.

فالإرادة الشرعية هي التي بمعنى المحبة؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ [النساء: ٢٧]، والإرادة الكونية هي التي بمعنى المشيئة؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ [هود: ٣٤]، ومثل قوله ـ تعالى ـ: «ولو شاء الله ما أقتتلوا ولكن الله يفعل ما

يريد﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والفرق بينها أن الإرادة الشرعية تتعلق با أحبه الله، سواء وقع أم لم يقع، والإرادة الكونية تتعلق با قدره وقضاه، سواء كان يحبه أم لم يحبه، والفرق الثاني أن الإرادة الشرعية قد يقع فيها المراد وقد لا يقع، والإرادة الكونية يقع فيها المراد بكل حال؛ لأن الله ـ تعالى ـ إذا أرد شيئا فإنها يقول له كن فيكون، ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الأسباب؛ لقوله: «وما يضل به إلا الفسقين» فكان فسقهم سببا في إضلال الله لهم. ٨ـ ومن فوائدها: الحذر من الفسق؛ وهو الخروج عن طاعة الله، والفسق قد يكون كفرا؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « أفمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لا يستون و أما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فلهم جنت المأوى نزلا بما كانوا يعملوني وأما الذين فسقوا فمأونهم النار كلما أرادوا أن تخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به، تكذبون ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠]

ثم قال الله ـ تعالى ـ في وصف هؤلاء الفاسقين: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميشقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولتيك هم الخسرون »

هذه من أوصاف أهل الفسق؛ ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه؛ وعهد الله الذي عهد إلى عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا؛ فقد ركز الله ـ تعالى ـ في فطرة كل إنسان أن الرب هو الله - عز وجل ـ، وأنه هو الذي يجب أن يعبد؛ كا جاء في الحديث الصحيح: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» ومن أوصافهم أنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من حقوقه وحقوق عباده، فهم لا يبالون بقطيعة شريعة الله والبعد عنها، بل يحرصون غاية الحرص على أن يصدوا عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا، وهم كذلك يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأقارب، والجيران، واليتامى، والمساكين، وغير ذلك؛ لأنهم لا يؤمنون با عند الله من الأجر والثواب، ومن فعل منهم شيئا من هذه الصلات، صلات الخلق، فإنها يفعلها لا من باب التعبد، ولكن من باب العادة أو السجية التي تقتضيها طبيعة المجتمع.

وأما الوصف الثالث من أوصاف أهل الفسق فهو أنهم يفسدون في الأرض بالمعاصي؛ فإن المعاصي سبب الفساد في الأرض؛ كما قال الله - تعالى -: « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم

(1) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب «لا تبديل لخلق الله»، رقم (٤٧٧٥)؛ ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٢٦٥٨).

بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم: ٤١]؛ فالفساد في الأرض ليس بتكسير الجسور، وحفر الخنادق للسقوط فيها، وما أشبه ذلك من الفساد، ليس بهذا فحسب، بل بكل معصية يعصون الله بها؛ لأنه سبب للفساد في الأرض.

ثم بين الله نتيجة هؤلاء ومآلهم؛ فقال: «أولتيك هم الخيروت»، هؤلاء يظنون أنهم على خير، وأنهم رابحون، ولكن الله ـ تعالى ـ بين أنهم هم الخاسرون، وحصر الخسران فيهم؛ فقال: أولتيك هم الخسرون»؛ وذلك لأن الربح إنها يكون لمن اتصف بالصفات الموجبة؛ كا قال الله ـ تعالى : (والعصري إن الإنسان لفي خسر إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبره [العصر: 1-3]، فالإنسان، - كل إنسان - خاسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع.
فوائد هذه الآية الكريمة:

١- في هذه الآية الكريمة من الفوائد بيان أوصاف الفسقة، بل بيان شيء من أوصافهم، وهو أنهم ينقضون عهد الله بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

٢- ومن فوائدها: التحذير من هذه الصفات؛ لأنها صفات الفاسقين الذين هم أهل الضلال، وهم المستحقون لإضلال الله إياهم.

٣- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب الوفاء بعهد الله، ومن أوفى بعهد الله؛ أوفى الله له بعهده؛ كما قال الله - تعالى - في بني إسرائيل: و يبني إسراعيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليك وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإينى فأرهبون ﴾ [البقرة: 40].

٤- ومن فوائدها: وجوب صلة ما أمر الله بصلته، وعلى رأس ذلك صلة الأرحام الشاملة لبر الوالدين، وصلة من عداهما؛ فالواجب على المسلم أن يصل ما أمر الله به أن يوصل، ولا شك أن في صلة ما أمر الله به أن يوصل فائدة عظيمة؛ فإن من وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، فعلى المرء أن يكون قائما بالقسط والعدل؛ حتى تحصل له الصلة من الله - عز وجل -، ومن وصله الله فهو على خير. هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإفساد في الأرض من صفات الفاسقين؛ وعلى هذا فيكون الإصلاح في الأرض من أوصاف أهل الخير، والعدل، والاستقامة؛ فيتفرع على هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان أن يبتعد عن كل ما يكون سببا للإفساد، وأن يسعى في كل ما يكون سببا للإصلاح.
6 - ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن هؤلاء المتصفين بهذه الصفات؛ الفسق وما أضيف إليه من هذه الأوصاف هم الخاسرون

الذين لا ربح لهم في الدنيا ولا في الآخرة.

ثم قال ـ تعالى ـ: «كيف تكفرون بالله وكتم أمواتا فأحييكم ثم يمينكم ثم تحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ [سورة البقرة: ٢٨].

في هذه الآية استفهام بمعنى التعجـب والإنكـار لأولئـك القـوم الذين يكفرون بالله، وهم يعلمون أنهم كانوا أمواتا فأحياهـم الله ـ عز وجل ـ، كانوا أمواتا قبل أن ينفخ الله فيهم الـروح؛ لأن الإنسان قبـل نفخ الروح فيه ميت جماد، فيحييه الله ـ عز وجـل ـ بـنفـخ الـروح فيـه ويخرج إلى هذه الدنيا، ويعمل ويكدح، ثم يميته الله ـ عـز وجـل ـ، ثـم يحييه الحياة الآخرة التي ليس بعدها مـوت، ويرجعـه إلـيـه؛ ليوفيـه مـا عمل، ففي هذه الآية الكريمة الإنكار على أولئك الذين كفروا بالله مع أنه ـ عز وجل ـ اعتنى بهم هذه العناية؛ فأوجدهم من العدم، وأحياهم من الموت، وكان من الواجب عليهم أن يقوموا بشكر هذا المنعم عليهم
ـ سبحانه وتعالى.

فوائد هذه الآية الكريمة:

١ـ من فوائد هذه الآية: أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الـروح ميـت جماد لا يتعلق فيه حكم من أحكام الإحياء؛ ويتفرع عـلى ذلـك أنـه لـو سقط قبل أن تنفخ فيه الروح في بطن أمه؛ فإنه لا يغسـل، ولا يكفـن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع الناس؛ لأنه عبارة عن قطعة لحم، يـدفن في أي مكان من الأرض، ولا يحتاج إلى تسمية، ولا إلى عقيقة، فإن قال

قائل: متى تكون الحياة فيه؟ فالجواب: أنها تكون إذا تم له أربعة أشهر؛ كما يدل على ذلك حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، ويؤمر بأربع كليات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد»(١)، فالأربعون الثلاث تكون أربعة أشهر.

٢- ومن فوائد هذه الآية: بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ بإحياء الموتى؛ فإنه لا أحد يستطيع إحياء الموتى إلا الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا لما حاج إبراهيم ذلك الرجل الذي حاجة في الله، قال له إبراهيم: «ربي الذي يخي، ويميت قال أنا أخي، وأميت). [البقرة: ٢٥٨]، فبين له إبراهيم - عليه الصلاة والسلام ـ أن ربه هو الذي يحيي ويميت؛ لأنه لا يملك ذلك إلا الله، وأما قول هذا المحاج: «أنا أخي، وأمين﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فهذا من باب التلبيس والتمويه؛ حيث زعم أنه يستطيع الإحياء والإماتة، ولما كان هذا أمرا قد يخفى على الناس، أو يلتبس عليهم، قال له إبراهيم:« فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب تبهت الذي كفر ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ـ صلوات الله عليهم ، رقم (٣٢٠٨).

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تقرير البحث بأحسن حجة، وذلك أن الإنسان كان جمادا ميتا، ثم أحياه الله، ثم يميته مرة ثانية، ثم يحييه؛ فالقادر على إحيائه أول مرة قادر على إحيائه في المرة الثانية؛ كا قال - تعالى -: ﴿ وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده, وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال ـ تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه، قال من يحي العظم وهي -
زمين فل بخيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليه بــــس
٤

٧٨، ٧٩]

4ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الرجوع إلى الله ـ تعـالى - للمجازاة على العمل؛ لقوله:(ثم إليه ترجعون *.

هـ ومن فوائدها: أنه ينبغي للإنسان أن يستعد لهذه الرجعة إلى الله؛ لينظر ماذا يقابل به ربه؟ فليحرص على ألا يفقـده الله حيـث أمـره، أو يراه حيث نهاه؛ لأنه سوف يرجع إلى الله وينبئه بعمله.

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الموت قد يطلـق عـلى الـشيء الذي لم تسبق موته حياة؛ لقوله (وكنتم أمواتا فأحيكم»؛ فإن المراد بالميت ـ هنا ـ من لم تنفخ فيه الروح.

ج
ثم قال الله ـ عز وجل -: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسونهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ؟ . قولـه ـ تعالى ـ: « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا »؛ أي: أوجده لكم لمنافعكم ومصالحكم؛ عناية بكم ورحمة، و«ما» هنـا: اسـم موصول عام شامل لكـل مـا في الأرض، وأكـد هـذا العمـوم بقولـه جميعا، ثـم بعـد خـلـق هـذا * أستوى إلى السماء * عـلا إليهـا، فسونهن سبع سموات*؛ أي: أتمهن وأكملهن سبع سماوات، * وهو بكل شيء عليم»؛ فهو مع علوه ـ عز وجل ـ على هذه السموات السبع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، بل هـو بـكـل شيء عليم، وهذه الآية لها صلة بها قبلها؛ حيث تدل على عناية الله - سبحانه وتعـالى بنا، وتيسيره، وتسهيله.

فوائد هذه الآية الكريمة:
1- أن الخالق هو الله - عز وجل - هو الذي خلق لكم ما في الأرض و جميعا ، وأنه لا خالق إلا الله، وقد تحدى الله - سبحانه وتعالى - الخلق أن يخلقوا شيئا ولو قل؛ كما في قوله: « إن الذين تدعوت من دون الله لن تتخلقوا ذبابا ﴾ [المؤمنون: 73]، وكما في قوله - تعالى -: أفرءيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخلفون﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]،

وقوله: «أفرءيتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخلفون﴾ [الواقعة: 63، 64]، وقوله - تعالى -: «أفرءيتم الماء الذي تشربون في أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ [الواقعة: 68، 69]، وقوله: «أفرءيتم النار التي تورون و أنتم أنشائم شجرتها أم نحن المنشوت ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢]؛ فالله ـ تعالى ـ هو الخالق لكل ما في الأرض.

٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأصل في كل مـا في الأرض مـن أعيان ومنافع الحل والإباحة؛ لأن اللام بمعنى الإباحة هنا؛ فكل مـا في الأرض من الأعيان والمنافع الأصل فيه الحل، ومن ادعـى تـحـريـم شيء منه فعليه الدليل، وهذه القاعدة قاعدة مهمة نافعة تنفعك في كثير مـن المسائل، فعندما يختلف اثنان في حـل هـذا المأكول أو تحريمـه نـقـول: الأصل الحل، فمن يدعي أنه حرام عليه الدليل، وعندما يختلف اثنـان في عمل في الأرض، من حراثة أو غيرها، فإننا نقول: الأصل الحـل إلا ما قام الدليل على تحريمه؛ وعلى هذه القاعدة يجـوز للإنسان أن يتمتع بكل ما في الأرض من مأكول ومشروب، ولا حرج عليـه في ذلـك إلا أن يقوم دليل على التحريم.

ولو تنازع رجلان في حل حيوان، فقال أحدهما: هذا حلال، وقـال الثاني: هذا حرام؛ فإن القول: قول من يقول بأنـه حـلال حتى يوجـد مدعي التحريم دليلا على أنه حرام.

3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان فضل الله ـ عز وجل ـ عـلى عباده؛ حيث وسّع لهم هذه التوسعة البالغة بأن كل ما في الأرض فهـو
حلال لهم.

ج
٤- ومن فوائدها: أن الأرض خلقت قبل السماء؛ لقوله ـ تعالى ـ: و خلق لكم ما في الأرض

جميعا ثم أستوى إلى السماء فسولهن، وهذا هو الذي تدل عليه آية فصلت؛ كما قال ـ تعالى :
(قل أينكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذالك رب العالمين (
وجعل فيها رواسي من فوقها وبترك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للشايلين
ع ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أنتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طابعين :
ففضلهن سبع سنوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح
وحفظا ذالك تقدير العزيز العليم ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢] وأما الآيات في قوله ـ تعالى ـ: (أنتم أشد
خلقا أمر السماء بنها ي رفع سمكها فسونها ن وأغطش ليلها وأخرج ضمنها (والأرض بعد
ذالك تحتها و أخرج منها ماءها ومرعنها والجبال أرسلهاي متعال ولانعلمك ﴾ [النازعات: ٢٧ -
٣٣] فإنها لا تنافي هذه الآية، ولا آية فصلت؛ لأن قوله: «والأرض بعد ذلك دحتها * يدل على
أن دحو الأرض كان
ع
بعد خلق السماء، وأما خلق الأرض فإنه كان سابقا على خلق السماء.

ا
هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمـة: إثبـات علـو الله ـ عز وجل - بذاته؛ لقوله: « ثم استوى إلى
السماء ، وقد سبق أن ذكرنا هذا، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عباده، وأن له العلو المطلق،
علو الذات، وعلـو الصفة؛ فعلو الذات هو أنه ـ سبحانه وتعالى ـ فـوق كـل شيء، وعلـو الصفة
هو أن جميع صفاته عليا كـامـلـة، ليس فيهـا نقـص بـوجـه مـن الوجوه، وهذا مذكور في عدة
آيات من القرآن؛ في قوله: «قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ [المؤمنون:
86]، وفي قولـه: «الله الذي خلق سبع سنوات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق: ١٢]، ، "ما الأرض
فلم تذكر صريحة بهذا العدد في القرآن الكريم، ولكن في القرآن إشـارة إلى أنها سبع؛ وذلك
في قوله ـ تعالى ـ: « الله الذي خلق سبع سنوات ومن الأرض مثلهن ﴾ [الطلاق: ١٢]، فإن
المثلية هـنـا ليست في الصفة ولا في الحجم؛ لأن السماء أعظـم مـن الأرض، وأوسع، وأكبر،
ولكنهـا في العدد، وأما السنة فقد جاءت صريحة بأن الأرضين سبع: «مـن اقتطـع شبرا من
الأرض ظلها؛ طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»). 6 ـ ومن فوائد هذه الآية
الكريمة: عموم علم الله، وأنـه ـ سـبحانه وتعالى ـ عليم بكل شيء، وهذا مكرر في القرآن الكريم
كثيرا؛ مثل قوله ـ تعـالى -: « لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم (٣١٩٨)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٠)، واللفظ له.

عاما﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا العلم علم كامل ليس فيه نقص بوجه من الوجوه؛ لقوله ـ تعالى ـ: « إن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران: 5]، وقوله: «وما يعرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾ [يونس: 61].

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قال ربك للملتبكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون .

. في هذه الآية الكريمة يبين الله - سبحانه وتعالى ـ لعباده ما جرى بينه وبين الملائكة حول خلق آدم وذريته، فيقول * وإذ قال ربك، وهذا التركيب كثير في القرآن؛ أعني: «إذ» التي تُبدأ بها القصة، قال أهل العلم: وهي منسوبة لفعل محذوف تقديره «اذكر». وإذ قال ربك للملتيكة إني جاعل في الأرض خليفة »، والملائكة هم عالم غيبي خلقوا من نور، خلقهم الله - عز وجل ـ لعبادته؛ فقاموا بها؛ فكانوا يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ أنه جعلهم رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال لهم ـ عز وجل -: إني جاعل في الأرض خليفة»، خليفة لمن سبقه؛ وذلك لأن الجان قد سبق خلقهم خلق آدم؛ كما قال ـ تعالى ـ * ولقد خلقنا الإنسان من

صلصل من حمإ مسنون ع والجان خلقته من قبل من نار الشموم »
[الحجر: ٢٦، ٢٧]

وكان الجن قد أفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فلما قال الرب -عز وجل - للملائكة: «إني

جاعل في الأرض خليفة ← قالوا مستفهمين: «قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مستفهمين بهذا الاستفهام؛ لأنهم يعلمون أن الله ـ تعالى ـ لن يفعل شيئا إلا لحكمة، فقال الله لهم: «إني أعلم ما لا تعلمون»؛ يعني: أن عنده ـ عز وجل ـ من العلم ما ليس عند الملائكة، وهو عالم ـ جل وعلا ـ بأن هذه الخليفة سيكون منها الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، ونعم الخليفة يكونون لمن سبقهم.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:

1- إثبات القول الله ـ عز وجل، وأنه يقول بصوت مسموع وحروف متتالية؛ لأن هذا هو الكلام المعروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وعلى هذا جرى السلف الصالح ومن تبعهم من الأئمة بأن الله ـ تعالى ـ يتكلم بكلام مسموع بحروف متتالية، وأنه يقول كذلك قولا بحروف متتابعة، وصوت مسموع، والأدلة على ذلك كثيرة جدا.

٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: عناية الله ـ عز وجل ـ برسوله

محمد ﷺ؛ وذلك بإضافة ربوبيته ـ تعالى ـ إليه؛ أي: إلى الرسول ﷺ حيث قال: «وإذ قال ربك للملتبكة » ، والربوبية الخاصة تقتضي عناية أكثر وأتم؛ وذلك أن ربوبية الله ـ تعالى ـ عامة وخاصة؛ فالعامة الشاملة لجميع الخلق المقتضية للملك والتدبير، تدبير شئون الخلق عموما؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: (قل أعوذ برب الناس و ملك الناس إله الناس (من شر الوسواس الخناس و الذي يوسوس في صدور الناس لها من الجنة والناس ﴾ [الناس: ١-٦].

فقال: (قل أعوذ برب الناس ﴾ [الناس: 1]، عموما الآيات في هذا

كثيرة.

وأما الربوبية الخاصة: فهي التي يضيفها الله ـ عز وجل ـ إلى سادات البشر؛ كالأنبياء ونحوهم.

3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات الملائكة؛ لقوله: «وإذ قال ربك للملتيكة»، وأن الملائكة لهم عقول؛ فهم يتكلمون ويحاورون؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال لهم: «إنى جاعل في الأرض خليفة »، وفي هذا

إبطال لقول من قال: إن الملائكة عبارة عن القوى الخيرية أو الخيّرة، وليست أجساما تتكلم أو

تسمع؛ فإن هـذا قـول باطـل يـرده الكتـاب والسنة وإجماع الأمة.
٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قيام الأفعال بالله ـ عز وجل ؛

لقوله: «إني جاعل في الأرض خليفة »؛ فإن الجعل يقتضي إيجـاذا بعـد عدم، وهو كذلك، والله ـ عز وجل ـ موصوف بصفات الذات اللازمة لذاته، وبصفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وحكمتـه، هـذا هـو مـذهب السلف وأئمة الأمة.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى أن للأرض عمّارا قبل آدم وذريته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إني جاعل في الأرض خليفة »؛ أي: يخلفون من سبقهم.

6 ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الأمم السـابقة على آدم وذريته كان فيهـم مـن الـشر، والفساد، وسـفـك الـدمـاء مـا اقـتـضـى أن تـسأل الملائكة ربها ـ عز وجل ـ: هل يجعل في هذه الخليفـة مـن يـكـون كـمـن سبقهم؟ لقولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . ومن فوائد هـذه الآية الكريمة: تعظـيـم شـأن الـدماء؛ ولهـذا خصتها الملائكـة بـالـذكر في قـولهم: «من يفسد فيها ويسفك الدماء » وإلا فمن المعلوم أن سـفـك الـدمـاء مـن الفساد في الأرض، لكـن لمـا عطف على العام وهو خاص؛ دل ذلك على أهميته، وأنـه مـن أعـظـم الفساد في الأرض.

ه. ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الملائكـة ـ عـلـيـهـم الـصلاة والسلام ـ قد شغلوا أوقاتهم في تسبيح الله وتقديسه؛ وتسبيح الله معناه

تنزيهه عن كل عيب ونقص؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ منزه عـن العـيـوب والنقائص، سواء أكان النقص في صفة كاله، أو كـان نقـضـا مـستقلاً، وكذلك نقول في العيوب؛ فينـزه الله ـ تعـالى ـ عـن الـوصـف بـالعجز، والجهل، والعمى، والموت، وما أشبه ذلك من الصفات

الناقصة، وتُنزه صفاته الكاملة عن أن يلحقها شيء من النقص؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب» [ق: ٣٨]، فمع خلق هـذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة القصيرة لم يلحقه ـ عز وجل ـ لغوب؛ وهو التعب والإعياء، وينـزه - عز وجل ـ عن مشابهة المخلوقين؛ لأن مشابهة الناقص نقص؛ قال الله ـ تعالى -: (وهو السميع البصير [الشورى: 11]، إذن الـذي ينـزه الله عنـه ثلاثة أشياء: مشابهة المخلوقين، والنقص المجرد، والنقص في صـفات كـالـه. وقـولهم ـ أي: الملائكـة -: «ونقدس لك، ولم يقولـوا: (نقدسـك)، يستفاد منه إخلاص الملائكة الله - عز وجل -؛ فإن اللام هنا للاختصاص، وإلا فإن الفعل يتعدى بنفسه، لكن عدي بـاللام إشـارة إلى إخلاصهم، وأن التقديس خالص لله ـ تعالى ـ وحده. 9ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان كمال علم الله؛ لقوله: «إنى أعلم ما لا تعلمون ؟ .
١٠ـ ومن فوائدها: إثبات التفضيل في صفاته؛ حيث قال: «أعلم

ما لا تعلمون »، وفي ذلك رد على من إذا مروا على مثل هذه الآية التي فيها اسـم التفضيل حولـوا اسـم التفضيل إلى اسـم فـاعـل. وقـالوا: «أعلم»؛ أي:«عالم»؛ فإن هذا صرف للكلام عن ظاهره بـلا دليـل، وفي الوقت نفسه هو تنقيص من المعنى؛ لأن«أفعل التفضيل» تمنع المشاركة في الكمال، لكن اسم الفاعل» لا يمنع المشاركة في الوصف، بل لا يمنع المساواة والماثلة أيضا، وفي هذا دليل على نقص علـم المخلـوق؛ وعـلى هذا فإذا أشكل عليك شيء فكل علمـه إلى مـن هـو بـكـل شيء علـيم، وهو الله - عز وجل ـ.

ثـم قـال الله ـ تعـالى -: «وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملتيكة فقال أنيثونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين قالوا سبحنك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

يخبر الله - عز وجل ـ في هاتين الآيتـين عـن تعليمـه لآدم ـ وهـو أبو البشر ـ الأسماء كلها؛ فقد علمه أساء كل شيء يحتاج إليه البشر، ثـم عرض هذه المسميات على الملائكة؛ فقال: «أنبونى * ؛ أي: أخـبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين » ؛ ليريهم ـ عز وجل ـ مقدار علمه، وأن علمهم ناقص؛ حيث جهلوا أسماء هـذه المسميات، فإذا جهلـوا أسماء هذه المسميات؛ فإنهم بجهل المستقبل لهذه الخليفة التي أخـبرهم

الله ـ تعالى ـ بأنه سيجعلها في الأرض مـن بـاب أولى وأحـرى، وقـال: ثم عـرضهم ولم يقل:«عرضها»؛ أي: الأساء؛ لأنـه عـرض عليهم المسميات؛ كـا يـدل عليه قوله: «فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين ، فيما عندكم من العلم، وقالوا سبحنك؛ أي: ننزهـك أن يكـون لـدينـا عـلـم بـشيء، ولا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم.

فوائد هاتين الآيتين:

١- في هاتين الآيتين إظهار الله - عز وجل ـ لفضل آدم؛ حيث علمه ـ سبحانه وتعالى ـ أسـاء كـل شيء يحتاج إليـه؛ لقوله: «وعلم ادم الأسماء كلها ؟.

٢ـ ومن فوائدها: حكمة الله - سبحانه وتعالى ـ في امتحان الملائكـة بعرض هذه المسميات التي علم آدم بأسمائها حتى يتبين نقصان علمهم. ٣ـ ومن فوائدها: إثبات كـلام الله - عز وجل ، وأنـه بـصـوت مسموع وحروف متتابعة؛ كما في قوله: «أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صدقين *

4 - تنزيـه الملائكـة الله - عز وجل ـ وتعظـيـمـهـم لـه لـقـولهم: سبحنك ، وقد سبق ـ فيما مضى ـ ذكر ما ينزه الله عنه من النقائص، والعيوب، ومماثلة المخلوقين.

هـ أن جميع العلوم التي عند المخلوقات من عند الله؛ لقول الملائكة: «لا علم لنا إلا ما علمتنا * وإن كان هذا في الملائكة الذين هم من المزية والفضل ما هم أهل له، فغيرهم من باب أولى؛ ولهذا لا أحد يحيط بعلم الله؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رج
ع
ع

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمـة: إثبـات اسـمين مـن أسـاء الله؛ وهما: «العليم» و«الحكيم»؛ فأما العليم: فهو ذو العلم الكـامـل المحيط بكل شيء، وقد سبق لنا بيان إحاطة علم الله ـ تعـالى ـ بـكـل شيء جملة وتفصيلا، وأما الحكيم: فهو من الحكم والإحكام أيضا؛ فالله ـ تعـالى - له الحكم في الأولى والآخرة، له الحكم الكوني والشرعي؛ فلا حـاكـم في الخلق إلا الله، ولا حاكم بينهم إلا الله، وأما الحكمة أو الإحـكـام: فهـو إتقان الشيء بحيث يكون كل شيء في موضعه؛ ولهذا قـالوا: الحكمة هي وضع الشيء في مواضعه، وبذلك يتبين كـال الله ـ عـز وجـل ـ في العلم والحكمة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «قال يتقادم أنبتهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمونه.

في هذه الآية ينادي الله ـ عز وجل ـ آدم، فيأمره أن ينبئ الملائكـة بأسماء هؤلاء المسميات؛ من أجل أن يظهر فضل آدم بها أعطاه الله مـن علم هذه الأسماء ومسمياتها، فلا أنبأهم آدم بأسمائهم؛ أي: بأساء هذه المسميات، قـال الله ـ تعالى ـ مخاطبا الملائكة: «ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض؛ أي: ما غـاب في السموات والأرض عـن مشاهدة غير الله - عز وجل ، ويشمل هذا ما غاب عـن المخلوقين في مكان آخر ليسوا فيه، وما غاب عن المخلوقين من علم المستقبل، وكون الله ـ عز وجل ـ يعلم غيب السموات والأرض يقتضي ـ في الأولـويـة - أن يكون عالما بالشهادة، وقال: «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»؛ أي: ما تبدونه وتظهرونه، وما كنتم تكتمون فلا تبدونه.

من أحكام وفوائد هذه الآية:
1ـ إثبات كلام الله ـ عـز وجـل ـ، وأنـه يـتـكـلـم بـصوت مسموع وحروف متتابعة، وهذا هو مذهـب أهل السنة والجماعـة: أن الله يتكلم
بصوت مسموع وحروف متتابعة، يسمعه المخاطب ويفهمه. ٢ـ وفيها من الفوائد العظيمة:

المعنى النفسي القائم بالنفس؛ فإن الكلام بهذا المعنى ليس بكلام ولا
يسمع.
3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضل آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ با علمه سبحانه وتعالى من هذه الأسماء ومسمياتها. ٤ـ ومن فوائدها أيضا: منة الله - سبحانه وتعالى ـ على الملائكة با أظهر لهم من علمه، وأنه محيط بكل شيء؛ فإن من تمام نعمة الله على عبده أن يبين له الحق بالطرق التي يطمئن إليها، ولو شاء الله - عز وجل ـ لم يبين الحق، ولترك الإنسان يعمه ويضيع في ضلاله؛ ويتفرع على هذا أنه يجب على الإنسان أن يشكر الله - سبحانه وتعالى ـ على ما يعلمه الحق الذي قد يضل عنه كثير من الناس.
من

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات عموم علم الله؛ لقوله: «ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض»، وذلك أن العالم بالغيب عالم بالشهادة من باب أولى.

6 ـ ومن فوائدها أيضا: تذكير المخاطب با كان من قبل؛ لأن الله - تعالى ـ قال للملائكة: « ألم أقل لكم إني أعلم غيب الشموت والأرض، يقرر ذلك ـ عز وجل ـ عليهم؛ ليبين لهم أن ما قاله لهم هو الحق المطابق للواقع.
ـ ومن فوائدها: عموم علم الله - سبحانه وتعالى ـ با فعله خلقه؛

لقوله: «وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمونه.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن للملائكة إرادة وقدرة على أعمالهم وأفعالهم، وهذا فيه تكذيب دعوى من ادعى أن الملائكة ليس لهم عقول، بل الملائكة لهم عقول بلا شك، ولهم إرادات، ولهم قدرة على الأعمال، يؤخذ هذا من قوله: «وأعلم ما تبدون وما كنتم

تكتمون»؛ فإن هذا يدل على أن الملائكة تبدي ما تبدي، وتكتم ما تكتم، وهذا لا يكون إلا عن علم، وإرادة، وقدرة.

ثم قال ـ تعالى -: ﴿وإذ قلنا للمليكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكفرين ﴾ [سورة البقرة: 34]. في قوله: «وإذه كلمة مقدرة يبينها السياق، والتقدير: «واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»؛ يعني: اذكر هذه القضية، منوها بفضل آدم ـ عليه الصلاة والسلام؛ حيث أمرت الملائكة أن يسجدوا له؛ تعظيها واعترافا بما وهبه الله من الفضل، لكن هذا السجود ليس سجود عبادة يكون كسجود المخلوق للخالق، بل هو سجود تعظيم مجرد من التعبد، وقوله: «وإذ قلنا للملتيكة» يشمل جميع الملائكة؛ لأن الأصل في صيغة العموم أن تكون شاملة لجميع أفرادها ما لم يكن هناك دليل على التخصيص، أو إرادة التخصيص.

وبين الله - عز وجل ـ أن الملائكة لما أمروا بالسجود لآدم سجدوا

ولم يستنكفوا عن أمر الله - عز وجل ـ إلا إبليس؛ فإنه أبى واستكبر؛ أبى أن يسجد، واستكبر عن السجود، والجمع بين الإباء والاستكبار يدل على أن إباءه لم يكن لعذر أو لمانع يعذر به، وإنما كان عن استكبار في قلبه، وقد بين الله - سبحانه وتعالى ـ في آيات أخرى سبب إبائه واستكباره؛ حيث قال: « قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال: « أسجد لمن خلقت طيئا ﴾ [الإسراء: 61]. وقوله هنا: «إلا إبليس» اختلف أهل العلم في هذا الاستثناء هل استثناء متصل أم هو استثناء منفصل؟ فمنهم من قال: إن الاستثناء هنا متصل؛ لأنه الأصل في الاستثناء؛ أي أن الأصل في الاستثناء أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ومنهم من قال: إن الاستثناء منقطع؛ أي أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه؛ واستدل هؤلاء بقوله - تعالى - : * إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه * الكهف: 50]، فقال: «إن إبليس كان من الجن»، ويقول النبي ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»، وهذا القول أرجح، لكنه يشكل عليه كيف يكون إبليس من غير الملائكة ويصح أن يتوجه إليه الخطاب في قوله: هو
واسجدوا لأدم ؟؟

(1) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦).

والجواب عن هذا أن نقول: صح أن يتوجه إليه الخطاب؛ لأنه كـان في عامتهم؛ أي: أنه كان معهم يعمل بعملهـم، ويتعبـد كـا يتعبـدون، لكن غلب عليه الطبع الخبيث، فلا أمر بالسجود لآدم رأى أنـه فـوق مرتبـة آدم، وأن الأعـلى لا يمكـن أن يعظـم الأدنى، فحملـه إعجابـه بنفسـه، واحتقاره لآدم على أن يستكبر عن أمر الله ـ عز وجل ، وبهذا يزول الإشكال، وهنا قال: «أبى واستكبر وكان من الكفرين » ؛ كـان من الكافرين بإبائه واستكباره؛ وعلى هذا فلا تكون «كان» هنا دالة على المضي، ومنهم من قال: إن «كان» دالة على المضي، ولكنـه كـان في علـم الله من الكافرين، والأول أصح؛ أي أن المراد بهـا مجـرد بـيان اتـصاف اسمها لخبرهـا، وهـذا مـوجـود في القرآن كثيرا؛ أي أن تـأتي «كـان» مسلوبة الدلالة على الزمن، ويكون المراد بها مجرد تحقيق الصفة، ويقـع ذلك كثيرا في صفات الله ـ عز وجل ؛ ألم تر إلى قوله : (وكان الله عليما حكيمًا ﴾ [النـــــاء: 17]، وقولـه: (وكان الله غفورا رحيما » ﴾ * *
[النساء: 96]، مع أنه لم يزل ولا يزال كذلك؟

فوائد هذه الآية الكريمة:

١ـ بيان فضيلة آدم؛ حيث أمر الملائكة الكرام بأن يسجدوا له.

٢ـ أن عبادة الله هي طاعته حتى في الأمر الذي لولا أمره بـه لـكـان شركا؛ فالسجود لغير الله شرك، ولكن إذا كان بأمر الله كان طاعة؛ كا

أن قتل النفس التي حرم الله بغير حـق مـن كـبـائـر الـذنوب، وإذا وقع امتثالا لأمر الله كان من الطاعة؛ فهذا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - أمره الله أن يقتل ابنه، وقتله من كبائر الذنوب بلا شك، ومع ذلك كان امتثال إبراهيم لهذا الأمر من أرفع المقامات لإبـراهيم ـ عـلـيـه الـصلاة والسلام ـ، ولكن الله ـ عز وجل ـ لما ابتلاه واختبره بهذا الأمر العظيم، وعلم ـ عز وجل ـ أنّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ منفـذ لأمـره حتى تله للجبين ليذبحه نزل الفرج من الله -

سبحانه وتعالى ـ بنسخ هذا الأمر: « وفدينه بذبح عظيم ﴾ [الصافات: ١٠٧]، أقول: إن في هـذه * الآية دليل على أن الشيء قد يكون كفرا أو كبيرة فإذا وقع بأمر الله كـان
طاعة وقربة.

من
3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إجراء الأحكام على الظاهر، وأن من كان متظاهرا بعمل قوم فهو منهم ظاهرا؛ ولهذا صـح توجـه الخطـاب الله للملائكة إلى إبليس مع أنه ليس من جنسهم، لكنه لما كان فيهم يعمل عملهم توجه الخطاب إليه، وهكذا كان الرسول ﷺ يعامـل مـن تلبس بالإسلام ظاهرا معاملة المسلمين؛ ولهذا لم يقتل المنافقين مع أنهـم كفار؛ كا قـال ـ تعالى ـ: « ذلك بأنهم ءامنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ [المنافقون: 3]، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عـاملهم
معاملة الظاهر.

٤ـ وفي هذه الآية الكريمة من الفوائد الحذر من الرجس والسريرة الخبيثة؛ لأن إبليس غلبه ما في قلبه من الرجس والسريرة الخبيثة حتى استكبر وأبي؛ فرجع إلى أصله، فالواجب على المرء الحذر من مثل هـذه السريرة التي تكون في القلب، وأن يصقل قلبـه دائـما منـهـا؛ حتى لا توقعه في الهلاك، وقد صح عن النبي ﷺ: أن الرجل يعمل بعمل أهـل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار؛ ففي الصحيحين عـن سـهـل بـن سـعـد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ التقى هـو والمشركون فاقتتلوا، فلـا مـال رسـول الله ﷺ إلى عسكره، ومـال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسـول الله رجـل لا يـدع لهـم شاذة ولا فاذة)، إلا اتبعه يضربه بسيفه؛ فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كا أجزأ فلان؛ فقال رسول الله ﷺ:«أما إنه من أهل النار»؛ فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه، كلـهـا وقـف وقـف مـعـه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامـل عـلى سـيفه؛ فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسـول

(1) أي: أنه لا يدع أحدا؛ على طريق المبالغة، قال ابن الأعرابي: يقال: فلان لا يدع شاذة ولا فاذة إذا

كان شجاعا، لا يلقاه أحد إلا قتله.

(٢) ذباب السيف: طرفه.

الله، قال:«وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهـل النـار، فأعظم الناس ذلك، فقلتُ: أنا لكم به، فخرجتُ في طلبه ثم جـرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه؛ فقتل نفسه؛ فقال رسول الله ﷺ عند ذلك:«إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهـل النّار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهـل الجنة»(1)، وهذا يدل على أن في قلب الرجل سريرة أدت به إلى أن يقتل نفسه، فالواجب على المرء أن يتفقد قلبه في كل وقت وفي كل حين؛ حتى يطهره ويمحصه؛ لئلا تسوء خاتمته.

5ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ترك السجود الله - عز وجل - كفر، وقد استدل بهذه الآية من قال: إن تارك الصلاة يكفـر، فقـال: إن إبليس كفر؛ لترك سجدة واحدة أمر بها لغير الله، فما بالـك بمـن يترك صلاة أمر الله بها، وأن تكون لنفسه ـ عز وجل ، فيكون كفره من باب أولى، والاستدلال بهذه الآية على هذه المسألة فيه شيء من البحث والنظر ـ والله أعلم.

(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقال فلان شهيد، رقم (٢٨٩٨)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢).

ثـم قـال الله ـ تعالى ـ: « وقلنا يتقادم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين *. في هذه الآية الكريمة يخبر الله ـ عز وجل ـ أنه قال لآدم ممتنا عليه : أسكن أنت وزوجك الجنة »، وزوجه هي حواء التي خلقها الله ـ تعالى من ضلع آدم؛ فهي من أب بلا أم، والمراد بالجنة: إما جنة الخلد التي هي مأوى المتقين، وإما جنة في الدنيا، بستان ذو أشجار كثيرة، للعلاء في هذا قولان؛ القول الأول: أنها جنة المأوى التي هي مأوى المتقين، والقول الثاني: أنها جنة في الدنيا في الأرض، وهي عبارة عن بستان ذي أشجار كثيرة، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنها جنة المأوى، جنة الخلد التي وعد المتقون؛ لأنها هي المعلومة

عند الإطلاق، والأصل أنه إذا كان للّفظ
معنى مفهوم عند الإطلاق؛ فإنه يحمل عليه إلا بدليل يدل على خلاف ذلك، وهذه القاعدة مفيدة في علم التفسير وغيره، أن الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل على
خلاف ذلك.

وأذن الله لها أن يأكلا من هذه الجنة رغدا بطمأنينة، وسعة، وكثرة حيث شاءا من أي مكان إلا أنه ـ سبحانه وتعالى ـ نهاهما عن قرب شجرة عينها لها بالإشارة فقال: «ولا تقربا هذه الشجرة ؟ ـ ولم يبين الله - سبحانه وتعالى ـ جنس هذه الشجرة؛ لأنه ليس هناك ضرورة إلى

معرفة جنسها، المهم معرفة القضية ومغزاها، وبيّن ـ سبحانه وتعالى - أنها إذا قربا هذه الشجرة وأكلا منها؛ فإنها يكونان من الظالمين، الظالمين لأنفسها؛ لتعرضها لما حصل؛ حيث أخرجها أكلها من
الجنة.

من فوائد هذه الآية:
1ـ إثبات القول الله، وأنه ـ عز وجل ـ يخاطب من شاء من عباده بصوت مسموع وحروف مرتبة (وقلنا يتقادم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا ﴾ الآية.

٢ـ ومن فوائدها: امتنان الله - سبحانه وتعالى ـ على آدم؛ حيث أسكنه وزوجه الجنة.
3ـ ومن فوائدها: بيان قدرة الله ـ جل وعلا ـ حيث خلق حواء من ضلع آدم من أب بلا أم، قال أهل الجنة: والإنسان باعتبار مبدإ خلقه أربعة أقسام: قسم خلق بلا أم ولا أب؛ مثل آدم؛ فإن الله خلقه من تراب ثم قال له: كن؛ فكان، وقسم خلق من أب بلا أم وهي حواء؛ خلقت من ضلع آدم، وقسم خلق من أم بلا أب وهو عيسى ابن مريم، والقسم الرابع من خلق من أبوين؛ أي: من أم وأب وهم سائر البشر، ومع هذا فإن الله ـ تعالى ـ يخلق ما يشاء و يهب لمن يشاء إننا ويهب لمن يشاء الذكور من أو يزوجهم ذكرانا وإننا وتجعل من يشاء

عقيما ﴾ [الشورى: ٤٩ ـ 50]، ففي هذه ـ أيضا ـ أن الناس أربعة أصناف من حيث الإنجاب وعـدمـه؛ فمنهم من يهبه الله ذكورا بلا إناث، ومنهم من يهبه الله إناثا بلا ذكـور، ومنهم من يزوجه الله؛ أي: يجعل نسله صنفين، والزوج بمعنى الصنف في هذه الآية، ولها نظائر؛ أي: أن الزوج يراد به الصنف؛ كما في قوله: (وءاخر من شكله أزواج » [ص: 58]، وقوله: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات: ٢٢]؛ أي: أصنافهم ونظراءهم، والصنف الرابع من يجعله عقيما لا يولد له، وكل هذا بقدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحكمته.

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإنسان ربما يختار ما هو أدنى على ما هو خير، لما تسول به نفسه له، فهنا آدم وحواء أذن الله لهـا أن يـأكلا رغدا مـن حيـث شـاءا ومنعهـا مـن شـجرة واحـدة (ولا تقربا هذه الشجرة» ومع ذلك حصلت منها مخالفة.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن التعيين يـكـون بالإشارة كا يكـون بـالنطق؛ لقوله: (ولا تقربا هذه الشجرة»؛ ولهـذا لـو قـال الرجل: «زوجتي هذه طالق»؛ طلقت، وإن لم يسمها، ولو قال الرجـل: «زوجتك ابنتي هذه»؛ انعقد النكاح وإن لم يسمها مـا دامـت تعينـت بالإشارة، فالمهم أن في الآية دليلا على أن التعيين، كـا يـكـون بـالنطق يكون ـ أيضا ـ بالإشارة.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه إذا أريـد حمـى المحـارم نهـي عـن قربها، وذلك حيث تدعو النفس إلى فعل هذا المحرم والقرب منه، فـإن
النهي يأتي عن قربه؛ كما في قولـه ـ تعالى ـ: (ولا تقربوا الزي إنه كان فحشة وساء سبيلا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقـال ـ تعـالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [الإسراء: 34]؛ فإن الزنى قـد تـدعو النفس إلى قربه وانتهاكه، وكذلك مال اليتيم لما لم يكن له من يحميه فإن النفس قد تتجرأ عليه فنهي عن قربه.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإقدام على المحارم ظلم؛ لقوله: «فتكونا من الظالمين»، ووجه كونه ظلما أن نفس الإنسان عنده وديعة وأمانة فيجب عليه أن يرعاها حق رعايتها، وألا يقدم على شيء يكون فيه مضرتها، فإن فعل فقد ظلمها؛ كما قال الله ـ تعالى -: ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ البقرة: 57]، وقال: (وما ظلمتهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ [هود: 101]، والآيات في هذا المعنى
كثيرة.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى : (فأزلهما الشيطن عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكن في الأرض مستقر
ومتنع إلى حين ؟ .

قوله: «فأزلهما »؛ أي: أوقعها في الزلل، أو أزاحها، وأزلقها. الشيطن علم أو وصف لهذا المخلوق الذي قال الله عنه: «إنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه، ليكونوا من أصحب الشعير [فاطر: 6]، وهو من«شاط»؛ بمعنى: «غضب»، أو من «شطن»؛ بمعنى: «بعد»، والاشتقاق الأخير أصح؛ فالنون فيه أصلية، ولا شك أن الشيطان أبعد من يكون عن رحمة الله ـ عز وجل ـ. وقوله: «فأزلهما الشيطن عنها؛ أي: عن هذه الشجرة؛ وعلى هذا تكون عن» للسببية؛ كقوله ـ تعالى ـ: «وما فعلته عن أمرى » [الكهف: ٨٢]؛ أي: ما فعلته فعلا صادرا عن أمري، وهنا تكون فأزلهما الشيطن عنها؛ أي: إزلالا صادرا عن هذه الشجرة، وذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير في قوله: «عنها يعود إلى الجنة؛ أي: أزلها الشيطان عن هذه الجنة؛ بسبب المعصية التي فعلها آدم؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: «وعصى ءادم ربه، فغوى﴾ [طه: ١٢١] فأخرجهما مما كانا فيه ؛ أي: كان سببا في إخراجها مما كانا فيه من النعيم في هذه الجنة؛ وذلك بأن وسوس لها، «وقاسمهما إني لكما لمن التصحين ﴾ [الأعـراف: ٢١]، « قال يتقادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يلى ب فأكلا منها ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١]، مع أن الله ـ تعالى ـ قد نهاهما عن ذلك، وحينئذ أمرهما الله ـ تعالى ـ أن يهبطا منها فقال:

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو »، والضمير في قوله: «أهبطوا » يعود على آدم وحواء، ووجة الخطاب إليها بصيغة الجمع إما لأن أقل الجمع اثنان ـ كما قيل به ـ أو لأن الخطاب يشملها ويشمل ذريتها؛ فإن ذرية آدم في صلبه، فإذا هبط هبطت الذرية، وقيل: إن الضمير يعود على آدم، وحواء، وإبليس، وأن الله أمرهم أن يهبطوا إلى الأرض بعد أن كانوا في السماء.

وقوله: «بعضكم لبعض عدو » يعني: أن الشيطان عدو لآدم، وزوجه، وبنيه؛ كما قال ـ تعالى ـ: « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه، ليكونوا من أصحاب الشعير﴾ [فاطر: 6]. وقوله ـ عز وجل -: «ولكن في الأرض مستقر ومتنع إلى حين؟ المستقر : موضع القرار، والمتاع: ما يتمتع به الإنسان من طعام، وشراب، ولباس، وغيره، ولكن هذا المستقر والمتاع مؤجلان إلى أجل، إلى حين، وهو موت الإنسان؛ فإن الإنسان إذا مات انقطع متاعه من الدنيا، وانتقل منها إلى دار الجزاء، وهذا «الحين» غير معلوم، لا بالنسبة لكل واحد من الناس، ولا بالنسبة للجميع؛ فإن الله - سبحانه وتعالى -
قال: «وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن جهل مكان موته فهو بجهل زمان موته أولى، وقال ـ عز وجل ـ عن الساعة: ويسئلونك كأنك خلى عنها قل إنما علمها عند الله ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فوائد وأحكام هذه الآية:
١ - بيان عداوة الشيطان للإنسان؛ لقوله: «فأزلهما الشيط عنها؛ فإن من عداوته أنه كان سببا في إغواء آدم وزوجه حتى خرجا من هذه الجنة التي أسكنها الله ـ عز وجل ـ فيها. ٢- إثبات الأسباب؛ لقوله: «فأخرجهما مما كانا فيه ، وسبب هذا الإخراج أنه لما أكل آدم وزوجه من الشجرة «بدت لهما سوء هما وطفقا تخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأمرهما الله ـ عز وجل ـ بالخروج منها.

3- ومن فوائد الآية الكريمة: إضافة الشيء إلى سببه، وأن للأسباب تأثيرا في مسبباتها؛ لقوله: «فأخرجهما مما كانا فيه ؟؛لأن الذي أخرجها هو الله - عز وجل ـ، أمرهما أن يهبطا من الجنة، ولكن السبب في هذا الإخراج هو الشيطان، فنسب الإخراج إليه؛ لأنه سببه، ولا ريب

أن الأسباب مؤثرة في مسبباتها، ولكن تأثيرها في مسبباتها من الله - عز وجل ؛ فهو الذي أودع فيها هذه القوة المؤثرة. وقد انقسم الناس في الأسباب على طرفين ووسط؛ فطرف من الناس غلا في إثبات الأسباب حتى جعلها مؤثرة بنفسها، وأنكر ما يخرج عن سنة الأسباب، ومن الناس من فرط فيها ولم يجعل لها أثرا في مسبباتها، وقال: إن المسبب يحدث عند السبب لا بالسبب، وكلا القولين خطأ؛

فإن من المعلوم بالحس والعقل أن الحجر إذا رمي على زجاجة انكسرت به، وأن الورق إذا ألقي في النار احترق بها، ولا أحد ينكر ذلك، ومن قال: إنه احترق عند إلقائه في النار لا بالنار، أو أن الزجاجة انكسرت عند ملامسة الحجر لا بالحجر فقد أبعد النجعة، ولكن نقول: إن الزجاجة انكسرت بالحجر؛ لأن الله ـ تعالى ـ جعل هذه الصدمة سببا للكسر، والورقة احترقت بالنار؛ لأن الله جعل النار محرقة؛ ولهذا إذا أراد الله - عز وجل ـ أن يتخلف المسبب عن السبب تخلف؛ فها هو إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ ألقي في النار العظيمة التي أضرمها قومه المكذبون له؛ ليحرقوه بها، فقال الله ـ تعالى ـ للنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء: 69]، فكانت بردا وسلاما عليه ولم يحترق بها، وهذا دليل على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يودع في الأسباب ما يجعلها مؤثرة. وأما من قال: إن الأسباب مؤثرة بذاتها، وإنه لا يمكن أن يتخلف المسبب عن السبب؛ فقوله ـ أيضا ـ خطأ؛ فإن هذا يستلزم إنكار خوارق العادات التي يجريها الله ـ تعالى ـ على غير الأسباب العادية، ولا أحد عنده علم بالسمع أو عقل راجح إلا أنكر هذا القول.

4- ومن فوائد الآية الكريمة: أن آدم وحواء عوقبا بالإخراج من الجنة؛ بسبب معصية واحدة، فما بالك بمن كان عنده من المعاصي ما لا يعلمه إلا الله؟!! أفلا يكون معرضا نفسه للعقوبة العظيمة؟! وإن كان

المعلوم في الشريعة الإسلامية أن المعاصي ـ ما عدا المعاصي المخرجة من الإسلام ـ تحت

مشيئة الله؛ إن شاء الله عذب عليها، وإن شاء عفا عنها وغفر؛ كما قال ـ تعالى ـ: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * [النساء: ٤٨].

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العداوة بين الشيطان وآدم وبنيه؛ لقوله:«بعضكم لبعض عدو »؛ ويتفرع من هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان أن يحترز غاية الاحتراز من كيد الشيطان، وألا يخنع له، وألا يأتمر بأمره؛ لأنه عدو، وكل عدو للإنسان فإنه لن يحمله إلا على أسوأ الحالات؛ ولهذا حذرنا الله ـ تعالى ـ من الشيطان بقوله: « إنّ الشيطين لكن عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا جزبه، ليكونوا من أصحب الشعير ﴾ [فاطر: 6]، وقوله: (يأيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطن ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ؟
ع
[النور: ٢١]

-

6 -. ومن فوائد الآية الكريمة: أن الأرض هي مستقر بني آدم، بل مستقر آدم وبنيه؛ لقوله: «ولكن في الأرض مستقر ومتنع إلى حين؟ . ـ ومن فوائدها: أن هذا المستقر والمتاع لن يدوم، ولن يؤبد؛ لقوله: «إلى حين»، وما كان غير دائم ولا مؤبد فهو سريع الانتهاء؛ لأن هذا المؤجل ينطوي بالساعات، بل بالدقائق، بل باللحظات، ولا

يمكن للحظة مرت أن تعود إليك مرة أخرى؛ ولهذا قيل: كل يوم يمضي على ابن آدم فإنه يبعده من الدنيا، ويدنيه من الآخرة؛ فيجب علينا أن نستعد، وأن ننتهز الفرصة بعمل ما يقربنا إلى الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: * فتلقى ءادم من ربه، كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ؟ .

«التلقي» بمعنى الأخذ عن الغير؛ أي: فأخذ آدم من الله ـ عز وجل ـ كلمات أعلمه الله ـ تعالى ـ بها، ومنها قوله ـ تعالى ـ عن آدم وزوجه: وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخسرين [الأعراف: ٢٣]، ثم قال: «فتاب عليه »؛ أي: تاب الله على آدم، وكذلك على زوجه؛

لأن قضيتها واحـدة؛«إنه هو التواب الرحيم»، وهذه الجملة تعليل لما سبق؛ أي: تاب عليه؛ لأنه ـ عز وجل ـ تـواب رحيم، يتوب على من تاب ويرحمه، حتى يكون ـ أحيانا ـ بعد التوبة خيرا منـه قبل فعل الذنب؛ ولهذا لم يحصل الاهتـداء لآدم ـ فـيـهـا نـعـلـم ـ قـبـل أن يتوب إلى الله ـ تعالى ـ مما جرى منه من المعصية.

فوائد وأحكام هذه الآية:
ا۔ منة الله - سبحانه وتعالى ـ على آدم بها ألهمه مـن هـذه الكـليات التي كانت بها توبة الله عليه؛ لقوله: «فتلقى ءادم من ربه ؟.

= ١٨٢اا

أحكام من القرآن الكريم

تمام الملك،
٢ـ أن ربوبية الله تنقسم إلى قسمين: ربوبية عامة تقتضي تمام ا. والتدبير، والتصرف في الخلق، وهي شاملة لجميع المخلوقات، وربوبية خاصة تقتضي العناية والتربية الخاصة، وهـي التي تـكـون لـعبـاد الله المخلصين، ومنها قوله ـ تعالى ـ هنا ـ: «فتلقى ءادم من ربه، كلمات . 3ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ تاب على عبده، بل قد قال الله ـ تعـالى ـ في آيـة أخـرى: (ثم أجنبه ريه, فتاب عليه وهدئ ؟ [طه: ١٢٢]، وتوبة الله على العبد تتضمن العفو عن الذنب، وصفحه عن العباد، وعدم المؤاخذة عليهم، وما دمنـا في الـكـلام عـن التـوبـة؛ فإننـا نقول: إذا تـاب العبـد إلى الله توبـة نـصـوحًا؛ تـاب الله عليه، والتوبـة النصوح هي التي جمعت شـروطا خمسة:

من

الأول: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ بألا يحمله على التوبة إلا الخوف
الله ورجاء ما عنده من الثواب.

الثاني: الندم على ما وقع منه من الذنوب؛ بحيـث يحـزن، ويتـأثر، ويتمنى أن لم يكن فعل هذه الذنوب.

الثالث: الإقلاع عن الذنب؛ بأن يتخلص منه، فإن كان واجبا قـام به، وإن كان محرما فارقه، وإن

كان للعباد أداه إليهم. الرابع: العزم على ألا يعود في المستقبل.

الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه؛ وذلك بأن تكون قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها؛ لأن الشمس إذا طلعت من مغربها لا تقبل التوبة، وإذا حضر الموت لم تقبل التوبة؛ لقول الله ـ تعالى : (وليست الثوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت الفن النـــساء: 18]، ولقوله - تعالى -: * هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملتيكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض اينت ربك يوم يأتى بعض اينت ربك لا ينفع نفسا إيمنها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمنتها خيرا ﴾ [الأنعـــام: ١٥٨]؛ «وبعض الآيات» هي طلوع الشمس من مغربها؛ كا فسرها بذلك النبي ﷺ، نسأل الله أن يمن علينا بالتوبة وقبولها؛ إنه جواد كريم.
لے

٤ـ ومن فوائد الآية: إثبات هذين الاسمين من أسماء الله؛ وهما «التواب» و«الرحيم»؛ التواب: هو الذي يوفق إلى التوبة، ويقبل التوبة من التائب؛ كما قال الله ـ تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ؟ [التوبة: ١١٨]؛ فهو التواب الذي يوفق للتوبة، وهو التواب الذي يقبل
التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، وجاءت بصيغة المبالغة

(١) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، رقم (٣٠٧١).

«التواب»؛ لأن هذه صفة لازمة الله ـ عز وجل ـ؛ فمن صفاته الكاملة التوبة؛ ولأن المذنبين الذين يتوبون إلى الله كثيرون، وأما «الرحيم» فهو ذو الرحمة الواصلة إلى من شاء من عباده؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «يعذب من يشاء ويرحم من يشاء * [العنكبوت: ٢١]

قال أهل العلم: ورحمة الله ـ تعالى ـ نوعان: عامة وخاصة؛ فالعامة: هي الشاملة لجميع الخلق، فإن كل الخلق داخلون في رحمة الله العامة التي بها قوام البدن وقوام الحياة؛ ولهذا نقول: إن الله - سبحانه وتعالى ـ قد رحم الكفار با أعطاهم من نعم الدنيا؛ من عقل، وصحة، وطعام، وشراب، ولباس، ومنكح، ومسكن، وغير ذلك، كما أنه راحم للمؤمنين بهذا؛ وأما الرحمة الخاصة: فهي التي تكون بها سعادة الدنيا والآخرة، وهذه خاصة بالمؤمنين؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ من على المؤمنين با رحمهم به من العلم النافع، والعمل الصالح، والإيمان، والتقوى، قال الله ـ تعالى ـ: «وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال ـ عز وجل -: « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باينينا يؤمنون - الذين يتبعون الرسول النبي الأتئ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل ﴾ [الأعراف: 156، 157].

ج

واعلم أن أسماء الله - سبحانه وتعالى ـ تتضمن الدلالة على ذاته

وعلى الصفة، وعلى الأثر والحكم إذا كانت متعدية؛ فالعظيم ـ مثلا - اسم من أسماء الله دال على ذات الله ـ عز وجل ـ، وعلى عظمة الله، والرحيم اسم من أساء الله دال على ذات الله، وعلى رحمة الله ـ عز وجل ـ، وعلى الأثر المترتب على هذه الصفة؛ وهو أنه يرحم من يشاء؛ كا قال ـ تعالى ـ: * يعذب من يشاء ويرحم من يشاء * [العنكبوت: ٢١]

ثم قال ـ سبحانه وتعالى -: «قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله: «قلنا اهبطوا منها جميعا * ؛ كالتوطئة والتمهيد لما بعده؛

يعني: اهبطوا من الجنة جميعا، وسوف يأتيكم الهدى مني. وينقسم الناس في هذا الهدى إلى قسمين: قسم يتبع هدى الله؛ فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقسم آخر يكفرون ويكذبون بآيات الله؛ وهؤلاء هم أصحاب النار هم فيها خالدون. يقول الله - عز وجل -: «أهبطوا منها جميعا »، نقول في الخطاب -

هنا ـ في قوله: «أهبطوا » ما قلناه في الخطاب السابق. وقوله: «فإما يأتينكم مني هدى»، هذه الجملة شرطية؛ فيها: «إن» الشرطية المدغمة بـ«ما»، وفعل الشرط فيها «يأتينكم»،

وجواب الشرط

=١١٨٦

أحكام من القرآن الكريم

مركب من قوله: «فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم تحزنون . والمعنى : إن أتاكم مني هدى فإن من اتبع هذا الهدى فليس عليه خوف مما يستقبل، ولا حزن على ما مضى، أما كونه لا خوف عليه في المستقبل؛ فلأنه عمل ما يحصل به الأمن من اتباع هدى الله ـ عز وجل ، وأما كونه لا يحزن؛ فلأنه استغل وقته في طاعة الله - عز وجل - فلا يحزن على ما مضى منه؛ لأنه لم يفرط بل اكتسب فيه خيرا، والذي يحزن هو الذي يفوته مطلوبه أو يحصل له مرهوبه، وأما الكافر المكذب بآيات الله؛ فهذا جزاؤه أن يخلد في نار جهنم (أولئك أصحب النار هم فيها خلدون ﴾ [البقرة: 39]، وأصحاب النار هم أهلها الملازمون لها، والخلود هو المكث الدائم، هذا هو الأصل في الخلود إلا أن يقوم دليل على أن الخلود مؤقت فيتبع الدليل.

من فوائد هذه الآية:
1ـ أن من حسن التعليم، والتوجيه، والإرشاد التوطئة للكلام والتمهيد له، حتى وإن حصل في ذلك تكرار؛ لقوله: «قلنا اهبطوا منها جميعا ، مع قوله فيها سبق: « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوه. ٢ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ برحمته وحكمته لم يكل الأمر في عبادته إلى عقول البشر، بل جاءهم بما فيه هدى، وذلك عن طريق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ؛ كا قال ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا

سورة البقرة

١٨٧

رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزات ليقوم الناس بالقسط »
[الحديد: ٢٥].

3ـ أن ما جاء به الرسل هدى يهتدي به الناس في ظلمات الجهل والكفر.
4- أن الهدى من الله؛ ويتفرع عن هذا ألا تطلب الهدى إلا من الله - عز وجل ـ فتكون ـ دائما ـ

ملحا على ربك بطلب الهداية حتى تستقيم على أمر الله على بصيرة من الله ـ عز وجل ـ.
ع
5ـ أن الله أضاف هذا الهدى إلى نفسه؛ ليعلم أن هـذا الهـدى حـق ليس فيه باطل، ولا تناقض، ولا اختلاف؛ قال الله ـ تعالى ـ: * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلًا لا مبدل لكلمته، وهو السميع العليم » [الأنعام: 115]، وقال ـ تعالى ـ: « أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلفا كثيرا ﴾ [النساء: ٨٢].
6 - أن من اتبع هدى الله فقـد نـجـا وسـلم، وأمـن مـن الخـوف في المستقبل، ومن الحزن على ما مضى.
7- أن المؤمن المتبع لهدى الله هو الذي غنم؛ غنم وسلم، فلا يحـزن على ما مضى من زمانه؛ لأنه استغله فيها ينفع، ولا يحزن على ما يستقبل؛ لأنه قد وعد بالثواب الجزيل، والنجاة من العقاب؛ لاتباعه هـدى الله عز وجل.

= ١١٨٨

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « والذين كفروا وكذبوا بقايتنا أولتيك أصخب
آلثار هم فيها خلدون »

هذه الآية الكريمة قسيمة للآيـة التـي قبلهـا؛ فـإنّ الله ـ سـبحانه وتعالى ـ ذكر في الآية التي قبلها ثواب الذين اتبعـوا هـدى الله بالإيمان والعمل الصالح، وذكر ـ هنا ـ ما يقابلهم من الكفار الذين جمعـوا بـين الكفر والتكذيب، بين الكفر وهو الاستكبار عن آيات الله ـ عز وجل - وترك العمل بها، والتكذيب بـالخبر؛ فهـم كـافرون بـالأمر، مكذبون بالخبر، مكذبون ما أخبر الله به في كتبه المنزلة، ومـا أخـبرت بـه رسـله، وهؤلاء القوم الذين كفروا وكذبوا بآيات الله هم أصحاب النار، أهلها الملازمون لها، المخلدون فيها.

فوائد وأحكام هذه الآية:
ا كال هذا القرآن؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا ذكـر فـيـه أهـل الجنة وثوابهم ذكر بعد ذلك أهل النار وعقابهم في الغالـب، وهـذا مـن معنى قوله ـ تعالى ـ: «الله نزل أحسن الحديث كتبا متشبها مثانه [الزمر: ٢٣]. أي: تثنى فيه الأحكام والمعاني، ولا ريب أن هذا مـن كـال البلاغة؛ فإن الإنسان لو أتـاه الخطـاب بالرجـاء دون التخويف لأدى ذلك إلى الأمن من مكر الله، ولو جاءه الخطـاب بالتحذير والتخويف لأدى ذلك إلى القنوط من رحمة الله، فجاء القـرآن الكـريـم

عند الله بالتقسيم والمقابلة، إذا ذكر شيئا ذكر ما يقابله حتى يبقى الإنسان دائرا بين الرجاء والخوف؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا؛ فإن غلب أحدهما هلك صاحبه. ٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن التكذيب بآيات الله كفر موجب للخلود في النار، ولكن التكذيب أحيانًا يذكر وحده، وأحيانًا يذكر مقرونا بالكفر، فإذا ذكر مقرونا بالكفر حمل على تكذيب الخبر، وحُمل الكفر على ترك الأمر.

وآيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية؛ فالآيات الكونية هي مخلوقات الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ فإن المخلوقات آيات دالة على الرب ـ عز وجل ، والتكذيب بها؛ أي: بالآيات الكونية يكون بإضافة هذه الآيات إلى غير الله؛ كالذين يضيفونها إلى الطبيعة، أو بإثبات مشارك الله فيها؛ كالذين يقولون: هذا الشيء أوجده الولي الفلاني مع الله، أو باعتقاد أن الله ـ تعالى ـ فيها معينا، فكل هذا من التكذيب بآيات الله والإلحاد فيها.

وأما الآيات الشرعية فهي ما جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من الكتب المنزلة من عند الله؛ لأن هذه الكتب فيها من التعظيم للخلق في عبادتهم ومعاملاتهم ما يعجز البشر عن مثله والقرآن الكريم قد تحدى الله به الخلق جميعا أن يأتوا بمثله ؛ قال -

تعـالى -: «قل لين اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله، ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: ٨٨]، بل قال ـ عز وجل : «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريت ﴾ [هود: ١٣]، بل تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله؛ قال - تعالى -: «أم يقولون أفترنه قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨].

٣ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الكفار المكذبين بآيات الله ملازمون للنار؛ لأنهم أصحابها لا يخرجون منها أبدا؛ كما قال ـ تعالى ـ: وما هم بخرجين من النار [الحجر: ٤٨].

٤ـ ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات الخلود في النار، وهو خلود مؤبد ذكر الله - سبحانه وتعالى ـ تأبيده في ثلاث آيات من كتابه؛ في سورة النساء في قوله: «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا [النساء: 168، 169]، وفي سورة الأحزاب في قوله: «إن الله لعن الكفرين وأعد لهم سعيرا - خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ [الأحزاب: 64، 65]، وفي سورة الجن في قوله: «ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ [الجن: ٢٣]؛ ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة تأبيد الجنة وتأبيد النار أيضا، وأنه لا فرق بينها، وإن كان قد وجد خلاف يسير لكنه مرجوح، والخلاف الذي وقع هو أن بعض السلف روي عنهم أن

النار غير مؤبدة، لكنه قول مخالف لصريح القرآن؛ فلا يعول عليه، قال الله ـ تعالى ـ: « والذين كفروا وكذبوا بتايتنا أوليك أضحت النار هم فيها خلدون * [البقرة: 39].

ثم قال الله ـ سبحانه وتعالى -: «ينبني إسراويل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليك وأوفوا بعهدئ أوف بعهدكم وإينى فأرهبون؟ . الخطاب هنا موجه لبني إسرائيل؛ وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام ـ؛ ويعقوب هو أبو يوسف، وهو أبو بني إسرائيل؛ فإنهم كلهم يجتمعون فيه، ومعنى إسرائيل: العابد الله، واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم »؛ يعني: تذكروها بقلوبكم، واذكروها بألسنتكم؛ لتقوموا بشكرها، فتتبعوا محمدا ﷺ وتؤمنوا به، والتي أنعمت عليكم »؛ يعني: في السابق واللاحق؛ لأن بني إسرائيل أمة واحدة سابقهم ولاحقهم؛ ولهذا يذكر الله ـ تعالى ـ ما أنعم به على بني إسرائيل في عهد موسى ممتنا به على بني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول ﷺ؛ لأنهم أمة واحدة، وأوفوا بعهدت أوف بعهدكم»؛ يعني: أوفوا بعهدي الذي عاهدتكم به؛ وعليه أوف بعهدي الذي عاهدتكم به وعليه، وهذا العهد مبين في قوله ـ تعالى ـ: (ولقد أخذ الله ميثق بني إسرءيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا

ع
وقال الله إني معكم لين أقمتم الصلوة و انيثم الزكوة و امنثم برسلى وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلتكم جئت تجري من تحتها الأنهر فمن كفر بعد ذالك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [المائدة: ١٢]، فالعهد الذي أخذه عليهم هو قوله: «لين أقمتم الصلوة و اتيتم الزكوة وامنثم يرسلى وعززتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ [المائدة: ١٢].

والعهد الذي لهم على الله أوجبه - عز وجل ـ على نفسه: لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلتكم جنت تجري من تحتها الأنهر [المائدة: ١٢]، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا؛ ولهذا قيل: إنه يرجع في تفسير القرآن إلى القرآن، ثم إلى السنة، ثم إلى تفسير الصحابة، ثم إلى تفسير كبار التابعين.

والله - سبحانه وتعالى ـ كا أمرهم أن يوفوا بعهده ووعدهم أن يوفي بعهدهم أمرهم أن يرهبوه؛ حيث قال: «وإيى فأرهبون»؛ والرهبة هي أشد الخوف.
فوائد هذه الآية الكريمة:
١- في هذه الآية من الفوائد تذكير بني إسرائيل بنعمة الله - سبحانه وتعالى ـ عليهم في السابق واللاحق.

٢ـ ومن فوائدها: أنه يجب على المرء أن يذكر نعمة الله عليه وعلى من سبقه حتى يحدث بذلك شكرا لله على هذه النعمة؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المتفضل بالنعم أولا، وهو الذي يتفضل بها ثانيا؛
بإعانة الإنسان على شكر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه. 3ـ ومن فوائدها: بيان كرم الله ـ عز وجل ـ؛ حيث جعل على نفسه عهدا أن يوفي لمن أوفى بعهده؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وأوفوا

بعهدئ أوف
بعهدكم *.

٤ـ ومن فوائدها: إثبات الصفات الفعلية لله ـ عز وجـل ؛ لقوله:
«أوف بعهدكم ؟.

هـ ومن فوائدها: توحيد الله - سبحانه وتعالى ـ بالرهبة؛ لقوله: وإيى فأرهبون»، والإنسان لابد له من رغبة ورهبة؛ رغبة فـيا عنـد الله، ورهبة فيها يفعله من أسباب عقوبة الله ـ عـز وجـل ؛ فـالله عنـده الثواب العظيم للمحسـن، وعنده العقاب الأليم للمسيء؛ كـا قـال - تعـالى -:* نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم (وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر: 49، 50]، وقـال ـ تعـالى : (وإذ تأذت ربكم لين
شكرتم لأزيدنكم ولين كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم: 7].

1945

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: (وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به، ولا تشتروا بقايتى ثمنا قليلا وإينى
فائفون» .

معهم
الخطاب هنا لبني إسرائيل على سياق الخطاب السابق؛ فقد كان في المدينة من بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ ثلاث قبائل: «بنو النضير»، و «بنو قينقاع»، و«بنو قريظة»، فوجه الله إليهم هذا الخطاب: أن يؤمنوا با أنزل مصدقا لما معهم؛ يعني: لما معهم من التوراة، والتصديق لما له معنيان: الأول: أنه جاء مطابقا لما أخبرت به، والثاني: أنه شاهد لها بالصدق؛ فهو مصدق لها؛ أي: شاهد لها بالصدق، وهو مصدق لها؛ أي: واقع على حسـب ما أخبرت به؛ كما قال الله - تعالى -: ـ
و الذين يتبعون الرسول النبي الأني الذي تجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهتهم عن المنكر وجل لهم الطيينت وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به، وعززوه ونصروه واتبعوا الثور الذي أنزل معه أولتيك هم المفلحوت ﴾ [الأعراف: 157].

ج

وقد شهد القرآن الكريم بأن التوراة والإنجيل كليها من عند الله -
عز وجل -، وقوله ـ تعالى ـ: (ولا تكونوا أول كافر بي »، الخطاب - هنا ـ من الله لبني إسرائيل؛
حيث ينهاهم عن أن يكونوا أول كافر به

وقد استشكل بعض أهل العلم قوله: «أول كافر به »؛ حيث كان
مفردا مع أن الخطاب إلى جماعة، وأجيب عن ذلك بأن المراد: لا تكونوا أول فريق كافر به،
والفريق جمع؛ يعني: لا تكونوا أول من يكفر به مع أن عندكم علما بأنه حق؛ كما قال الله ـ
تعالى ـ: « الذين اتيتهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فإنه إذا كنتم أول
فريق كافر به مع علمكم بأنه حق كان ذلك أشد وأقبح.
ثم قال: «ولا تشتروا بنايتي ثمنا قليلا »؛ أي: لا تأخذوا ثمنا قليلا بدلا عن العمل بآياتي، وذلك
بتقديم الرئاسة على ما جاء به الرسول ؛ فإن بني إسرائيل كانوا يستفتحون على الذين
كفروا ويقولون: يبعث نبي، ونتبعه، ونغلبكم، ولما بعث محمد ﷺ من بني إسماعيل
حسدوهم، وقالوا: إن هذا ليس هو النبي الموعود، فاشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً؛ ليبقوا على
رئاستهم، ولكن صار الأمر بالعكس ـ والله الحمد ـ؛ فلم يبقوا على رئاستهم، بل فتح
المسلمون بلادهم؛ ففتحوا بلاد الشام وهي مستوطن الروم النصارى، وفتحوا بلاد العراق
وهي مستوطن المجوس الفرس، واستولى ـ ولله الحمد - المسلمون على بلاد هؤلاء،
فأورثهم الله أرضهم، وديارهم، وأموالهم.

ثم قال ـ تعالى ـ: «وإينى فاتقون»، نقول في هذه الآية ما سبق في قوله: «وإينى فأرهبون»،
وهنا أمرهم بالتقوى؛ والتقوى: اتخاذ الوقاية

من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1ـ أن اليهود والنصارى مخاطبون بالإيمان بـا جـاء بـه محـمـد ﷺ ملزمون به، وعندهم شاهد على صدقه؛ حيث كان ما جاء به محـمـد ﷺ مصدقا لما معهم؛ وعلى هذا فإذا كفروا به لم يكونوا مؤمنين، وإن قـالوا: نحن نؤمن بالله واليوم الآخر، فإنهم لا يتم لهم ما أرادوا حتى يؤمنـوا بمحمد ﷺ؛ ولهذا أقسـم ﷺ أنه لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثـم لا يؤمن بها جاء به إلا كان من أصحاب النـار؛ حيـث قـال : «والـذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النّار».

٢ـ ومن فوائدها: أن القرآن منزل من عند الله، والقرآن ـ كا نعلم - كلام، فإذا كان نازلا من عند الله وهو كلام؛ فلا يكون إلا بمتكلم بـه؛ فدل هذا على أن القرآن كلام الله، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمـة: أن القرآن كلام الله منزل.

٣ـ ومن فوائدها: إثبات على الله؛ لقوله: (بما أنزلت» والإنـزال لا يكون إلا من فوق، وإذا كان الكلام كلام الله، وهو صفة من صفاته،

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم

(١٥٣).

ووصف بأنه منزل؛ دل على أن المتكلم به عـالـم فـوق العبـاد ـ سـبحانه وتعالى.

٤ـ ومن فوائدها: أن الإنسان كلما كان معه الحق يستطيع أن يتبعه، ولكن لو نكص على عقبيه كان أشد لوما من الإنسان الجاهـل؛ لقوله: وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم»؛ فـإن قولـه: «مصدقا لما معكم * كالبرهان الملزم لهـم بـالإيان؛ لأن هـذا القـرآن لم يـأت بـأمر غريـب لا يعرفونه، بل أتى بأمر يعرفونـه ويعلمـون أنـه حـلـق، لكـنـهـم استكبروا وأبوا؛ حسدا من عند أنفسهم.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن بني إسرائيـل ـ بـا عـنـدهـم مـن العلم بأن ما جاء به محمد ﷺ

حـق ـ كـان الأليـق بـهـم أن يكونوا أول مؤمن به، ولكنهم كانوا كافرين بـه؛ ولهذا قـال: «ولا تكونوا أول كافر به * مع أن قريشا كانوا كفروا به من قبل، لكن لما كانت قريش لـيس معهم كتاب، وهؤلاء معهم كتاب يصدقه ما جاء بـه محـمـد ﷺ كانوا أول كافر به مع العلم بأنه حق.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن ما في الدنيا قليل ولو كثر؛ لقوله: «ولا تشتروا بنايتي ثمنا قليلا »

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يجوز طلب العلم الشرعي مـن أجل الدنيا؛ لأن طلب العلـم الـشرعي مـن أجـل الدنيـانـوع مـن

الاشتراء بآيات الله ثمنا قليلا؛ ولهذا جاء في الحـديـث عـن النبى ﷺ «من طلب علها وهو مما يبتغي به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضا مـن الدنيا لم يرح رائحة الجنة»(1).

٨ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب تقـوى الله وإفراده بـذلك؛ لقوله - تعالى -: «وإيى فاتقون»؛ فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ولا ينافي هذا قولـه ـ تعالى ـ: «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة: ٢٨١]؛ لأن المراد في قوله: «وإينى فأتقون» اتقوا ما يكون في هذا اليـوم مما يقدره الله ـ عز وجل ـ من الأهوال العظيمة والعقاب لمن كذب.

ثـم قـال ـ تعـالى -: ﴿ ولا تلبسـوا الحق بالبطل وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون) ؟ .

فالخطاب هنا لبني إسرائيل؛ لأن السياق واحـد، ومعنى قوله: تلبسوا »؛ أي: تخلطوا الحق بالباطل حتى يلتبس ويشتبه على الناس، والحق في اللغة: الشيء الحق؛ أي: الثابت الذي لا يتزعزع، والباطـل عكسه؛ أي: الشيء الذاهب سدى، الذي لا يثبـت، ولا يبقى، والمراد

(١) الحديث في أمالي ابن الشجري (١/ ٤٣)؛ وإتحاف السادة المتقين، للزبيدي (١/ ٣٦٣)؛ والمغني عن حمل الأسفار، للعراقي (١/٦١)؛ انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف

(369/8).

بالحق ـ هنا ـ ما جاءت به الرسل من وحي الله ـ عز وجل ؛ كـا قـال ـ تعالى -: «وتمت كلمت ربك صدقا وعدلًا﴾ [الأنعام: 115]، والباطل مـا خالف ذلك، وبنو إسرائيل عندهم الأحبـار والرهبـان يخلطـون الحـق بالباطل كالكهان، يصدقون مرة واحدة ويكذبون مائة مرة؛ فهؤلاء - أيضا ـ يأتون بالحق؛ ولكن من أجل التمويه حتى يقـول القائل: هـذا الذي قاله حق، ثم يلحق به كل ما قالوه مـن الباطـل؛ فيلتبس الأمـر؛ ولهذا قال: «ولا تلبسوا الحق بالبطل»؛ أي: لا تخلطوه به حتى يلتبس
ويشتبه.

وتكتموا الحق وأنتم تعلمون»، وهذه طريقة أخـرى مـن طـرقهم أنهم يكتمون الحق، فلا يبدونه؛ خوفـا مـن أن يتبعـه النـاس، وهـم لا يريدون من الناس أن يتبعوا الحـق؛ بـل يـريـدون أن يتبعـوا أهـواءهم، وجملة (وأنتم تعلمون * حال من الفاعل في قوله: « ولا تلبسـوا »، وفي قوله: (وتكتموا»؛ أي: تعلمون أنكم فعلتم ذلـك فكتمتم ولبـستم، وهذه الجملة الحالية تفيد بيان مأخـذ اللـوم عـلـيـهـم، وأنهـم لم يفعلـوا هذا الفعل ـ وهو لبس الحق بالباطل أو كتمان الحق ـ عن جهـل مـنهم، ولكن عـن عـلـم وإصرار، فيكـون هـذا أظهـر في عنـادهم وأبيـن في استكبارهم عن الحق.

فوائد هذه الآية الكريمة:

١ـ من فوائدها: تحريم لبس الحق بالباطل؛ لأن الله ـ تعالى ـ نهى عنه بني إسرائيل، وما نهي عنه بنو إسرائيل مما هو قبيح لذاته ينهى عنه سائر الأمم؛ ويتفرع عن هذه الفائدة التحذير مما يصنعه أهل البدع من زخارف القول التي يريدون بها أن يمكنوا بدعهم في قلوب الناس، فإنك إذا قرأت كتبهم ظننت أن الحق معهم، ولكن عند التأمل يتبين أنهم يريدون إلباس الحق بالباطل؛ ولهذا تجدهم يأتون بعبارات مجملة؛ فيقولون ـ مثلا ـ: إن الله ـ تعالى ـ ليس في حيز، وليس في جهة، وليس بجسم، و وما أشبه ذلك من العبارات التي يريدون بها التوصل إلى إنكار صفات الله ـ عز وجل ـ وإنكار علوه على خلقه، فإذا قرأ القارئ مثل هذا الكلام، وما نبهوا به من العبارات التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، إذا قرأ القارئ هذا الذي كتبوا ظن أن هذا هو الصواب.

٢- ومن فوائدها: أن من سلك هذا المسلك من هذه الأمة فيه شبه من اليهود والنصارى، فعليه أن يحذر من ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم.

3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم كتمان الحق، وكتمان الحق يكون في حالتين: الحالة الأولى: أن يسأل سائل عن الحق فيكتم الحق

عنه ولا يجاب به؛ لغرض من أغراض الدنيا، والحالة الثانية: أن يحتاج الناس إلى بيان الحق وإن لم يسألوا، فإذا رأى العالم الناس محتاجين إلى الحق وجب عليه بيانه، وإن لم يسألوه، والفرق بين الحالتين أن الحالة الأولى التي يكون فيها الكتان عند سؤال السائل يقع السؤال فيها بلسان المقال، أما الثانية فيقع السؤال فيها بلسان الحال.

٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه إذا كتم الحق مع العلم به كان أشد قبحًا، أما إذا لم يعلم به الإنسان فإنه لا يجوز أن يتكلم به أصلا؛ لأنه إذا تكلم بها لا يعلم فقد قال على الله ما لا يعلم، وهذا من المحرم الذي حرمه الله في كتابه في قوله: « قل إنما حرم ربي الفواحش ما

ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف: 33].

ثـم قـال الله ـ تعـالى : (وأقيموا الصلوة و اتُوا الزكوة واركعوا مع الراكعين - .

وقوله: «وأقيموا الصلوة »؛ يعني: انتوا بها مستقيمة تامة، وليس المراد بقوله: «وأقيموا الصلوة ، قوموا بالإقامة التي هي إعلام بالقيام بالصلاة.
وقوله:*وءاتُوا الزكوة »؛ أي: أعطوهـا لمستحقها، والزكـاة هـي

جزء معين في أموال مخصوصة تدفع لمستحقها. واركعوا مع الراكعين»؛ أي: اخـضعوا الله ـ عز وجل الخاضعين له، فيكون المراد بالركوع ـ هنا ـ مطلق الذل؛ لأن الركوع في اللغة العربية يراد به مطلق الذل؛ كما في قول الشاعر :
مع
ولا نهـن الفـقـيـر علـك أن تـز كع يومـا والـدهر قذ رفع

ويحتمل أن يكون المراد به ركوع الصلاة، ويكون تخصيصا بعـد تعميم؛ لأن قولـه: «وأقيموا الصلوة * يـشمل إقامتهـا بقيامهـا
وركوعها، وسجودها، وقعودها.

فوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ وجوب إقامة الصلاة؛ لأن الله ـ تعـالى ـ أمـر بهـا، والأصـل في الأمر الوجوب، ولكن الإقامة ـ إقامة الصلاة من حيث الواقع - تنقسم إلى قسمين: إقامة واجبة؛ وهي أن يـأتي بواجبـات الـصلاة، وأركانها، وشروطها؛ أي: أن يأتي بها لا تصح الصلاة إلا به، فهـذه إقامـة واجبة لابد منها، وإقامة غير واجبة؛ وهي أن يـأتي بمكملات الصلاة التـي تصح الصلاة بدونها، وكله مأمور به، لكن ما لا تـصـح الـصلاة بدونـه مأمور به على الوجوب، وما تصح الصلاة بدونه مأمور بـه عـلى سـبيل
الاستحباب.

سـورة البقـرة

٢٠٣

٢ـ ومن فوائد الآية الكريمـة: وجـوب إيتاء الزكـاة؛ وهـي المـال المدفوع لمستحقه من أموال معينة معروفة عند أهل العلم. 3ـ ومن فوائدها: أهمية إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن الله أمر بها وخصصها بعد قوله: (وإيني فاتقون » مع أن التقـوى تـشمـل فعـل جميع الأوامر وترك جميع النواهي.

الله
٤ـ ومن فوائدها: فضيلة الركوع في الصلاة إذا قلنا بـأن المـراد بالركوع الركوع في الصلاة، أما إذا قلنا بأن المراد بالركوع التواضع الل عز وجل ـ، والـذل لـه؛ فـإن في الآيـة فـائـدة وهـي وجـوب الـذل الله والخضوع له.

هـ ومن فوائدها: ما استدل به بعض العلماء عـلى وجـوب صـلاة الجماعة؛ لأنه قال: «واركعوا مع الراكعين»، وهذا الاستدلال محـل نـظـر وتأمل؛ لأن الآية ليسـت صريحة في ذلك؛ إذ يحتمـل أن يكون المعنى كونوا معهم في الجملة؛ أي: اركعوا كما يركع الناس، ولا يلزم أن يكون في ذلك مصاحبة، والعلم عند الله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون
.

٢٠٤

أحكام من القرآن الكريم

الخطاب ـ هنا ـ لبني إسرائيل، والاستفهام للتوبيخ والإنكـار؛ يعني: كيـف تـأمرون النـاس بـالبر وتتركـون أنفسكم وأنتم تتلـون الكتاب؟!

وقوله: (أتأمرون الناس بالبره؛ البر هنا: كـل مـا يقـرب إلى الله - عز وجل ـ من الطاعات، ويدخل في ذلك ـ أيضا ـ ترك المعاصي؛ لأن البر إذا ذكر وحـده شـمـل فعـل الطاعـات وتـرك المعاصي، وإذا قـرن بالتقوى صار المـراد بـالبر فعـل الطاعـات، والمراد بـالتقوى تـرك

المحرمات.

وقوله: «وتنسون أنفسكم»؛ أي: تتركونها، لا تأمرونها بالبر، ولا تهتمون بها، والحال أنكم تتلون الكتاب المنزل عليكم، وتعرفون ما فيه من بشاعة هذا المنهج؛ وهو أمركم الناس بالبر مع نسيان أنفسكم، ثم وبخهم الله مرة أخرى بقوله: «أفلا تعقلون»؛ أي: أن فعلكم هذا ليس فعل ذي عقل؛ لأن العاقل يبدأ أول ما يبدأ بنفسه، ثم يثني
بإصلاح غيره.

فوائد الآية الكريمة:

1- الإنكار الشديد على من يأمر الناس بالبر ولا يفعله؛ لقوله: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟.
٢- أن هذا المنهج كما هو مخالف للشرع فهو مخالف للعقل؛ لقوله:

أفلا تعقلون * .
3- أن هذا المنهج يوجب ألا يأتمر الناس بأمر الآمر ولا ينتهوا بنهيه؛ لأنهم سيقولون: لو كان هذا خيرا لكان أول من يفعله، ولو كان شرا لكان أول من يجتنبه، فكيف يأمرنا ولا يفعل أو ينهانا ويفعل؟ فيكون في هذا منع لسلوك الناس سبيل البر.

٤- ومن فوائد الآية الكريمة: الإشارة إلى أن الإنسان ينبغي له - إن لم نقل يجب عليه - أن يبدأ بنفسه، وقد دلت السنة على ذلك؛ قال النبي و: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك» (١)، ولا ريب أن أقرب شيء إليك هو نفسك، فكونك تسعى لإصلاح غيرك مع فساد نفسك، لا شك أن هذا خلاف الشرع وخلاف العقل. ه- ومن فوائد الآية الكريمة: أن العالم يلحقه من اللوم ومن الذم أكثر مما يلحق الجاهل؛ لقوله هنا: (وأنتم تتلون الكتب). 6- ومن فوائد الآية الكريمة: أن كل ما يخالف الشرع فهو مخالف للعقل، لكن المراد بالعقل العقل الصحيح السالم من الشبهات والشهوات، أما العقل الفاسد المغمور بالشهوات والشبهات فليس بعقل؛ ولهذا يصف الله الكفار بأنهم (صم بكم عمى فهم لا يعقلون ؟

[البقرة: 171]، مع أنهم أذكياء، لكن الذكاء شيء والعقل شيء آخر؛
(١) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس، ثم أهله، ثم القرابة، رقم (٩٩٧).

فالعقل ما يعقل الإنسان عما يضره ويمنعه مما يضره، والذكاء هو سرعة إدراك الأمور وفهمها.

ثم قال الله ـ تعالى -: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخمشيعين لي ؟ .

في الآية الكريمة الأولى يأمر الله - سبحانه وتعالى ـ بالاستعانة بأمرين: الصبر والصلاة؛ فالصبر حبس النفس عن التشكي والتسخط، والصلاة هي التعبد الله - عز وجل ـ بالعبادة المعروفة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، ويبين أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، أو أن الصلاة نفسها كبيرة إلا على الخاشعين؛ والخشوع ه الذل، بل هو أعظم الذل وأكمله، والمراد بذلك الخشوع الله ـ عز وجل.
أحكام وفوائد هذه الآية:
١ـ طلب الاستعانة بالصبر في مكابدة الأمور؛ لأن الإنسان الذي لا يصبر لا يتم له مطلوبه؛ فإن كثيرا من الأمور لا تأتي الإنسان بسهولة، بل تحتاج إلى تحمل وصبر، وقد ذكر أهل العلم ـ رحمهم الله - أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة؛ فأما الصبر على طاعة الله فهو أن يقوم الإنسان بأوامر الله - عز وجل ـ غير متضجر ولا ضائق بها صدره، بل

يتقبلها بانشراح وسرور، حتى يقوم بالعبادة وهو يحب أن يقوم بها، وأما الصبر عن محارم الله فهو الكف عما حرم الله عليه، سواء أكان مما يتعلق بحقوق الله، أو ما يتعلق بحقوق العباد، فيكف نفسه عن العدوان، والظلم، والكذب، وعما هو أعظم من ذلك من

الشرك، والكفر، ونحو هذا، والثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة؛ لأن أقدار الله ـ تعالى ـ قد تكون ملائمة للإنسان يفرح بها، ويطمئن إليها، ويسر بها، وهذه لا تحتاج إلى صبر، اللهم إلا إذا صبر على شكرها، والثانية: أقدار مؤلمة شاقة على الإنسان، يتعب منها، فهذه تحتاج إلى مصابرة وإلى تحمل عنائها، فكلما مرّن الإنسان نفسه على الصبر والتحمل؛ ازداد ثباتا، وحصل له من مطلوبه ما لم يحصل له لو تضجر، وهذا شيء مجرب؛ فإن الإنسان إذا تمزن على الصبر والتحمل صار عنده من مدافعة الأمور ما ليس عند غيره.

٢ـ الاستعانة بالصلاة على مكابدة الأمور أيضا، وقد ذكر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر ـ يعني كربه أو شق عليه ـ فزع إلى الصلاة)؛ وذلك لأن الصلاة تنسي الإنسان الدنيا إذا كان مخلصا فيها؛ فإن الإنسان يقف بين يدي الله ـ عز وجل ـ يناجيه ويتقرب إليه بتعظيمه وتلاوة كتابه، ويناجيه بالدعاء؛ يقول: رب اغفر لي، وارحمني،

(١) انظر منتخب كنز العمال (٣/ ١٤٨).

وما أشبه ذلك؛ فيتسلى بها الإنسان عن أمور الدنيا، وحينئذ يتحمل المشاق؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»(1)؛ فهي قرة عين المؤمن.

ويذكر عن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ وهو من الفقهاء السبعة الذين اشتهروا في زمن التابعين ـ أنه أصابته آكلة في رجله، وقرر الأطباء أنه لابد من قطعها، ولم يكن في ذلك الوقت بنج يبنج به الإنسان، فقال لهم: إذا دخلت في الصلاة فأتوا واقطعوها؛ لأنه إذا دخل في الصلاة اشتغل بها عا سواها؛ فتقطع رجله وهو لا يشعر؛ لشدة تعلقه بالله - سبحانه وتعالى.

3ـ ومن فوائدها أيضا: أن الخاشع المطمئن لأمر الله المخبت له تسهل عليه الصلاة، ويسهل عليه الصبر، ولا تكون أمرا شاقًا عليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وإنها لكبيرة إلا على الخشيين ؟.

وقوله ـ تعـالى -: «الذين يظنون أنهم تلقوا ربهم وأنهم إليه ـ
راجعون.
يظنون أنهم تلقواريهم﴾ أي: يتيقنون ذلك؛ كما قال الله - تعالى -:

(١) رواه الإمام أحمد؛ والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم (3939، 3940)؛ والحاكم؛ والبيهقي؛ ورمز له السيوطي بإشارة الحسن، انظر الجامع الصغير (١/٢٢٣)

(يأيها الإنسين إنك كادح إلى ربك كذ كا فملقيه ﴾ [الانشقاق: 6]؛ فهـم موقنـون بـأنهم ملاقـو ربهـم، راجعـون إليـه، وأن الله ـ عـز وجـل - سيحاسبهم على أعمالهم.

أحكام وفوائد هذه الآية:

١ـ ومن فوائد هـذه الآيـة الكـريمة: إثبـات لـقـاء الله، وأن الإنسان سيلاقي ربه، وهو كذلك؛ قال ـ تعالى ـ: (يأيها الإنسين إنت كادح إلى ربك كذكا فملقيه ﴾ [الانشقاق: 6].

٢ـ ومن فوائدها: الثناء على الموقن بهـذا اللقـاء؛ لقوله: «الذين يظنون أنهم ملفوازية» أي: يتيقنون.

٣ـ ومن فوائدها أيضا: أن هـذا اليقين أو العلـم سـبب للسعادة وللتقوي على الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا علـم أنـه سـيرجع إلى ربه عمل لذلك عمله، بخلاف الإنسان الغافل الذي لا يهتم بها أمامـه، فنسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنـا جميعـا مـن المهتـدين بآياتـه القائمين بمرضاته؛ إنه جواد كريم.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «ينبني إسراءيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتى فضلتكم على العلمين (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون .

في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل؛ وإسرائيل هو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يذكرهم بنعمته التي أنعم الله بها عليهم، وما أكثر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل؛ ومنها أنه فضلهم على العالمين؛ أي: على عالم زمانهم، ليس على العالمين إلى يوم القيامة؛ لأن هذه الأمة أفضل الأمم وأكرمها على الله ـ عز وجل ـ؛ كما قال ـ تعالى ـ: «كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ثم يأمرهم الله - عز وجل ـ أن يتقوا ذلك اليوم الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا؛ فلا أحد يغني غيره، بل لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه، ولا يقبل من النفس شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل؛ أي: فدية، بل كل إنسان مرهون بعمله لا ينصر، ولا يقبل منه شفاعة، ولا يؤخذ منه عدل.
ما يستفاد من هاتين الآيتين من صور:
١- بيان نعمة الله - سبحانه وتعالى ـ على بني إسرائيل؛ حيث ذكرهم بهذه النعمة: «اذكروا نعمتى»، وهي مفرد مضاف؛ فيشمل جميع النعم التي أنعم الله بها عليهم.

٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي لكل داعية أن يذكر المدعو بنعم الله ؛ لأن التذكير بنعم الله يستلزم أن يقوم المدعو بطاعة المنعم؛ لأن ذلك هو
حقيقة الشكر.

ورة البقـرة

١٢١١

3ـ ومن فوائد الآية: أن الله فضل بني إسرائيل على غيرهم من العالمين، ولكن هذا خاص في زمانهم كما أسلفنا آنفا، أما هذه الأمة فهي أفضل من بني إسرائيل.

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: التذكير بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا.

هـ ومن الفوائد: وجوب تقوى هذا اليوم؛ وذلك باتخاذ الوقاية من عذابه، ولا وقاية من عذاب يوم القيامة إلا بفعل أوامر الله، و اجتناب نواهيه؛ لأن هذا هو الذي يقي من عذاب الله ـ عز وجل ـ وهذا المعنى الذي ذكرناه للتقوى هو أجمع ما قيل فيها.

6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لا تقبل الشفاعة من النفوس في ذلك اليوم، وهذا عام أريد

به الخاص؛ وذلك أن الذين لا تقبل منهم الشفاعة هم الذين لا يرتضيهم الله - عز وجل ، وأما من ارتضاهم الله؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقبل منهم الشفاعة، فيمن يستحق الشفاعة والشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يأذن الله بها.
والشرط الثاني: أن يكون راضيا عمن شفع وعمن شفع له؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال ـ تعالى ـ: «يومين لا تنفع الشفعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له

= ١٢١٢

أحكام من القرآن الكريم

قولًا ﴾ [طه: 109]. وقال - تعالى -: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن أرتضى *
[الأنبياء: ٢٨].

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه لا عدل يؤخذ عن الإنسان في ذلك اليوم بخلاف المضايق في الدنيا؛ فإن الإنسان قد يدعو عدلا عنه؛ أي: شخصا يعدله بنفسه وينجو بهذا المعادل، لكن في يوم القيامة لا يمكن ذلك.

٨ـ كذلك من فوائد هاتين الآيتين: أن من لا تقبل منه الشفاعة ولا يؤخذ منه عدل؛ لا ينصر أيضا، فلا يتناصر المجرمون في ذلك اليوم؛ لأن الأمر كله لله.

٩ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: التذكير العام لكل أحد بأهوال هذا اليوم العظيم، الذي لابد أن يصير إليه كل حي، فعليه أن يستعد له، وأن يتأهب له بالأعمال الصالحة المقربة إلى الله ـ عز وجل ..

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذ نجينكم من قال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذيكون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم ان وإذ فرقنا يكم البخر فأنجينكم وأغرقنا ال فرعون وأنتم تنظرون .

سورة البقرة

قوله: «وإذ نجينكم ، الخطاب لبني إسرائيل.
وال فرعون * هم أتباعه الذين يتولونه ويتوجهون بتوجيهاته؛ فآل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب؛ يستعبدونهم، يذبحون أبناءهم، يستحيون نساءهم؛ أي: يستبقونهن، وهذه سياسة الجور والظلم؛ فهم يذبحون الأبناء؛ لئلا ينشئوا ويقاوموا آل فرعون؛ ولأجل أن يقل النسل في بني إسرائيل، ولأجل أن يكونوا أذلة أمام آل فرعون؛ لأن النساء ـ مها كن ـ فإنهن في مقام الذل أمام العدو. وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم »؛ أي: اختبار عظيم لكم، هل تصبرون على ما حصل لكم من الأذى؟ وهل شكرتم لما أنجاكم الله من هذا البلاء؟

ثم يذكرهم الله ـ تعالى ـ بنعمة أخرى؛ وهي أن الله فرق بهم البحر فأنجاهم وأغرق آل فرعون؛ وذلك حينها خرج فرعون بجنوده تابعا لموسى وقومه؛ ليقضي عليهم « فلما تراءا الجمعان قال أصحب موسى إنا لمدركون) قال كلا إن معي ربي سيهدين ع فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البخر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [الشعراء: 61 - 63]، فدخل موسى وقومه في هذا الطريق وعلى أيمانهم وشمائلهم كتل الماء كالجبال، ولما نجوا دخل فرعون وقومه فأمر الله البحر فانطبق عليهم؛ فغرقوا عن آخرهم؛ ولهذا قال: «وأغرقنا ءال فرعون وأنتم

= ١٢١٤

أحكام من القرآن الكريم

تنظرون * فكان في هذا نعمتان على بني إسرائيل؛ إحداهما: أن الله أنجاهم، والثانية: أن الله أغرق عدوهم.
من فوائد هاتين الآيتين:
1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ نجى بني إسرائيل مرتين؛ المرة الأولى من آل فرعون حين كانوا يسومونهم سوء العذاب؛ فيذبحون الأبناء ويستبقون النساء، والمرة الثانية حين فرق بهم البحر، فأنجاهم من الغرق، وأغرق آل فرعون وهم يشاهدون ذلك.

٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان شدة بطش آل فرعون لبني إسرائيل حين كانوا

يمارسون معهم هذا الإذلال العظيم؛ وذلك بذبح الأبناء واستبقاء النساء؛ فإن ذلك أكبر إذلال للشعوب، أن يذبح رجالها، وتبقى نساؤها.

3ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله - سبحانه وتعالى ـ يبتلي عباده ـ أحيانا ـ بالمصائب؛ ليعلم من يكون صابرا ومن يكون ضاجرا، وأحيانًا بالنعم؛ ليعلم من يكون شاكرا ومن يكون بطرا، والله ـ سبحانه وتعالى - في خلقه شئون، والمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له قال رسول الله ﷺ:«عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر

فكان خيرا له» (١).
٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة الله ـ عز وجل ـ فيا يقدره على عباده، وهذا من مقتضى اسمه «الحكيم»؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حكيم فيها يقدره، وفيها يشرعه؛ وبه نعرف أنه لا يمكن أن يشرع شيئا عبثًا، أو أن يقدر شيئا عبثًا؛ قال الله ـ تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لعبين ما خلقتهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ولكن أحيانا تخفى الحكمة علينا؛ لقصور أفهامنا، أو لتقصيرنا في طلب الحكمة، ولكن هذا لا يمنعنا من تمام الإيمان بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذو حكمة، وأنه لا يفعل شيئا ولا يشرع شيئا إلا لحكمة عظيمة.

هـ .ومن فوائد هاتين الآيتين: أن بلاء الله ـ أي: ابتلاءه ـ يتنوع؛ فمنه ابتلاء يسير، ومنه ابتلاء عظيم، وذلك حسب ما تقتضيه الحكمة؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ قد يبتلي من هو قليل الصبر وقليل الشكر ببلاء يسير يناسب حاله، ويبتلي من هو قوي على الصبر وعلى الشكر ببلاء أعظم؛ ليكون ذلك مناسبا لحاله؛ ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل...» (٢).

(١) سبق تخريجه ص(٣١).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (٢٣٩٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم (٤٠٢٣)؛ والدارمي (٢/ ٣٢٠).

والواقع شاهد على ذلك؛ فإن الابتلاء الذي يجريه الله ـ عز وجل ـ عـلى الأنبياء أعظم من الابتلاء الذي يجريه على من دونهم. 6 ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: بيان قـدرة الله - سبحانه وتعالى ـ في كيفية إنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل هذا البحر الـذي هـو مـن المـاء الـسائل واقفـا كـالطود العظيم، في ضربة واحدة من موسى؛ أوحى الله إليه أن يضرب البحـر بعصاه، فضربه؛ فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم؛ أي: كالجبـل
العظيم.

وقد ذكر بعض الناس أن الله جعل في هذه الكتل المائية؛ جعل فيها فرجا ينظر الناس بعضهم إلى بعـض؛ ليطمئن بعـضـهـم عـلى الـبعض الآخر.

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه من كمال طمأنينـة الـعبـد أن يـرى عدوه أمامه وقد هلك؛ كقوله: «وأغرقنا ال فرعون وأنتم تنظرون » ؛ فإن الله لو أغرق آل فرعون أو أصابهم بعذاب لم يشاهده بنو إسرائيل لم تكن طمأنينة بني إسرائيل على هلاك فرعون وقومه كما لو كانـت وهـم
ينظرون.

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: الرد على الذين بهرتهم صنائع أعـداء الله اليوم، وغرتهم حتى ظنوا أنه لا يمكن الانتصار عليهم، بـل ربـا

يتهكم بعضهم إذا قيل لهم: إننـا لـو رجعنا إلى ديـن الله حـق الرجـوع لانتصرنا على أعدائنا مهما بلغت قوتهم، فإننا نقول لهـم: انظروا كيـف كان هذا البحر طريقا يبسًا في لحظة واحدة، وفتح الله فيـه اثني عـشر طريقا بضربة واحدة بعصا موسى ، ثم بقيت كتل الماء كأنها جبـال، وأغرق الله ـ تعالى ـ عدو بني إسرائيل وهم ينظرون إليهم، ثم انظروا ـ أيضا ـ ما فعل الله ـ

تعالى ـ بعاد من الريح العاصفة المدمرة، وما فعل الله ـ تعالى ـ بثمود قوم صالح؛ حيث أخذتهم الصيحة؛ فأصبحوا في دارهم جاثمين، فنحن لو صدقنا الله ـ عز وجل ؛ لهيا لنا من أسباب
النصر ما لا يخطر على البال.

ثم قال ـ عز وجل -: (وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده، وأنتم ظلموت ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون « » .

-
في هاتين الآيتين يذكر الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل بنعمته عليهم بهذا العفو العظيم؛ وذلك أن الله ـ تعالى ـ واعد موسى ﷺ ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر؛ فصارت أربعين ليلة، فلا تأخر موسى ﷺ عن الموعد الذي ذكره لبني إسرائيل؛ فتنوا بعبادة العجل، وذلك أنهم صنعوا من الحلي من الذهب تمثالا على هيئة العجل، وهو ولد البقر الصغير،

=

موسى
ما
وجعلوه على شكل خوار كخوار العجل، وأضلهم السامري؛ فقال لهم: إن موسى نسي، وإن ربكم هذا العجل، وهو إلهكم وإله موسى؛ فعبدوا العجل وصاروا يعبدونه من دون الله، وذكرهم هارون أخو مى ﷺ بأن إلههم هو الله - سبحانه وتعالى ـ وقال: «يقوم إنّما فينتم به، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى ﴾ [طه: 90]، ولكنهم أصروا وأبوا وقالوا: * لن نبرح عليه عنكفين حتى يرجع إلينا موسى * [طه: ٩١]، فبقوا يعبدون هذا العجل حتى رجع إليهم موسى - عليه الصلاة والسلام ـ، ولما رجع إليهم موسى ﷺ قال: « يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم ﴾ [البقرة: 54]، فجعل الله ـ تعالى ـ من توبتهم
أن يجتمعوا جميعا، ويأخذوا السكاكين والخناجر، ويقتلوا بعضهم بعضا، ويصبروا على هذه المحنة العظيمة، فلا فعلوا ذلك؛ تاب الله عليهم؛ فهنا يقول ـ عز وجل -: (وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده، وأنتم ظلمون * معتدون في حق الله - عز وجل ـ؛ حيث

اتخذتم هذا العجل الذي صنعتموه بأيديكم إلها تعبدونه من دون الله، ولكن الله ـ عز وجل ـ ذكرهم النعمة عليهم؛ حيث عفا عنهم من بعد ذلك؛ لعلهم يشكرون الله على نعمه، ويتوبون إليه، ويعودون إليه.

فوائد هاتين الآيتين:

1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ واعد موسى ثلاثين ليلـة، ثـم أتمهـا حتى صارت أربعين ليلة، ووعد الله لـه ثلاثين ليلـة مـأخوذ مـن آيـة أخرى، لكنه ـ عز وجل ـ مدّ المدة لحكمة أرادها .. سبحانه وتعالى. ٢- ومن فوائدهما: إثبات كلام الله - عز وجل ؛ لقوله: «وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة؛ فإن هذا الوعد لابد أن يكون بوحي أو بكلام من الله - سبحانه وتعالى ـ لموسى.

سى

٣ـ ومن فوائدهما: أن بني إسرائيل حين اتخذوا العجـل مـن بعـد موسى كانوا عالمين بأنهم على غير هدى؛ لأنهـم ظـالمون؛ فـإنهم كانوا يعبدون الله من قبل، وذكرهم هارون بأن ربهم الـرحمن ـ عـز وجلـ ولكنهم أصروا واستمروا على ما هم عليه.

٤ـ ومن فوائدهما: أن الله - عز وجل ـ عفا عنهـم بعـد هـذه الفعلة القبيحة والذنب العظيم؛ لعلهم يشكرون الله.

٥ ـ ومن فوائدهما: أن الإنسان إذا من الله عليه بالعفو ووفقه للتوبة فإنه يجب أن يشكر الله على هذا التوفيق، فكـم مـن إنـسـان حـرم التوبـة وأصر على ما هو عليه من الذنب حتى هلك.

6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة الله - سبحانه وتعالى -

في أفعاله؛ لقوله: « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » فإن «لعل» ـ هنا ـ للتعليل، ولا ريب أن جميع أفعال الله مقرونة بحكمته، وكذلك تشريعاته مقرونة بحكمته؛ لأنه ـ جل وعلا ـ لا يفعل شيئا سفها، ولكن الحكمة إما أن تكون معلومة لنا، وإما أن تكون مجهولة؛ لقصورنا عن إدراكها، أو تقصيرنا في طلبها.

وقبل أن أنهي الكلام عن هاتين الآيتين أنبه إلى أننا ذكرنا في أول الكلام عن الفوائد أن فيها دليلا على إثبات كلام الله، والحقيقة أن هذا قد لا يؤخذ من هاتين الآيتين على وجه يسلم من الاعتراض، ولكن

يؤخذ من القصة في موضع آخر؛ حيث قال الله - تعالى -: ﴿ ولما جاء
موسى لميقتنا وكلمه ربه, قال رب أرني أنظر إليك قال لن تريني وليكن
أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه، فسوف ترينى ﴾ [الأعراف: 143]،

-

ومذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله - عز وجل ـ أنه حق على حقيقته، وأنه ـ تعالى ـ يتكلم متى شاء كيف شاء با شاء، يتكلم بحرف وصوت يسمعه من كلمه الله ـ عز وجل ـ؛ ولهذا تجد أن الله - سبحانه وتعالى ـ في هذه القصة لما كلم موسى قال له موسى: « رب أرني أنظر إليك قال لن تريني ولكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه، فسوف ترينى * [الأعراف: 143]، وفي هذه القصة دليل على أن كلام الله يتعلق بمشيئته، وليس كما أطلقه بعضهم قديها أزليا، بل إن الصواب في ذلك أن كلام الله - عز وجل ـ باعتبار أصله وجنسه ـ أزلي أبدي لم يزل ولا
ج

يزال متكلها ـ سبحانه وتعالى ـ، وأما باعتبار آحاده؛ فإنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم با يشاء، هذا هو الذي مشى عليه أهل السنة والجماعة.

ثم قال الله - عز وجل -: (وإذ قال موسى لقومه، يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل

فتوبوا إلى باريكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ج

في هذه الآية يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ عن نبي الله موسى ﷺ أنه وعظ قومه هذه الموعظة العظيمة بهذا التلطف العظيم: «يقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل »، وأي ظلم أشد من أن يتخذ الإنسان مع بارئه وخالقه إلها يعبده؛ فإن هـذا أظلم الظلم؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [لقان: 13].

فأعظم الظلم أن يجحد الإنسان حق ربه حتى يجعل حقه لغيره، فيعبد غير الله مثلما يعبد الله - عز وجل ؛ يقول الله ـ عز وجل ـ على لسان موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «فتوبوا إلى باريكم»؛ أي: ارجعوا إليه من معصيته إلى طاعته، ومن الإشراك به إلى توحيده، فاقتلوا أنفسكم»؛ أي: ليقتل بعضكم بعضا، وإنها عبر بقتل النفس؛ لأن المؤمن أخو المؤمن، فكأنه هو نفسه؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في قصة الإنك: « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنت بأنفسهم خيرا وقالوا

هذا إفك مبين ﴾ [النور: ١٢]، فأخوك المؤمن بمنزلة نفسك، ثم قال الله ـ عز وجل ـ على لسان موسى عليه السلام: «ذلكم »؛ أي: توبتكم إلى الله بقتل أنفسكم (خير لكم عند باريكم »، وكل إنسان يحب أن يكون له الخير عند بارئه ـ تبارك وتعالى ؛ لأنه خالقه المدبر له كما يشاء، فلا قتلوا أنفسهم تاب الله عليهم؛ إنه هو التواب الرحيم. أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

1ـ أن موسى عليه السلام ذكر قومه بهذه الفعلة القبيحة، وبا مـن الله عليهم به من التوبة إليه، والتوبة عليهم.

٢- ومن فوائدها: أنه ينبغي للداعية أن يتلطف مع من يدعوه، وأن يذكر الألفاظ التي تكون سببا في إقبال المدعو على الـداعي وتقبلـه مـا يوجهه إليه من النصيحة؛ لأنه قال لقومه: «يقوم*.

٣ـ ومن فوائدها أيضا: أنه ينبغي لمن ذكر الـداء أن يـذكـر الـدواء؛ فإن موسى ـ عليه السّلام ـ

لما ذكر أنهم ظلموا أنفسهم عـرض عليهم الدواء بالتوبة إلى الله ـ عز وجل ـ، وهكذا ينبغي للداعية إذا ذكر الـداء والأمراض التي في المجتمع أن يذكر لهم الدواء وطريق الخلاص منهـا حتى يجمع بين الأمرين.

٤ـ ومن فوائد هذه الآية: بيـان سـفـه بني إسرائيـل الـذيـن عبـدوا عجلا صنعوه بأيديهم من الذهـب، وعرفوا أنه تمثال، وأنه لا يستحق

من الربوبية شيئا، ومع ذلك عبدوه، وهذا دليل على سفههم. هـ ومن فوائد هـذه الآيـة: وجـوب التوبة إلى الله ـ عـز وجـل ؛ لقوله: « فتوبوا إلى باريكم»، وله اليوم ـ أيضا ـ وجـوب التوبـة إلـيـه؛ حيث إنه هو البارئ الذي خلق؛ فله الحق علينا أن نفر من معصيته إلى طاعته، والتوبة لابد فيها من شروط خمسة: الشـرط الأول: أن يخلص العبد التوبة الله - عز وجل ، وأن يكـون الحامل له عليها خوف الله، ورجاء ثوابه، والخلاص من الـذنـب الـذي
وقع فيه.

الشرط الثاني: الندم؛ بحيث يتحسر على ما حصل منـه مـن ذنـب فلا يكون الأمر عنده على حد سواء، بل يتأسف ويتندم على ما حصل منه من الذنب.

الشـرط الثالث: أن يقلع عـن الـذنب في الحـال؛ فـإن كـان متلبسًا بمحرم تركه، وإن كان تاركا لواجب أتى به إن كان يمكن تداركه، وإن
لم يمكن تداركه أتى ببدله إن كان له بدل، وإلا كفته التوبة. الشرط الرابع: أن يعزم على ألا يعود إلى الذنب في المستقبل، فأمـا إن قال: أنا تائب إلى الله، وفي نيته أنه متى سنحت له الفرصـة عـاد إلى الذنب؛ فإنه ليس بتائب حقيقة.

الشرط الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه التوبة؛ وذلك بأن يكون قبل

طلوع الشمس من مغربها وقبل حضور الأجل؛ لأنه إذا طلعت الشمس من مغربها فلا توبة، وإذا حضر الأجل فلا توبة؛ قال النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وقال الله - تعالى -: ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت العين ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ [النساء: ١٨].

6ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان منة الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة؛ حيث جعل توبة بني إسرائيل بهذا الثقل وهذه الآصار، وأنه لا تتحقق توبتهم إلا إذا قتلوا أنفسهم، أما هذه الأمة ـ ولله الحمد ـ فإن التوبة تحصل بدون ذلك، تحصل با ذكرنا من الشروط، وإن لم يحدث الإنسان ضررا على نفسه.

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإقلاع عن الذنب والتوبة إلى الله منه خير من الاستمرار عليه، بل قد يكون الإنسان بعد التوبة خيرا منه قبلها؛ أي: أن الإنسان إذا أذنب ثم تاب إلى الله؛ فإنه قد تكون حاله بعد التوبة من هذا الذنب خيرا من حاله قبل أن يذنب؛ ألم تر إلى آدم -

(1) أخرجه أحمد برقم (١٦٤٦٣)؛ وأبوداود: كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، رقم

(٢٤٧٩).

عليه الصلاة والسلام ـ حين أكل من الشجرة، قال الله ـ تعالى ـ في حقه:* وعصى ءادم ربه، فغوى) ثم أجتبه ربه، فتاب عليه وهدى * [طه: ١٢١، ١٢٢]، فحصل له الاجتباء والهداية بعد أن تاب من تلك
المعصية.

٨ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان منة الله على عباده؛ حيث يقبل منهم التوبة إذا صدقوا الله ـ تعالى ـ في التوبة؛ ولهذا لما صدق بنو إسرائيل في التوبة، وقتلوا أنفسهم؛ تاب الله

عليهم «فتاب عليكم »؛ أي: قبل توبتهم وعفا عنهم.

9ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين الكريمين لله ـ عز وجل ـ؛ وهما «التواب» و«الرحيم»، وأن من مقتضاهما أن

يتوب الله - سبحانه وتعالى ـ على من تاب ويرحمه؛ فالتواب كثير التوبة على عباده، فما أكثر ما تاب الله على عباده، وما أكثر الذين يتوبون إلى الله؛ فيتوب الله عليهم، أما الرحيم فهو ذو الرحمة المقتضية للإحسان إلى الخلق إحسانا عاما؛ كما في الرحمة العامة، وإحسانا خاصًا؛ كما في الرحمة
الخاصة.

واعلم أن الرحمة تنقسم على قسمين: رحمة عامة، ورحمة خاصة؛ هي
الشاملة لكل الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، والرحمة الخاصة هي الرحمة
بالمؤمنين؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ وكان
فالعامة

بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب: 43]، وهذه رحمة خاصة تتصل بها سعادة
الدنيا والآخرة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ قلتم ينموسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصعقة وأنتم تنظرون - ثم بعثتكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون - وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى" كلوا من طيبات ما رزقتكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

في هذه الآيات بذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل با جرى منهم، وبما كان من إحسان الله ـ تعالى ـ إليهم؛ فأما الذي جرى منهم، فإنهم قالوا لموسى وهو يكلم الله - عز وجل ـ با شاء الله من الوحي، قالوا: «لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة »؛ أي: لن نؤمن لك أنك تكلم الله حتى نرى الله جهرة؛ أي: عيانا، وهذا غاية في العناد، والاستكبار، والتكذيب، فلا قالوا هذه

المقالة العظيمة صعقوا، أخذهم الموت فاتوا جميعا، ولكن الله - سبحانه وتعالى ـ من عليهم فبعثهم؛ أي: أحياهم من بعد موتهم؛ لأن موسى دعا الله ـ عز وجل - ففرج الله عنهم * قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإينى أنهلكنا يما فعل الشفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء

-

أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغفرين ﴾ [الأعراف: 155]؛ فبعثهم
الله من بعد الموت؛ لعلهم يشكرون هذه النعمة إذا ذكروه. والشكر هو القيام بطاعة المنعم، وليس الشكر مجرد قـول القائل: أشكر الله؛ لأن القول باللسان ـ إن لم يصدقه العمل والاعتقـاد ـ صـار قولا لا فائدة منه .

قال أهل العلم: والشكر يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح؛ فأما شكر القلب: فأن يعترف الإنسان بقلبه أن هذه النعمـة مـن فـضـل الله وحـده، وليست بحـول المـرء وقوته، وأمـا شـكر الله باللسان: فالتحدث بهذه النعمة؛ إظهـارا لفـضل الله لا افتخـارا عـلى عباد الله، ويشمل ـ أيضا ـ جميع ما يتكلم به العبد مما يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ وأما الشكر بالجوارح: فأن يقوم الإنسان بالعمـل الـصالح بجوارحه: اليدين، والرجلين، والعينين، وغير ذلك من أعضائه وجوارحـه، وفي هذا يقول الشاعر:

تلك
أفادتكـــم الـنـعـمـاء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب ثم يذكرهم الله ـ تعالى ـ نعمة ثانية بعد أن أحياهم من الصعقة، وهي
أنه ظلل عليهم الغام من حر الشمس، فصاروا في ظل بارد؛ والغام ـ كما قال أهل العلم ـ: هو السحاب الأبيض الحاجب من حر الشمس، * وأنزلنا عليكم المن والسلوى * فالمن طعام يجدونه

منتشرا على رءوس الشجر كأنه العسل، فيأكلونه، والسلوى هو الطائر المعروف بالسانة، وهو من ألذ الطيور لحا، وسمي المن منا؛ لأنه يحصل بدون تعب ولا مشقة، ومنه الكمأة؛ وهي الفقع؛ لقول النبي - عليه الصلاة والسلام _ الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»(١)، وهي وإن لم تكن من المن الذي نزل على بني إسرائيل، فهي من المن بالمعنى العام؛ لأنها توجد في الأرض بدون غرس، ولا بذر، ولا تعب في سقي
وغيره.

ثم امتن الله عليهم منة ثالثة بأن يسّر لهم أكل هذه الطيبات؛ فقال ـ تعالى : (كلوا من طيبات ما رزقتكم »، وهذه منة ثالثة؛ لأن الإنسان ربا يتيسّر له الطعام والشراب، ولكن لا يتمكن من أكله وشربه لعلة فيه، فلا يحصل به كمال المنة، وربما يحرم من الطعام والشراب لقلتها، المهم أن إيجاد الطعام أو الشراب نعمة من الله - عز وجل -، وأن قدرة الإنسان على تناول الطعام والشراب وتلذذه بذلك، وانتفاعه به من نعمة الله ـ تعالى أيضا؛ ولهذا قال: (كلوا من طيبات ما رزقتكم »؛ أي: من طيبات ما أعطيناكم.
ثم قال: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »؛ أي: ما ظلمونا بمعاصيهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ لن يعبأ بأحد، ولن
(١) . رواه البخاري: كتاب الطب، باب المن شفاء للعين، رقم (٥٧٠٨).

يتضرر بمعصية العاصين، ولن ينتفع بطاعة الطائعين؛ كما جاء في الحديث القدسي:«يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»(1).

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »؛ أي: ولكن كانوا يظلمون أنفسهم؛ فالإنسان المفرط في حق الله ـ عز وجل ـ ليس ظالما لله؛ لأن
الله ـ تعالى ـ لا تنقصه ولا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين، ولكنه قد ظلم نفسه وهضمها ونقصها حقها؛ فإن النفس أمانة عند الإنسان يجب عليه أن يرعاها حق رعايتها، وألا يوقعها في
المهالك.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
١- عتو بني إسرائيل، وشدة عنادهم وتكذيبهم؛ حيث قالوا لنبيهم وهم يسمعون كلام الله:« لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة »، وهذا
غاية ما يكون في الطغيان والعناد.

٢ـ ومن فوائدها: أن الإنسان إذا فعل الجرم العظيم والمنكر الكبير فقد يعاجل بالعقوبة؛ ولهذا عاجل الله بني إسرائيل الذين قالوا: * لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »، فعاقبهم بالصعق؛ فصعقوا في حال

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

قولهم هذا؛ ولهذا جاء بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب في قوله: فأخذتكم الصعقة .

3- ومن فوائدها: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى ـ على إحياء الموتى؛ حيث أحيا هؤلاء من موتهم؛ بدليل قوله: (ثم بعثتكم من بعد موتكم *.

٤ـ ومن فوائد هذه الآيات: أن الصاعقة أخـذتهم وهـم ينظـرون؛ أي: ينظر بعضهم إلى بعض، يقع ميتا حـتـى مـاتـوا عـن آخـرهـم؛ أي: مات جميع من تكلموا بهذا القول، أو رضوا به في ذلك المكان. هـ ومن فوائدها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ ينعم عـلى العبـد بـرفـع الضرر عنه؛ من أجل أن يشكر نعمة الله؛ فإن أسباب شكر نعمة الله إما خير يجلبه الله لك، وإما شر يدفعه الله عنك، والذي حصل لهؤلاء دفع شر وحصول خير؛ دفع شر برفع الموت عنهم، وحصول خير بإحيائهم من بعد موتهم.

6ـ ومن فوائدها: إثبات حكمة الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: * لعلكم تشكرون »، وقد سبق مرارا ما يدل على إثبات الحكمة في أفعال الله ـ تعالى ـ كما هي ثابتة فيما شرعه؛ ولهذا يختم الله - سبحانه وتعالى ـ كثيرا من آيات الأحكام بالعلم والحكمة؛ كما في آية قسم الصدقات: * إنما الصدقات للفقراء والمسكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب

والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم [التوبة: 60]، وكما في آية المواريث: « اباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكر تفعا فريضة من الله إن الله كان عليها حكيما ؟
[النساء: 11].
ـ وفي قوله ـ تعالى ـ: « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والشلوي كلوا من طيبات ما رزقتكم وما ظلمونا وليكن كانوا أنفسهم يظلمون *؛ ففي هذه الآية من الفوائد: بيان نعمة الله ـ تعالى ـ على بني إسرائيل بتظليلهم بالغام من الحر، من حر الشمس؛ والغام هو السحاب الأبيض، وهو من أبرد السحاب ظلاً.

٨ـ ومن فوائدها أيضا: بيان قدرة الله ـ عز وجل ، وأن كـل شيء يكون فبمشيئته؛ فالسحاب المسخر بين السماء والأرض لا يجـري إلا بأمر الله وتدبيره ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا يخفى على كثير من الناس مـا جرى للرجل الذي سمع قائلا من السحاب يقول: اسق حديقة فـلان، فنزل المطر على أرض، وسـال الـوادي إلى هذه الحديقة، فتابعـه هـذا الرجل الذي سمع الصوت مـن الـسحاب حتى وصـل إلى صاحب الحديقة، وسأله ماذا يصنع فيها، فقال له: إني أقسم ريعها ثلاثة أقسام: فثلث أعيده فيهـا ـ يعني: يصلحها بـه ـ، وثلث لي ولعيـالي، وثلـث أتصدق به، ثم سأله صاحب الحديقة عن سبب سؤاله إياه، فأخبره أنـه

سمع صوتا في السحاب يقول: اسق حديقة فلان، ففي هذا دليـل عـلى أن السحاب المسخر بين السماء والأرض يسير بإذن الله - عز وجل -
وأمره.

9ـ ومن فوائد الآية الكريمة: ما من الله به عـلى بني إسـرائيـل مـن إنزال المن والسلوى، هذا الطعام الطيب اللذيذ الذي يأخذونـه بـدون كلفة ومشقة.

١٠- ومن فوائدها: أن الله ـ تعالى ـ أنعم عليهم بتيسير الحصول عليه والتمتع به؛ حيث قال: * كلوا من طيبت ما رزقتكم »، وهذا الأمر للامتنان والإباحة.

١١ـ ومن فوائدها: أن الله إنما أذن لعباده أن يأكلوا من الطيبات دون الخبائث؛ والخبائث كل ما حرمه الله على العباد، فهو خبيث، لا ينتفعون به، ولكن ربا يحرم الله على عباده بعض الطيبات؛ عقوبة لهم؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبنت أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكفرين منهم عذابا أليمًا ﴾ [النساء: 160، 161]، وقد يحرم الإنسان من الطيبات لا تحريتها شرعيا، ولكن بما يصاب به من الأمراض التي تجعله لابد أن يمتنع عن بعض المأكولات والمشروبات، وهذا نوع من التحريم، لكنه تحريم كوني لا شرعي؛ فقد
ج

يبتلى الإنسان العاصي بأمراض تمنعه من التمتع بالطيبات التي أحلها الله له.

١٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما نتمتع به من مأكول ومشروب، فإنا هو رزق من الله، وعطاء منه، ومئة، ليس بحولنا وقوتنا، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى ذلك في سورة الواقعة فقال: «أفرءيتم ما تحرثون - أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون - لو نشاء لجعليه حطيها فضلتم تفكهون في إنا لمغرمون و بل نحن محرومون * *
[الواقعة: 63 - 67].
ومن المعلوم أننا لسنا الذين نزرعه وننميه، ولكن الذي يزرعه وينميه هو الله - عز وجل ـ، أما نحن فمنا السبب، والله هو المسبب - جل وعلا ـ، ثم قال ـ تعالى ـ في سورة الواقعة: « أفرءيتم الماء الذي تشربون - أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلته أجاجا فلولا تشكروت و أفرءيتم النار التي تورون و أنتم أنشأئم شجرتها أم نحن المنشئون و نحن جعلتها تذكرة ومتنعا للمقوين » [الواقعة: 68- 73]، فإذا علم العبد أن ما يتمتع به من النعمة هو من رزق الله؛ أوجب له ذلك الشكر الله ـ عز وجل ـ على هذه النعم، وأجب له أن يتبرأ من حوله وقوته بإيجاد هذه الأرزاق، وأوجب له أن يعرف قدر نعمة الله عليه بهذه الأرزاق، التي قد يكون كثير من الناس محروما منها.

١٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله - سبحانه وتعالى ـ لن ينقص ملكه معصية العاصين ولن يضره ذلك؛ لقوله: «وما ظلمونا؛
فالإنسان ـ مهما كان عليه من معصية ـ فإنه لن ينقص الله شيئا، ولن يضر الله شيئا؛ قال الله ـ تعالى ـ: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ [آل عمران: ٩٦].

-

١٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن العاصي ظالم لنفسه، معتد عليها، غير قائم بها يجب لها؛ لأن نفسك أمانة عندك، فكما أنه يجب عليك أن تتوقى ما يضر بدنك حشا، فإنه يجب عليك أن تتوقى ما يضر دينك، ومن المعلوم أنه لا يجوز للإنسان أن يلقي بنفسه إلى التهلكة في الأمور الحسية؛ كالأشياء التي تضره في بدنه؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة: 195]، فكذلك ـ أيضا ـ لا يجوز له أن يلقي بنفسه إلى التهلكة فيها يضره في دينه، بل إن ما يضره في دينه أولى بالمراعاة مما يضره في بدنه؛ لأن ضرر الدين ضرر في الدنيا والآخرة، أما ضرر البدن فهو ضرر في الدنيا فقط.

١٥ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان قصور الآدمي، وأنه عدو نفسه، يظلم نفسه لا يشعر أنه ظالم لنفسه؛ لقول الله - تعالى -: ٥ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .
وهو

١٦ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنـسـان بـل يـجـب عليه أن يتبصر، ويتيقظ، وينظر مـدى الخسارة العظيمـة التي تلحقـه بفعل المعاصي أو ترك الواجبات حتى يحمي نفسه من هذا الظلم وهـذا
الضرر.

ثم قال ـ عز وجل -: (وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لك خطيكم وستزيد المحسنين - فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفشفون . في هاتين الآيتين يذكر الله بني إسرائيل بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليهم، ولكنهم كفروها، فيقول لهـم: (وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية »، وهذا القول يحتمل أن يكون قولا كونيا أو قولا شرعيا، وأدخلوا هذه القرية *؛ وهي القرية التي فتحوهـا، قيـل لهـم: ادخلوهـا، فكلوا منها حيث شئتم رغدا * حـلالا لـكـم، وأدخلوا الباب سـجدا * سـجدا الله ـ تعالى ـ شاكرين له هذه النعمة العظيمة التي منحكم إياهـا، (وقولوا حطة تغفر لك خطيكم»؛ أي: قولـوا احطـط عـنّـا ذنوبنـا واغفر لنا؛ «تغفر لك خطيكم»؛ أي: نغفـر لـكـم آثـامكـم وذنـوبكـم التي ارتكبتموها، وسنزيد المحسنين إحسانا على التوبة، إذا أحسنوا في

معاملة الله، ولكن كانت النتيجة أن بدل الذين ظلموا قولا غـيـر الـذي
قيل لهم.
وقال: «فبدل الذين ظلموا »، ولم يقل: «بدلتم»؛ إشارة إلى أنهم كانوا ظالمين فيها بدلوه؛ بدلوا قولا غير الذي قيل لهم، قيل لهم: ادخلوا الباب سجدا، ولكنهم لم يدخلوا سُجدا، بل دخلوا على أستاههم؛ أي: على ألياتهم وعجائزهم، وقيل لهم: «وقولوا حطة »؛ أي: احطـط عنـا ذنوبنا، ولكن لم يقـولـوا ذلـك، بـل قـالـوا: حنطـة؛ أي: سألوا طعاما يملئون به بطونهم، فلم يسألوه مغفرة لذنوبهم.

قال الله ـ عز وجل -: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » ،أنزل على الذين ظلموا؛ أي: عليهم، ولكنه كـرر الظلم تـشنيعا عليهم، «رجزا من السماء »؛أي: عـذابـا مـن الـشـاء، بما كانوا يفسقون » ؛أي: بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعـة الله ـ

عز وجل .

في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل بما أنعم عليهم من إباحة دخول هذه القرية فاتحين آكلين مما رزقهم الله أكلا رغدا لا شبهة فيه، ويذكرهم ـ أيضا ـ بأنه أمرهم بما فيه مصلحتهم وحسن عاقبتهم، وهو أن يقولوا: «حطة»؛ أي: احطط عنا ذنوبنا واغفر لنا حتى يغفر لهم، ثم يذكرهم الله - عز وجل ـ أنهم بدلوا قولا

غير الذي قيل لهم، فلم يدخلوا سُجدا، ولم يقولوا: حطة ظلها، وعدوانا، وإنكارا لفضل الله ـ تعالى ـ عليهم ونعمته؛ فكانت عاقبتهم أن أنزل الله عليهم رجزا من السماء؛ بسبب فسقهم وخروجهم عن
طاعة الله .

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة:
1ـ منة الله عليهم؛ أي: على بني إسرائيل بما أباح الله لهم من دخول هذه القرية، وما أباح لهم من أكل ما رزقهم منها رغدا ليس فيه حرج ولا تبعة.

٢ـ ومن فوائدها أيضا: أن الله أمرهم بأن يدخلوا الباب سجدا؛ ويتفرع عن هذا مشروعية السجود، سجود الشكر عند تجدد النعم؛ كما هو المشروع في شريعتنا أن الإنسان إذا تجددت له نعمة، فإنه يسن له أن يسجد الله ـ تعالى ـ شكرا؛ وسجود الشكر سجود مجرد ليس صلاة، بل يكبر الإنسان ويسجد، ويقول: سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ثم يثني على الله ـ تعالى ـ بما أنعم به من
هذه النعمة، ويشكره عليها، ثم يرفع بدون تكبير ولا تسليم. 3ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان إذا نصره الله وبسّر له أسباب النصر ألا يغتر بنفسه، وألا يعجب بعمله، بل يسأل الله المغفرة، مغفرة الذنوب؛ حتى لا يشمخ، ويتعالى، ويترفع؛ لقوله

ـ تعالى ـ: «وقولوا حطة ؟.
٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ وعد من استغفر وطلب منه مغفرة الذنوب أن يغفر له؛ لقوله: «تغفر لك خطيكم»، وهذا مشروط بها إذا كانت التوبة نصوحًا، وقد مر علينا من قبل بيان التوبة النصوح؛ وهي التي جمعت خمسة شروط.

هـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ يزيد المحسنين من فضله إحسانا وفضلاً، وهذا كقوله ـ تعالى : (وإذ تأذت ريكم لين شكرتم لأزيدنكم ولين كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم: 7]، وكقوله ـ تعالى ـ: « هل جزاء الإحسان إلا الإحسن ﴾ [الرحمن: 60]؛ فالله - سبحانه وتعالى ـ أكرم من عبده وأجزل عطاء؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

6 ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن بني إسرائيل من أبعد الناس عن شكر نعمة الله؛ ولهذا بدلوا قولا غير الذي قيل لهم؛ فبدلوا قول الله لهم
: «وادخلوا الباب سجدا » بدلوه بأن دخلوا يزحفون على أستاههم وعجائزهم، وبدلوا قول الله ـ تعالى -: (وقولوا حطة » بقولهم: «حنطة»؛ يعني: أنهم لم يهتموا بذنوبهم، وإنها كان همهم أمرا ماديا، وهو أن يشبعوا بطونهم.
ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن من خالف أمر الله؛ فإنه حري بأن

يعذب ويعاقب؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * .

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الحكمة والعلة لأفعال الله، وأن أفعال الله ـ تعالى ـ مربوطة بحكمها وأسبابها؛ لقوله: «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ؛ فإن قوله: «على الذين ظلموا » كالتعليل لإنزال الرجز؛ أي: أنهم إنا أنزل عليهم الرجز لظلمهم، وعلة أخرى وهي فسقهم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «بما كانوا يفسقون ؟. - ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات الأسباب في المقتضيات لمسبباتها، وهذا ـ لا شك ـ من تمام حكمة الله أن ربط الأشياء بأسبابها، وهو دليل على أن الله - عز وجل ـ لا يخلق خلقا عبثًا، ولا يشرع تشريعا باطلا؛ * وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلًا ذالك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ؟

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه، فقلنا أضرب بعصاك الحجر فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم" كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض
مفسدين ج .
في هذه الآية الكريمة يذكر الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل بهـذه النعمـة

=٢٤٠

أحكام من القرآن الكريم

العظيمة التي يجريها على يد نبيه موسى ؛ فبينما كـان موسى وقومه محتاجين إلى الماء استسقى موسى لقومه، فسأل الله ـ تعالى ـ أن يسقيهم، فأمره الله ـ عـز وجـل ـ أن يضرب بعصاه الحجـر، فضرب الحجـر؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، حجر واحد نبعت منه اثنتا عشرة عينـا على عدد أسباط بني إسرائيل؛ فإنهم كانوا اثني عشر سبطا، هذه العيون توزعت، فعلم كـل أنـاس مـشـربهم، هؤلاء مـشـربهـم هـذه، وهؤلاء مشربهم هـذه، وهؤلاء مـشـر بهـم هـذه؛ لئلا يحصل التزاحم بينهم والتقاتل على الماء.

قال الله ـ تعالى ـ: «كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * فأباح الله لهم ـ امتنانا منه وفضلا ـ أن يأكلوا ويشربوا من رزق الله، وأن يقيدوا هذه النعم بشكرها؛ فلا يعثون في الأرض مفسدين، وإفساد الأرض ليس الإفساد الحسي الذي يكون بتدمير الديار، وتخريب الآبار والحروث، ولكنه بالمعاصي؛ كما قال كثير من السلف في قوله ـ تعالى ـ: « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها *
[الأعراف: 56]، قال: لا تفسدوها بالمعاصي، ولا شك أن المعاصي سبب في الدمار والفساد الحسي؛ لقول الله ـ تعالى ـ: (وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكز ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى: 30]؛ ولقوله - تعالى -: ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم: ٤١].

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

١ - افتقار الخلق إلى الله، ولو كانوا أعلى أصناف الخلق وهم الرسل؛ ولهذا استسقى موسى لقومه، واستسقى أشرف الأنبياء محمد لقومه حين دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: «يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ورفع الناس أيديهم، وقال: «اللهم أغثنا ثلاث مرات، قال أنس بن مالك ـ وهو راوي الحديث «والله، ما نرى في السماء من سحابة ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع" من بيت ولا دار - وسلع جبل صغير في المدينة يخرج من نحوه السحاب ـ قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُرس ـ والترس شيء يتقي به المقاتل السهام لا تصيبه، وهو شيء يشبه الطست فلا توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت»، فما نزل النبي ﷺ عن المنبر إلا والمطر يتحادر من لحيته، الله أكبر! فبقي المطر أسبوعا كاملا، وسالت الأودية حتى سال الوادي قناة ـ وهو واد مشهور في المدينة حتى الآن ـ شهرا كاملاً، وفي الجمعة الثانية دخل رجل أو الرجل الأول والنبي ﷺ يخطب ـ فقال: يا رسول الله، غرق المال وتهدم البناء، فادع الله يمسكها
حين القتال
حتى

(١) القزعة: هي القطعة من السحاب.
(٢) هو جبل معروف بالمدينة.

عنا، فرفع النبي ﷺ يديه، وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، ولم يقل: اللهم أمسكها عنا كما طلب الرجل؛ لأن إمساك المطر ليس من مصلحة الإنسان؛ ولكن من مصلحته أن ينزل المطر على وجه لا ضرر فيه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، وجعل يشير إلى المناحي بيده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيتايز السحاب حيث أشار النبي و، وخرج الناس يمشون في الشمس»(1).

ففي هذه القصة، وفي قصة موسى ـ صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم ـ دليل على أن الخلق مفتقرون إلى الله مهما بلغت منزلتهم عند الله ـ عز وجل ؛ فإن موسى قال الله عنه: (وكان

عند الله وجيها ﴾ [الأحزاب: 69]، ومحمد ﷺ أعظم الناس وجاهة عند ربه، ومع ذلك كل منها مفتقر إلى الله، يسأله ويلجأ إليه، ويتضرع إليه، فإذا كان هذا مقام

الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فما بالك بمقام من دونهم؟ ويتفرع عن هذه الفائدة أنه يجب على الإنسان إذا أصابه الضر ألا يلجأ إلا الله ـ عز وجل ـ، لا يلجأ إلى فلان وفلان من الأحياء أو الأموات فيدعوهم ويستغيثهم، ويسألهم كشف الضر؛ فإن دعوة غير الله ـ عز وجل ـ شرك، شرك أكبر مخرج عن الملة؛ قال الله ـ تعالى ـ:

(1) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة، رقم (١٠١٤)؛ ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

سورة البقـرة

١٢٤٣

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف الشوء ويجعلكم خلفاء الأرض اوله مع الله ﴾ [النمل: ٦٢]، ليس هناك إله مع الله يستطيع هذا.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان ما حصل من عصا موسى من الآيات؛ حيث ضرب بها الحجر فانفجر عيونا، وهذه العصا حصل فيها ثلاث آيات عظيمة: إحدى الآيات: أنـه إذا ألقاهـا صـارت حيـة تسعى، والآية الثانية: أنه ضرب بها هذا الحجر فانفجر عيونا، والآيـة
الثالثة: أنه ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. 3ـ ومن فوائد هذه الآية: بيان عظم قدرة الله ـ عز وجل ـ؛ حيـث تفجر من هذا الحجر ـ الذي ضربه موسى بالعـصـا ـ اثنتـا عـشرة عينـا والناس ينظرون، فهذا دليل على كمال قدرة الله، وأنه ـ عز وجل ـ إذا أراد شيئا فإنها يقول له: كن؛ فيكون، قال أهـل العلم: وما من آية لنبي إلا كان لنبينا ﷺ مثلها أو أعظم منها، إما على يد النبي ﷺ مباشرة أو على يد أتباعه الذين صدقوا في اتباعه، قالوا: وهذا الماء الذي تفجر مـن الحجر لموسى ﷺ حصل لنبينا ﷺ ما هـو أعظـم مـنـه؛ فـإن النـاس في نزوة الحديبية أصابهم عطش وقلـة مـاء، فجاءوا إلى رسـول اللہ ﷺ وكان بين يديه ركوة ـ إناء مـن جـلـد صـغير ـ فقـالوا: يـا رسـول الله، عطشنا ـ يعني: شكوا إليه قلـة المـاء ـ، فوضع النبي ﷺ يده في هـذه

١٢٤٤

الركوة، وجعلت هذه الركوة تفور كأمثال العيون؛ فارتوى الناس كلهم بإبلهم ورجلهم، وكانوا ألفا وأربعمائة أو قريبا من ذلك. فخروج هذا الماء ونبوعه وفورانه من هذه الركوة أعظم من خروجه من الحجر؛ لأن الحجر جرت العادة أن تتفجر منه العيون؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر ﴾ [البقرة: ٧٤]، أما الركوة فلم تجر العادة أن تتفجر العيون منها، ولكن الله ـ تعالى ـ على كل شيء قدير (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * [يس: ٨٢]، وقال الله ـ تبارك وتعالى -: « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ؟ ش
[فاطر: ٤٤].

٤ـ ومن فوائد هذه الآية: أنه ينبغي قسم الماء بين الناس عند الكثرة وتوزيعه عليهم؛ حتى لا يحصل الازدحام والاقتتال، والعداوة والبغضاء بينهم؛ لأن النفوس مجبولة على محبة الاستئثار بالشيء، فإذا وزع الشيء وصار كل طائفة لهم جهة معينة مخصوصة؛ كان ذلك أقرب إلى السلامة مما يترتب من الآثار السيئة على اجتماعهم على

(١) انظر البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، رقم (٤١٥٢)؛ ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم (١٨٠٧).

مشرب واحد.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان ما امتن الله به على بني إسرائيل من هذا الماء والطعام الذي أذن لهم في أكله وشربه؛ فقال ـ عز وجل -: كلوا واشربوا من رزق الله ؟ .

6 ـ ومن فوائد الآية الكريمة: جواز إضافة الماء النابع إلى المختص به؛ لقوله: «قد علم كل أناس مشربهم، وفي هذه الإضافة فائدة وهي أن صاحبه يكون أحق الناس به، ولا يزاحمه أحد عليه، أما جواز بيعه وعدمه فهذا له شأن آخر.

ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجب على المرء ـ إذا أنعـم الله عليه نعمة ـ أن يجعل النعمة سببا للقيام بطاعته، لا سببا للأشر والبطر؛ ولهذا أعقب قوله: (كلوا واشربوا من رزق الله ؟ أعقبـه بقوله: «ولا

تعثوا في الأرض مفسدين »؛ لأن الطبيعة البشرية إذا لم يؤيدها الله تعالى ـ بالوحي من طبيعتها أن تحملها سعة الرزق علـى الأشر والبطـر؛ ولهذا نهى بني إسرائيل عن العثـو في الأرض فسادا، حيـث يـسّر لهـم الأكل والشرب من رزق الله ـ عز وجل ؛ ويتفرع علـى هـذا أن يتـذكر الإنسان، ويفكر فيها من الله عليه من النعم؛ حتى لا يجعلها سببا للأشر والبطر، ونسيان أوامر الله، والكفر بشريعة الله .

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قلتم ينموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك تخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثابها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مضرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . في هذه الآية يذكر الله ـ عز وجل ـ بني إسرائيل بـا جـرى لهـم مـع نبيهم موسى ﷺ حين قالوا له: «لن نصبر على طعام واحد ، وهـذا الطعام الواحد هو المن والسلوى الذي أنزله الله علـيهـم بـدون كلفـة وبدون مشقة، وهو من أطيب أنواع الطعام، لكنهم ـ والعيـاذ بـالله ـ لم يصبروا على هذه النعمة، وطلبوا مـن موسى ﷺ أن يـدعـو لهـم ربـه؛ ليخرج لهم مما تنبت الأرض لا مما ينزل من المن والسلوى. ن بقلها وقثابها وفومها وعدسها وبصلها ، كل هذه الأنواع من الأطعمة هي أقل بكثير ودون ما أنزل الله عليهـم مـن المـن والسلوى؛ ولهذا قال لهم نبيهم موسى ـ عليه السّلام ـ «أتستبدلون الذي هو أذى بالذي هو خير»، وهـذا الاستفهام للإنكار عـلـيـهـم؛ يعني كيف يليق بكم أن تستبدلوا الذي هو أدنى بـالـذي هـو خـير؟ أي: أن تأخذوا الأدنى بالأعلى، هذا لا يليق بكم، وإذا شئتم هذا الأدنى؛ فلا

حاجة إلى دعاء الله - عز وجل ـ أن يخرجه لنا.
«أهبطوا مضرا »؛ أي: أي مصر تهبطونه تجدون هذا الشيء؛ لأن هذه أنواع منتشرة، ليست أنواعا من أطيب الأنواع التي لا توجد إلا في محل دون محل، ولا يقدر عليها إلا واحد دون آخر، بل هي أنواع موجودة مبذولة؛ ولهذا قال: «أهبطوا مضرا »، وليس المراد مصر المعينة؛ بل المراد: أي مصر كان تهبطونه؛ فإنكم ستجدون ذلك، فإنّ لكم ما سألتم »، ومن أجل عدم الصبر على طعام واحد، ومن أجل المعاصي العظيمة التي ارتكبوها؛ ضربت عليهم الذلة والمسكنة، الذلة في القلوب، والمسكنة في الجوارح؛ فكانوا أذل الناس، وأجبنهم، وأخوفهم؛ ولهذا تجد اليهود أذل الناس وأجبنهم؛ لأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لا يقتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر: 14].

ع

ج

وباء ويغضب من الله »؛ أي: رجعوا بغضب من الله عليهم؛ حيث كفروا نعمته، وعصوا رسوله، ولم يصبروا على نعمه؛ قال: وبا، وبغضب من الله، وعلل ذلك بقوله: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ؟؛ يكفرون بآيات الله الكونية والشرعية؛ ففي الآية الكونية: لم يصبروا على طعام واحد، ولم يقتنعوا بهذه الآية

=

العظيمة، ويشكروا الله عليها، أن أنزل عليهم المن والسلوى، وفي الآية الشرعية: قيل لهم: «قولوا حطة» فبدلوا وقالوا: «حنطة»، وأمروا فلم يأتمروا، ونهوا فلم ينتهوا؛ فكفروا بآيات الله، وبسبب هذا الكفر وقتلهم النبيين بغير حق ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكان هذا القتل للنبيين والكفر بآيات الله عصيانًا عظيا؛ ولهذا قال: ذالك يما عصوا وكانوا يعتدون * فكانوا عصاة معتدين، نسأل الله العافية. فوائد هذه الآية الكريمة:

١- في هذه الآية من الفوائد: بيان سفه بني إسرائيل؛ حيث لم يصبروا على هذا الطعام

الطيب الذي أنزله الله من السماء؛ تكريا لهم وإتماما للنعمة، ولكنهم كفروا به وقالوا: «لن نصبر على طعام واحد؟ ٢- ومن فوائدها: جواز التوسل بدعاء من تُرجى إجابته؛ فإن هؤلاء قالوا: «فاذع لنا رئك تخرج لنا مما تنبت الأرض»، وقد قررت شريعتنا هذا النوع من التوسل؛ فإن الناس كانوا يأتون إلى رسول الله يسألونه أن يدعو الله لهم؛ كا في قصة الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، وكما قال عكاشة بن محصن ـ حين تحدث النبي ﷺ: أنه يدخل من أمته سبعون ألفا، يدخلون الجنة بلا

(١) سبق تخريجه ص (١٧٤).

حساب ولا عذاب، فقال عكاشة بن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم
قال: «أنت منهم»(1).

فالتوسل إلى الله بدعوة من تُرجى إجابته جائز، ولكن هل هو أمر مطلوب أم لا؟ نقول: إن كان لأمر عام فهو أمر مطلوب؛ يعني: أنه يسن للإنسان أن يطلب أو أن يتوسل بدعاء من تُرجى إجابته في أمر عام للمسلمين؛ كا طلب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من العباس بن عبد المطلب أن يستسقي للمسلمين"، وكما في طلب الرجل الذي قال لرسول الله: «ادع الله أن يغيثنا...»، وأما إذا كان لأمر خاص فإن كان طالب الدعاء يريد بذلك ان ينفع المطلوب إذا دعا لأخيه بظهر الغيب؛ فإنه يكون محسنا إليه ويرجى أن تجاب دعوته، ويعطى مثلها؛ لأن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب؛ قال الملك: آمين ولك بمثلها، أما إذا قصد المتوسّل بدعاء من تُرجى إجابته مصلحة نفسه الخاصة فهذا لا ينبغي، بل قد صرح بعض أهل العلم بأنه من المسألة

(١) انظر البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم (٦٥٤٢)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم (٢١٦).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم

(١٠١٠).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٢٧٣٢).

المذمومة، وأنت أيها الأخ المسلم إذا أردت الدعاء فادع الله بنفسك، لا تعتمد على غيرك؛ لأن دعاءك الله عبادة، وربما يحدث لقلبك من الإنابة إلى الله، والرجوع إليه، والافتقار إليه ما هـو أفـضـل بكثـيـر مـن إجابـة دعوتك التي تريد.

٣ـ ومن فوائدها: إثبات أن بني إسرائيل يؤمنون بأنه لن يقدر على
إنبات الزرع وإخراجه من الأرض إلا الله؛ لأنهم قالوا لموسى ـ كما ذكر الله ـ تعـالى ـ: «فاذع لنا ربك تخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتايها ﴾ الآية.

٤ـ ومن فوائدها: التوسل إلى الله ـ تعالى ـ باسم الرب عند الدعاء؛ لقولهم: ادع لنا ربك؛ ولهذا كان قـول الـداعي: يارب، يا رب، مـن أسباب إجابة الدعاء؛ كما أشار إليه رسول الله ﷺ حين ذكـر الرجـل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، وكذلك إذا تأملت الدعاء المذكور في القرآن وجدت كثيرا منه مـصدرا باسـم الرب «يا ربنا».

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: انحطاط همـم بنـي إسرائيل؛ حيث نزلوا من الأعلى إلى الأدنى؛ فطلبوا مـن موسى ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ أن يدعو الله أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من هـذه الأنـواع
(1) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥).

التي تعتبر نازلة بالنسبة إلى المن والسلوى؛ ولهذا قال لهم نبيهم ﷺ كا ذكر الله ـ تعالى ـ:
«أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيره
وهذا يدل على سفههم وعدم صبرهم على ما من الله به عليهم. 6 ـ ومن فوائدها: جواز تفضيل الأطعمة بعضها على بعـض، وأنـه يجوز للإنسان أن يقول: هذا أدنى من هذا، أو هـذا أعـلى مـن هـذا، أو هذا أردأ من هذا، أو هذا أطيب من هذا.

-. ومن فوائدها: أنه لا يلام الإنسان إذا اختار الأطيب من الطعام، ولا يعد ذلك من باب الإسراف؛ فقد أقرت شريعتنا هذا؛ فإن النبي ﷺ جيء إليه بتمر طيب فسأل: «أكل تمر خيير هكذا؟» قالوا: لا، والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة؛ فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا»(١)، وأرشدهم ﷺ إلى أن يبيعوا التمر الرديء بدراهم، ثم يشتروا بالدراهم تمرا جيدا، ولم ينههم عن اختيار التمر الطيب يقدمونه إلى رسول الله ﷺ، فإذا اختار الإنسان من الطعام أطيب الأنواع، وكانت حاله تتحمل هذا، ولا يعد ذلك شرفا بالنسبة إليه؛ فإنه لا بأس به، ولا يلام الإنسان عليه؛ بل هذا من باب التمتع

(1) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، رقم (٢٢٠٢)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، رقم (١٥٩٣).

بنعم
الله. والله - سبحانه وتعالى ـ يحب من عباده أن يتمتعوا بنعمه، وينهاهم أن يحرموا شيئا من الطيبات على أنفسهم؛ كما قال ـ تعالى ـ: و يتأيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبنت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * [المائدة: 87]؛ وذلك لأنه ـ سبحانه وتعالى - كريم؛ والكريم يحب أن يتمتع من يناله كرمه بكرمه.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما كان موجودا مبذولا لا يحتاج الإنسان أن يدعو الله ـ تعالى ـ لحصوله؛ لأن الدعاء في مثل هذا سفه؛ فإنه موجود بين يديك، ولكن ادع الله ـ تعالى ـ ببقائه واستمراره، وألا يرفعه عنك؛ لأن هذه الدعوة في محلها، أما أن تقول: اللهم ارزقني كذا وكذا، وهو بين يديك فهذا لا وجه له؛ ولهذا قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «أهبطوا مضرا فإن لكم ما سألتم .

د
٩- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، فهم دائما في ذل، ودائها في مسكنة، حتى وإن اغتنوا؛ فإن قلوبهم فقيرة؛ ولهذا تجد اليهود أشد الناس طلبا للمال وفناء في تحصيله؛ يحرصون على تحصيل المال بأي ثمن ولو بالطريق

المحرم؛ قال الله ـ تعالى ـ: « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبت أحلت لهم ويصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم

أموال الناس بالبطل ﴾ [النساء: 160، 161]؛ فهم أخاذون للربا، أكالون للسحت، ظالمون للعباد، فهذا دأب اليهود بالنسبة لأخذ المال، هم في مسكنة دائمة، وفي فقر دائم، لكنه فقر قلبي، وإن كان عندهم من الأموال عدد كثير.

١٠ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: حلول الغضب على بني إسرائيل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وباءو بغضب من الله»، وهذا كقوله ـ تعالى -: * قل هل أنبئكم بشير من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطغوت أوليك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة: 60].
ج

١١ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله ـ تعالى ـ لا يظلم أحدا، لكن الذي يظلم هو الإنسان نفسه؛ ولهذا لما ذكر الله عقوبتهم بضرب الذلة والمسكنة وحلول الغضب عليهم بيّن أن هذا بسبب كفرهم؛ فقال: وذلك بأنهم كانوا يكفرون بنايت الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، فكفرهم بآيات الله معصية
عظيمة أكبر المعاصي، وكانت سببا لضرب الذلة والمسكنة عليهم. ١٢ـ ومن فوائد هذه الآية: إثبات تعليل أفعال الله؛ أي: أن أفعال الله معللة؛ أي: مقرونة بالحكمة، فما من فعل يفعله الله ولا حكم يشرعه الله إلا مقرون بحكمته؛ ويتفرع على هذه الفائدة أنه كلما مرّ بنا

شيء مقرون بمشيئة، فيجب أن نعلم أنها ليست مشيئة مجردة، وإنما هي مشيئة اقتضتها الحكمة، ويدل على هذا قوله ـ تعالى ـ: « وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليها حكيمًا ﴾ [الإنسان: 30]، فأشار الله ـ تعالى ـ في هذه الآية إلى أن مشيئته مقرونة بحكمته فقال: « إن

الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الإنسان: 30].

١٣ـ ومن فوائد هذه الآية: أن بني إسرائيل ـ مع عدوانهم في حق الله ـ معتدون على عباد الله؛ فهم يقتلون النبيين بغير الحق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس بغير الحق، وفي قوله: « بغير حق ؟ تشنيع عليهم، وأن قتلهم للأنبياء في غير محله؛ لأنه قتل بغير حق؛ فالصفة ـ هنا ـ ليست صفة مقيدة، وإنما هي صفة كاشفة موضحة أن قتل النبيين بغير حق، فيكون في هذا فائدة وهي زيادة التشنيع على بني إسرائيل يقتلهم النبيين.

١٤ - ومن فوائد هذه الآية: بيان عصيان بني إسرائيل واعتدائهم، وأنهم أصحاب معصية، واعتداء على الله، وعلى عباد الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصري والصبين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

سـورة البقـرة

٢٥٥ا

في هذه الآية يقول الله ـ عز وجل ـ مبينا كمال عدله، وأنه لا يضيع عمل عامل عمل صالحا وآمن؛ يقول: «إن الذين ءامنوا»؛ وهـم أتبـاع

رسول اللى ﷺ .
(والذين هادوا والبصري والصين ؛ الذين هادوا: هم أتباع موسى ، ووصفوا بهذه الصفة؛ لأنهم قالوا: إنا هدنا إليك؛ أي: رجعنا إليك، والنصارى: أتباع عيسى بن مريم، وسُموا نصارى؛
-
إما نسبة إلى بلدة تسمى الناصرة، وإما من النصرة؛ لأن عيسى لما قال ـ كا جاء في قوله - تعالى -: (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [آل عمران: ٥٢].
وأما الصابئون: فهم قوم لهم دين يتدينون به، وقيل: إن الصابئ في الأصل من لا دين له، ولكن الذين هادوا والنصارى والصابئين قيد استحقاقهم الأجر بالإيمان باللى ﷺ اليوم الآخر، والعمل الصالح، أما المؤمنون فقد استحقوا هذا الوصف؛ فالقيد إن كان واردا في حقهم فهو على سبيل التوكيد، وذلك أن الذين بقوا على اليهودية، والنصرانية، والصابئة بعد بعثة الرسول ﷺ ليسوا على حق، ولا يصدق عليهم أنهم مؤمنون بالله ﷺ اليوم الآخر؛ لأنهم لو آمنوا

بالله اليوم الآخر حقا لاتبعوا محمدا ﷺ « الذي تجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهنهم عن المنكر وجل لهم الطيبنت وتحرم عليهم الخبيث [الأعراف: 157].

الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فهم - أعني: اليهود، والنصارى، والصابئين بعد بعثة محمد ﷺ لا يصدق عليهم أنهم يؤمنون بالله ﷺ اليوم الآخر، ويعملون صالحا إلا إذا اتبعوا محمدا ؛ يقول اللّٰه - عز وجل -: «من امن بالله واليوم الآخر ؛ الإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده، والإيان بربوبيته، والإيان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته؛ فمن أنكر اللّٰه فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بربوبيته فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بألوهيته فليس بمؤمن، ومن لم يوحده بأسمائه وصفاته، فيثبتها على ما جاءت في كتاب الله ﷺ سنة رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ فليس بمؤمن؛ إذن الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء: الإيمان بوجوده، وبتوحيده في الربوبية، وبتوحيده في الألوهية، وبتوحيده في الأسماء والصفات.
وأما قوله: «وعمل صلحاء؛ فالعمل الصالح: هو الذي اجتمع

فيه شرطان:
الشرط الأول: أن يكون خالصا لله، لا يشوبه إشراك. والشرط الثاني: أن يكون متبعا فيه رسول الله ﷺ ؛ فلا يشوبه ابتداع؛ ولهذا لا يكون العمل عملا صالحا إلا إذا كان اللّٰه خالصا، ولشرعه موافقا؛ فإذا اجتمع الإيمان بالله جل وعلا، واليوم الآخر، والعمل

الصالح؛ ثبت الأجر.
والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيشمل الإيمان با يكون في القبر من سؤال الملكين الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، ومن عذاب القبر ونعيمه، وكذلك ما يكون يوم القيامة من الجزاء ثوابا وعقابا، وتفاصيل ذلك مذكورة في

الكتاب والسنة.
وأما الأجر: فهو الثواب على هذا العمل المبني على الإيمان بالله ﷺ اليوم الآخر، وهو الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن قام بهذين الوصفين: الإيمان والعمل الصالح؛ فإنه يأمن من كل خوف من مستقبل، وحزن على ما مضى. فوائد هذه الآية الكريمة:

١- بيان عدل الله - عز وجل -، وأن من قام بالإيمان والعمل الصالح؛ فإن له الأجر عند ربه، سواء أكان من المؤمنين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، أم من اليهود، والنصارى، والصابئين؛ فاليهود ـ مثلا ـ حين كانت شريعتهم قائمة ـ إذا اتصفوا بالإيمان والعمل الصالح كان لهم أجرهم كاملا موفرا، وكذلك النصارى، وكذلك الصابئون، أما إذا كان دينهم منسوخا؛ فإن الواجب عليهم أن يتحولوا عنه إلى الدين الناسخ، والملة الجديدة؛ ولهذا يعتبر اليهود كفارا بالنسبة للنصارى؛ أي: كافرين بعيسى ابن مريم، ويعتبر النصارى كفارا

بالنسبة لمحمد ﷺ؛ أي: كافرين بمحمد ﷺ، والكافر بمحمد ﷺ كافر حتى بنبيه؛ لأن الأنبياء قد بشروا به؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وإنه لتنزيل رب العلمين - نزل به الروح الأمين ع على قلبك لتكون من المنذرين « بلسان عربي مبين (وإنه لفي زبر الأولين (أولم يكن هم ءاية أن يعمه, علمتوا بني إسراءيل ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧] فمن كفر بمحمد ﷺ بعد بعثته؛ فإنه ـ حقيقة ـ لم يؤمن حتى برسوله؛ وعلى هذا فاليهود والنصارى والصابئون الموجودون اليوم لو قالوا: إنهم مؤمنون بالله ﷺ اليوم الآخر ويعملون عملا صالحا، فإننا نقول لهم: هذا لا ينفعكم؛ لأن الإيمان بالله ﷺ اليوم الآخر يستلزم الإيمان بمحمد ﷺ، والعمل الصالح لا يكون عملا صالحا إلا بموافقة شريعة محمد ﷺ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من المخلصين له، المتبعين لرسوله.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية: أن العمل لا يثبت فيه الأجر إلا إذا كان عملا صالحا، والعمل الصالح ـ كما أسلفنا ـ ما اجتمع فيه شرطان: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ ؛ فمن عمل عملا يتضمن شيئا من الشرك؛ فإن عمله ليس بصالح، وليس بمقبول عند الله؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه، فليعمل عملا صلحا ولا يشرك

L

(1) أي: القرآن الكريم.

بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف: ١١٠].
وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : أن الله قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشترك فيه معي غـيري؛ تركته وشركه» ()؛ فمن تعبد الله عبادة يرائي فيها الناس؛ فإنها لا تقبل منـه؛ لأنها ليست عملا صالحا، ولكن ـ هنا ـ مسألة يشكو منها كـثـير مـن الناس؛ كثير من الناس يقـول: إنني إذا هممت بعمـل صـالـح أنـاني الشيطان، وقال: إنك مراء؛ فيقعدني عن العمل، فما الحل لهذه المشكلة؟ وجوابنا على هذا أن نقول: الحل لهذه المشكلة أن تتعـوذ بـالله مـن الشيطان الرجيم، وأن تنتهي عن ذلك، وأن تستمر في عملك الصالح معرضا عما يلقيه الشيطان في قلبك من أنك مريد للرياء، وفكـر فـلـو أنك سئلت هل أنت مراء بهذه العبـادة؟ لقلـت: لا، إذن لا يصدنك الشيطان عنها بهذه الوسوسة، فاستمر في العمل، ولا يهمنك مـا يلقيـه الشيطان في نفسـك من وساوس.

ويشكو بعض الناس ـ أيضا ـ أنه يـدخل في العبـادة ليس في قلبـه رياء، ثم يحدث له الرياء في أثناء العبادة، فما الحل؟
جوابنا على هذا: أن يسعى في طرده، والتخلص منه، وأن يقبل على عبادة الله، ويعرض عما ألقى الشيطان في قلبه من الرياء، وهو إذا دافـع

(١) سبق تخريجه (٢٠).

هذا الرياء؛ فإنه لا يضره، ولا يؤثر على عبادته. 3ـ ومن فوائد هذه الآية أيضا: أن العمل الذي لا يكون موافقا لشريعة الرسول ﷺ لا يقبل حتى وإن كان بنية خالصة، ليس فيها شرك؛ لأن النبي ﷺ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(1). وبناء على ذلك فإن جميع العبادات البدعية التي يتعبد بها أهلها، مها كثرت، ومها أثرت من لين القلب ودمع العين فإنها لا تنفعهم عند الله - عز وجل ـ؛ لأنها على غير صراط الله؛ وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام: 53]، فأي إنسان يتعبد الله عبادة قولية كانت أم فعلية فعليه الدليل على أن هذه العبادة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، وإلا فإن عمله سيكون هباء، ويكون وبالا عليه؛ لأنه ابتدع في دين الله؛ فقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٢). والبدع ـ مها حسنت في قلوب مبتدعيها ـ فإنها سيئة؛ لأن النبي -

(١) سبق تخريجه (٤٩).
(٢) رواه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)؛ والدارمي

/١).
(٤٥،٤٤

عليه الصلاة والسلام ـ قال كلمة عامة شاملة: «كل بدعة ضلالة»، ولم يستثن النبي ﷺ شيئا، والبدع ـ وإن حسنت في قلوب مبتدعيها ـ فإنها شر؛ تفرق الناس في دين الله، وتجعل كل طائفة من الناس تضلل الأخرى، ويكون كل حزب با لديهم فرحون، كما هو الواقع الآن؛ لما انتشرت البدع في الأمة الإسلامية، ومنذ زمن بعيد صارت الأمة الإسلامية متفرقة يضلل بعضها بعضا، وربما يصل الأمر إلى أن يكفر بعضهم بعضا، فقد قال الله ـ تعالى ـ: « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى: ١٣]. وقال ـ عز وجل : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينتهم بما كانوا يفعلون ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وإنني بهذه المناسبة أوجه النصيحة إلى إخواني المسلمين أن يحرصوا على أن تكون أعالهم كلها

مبنية على شريعة الله، على ما جاء عن رسول الله ﷺ ؛ فإن هديه خير الهدي، وما خرج عن هديه فهو ضلال، وفتنة، وبدعة، وأن يحرصوا ـ أيضا ـ على الإخلاص لله ـ عز وجل ، فلا يفعلوا العبادة من أجل مراءاة الخلق أو سماع الخلق؛ لأن الخلق لا ينفعونهم، فلا ينفعهم إلا الخالق ـ عز وجل ـ.
4- ومن فوائد هذه الآية: الدليل على عظم الأجر على الإيان والعمل الصالح؛ لأن الله ـ تعالى ـ أضافه إلى نفسه؛ فقال: «فلهم

أجرهم عند ربهم، وما كان من عند الله فهو من عند الكريم العظيم، وعطاء الكريم العظيم يكون عطاء عظيها.
هـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان نعمة الله ـ عز وجل ـ على عباده بهذا الثواب؛ حيث جعله بمنزلة الأجر اللازم الذي لابد من إيفائه، وهذا من نعمة الله؛ فهو الذي تكفل بذلك، وكتب على نفسه أن من

عمل صالحا؛ فجزاؤه عند الله ـ تعالى ـ الأجر الذي يستحقه. 6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: أنه بالإيمان والعمل الصالح يطرد الخوف ويطرد الحزن في الدنيا وفي الآخرة؛ ولهذا كان أشرف الناس صدرا، وأنعمهم بالا، وأشدهم طمأنينة؛ أي: أشدهم طمأنينة في القلب هم المؤمنون العاملون عملا صالحا؛ ولهذا قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف..

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ أخذنا ميتفكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيتكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ع ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته، لكنتم من الخسرين *. الخطاب هنا لبني إسرائيل؛ يذكرهم الله - سبحانه وتعالى ـ با أخذ عليهم من الميثاق حين رفع فوقهم الطور ـ وهو الجبل المعروف ـ وذلك بعد فسوقهم وعصيانهم، وأمرهم الله أن يأخذوا ما آناهم من الشرع بقوة لا ضعف فيها ولا هوادة، وأن يذكروا ما في هذا الذي

-
آتاهم من المواعظ والأحكام؛ ليصلوا بذلك إلى تقوى الله ـ عز وجل ، ولكنهم تولوا بعد ذلك، ولولا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تداركهم بفضله ورحمته؛ لكانوا من الخاسرين أبد الآبدين.

فوائد هاتين الآيتين:

١ـ تذكير الإنسان بما أنعم الله به عليه من النعم؛ ليذكر هذه النعمة فيشكر الله عليها، ولا سيما مع طول العهد وتناسي هذه النعم. ٢ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ أخذ العهد والميثاق على بني آدم أن يوحدوه ويؤمنوا به، وذلك بما ركب فيهم من العقول، وأنزل عليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل؛ لقوله ـ تعالى -: (وإذ أخذنا

٣- بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ وعظمته؛ حيث رفع هذا الجبل العظيم فوقهم؛ تخويفا وإنذارا، وهذه الأمة ـ أعني الأمة المحمدية ـ لم يكن فيها مثل هذا الإنذار، ولكن كان فيها إنذار من نوع آخر؛ مثل كسوف الشمس، وخسوف القمر؛ فإن النبي ﷺ لما كسفت الشمس في عهده بين أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ يخوف الله بها عباده، وأنها لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فبين النبي ﷺ أن الله يخوف بها العباد؛ من أجل أن يرجعوا إلى ربهم؛ ولهذا شرع للناس الذين يرون الكسوف أو الخسوف أن يفزعوا إلى ذكر الله، واستغفاره، والصلاة، والصدقة، والعتق.

= [٢٦٤١

٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: وجوب أخذ الإنسان بشريعة الله على وجه القوة التي ليس فيها ضعف ولا توان؛ لأن الإنسان إذا قابل أوامر الله بالضعف والتواني استولى عليه الشيطان، واستحوذ عليه حتى يوصله إلى تركها، والتواني في أوامر الله ينقسم إلى قسمين: الأول: التواني في فعل المأمورات بأن يتكاسل في فعل الواجبات،

ويتراخي في فعل المندوبات؛ فيضعف إيمانه بذلك وينقص. والثاني: الضعف في ترك النواهي؛ بحيث يضعف الإنسان أمام الشهوة الدافعة إلى فعل المعصية، وأعني بالشهوة شهوة الإرادة لا شهوة الجنس، وشهوة الجنس تكون ـ بلا شك ـ أحيانا ـ من الشيء

المحرم إذا كانت على غير الأزواج وما ملكت اليمين، المهم أن الضعف كما يكون في فعل الأوامر يكون كذلك في ترك النواهي؛ بحيث يضعف
الإنسان أمام شهوات نفسه؛ فيعجز عن كبحها عما حرم الله عليه. هـ ومن فوائد الآيتين الكريمتين: وجوب ذكر ما في الكتب المنزلة من الوحي، وذكره على نوعين أيضا: النوع الأول: أن يذكر باللسان؛ وهذا يكون بتلاوة ما يتلى، وتعليم ما يعلم، والثاني: أن يذكر بالعمل؛ وذلك بالتطبيق؛ فإن تطبيق أوامر الله لا شك أنه ذكر له.

6ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن أخذ الشرائع بالقوة وذكر ما فيها على حسب النوعين السابقين يكون سببا للتقوى؛ لقوله ـ تعالى -: لعلكم تتقون».

والتقوى مأخوذة من الوقاية؛ وهي أن يتقي الإنسان عذاب الله - عز وجل -، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد فسرت التقوى بتفاسير متعددة، لكنها لا تخرج عما ذكرنا؛ وهي فعل أوامر الله ﷺ اجتناب نواهيه ـ تبارك وتعالى ؛ لأن الوقاية من عذاب الله لا تكون إلا بذلك. ـ ومن فوائد الآيتين الكريمتين: إثبات الأسباب؛ لقوله ـ تعالى ـ: ولعلكم تتقون»؛ فإن «لعل» ـ هنا ـ للتعليل، والعلة: السبب، والناس في الأسباب انقسموا إلى ثلاثة أقسام:
قسم أفرطوا فيها، وقسم فرّطوا فيها، وقسم وسط. فأما الذين أفرطوا فيها ـ أي: بالغوا وغالوا ؛ فإنهم أثبتوا الأسباب وجعلوها هي الفائدة المؤثرة التي لا يمكن أن يتخلف المسبب فيها عن
السبب.
وأما الذين فرطوا في الأسباب؛ فهم الذين قالوا: إن الأسباب ليس لها تأثير في مسبباتها، وإن الذي يحصل بهذه الأسباب لم يكن بها، ولكنه عندها؛ مثال ذلك: لو انكسرت زجاجة بحجر رميت به، فعند القسم الأول الذين أفرطوا في إثبات الأسباب يكون انكسار الزجاجة بها أمرا طبيعيا لابد منه، وعند الآخرين لم يكن الانكسار بسبب اصطدام الحجر بالزجاجة، وإنما كان عند اصطدام الحجر بالزجاجة لا به، ولا شك أن هذين القولين بعيدان عن الصواب، وأن الصواب هو القول الثالث الوسط، الذين أثبتوا الأسباب وتأثيرها في مسبباتها، ولكنهم

جعلوا ذلك مما خلقه الله ـ عز وجل ـ فيها من القوة؛ فهي لم تنفرد بالتأثير، ولكن خلق الله فيها هذا التأثير؛ ويدل لذلك السمع والعقل. فأما السمع؛ فإن الآيات والأحاديث في إثبات الأسباب وتأثيرها لا تكاد تحصى كثرة.
وأما الواقع أو العقل؛ فإن الحسّ شاهد بذلك؛ فكل إنسان يعرف أن انكسار الزجاجة لرميها بالحجر، إنها كان بالحجر لا عند اصطدامه بها؛ ولهذا لو وضعت الحجر عليها وضعا؛ لم يكن له تأثير فيها، ويدل على أن الأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تؤثر بها أودع الله فيها من القوة، أن النار المحرقة الحارة حين أمرها الله - عز وجل ـ أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم كانت بردا وسلاما عليه؛ فإن إبراهيم أضرمت له نار كبيرة عظيمة وألقي فيها، حتى إن بعض العلماء قال: إن قومه لما أرادوا أن يلقوه في النار لم يتمكنوا من القرب منها فوضعوه في منجنيق ورموه بواسطته إلى النار، فقال الله ـ تعالى ـ: * ينتار كوني بردا وسليما على إبراهيم ﴾ [الأنبياء: 69]؛ فكانت بردا وسلاما عليه، ولم تؤثر فيه شيئا، وهذا يدل على أن تأثير الأسباب ليس تأثيرا ذاتيا حتميا لابد منه، بل با خلقه الله فيها من القوة المؤثرة لا الفاعلة.

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين أيضا: أن بني إسرائيل ـ بعد هذا الإنذار الشديد ـ لم ينتفعوا بها أنذروا به، بل تولوا من بعده، وهذا يدل على قسوة قلوبهم، وأنهم من أشد الناس طغيانا وضلالا.

سورة البقرة

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات فضل الله ـ عز وجل ـ على بني إسرائيل، وما أكثر نعمه على بني إسرائيل، ولكنهم قوم لا يشكرون، بل كانوا يصفون الله - عز وجل ـ با ينزه عنه؛ كقولهم: «يد الله مغلولة»؛ قال الله ـ تعالى - : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [المائدة: 64]. ووصفوا الله - سبحانه وتعالى ـ بالفقر؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ان ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢]
١٠ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتدارك عبده بالفضل، قال تعالى: «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من
الخسرين .

١٨٢

٢٦٧

١٨١

١١ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: تذكير آخر الأمة بما صنع أولها؛ لأنه إن كان خيرا كان من الفضل أن يتبعوا من سبقهم فيه، وإن كان شرا كان من الحكمة والعقل أن يتعدوا عنه، واستنبط بعض العلماء من هذا أن صنيع أول أمة يصح أن ينسب إلى آخرها؛ لأن الله خاطب بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ با صنعه آباؤهم وأجدادهم، وهذه الفائدة محل نقاش ومحل تأمل.
١٢ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: أنه ينبغي للإنسان ألا يضيف ما من

١٢٦٨

الله به عليه من فضل إلى مجرد فعله هو؛ فينسى بذلك نعمة الله ﷺ فضله، ويقع في الإعجاب بالنفس الذي هو محط كل شر.

*

ثم قال الله - تعالى -: (ولقد علمهم الذين اعتدوا منكم في الشبت فقلنا لهم كونوا قردة خسيين ان جعلتها تكلا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (.

يؤكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هاتين الآيتين، في خطاب بني إسرائيل، في عهد النبي ﷺ أنهم قد علموا حال الذين اعتدوا منهم في السبت ـ وهو اليوم الذي كانوا يعظمونه ـ؛ وكان الله ـ سبحانه وتعالى قد حرم عليهم الصيد في هذا اليوم وابتلاهم؛ حيث كانت تأتيهم الحيتان في هذا اليوم شرعا، طافية على ظهر الماء، كثيرة، يسهل أخذها، وفي غير هذا اليوم لا تأتيهم الحيتان؛ فطال عليهم الأمد، وقالوا: لا يمكن أن ندع هذه الحيتان تأتي وترجع دون أن نصيدها، فعملوا لذلك حيلة؛ فوضعوا «شباكا» في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت وقعت في هذه «الشباك»، وإذا كان يوم الأحد أتوا إلى الشباك، فأخذوا ما فيها من

الحيتان؛ فعاقبهم الله ـ تعالى ـ بهذه العقوبة العظيمة أن جعلهم قردة خاسئين ـ القردة: جمع قرد، والخاسئ: هو الذليل ـ بعد أن كانوا بشرا سويا ذا عناد ورفعة، فجعل الله هذه العقوبة نكالا لما بين يديها للأمة المعاصرة لهم، وما خلف هذه الأمة الآتية بعدهم، وجعلها كذلك

موعظة للمتقين؛ أي: سببا لاتعاظهم، وقد سبق الكلام عن التقوى. في هاتين الآيتين يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل الذين كانوا في عهد النبي ﷺ با حدث لمن سبقهم من بني إسرائيل با ذكر
عن السبت .

فوائد هاتين الآيتين:
١ـ تذكير الأمة بما فعل سلفها؛ ليتخذوا منه عبرة. ٢ـ ومن فوائدهما: أن التخيل على محارم الله لا يقلبها إلى حلال، بل إنّ التّحيل على المحارم لا يزيدها إلا قبحا؛ لأن التحيل على المحارم فيه محذور فعل المحرم، ومحذور الخداع الله ـ عز وجل ـ. فيكون المتحيل جامعا بين فعل المعصية التي نهوا عنها وخيانة الله - سبحانه وتعالى - وخداعه، * ويمكرون ويمكر الله والله خير المنكرين ﴾ [الأنفال: 30]، فأعظم فائدة تستنبط من هاتين الآيتين: هي أن التحيل على محارم الله - عز وجل ـ لا يقلبها حلالا؛ بل إن التحيل على المحارم لا يزيدها إلا

قبحًا؛ لأن المتحيل يقع في محظورين:
المحظور الأول: أن يقع بفعل هذا المحرم في المحظور. الثاني: المخادعة الله - سبحانه وتعالى ـ؛ ولهذا نجد أن المنافقين أعظم ذنوبا وأكبر جرما من الكافرين الصرحاء؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى -: « إن المنفقين خدعون الله وهو خدعهم ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: « إن المشفقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [النساء: ١٤٥].

وبين الله - سبحانه وتعالى ـ أن المنافقين هم العدو الحقيقي الأكبر للمؤمنين؛ كا ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة «المنافقون» في قوله:
وهم العدو فاحذرهم ﴾ [المنافقون: 4]؛ ومن هنا نعلم أن الذين يتحيلون على الربا بالطرق الملتوية أشد إثما من الذين يأتون الربا على وجه صريح؛ لما في فعلهم من الوقوع في محظور الربا من وجه ومن مخادعة الله - سبحانه وتعالى ـ من وجه آخر. وهناك معنى ثالث في المخادعة؛ وهو أن المخادع يظن أنه على صواب، وأنه لم ينتهك المحرم؛ فلا يزال مستمرا عليه، ولا يحدث نفسه بالتوبة منه، بخلاف الذي يأتي المحرم على وجه صريح؛ فإنه يرى نفسه مذنبا مقصرا في حق الله؛ فيخجل من ربه ـ عز وجل -، وربما يأتي اليوم الذي يتوب فيه إلى الله - سبحانه وتعالى ـ، فيكون الآتي للمحرم صريحا أقرب إلى التوبة من المخادع الماكر؛ ولهذا لعن الرجل الذي يتزوج امرأة؛ لتحليلها لزوجها الأول؛ كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ «لعن المحلل والمحلل له»).
والتحليل هو أن الرجل يتزوج امرأة طلقها زوجها ثلاثا؛ من أجل

(١) رواه أبو داود: كتاب النكاح، باب في التحليل، رقم (٢٠٧٦)؛ والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في المحلل والمحلل له، رقم (١١٢٠)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ والنسائي: كتاب الطلاق، باب إحلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ، رقم (٣٤١٦)؛ وابن ماجه: كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له، رقم (١٩٣٤، ١٩٣٥)؛ والدارمي (٢/ ١٥٨)؛
وغيرهم.

أن يجامعها فيحلها لزوجها الأول، وهذا لا شك أنه محرم، وأنه لا ينفع؛ ولهذا قال أهل العلم: إن الرجل إذا تزوج امرأة على سبيل التحليل؛ فإنها لا تحل للزوج الأول ولو أن الثاني جامعها؛ وذلك لأن نكاح التحليل نكاح لا يراد به حقيقته؛ فإنه إنما يريد أن يتزوج هذه المرأة؛ من أجل أن يجامعها ثم تعود إلى زوجها الأول، قال أهل العلم: ومع ذلك فإنها لا تحل للزوج الأول؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ قال في كتابه: * فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) [البقرة: ٢٣٠] ونكاح التحليل ليس بنكاح شرعي؛ لأنه نكاح غير مقصود؛ فإن من المعلوم أن المقصود بالنكاح هو بقاء المرأة عند زوجها؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل من فوائد النكاح أن يسكن الرجل إلى زوجته وتسكن إليه، فإذا كان النكاح ليس نكاح رغبة، بل إنما تزوجها ليطلقها

م
إذا أحلها للزوج الأول؛ فإن ذلك ليس بنكاح شرعي، وحينئذ لا تحل للزوج الأول، وإنا نبهت على ذلك ـ وإن كان والله الحمد قليلا عندنا ؛ لأنه قد يخفى على بعض الجهال؛ فيريدون فعل المعروف للزوج الأول، ولكنهم يسيئون إلى أنفسهم، ولا يفيدون الزوج الأول شيئا؛ لأن الزوجة لا تحل للزوج الأول إذا كان النكاح الثاني نكاح
تحليل لا رغبة.

(١) طلقها: أي: الطلقة الثالثة.

أحكام من القرآن الكريم

٣ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن العقوبة تكون مجانسة للعمل؛ كما قال الله - تبارك وتعالى -: * فكلا أخذنا بذنبه ؟ [العنكبوت: 40]، فهؤلاء القوم ـ لما تحيّلوا على فعل المحرم با ظاهره الإباحة؛ حيث نصبوا الشباك في يوم الجمعة، وأخذوا الحيتان الواقعة فيه في يوم الأحد، وظاهر هذا الفعل أنهم لم يصطادوا في يوم السبت، وأنهم فعلوا فعلا حلالا؛ قلبهم الله - سبحانه وتعالى ـ إلى أقرب الحيوانات شبها بالإنسان وهي القردة.
٤ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن قول الله ـ عز وجل - ينقسم إلى قسمين: قول كوني؛ كما في هذه الآية: « فقلنا لهم كونوا قردة خستين ؛ فإن هذا القول كوني وليس بشرعي؛ لأنه ليس باستطاعتهم أن يقلبوا أنفسهم إلى قردة، ولكنه القول الكوني الذي قال الله عنه: وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس: ٨٢]. وأما القول الشرعي؛ فهو ما جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل قوله - تعالى -: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكز [غافر: 60]؛ فإن قوله: «ادعوني أستجب لكز: قول شرعي يؤمر به العبد ويمكنه امتثاله، والفرق بين القولين ـ الكوني والشرعي ـ أن القول الكوني لابد من نفوذه ووقوعه، أما القول الشرعي فإنه قد يمتثل المقول له وقد لا يمتثل، أما القول الكوني فلابد من وقوع مقوله بكل حال.

سورة البقرة

هـ ومن فوائد هاتين الآيتين: إثبات القول الله؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائل ويقول، كما أنه متكلم ويتكلم، والكلام وضفة ـ سبحانه وتعالى ـ القائم به، وهو وصف ذاتي فعلي؛ فالكلام ـ باعتبار أصله ـ وصف ذاتي لم يزل اللى ﷺ لا يزال متصفا به، وباعتبار آحاده وصف فعلي يتكلم با شاء متى شاء، وهذا هو ما ذهب إليه السلف وأهل السنة والجماعة من أن

الكلام وصف الله ـ تعالى ـ قائم بذاته متعلق

بمشيئته.
6ـ ومن فوائدهما: بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ؛ حيث انقلب هؤلاء البشر من الإنسانية إلى الحيوانية البهيمية؛ لقوله ـ تعالى -: ﴿ كونوا قردة خستين ؛ فكانوا قردة، ويبقى سؤال يطرح نفسه؛ وهو هل هذه القردة الموجودة الآن من نسل بني إسرائيل أم هي جنس من المخلوقات منفرد؟

وجوابنا على هذا أن نقول: هذه القردة الموجودة ـ الآن ـ جنس منفرد من مخلوقات الله ـ عز وجل -، مستقل بنفسه، أما الذين قلبوا قردة من بني إسرائيل؛ فإنه ليس لهم نسل، بل ماتوا، وهلكوا، وبادوا ـ كا قرر ذلك أهل العلم -؛ وذلك أن بني آدم من آدم، وآدم خلقه الله ـ تعالى ـ من تراب، ثم قال له: كن؛ فيكون؛ قال الله ـ تعالى ـ: « إن مثل عيسى عند الله كمثل :ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ؟
[آل عمران: 59].

-

-

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين: تكذيب من زعم أن البشر أصلهم قردة، ثم تطوروا حتى صاروا بشرا؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل الإنسان قردا ـ حينا أراد أن يعاقبه ـ؛ لمخالفته أمره، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة على أن آدم خلق من تراب، وأجمع على ذلك المسلمون، ولم يختلف فيه اثنان منهم، فمن اعتقد أن أصل بني آدم قردة؛ فإنه مكذب بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، فإن قالها عن جهل ـ لكونه عاش في بيئة لا تعلم سوى ذلك ـ؛ فإنه يعلم، فإن أصر على ما كان عليه؛ صار كافرا، وإن لم يقلها عن جهل - بأن كان مقيما في بلاد المسلمين الذين يقرءون كتاب الله وسنة رسوله ؛ فإنه يكون كافرا بمجرد قوله: إن بني آدم أصلهم قردة؛ لأن هذا تكذيب صريح لما علم من دين الإسلام. ٨ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن من رام المرتبة بغير استحقاق لها؛ فإنه يعاقب

بنقيض قصده؛ لأن هؤلاء الذين اعتدوا، واستكبروا، وتعالوا عوقبوا بنقيض قصدهم؛ عوقبوا بأن حولوا إلى قردة خاسئة ذليلة، وهكذا كان من أراد علوا في الأرض أو فسادا؛ فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يصلح عمله، بل يحطه وينزله؛ قال الله ـ تعالى : «إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ [يونس: 81]، ومن تواضع الله رفعه، ومن تعالى على اللى ﷺ ضعه؛ ولهذا كان الإنسان كلما تواضع للحق وللخلق؛ ازداد رفعة عند الله ﷺ عند الخلق ـ أيضا.

سـورة البقـرة

١٢٧٥

ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: إثبات العقوبة، وأن العقوبة لابد أن يكون لها تأثير؛ لقوله ـ تعالى ـ: «جعلتها تكلا لما بين يديها وما خلفها، ووجه ذلك أن كل من اطلع على حال هؤلاء، فلابد أن ينكل؛ أي: يمتنع عما كان عليه من الإثم والعدوان، سواء كان ذلك بترك الواجب، أو انتهاك المحرم، واعلم أن «الجعل» ـ الذي أضافه الله لنفسه ـ ينقسم إلى قسمين: قسم كوني وقسم شرعي؛ فمن الكوني قوله - تعالى -: «وجعلنا اليل لباشا وجعلنا اليل يباشا (وجعلنا النهار
معاشاء [النبأ: ١٠،١١].

ومن الشـرعي قوله ـ تعالى ـ: « ما جعل الله من تجيرة ولا ساية ولا وصيلة ﴾ [المائدة: 103]؛ أي: ما شرع هذه الأشياء. ١٠ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن الموعظة إنها ينتفع بها المتقون؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وموعظة للمتقين »؛ فمن ليس بمتق فإنه لا ينتفع بالموعظة، وكلما كان الإنسان أتقى الله كان أوعى للموعظة وأكثر انتفاعا بها؛ وشاهد هذا ظاهر في المحسوس؛ فإنك تجد الرجل المتمادي في المعاصي، المنهمك فيها لا ينتفع بالموعظة والإرشاد، وتجد الرجل المستقيم المتقي إذا وعظ انتفع، فإن كان في اتجاه إلى محرم عدل عنه، وإن كان متهاونا في مأمور اتجه إلى فعله واستبق إليه.
١١ـ ومن فوائد هاتين الآيتين الكريمتين: أن للتقوى فوائد؛ منهـا: الموعظة؛ أي: الاتعاظ بها يحصل من الآيات، آيات الله الكونية أو آيات

١٢٧٦
الله الشرعية، وللتقوى فوائد كثيرة ذكرها الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم: منها: أنها سبب لتيسير الأمور؛ كما قال الله ـ تعالى : (ومن يتق الله تجعل له من أمره، يسرا ﴾ [الطلاق: 4]. ومنها: أنها سبب لتفريج الكربات؛ كما قال الله - تعالى -: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا

ويرزقه من حيث لا تحتسب ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ومنها: أنها سبب للهداية والنور؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: * يأيها الذين ءامنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الأنفال: ٢٩]، فإذا كانت التقوى بهذه المثابة؛ كان لزاما على العاقل أن يلتزم التقوى؛ حتى تحصل له هذه الفوائد العظيمة التي رتبت عليها.

].

أحكام من القرآن الكريم

*

ثم قال الله - تعالى -: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذكوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجتهليت و قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمروت ﷺ قالوا اذع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تشر النظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تشفى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الفن جئت بالحق فدخوها وما

ع

كادوا يفعلون (وإذ قتلتم نفسا فادارتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (فقلنا أضربوه ببعضها كذالك يحي الله الموتى ويريكم ايته، لعلكم تعقلون (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله يغفل عما تعملون * * [البقرة: 67 - ٧٤]. ـ

أن

في هذه الآيات الكريمة يذكر الله - سبحانه وتعالى ـ بني إسرائيل بهذه القصة الغريبة العجيبة التي وقعت من بني إسرائيل؛ وذلك أنّهم قتلوا نفسا، فاختصموا فيها، وتدارءوا فيها، وكل قبيلة تدعي القبيلة الأخرى هي التي قتلت هذه النفس، واشتبه عليهم الأمر؛ فارتفعوا إلى

موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال لهم موسى: : «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، ولكن لطغيانهم، وعتوهم، واستبعادهم ما عند الله ـ عز وجل ـ سخروا بموسى وقالوا: «أتتخذنا هزوا »؛ أي: أتستهزئ بنا، فا شأن ذبح البقرة بهذه المشكلة، فقال لهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «أعوذ بالله أن أكون من الجهلين»؛ الذين يجهلون حق البشر، أو الذين يعتدون على البشر؛ وذلك لأن الجهل قد يراد به عدم العلم، وقد يراد به العدوان؛ وهو الجهالة؛ كما قال الله - تعالى -: «إنما الثوبة على الله للذين يعملون الشقة يجهلة ثم يثوبوت من قريب فأولتيك يتوب الله عليهم ﴾ [النساء: 17].

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به؛ فلا حاجة الله في أن يدع طعامه وشرابه» ؛ يعني: الصوم، فالجهالة قد تكون بمعنى السفاهة، وسوء التصرف، والعدوان على الغير، وقد تكون بمعنى عدم العلم، فقول موسى: «أعوذ بالله أن أكون من الجهلين * يحتمل المعنيين جميعا، فلا رأوا موسى جادا فيها قال لم يمتثلوا ـ أيضا ـ امتثالا فوريا يدل على الانقياد التام، ولكنهم عاندوا بالاستفسار، فقالوا: «ادع لنا رئك يبين لنا ما هي »؛ أي: ما سنها؟ وما عمرها؟ وهل هي كبيرة أو صغيرة؟ إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمرون»؛ يعني: أنها لا كبيرة ولا صغيرة، ولكنها عوان بين ذلك، ثم أمرهم أن يفعلوا ما أمروا به، ولكنهم لم يفعلوا ولم يمتثلوا أمر نبيهم، بل إن ظاهر الآية الكريمة أن الأمر في قوله: «فافعلوا ما تؤمرون» صادر من الله؛ لقوله ـ تعالى -: (إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذالك فافعلوا ما تؤمرون .

ع

قالوا: «ادع لنا رئك يبين لنا ما لونها»؛ أي: أنهم لم يمتثلوا ولم يفعلوا ما أمروا به، بل ذهبوا يستفسرون استفسارا آخر عن اللون،

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، رقم (١٦٨٩) بهذا اللفظ، ورواه ـ بنحوه ـ البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم (١٩٠٣).

فقال موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: «إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر النظرين "
، قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إنـه ـ أي: الـرب ـ عـز وجـل ـ يقـول: (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تشر النظرين *؛ فبين الله - عز وجل ـ أنها بقرة صفراء، فاقع لـونـهـا ـ أي: واضح الصفار ، تسر الناظرين بحسنها وجمالهـا، ولم يقتصروا عـلى ذلك، بل طلبوا تفصيلا آخر فقـالـوا ـ كـا في قولـه ـ تعالى ـ: «ادع لنا
ج
ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » ؛ يعني: أنهم تشابه عليهم البقر الصفر؛ لأنهـم كـانـوا يشاهدون بقـرات صفراء، فقالوا: فإذا يراد منا أن نذبح من هذه البقرات؟ قال موسى: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث»؛ أي: أنهـا بقرة لا تستعمل في الحرث لا سقيا ولا إثارة، لا تثير الأرض بحرثهـا، ولا تسقي الزرع القائم ومسلمة لاشية فيها »؛ أي: لا عيـب وإنـا قال: «مسلمة لاشية فيها بعد قوله: «تُثير الأرض ولا تشقى الحرث»؛ لئلا يظنوا أنها بقرة هزيلة عجفاء ليس بها حراك، فقال: إنها: «مسلمة لاشية فيها »؛ أي: ليس فيهـا عيـب، وحينئـذ قـالوا: «الفن جئت بالحق »؛ أي: في هذا الحوار جئت بالحق. وتأمل ماذا تدل عليه هذه الكلمة
- عليه
الصلاة والسلام ـ، وبيان أنهم لن يقبلوا من أمره إلا ما ظنوا أنه الحـق؛ حيث قالوا: «الشن جئت بالحق * على الوصف الذي بينه
من
الاستخفاف
بموسى

الله - عز وجل ـ على لسان موسى عليه السلام، ومع ذلك ذبحوها وهم لم يقاربوا فعل الذبح؛ أي : من أجل تأخرهم، وتوانيهم، وتكاسلهم عن تنفيذ ما أمر الله - عز وجل ؛ ولهذا قال ـ تعالى : (وما كادوا يفعلون »؛ أي: ذبحوها بعد أن كادوا؛ أي: قاربوا ألا يفعلوا؛ لأنهم قوم عندهم من الطغيان والعتو على شرع الله ما لا نعلمه صدر عن أمة سواهم، اللهم إلا ما ذكر الله ـ عز

وجل ـ عن قوم نوح، حين قال نوح - عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصبعه في اذانهم وأستغشوا ثيابهم وأصروا وأستكبروا استكبارا﴾ [نوح: 7]. ثم بين الله القصة فقال: «وإذ قتلثم نفشا فاذرائم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون»؛ أي: قتلـتـم نـفـسـا محـرمـة؛ فاختلفتم فيهـا، فبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما حصل بواسطة هذه البقرة التي ذبحت، وذلك بأن يضربوا هذا القتيل ببعضها، قال الله ـ تعالى ـ: «فقلنا أضربوه ببعضها كذالك يحي الله الموتى ويريكم اينته، لعلكم تعقلون»، فـــــــربوا بعضو منها ـ ولا ضرورة لتعيينه ـ، ثم نطـق القتيـل، وقال: إن الـذي قتلني فلان، فبين الله ـ تعالى ـ ما كانوا يكتمون. قال الله - عز وجل -: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغفل عما تعملون .

سورة البقرة

٢٨١

في هذه الآية الكريمة يبين الله ـ عز وجل ـ أن بني إسرائيل بعـد أن أنعم الله عليهم ببيان قاتل القتيل الذي ادارءوا فيه، وكادت تحصل فتنة عظيمة لولا أن الله من عليهم با ذكر، بعد هذا ـ أي: بعد ما حصل من هذه النعمة الكبيرة ـ قست قلوبهم؛ أي: صلبت وعظـم استكبارهم، فكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وإنما ضرب الله المثل بالحجارة دون الحديد؛ لأن الحديد قد يلين مع النار، لكن الحجارة لا تلين، فهـي كالحجارة أو أشد قسوة، بل إن الحجارة خير من قلوبهم؛ لأن الحجارة يخرج منها ما فيه منافع للناس، ويهبط منها ما يهبط من خشية الله؛ فمن الحجارة ما تتفجر منه الأنهار، ومن الحجارة ما يشقق ـ أي: يتشقق - فيخرج منه الماء، ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله، ثم ختم الله الآية الكريمة ببيان كال مراقبته وعلمه، فقال ـ تعالى ـ: «وما الله بغفل عما
تعملون *.

فوائد الآيات الكريمة:
١ـ من فوائدها: أن الرجوع إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام - في الأمور المهمة التي طريقها الشرع كان أمرا فطريا، سار الناس عليه منذ زمن بعيد؛ ويتفرع عن هذه الفائدة: أن الواجب على الأمة إذا أشكل عليهم شيء من أمور دينهم أن يرجعوا إلى أهل العلم بشريعة الله؛ وذلك لأن شريعة الله تعالى لاسيما الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ فيها شفاء لكل داء، وفيها حل لكل مشكل؛ ولهذا قال الله

تعالى : (فإن تنتزعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء: 59]؛ أي: إلى كتاب الله، وإلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد مماته، ولم يأمرنا الله ـ تعالى ـ بالرجوع إلى الله ورسوله؛ إلا لأننا سنجد الحل الشافي الكافي في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ضر الأمة وأوجد عندها المشاكل التي لا منتهى لها إلا غفلتهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

٢- ومن فوائد هـذه الآيات الكريمة: بيـان عـتـو بنـي إسرائيل، وتأخرهم في تنفيذ أوامر الله، وأنهم قوم معاندون متشددون؛ شـددوا فشدد الله عليهم؛ لأنهم ذكروا استفصالات كثيرة في هذه البقـرة الـتي أمروا بذبحها، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة حينها أمـروا أن يذبحوا بقـرة؛ لحصل لهم المقصود، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

٣ـ

3- ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أن الأمر إذا جاء مطلقا فإنه لا ينبغي أن يستفصل فيه؛ لأن الاستفصال قد يؤدي إلى إضافة شروط ثقيلة، فـإذا جـاء أمـر الله ـ عـز وجـل ـ في زمـن الـوحي مطلقـا فـإن الاستفصال عن قيود من شأن القوم الذين لا يريدون امتثال الأمر على وجه الفورية، أما بعد انقطاع الوحي فإنه لا حرج على الإنسان إذا ورد الأمر مطلقا أن يبحث عن شيء مقيد له؛ وذلك لأن الشريعة قد تمت، ولا يمكن زيادة إضافات إليها، فهنا يفرق بين أن يجـد الإنسان أمـرا مطلقا في القرآن والسنة فـيا بـعـد انقطـاع الـوحـي وفـيا كـان في زمـن

الوحي؛ فما كان في زمن الوحي فإنه لا ينبغي الاستفصال عن قيود فيه؛ لئلا ترد قيود تضيق الأمر، وأما بعد زمن الوحي فلا بأس مـن البحـث عن قيود؛ لأن النصوص ـ أحيانا ـ تـأتي مطلقة في موضع، وتقيد في موضع آخر.

٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: بيان ما عليه بنو إسرائيل مـن سوء الظن؛ فإن موسى ـ عليه الـصلاة والسلام ـ أعـظـم أنبيـاء بنـي إسرائيل، ومع ذلك قـال لـه بنـو إسرائيـل ـ حـيـن أمـرهـم أن يذبحوا بقرة : «أتتخذنا هزوا »

هـ ومـن فـوائـد هـذه الآية الكريمـة: تحـريـم الاستهزاء بـالغير والسخرية منهم؛ لقول موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: (أعوذ بالله أن أكون من الجهلين *؛ فالاستهزاء بالغير والسخرية منهم جهالة وعدوان على المستهزأ به، المسخور منه، لا يقع إلا من سـفيه أو جاهـل بالشـريعة.

6. ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن الأنبياء ـ عـلـيهـم الـصلاة والسلام ـ لا يلجئون إلا الله ـ سبحانه وتعالى ، وإذا كـان الأنبيـاء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا ملجأ لهم إلا الله؛ فما بالـك بـمـن دونهـم؟! ويتفرع عن هذا قطع الشرك الـذي يقـع فـيـه كـثـيـر مـن النـاس، حينا يلجئون إلى الموتى مـن الأنبياء، أو ممـن يزعمـونهم أولياء، يلتجئـون إليهم، ويستعيذون بهم، ويستعينون بهم؛ فإن الاستعاذة بغير الله ـ عز

وجل ـ في أمر لا يقدر عليه المستعاذ به من الشرك، وكذلك الاستغاثة بغير الله في أمر لا يقدر عليه المستغاث به هو من الشرك أيضـا؛ فـالله سبحانه وتعالى ـ هو الملجأ الذي يلجأ إليه كل مخلوق، ولا عاصـم مـن أمر الله إلا من رحم.
ع
ـ ومن فوائد هذه الآيات الكـريـات: أن المجمـل إذا عـلـم المـراد منه؛ فلا بأس أن يكون الجواب عليـه مفصلا، وإن كـان هـو مجمـلا؛ لقولـه ـ تعالى ـ: «قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة ...﴾ الآية؛ فإن قولهم في قوله ـ تعالى ـ: «يبين لنا ما هي » مجمـل مبهم؛ لأن الأسماء الموصولة من الأسماء المبهمة المجملة، فلا يعلم ماذا يريدون بقولهم: «ما هي»؟ لكـن إذا كـان المخاطـب يعلـم المـراد بهـذا المجمل المبهم، فـلا بـأس أن يكـون الجـواب عـلى حـسـب مـا فـهـمـه المخاطب؛ ولهذا قال لهم موسى ـ كما في قوله ـ تعالى ـ: «قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكرعوان ؟ إلى آخر الآيات. هـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات قول الله ـ عز وجل - في قوله: «إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان). 9 - ومن فوائد هذه الآيـات الـكـريـات: أن الله - سبحانه وتعالى - مجيب لمن دعاه؛ لأن موسى دعا ربه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يبيـن لـه مـا
هي؟ فأخبره الله أنها بقرة لا فارض، ولا بكر، عوان بين ذلك. ١٠ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمة: أن أحسن شيء يتقرب به إلى

الله ما كان فوق الصغر ودون الكبر الكثير؛ لقولـه ـ تعالى ـ: «إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا تذبحوا إلا مـسنة، إلا أن يعـشـر عـلـيكـم فـتـذبحوا جذعـة مـن الضأن»(١)، فنهى النبي ﷺ عن التقرب إلى الله بذبح الصغيرة، ومـن المعلوم أنه كلما كبرت البهيمة قل شأن لحمها وتردى؛ فلهذا يكـون مـا بين الصغيرة والكبيرة هو الأفضل فيها يتقرب به إلى الله ـ عز وجل ـ. ١١ـ ومن فوائد قوله - تعالى -: «فافعلوا ما تؤمروت » : أنه يجـب على المأمور أن يمتثل ما أمر به على الوجه الذي أمر به؛ لقوله ـ تعـالى ـ: ما تؤمروت»، و«ما» هذه موصولة تشمل عـيـن المأمور ووصـف المأمور، وما أمـر بـه شـرعـا فـإن الامتثال لا يحـصـل فيـه إلا إذا فعلـه الإنسان على وجه ليس فيه زيادة ولا نقص؛ لأن الزيادة غلق والنقص
تفريط.

١٢ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن بني إسرائيـل عـنـدهـم من التهاون والتفريط في تنفيذ أوامـر الله مـا يتبـيـن مـن هـذه القـصة وغيرها؛ فهم حين طلب منهم أن يفعلـوا مـا يؤمرون لم يفعلـوا، بـل ازدادوا تعنتا وتشددا، فقالوا: «أذع لنا رئك يبين لنا ما لونها ﴾ الآية، ويستفاد من هذه الآية: شدة تعنت بني إسرائيل وتشددهم؛ وإلا فـا

(1) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب سن الأضحية، رقم (١٩٦٣).

شأن اللون بالنسبة للغرض المقصود مـن ذبـح هـذه البقـرة، ولكنهم لتشددهم وتمنعهم في تنفيذ أمر الله ـ عز وجل ـ صاروا يسألون عـن اللون، ولعل هذا السؤال مـن حـكـمـة الله ـ تعـالى ـ أن يـشـدد عـلـيهـم؛ فإنهم لما شددوا شدد الله عليهم.
١٣ـ ومن فوائد هـذه الآيات الـكـريات: أن مـا كـان جمـيـلا مـن الحيوان الذي يتقرب به إلى الله فهو أكمل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فاقع لونها تسر النظريت»، فإن قال الإنسان: ما شأن هذا أو ما

علاقة هـذا بـا يتقرب به إلى الله؟ فالجواب عن ذلك أن نقول: إنه لما كانت هذه البقـرة مما أمر الله به كانت قربة إلى الله؛ لأن موسى ـ عليه الصلاة والسلام - أمر قومه أن يذبحوا هذه البقرة؛ فامتثالهم لأمر موسى قربـة الله ـ عز وجل ، وإن كان الغرض من هذا هو الإرشاد فـإن فيـه شـائبة القربـة وقد يقال: إنه قربة محضة؛ لأنه يحصل به درء مفسدة وفتنة كـادت تقـع بين بني إسرائيل لولا أن الله ـ تعالى ـ أبان القتيل بهذه الوسيلة. ١٤ـ ومـن فـوائـد هـذه الآيات الـكـريات: أنـه يجـوز أن يحمـل المخاطب الشيء المبهم المجمل على ما يظنـه مـن المـراد؛ حيـث قـالـوا:
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشبه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون - قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ الآيات؛ فإن «ما هي ؟ هي الصيغة التي وردت في أول القصة في قوله: «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، ومع ذلك كان الجواب هناك بقوله: «إنها بقرة لا فارض ولا

بكره الآية، والجـواب هنـا بقوله: «إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تشفى الحرث ، مـع أن جملـة الاستفهام واحـدة في صيغتها، لكـن المخاطب يفهم من كل صيغة ما يقتضيه المقام. ١٥- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن بني إسرائيل لمـا قـالـوا: ه وإنا إن شاء الله لمهتدون» وفقهم الله - سبحانه وتعالى ـ للهـدى في النهاية، ولو أنهم قالوا: «وإنا لمهتدون»؛ لم يوفقوا؛ أي: ولو أنهم عزمـوا علي أن يكونوا مهتدين بدون أن يقولوا: «إن شاء الله»؛ فإنهم حـري ألا يوفقوا؛ لأن قرن الخبر بالمشيئة على فعل المستقبل أمـر مطلـوب؛ فـإن ذلك مما يسهل هذا الأمر؛ ولهذا لما قال سليمان ـ عليه الصلاة والسلام لأطوفن الليلة على تسعين امـرأة) كلهـن تـأتي بفـارس يجاهـد في سبيل
الله. فقال له صاحبه: قـل: إن شـاء الله، فلـم يقـل: إن شـاء الله. فطاف عليهن جميعا؛ فلم تحمل منهن إلا امرأة واحـدة، جـاءت بـشق رجل»، فقال النبي ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لكـان دركا لحاجتـه ولقاتلوا في سبيل الله» (٢)، وليس هذا من باب الخبر عن أمر واقـع؛ فـإن الخبر عن أمر واقع لا يحتاج إلى قـول: «إن شاء الله»، إلا عـلى سـبيل التبرك أو التعليل؛ ولهذا كان القول الراجح في قول الإنسان: أنا مـؤمن إن شـاء الله، إذا كان غـرضه الإخبار عن الأمر الواقع؛ فإنه لا يحتاج إلى

(1) أي: بالجماع.
(٢) تقدم تخريجه (٢٣).

قوله: إن شاء الله؛ لأن هذا خبر عن شيء حصل إلا أن يريد بذلك أن إيمانه حصل بمشيئة الله، أو أنه يريد التبرك بهذا؛ أي: إضافة إيانه إلى مشيئة الله - عز وجل -، وبراءته من حوله وقوته؛ أي: من حول نفسه وقوتها إلى مشيئة الله - عز وجل -؛ فإن هذا لا بأس به؛ ومن ثمّ كان الاستثناء في الإيمان يختلف، فإن كان الحامل عليه الشك في وجود الإيمان؛ فهذا حرام لا يجوز؛ لأن الإنسان يجب أن يؤمن إيمانا جازما لا شك فيه، وإن كان الغرض من ذلك التبرك أو بيان أن ما حصل واقع بمشيئة الله؛ فإن هذا لا بأس به، وبهذا التفصيل ينجلي الإشكال الذي حصل عند كثير من أهل العلم: هل يجوز للإنسان أن يستثني في إيمانه، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو لا يجوز؟ ١٦ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أنه إذا ذكرت أوصاف في شخص يخشى منها أن يتوهم المخاطب شيئا خلاف الواقع فإنه لابد من ذكر قيد يرفع هذا التوهم؛ وذلك في قوله ـ تعالى ـ: «قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث مسلمة لا شية فيها ؛ فإن في قوله: «لا ذلول تثير الأرض ولا تسيقى الحرث * قد يقول قائل: إن فيها عيبا؛ لأنها لا تقدر على أن تثير الأرض أو تسقي الحرث، فبين الله ـ تعالى ـ أنها مسلمة لاشية فيها، وهذا يسمى بالاحتراز أو بالاحتراس في علم البلاغة.

وقد جاء ذلك في القرآن في مواضع؛ منها: قوله ـ تبارك وتعالى -:

٤

وداود وسليمان إذ تحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شهدين (ففهمتها سليمين ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]، فقد قال الله بعد هذا: (وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فعليت ﴾ [الأنبياء: 79]؛ فلما ذكر الله ـ تعالى ـ أنه فهم الحكم الصحيح سليمان، وكان ذلك يخشى منه أن تهبط منزلة داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين الله ـ تعالى ـ أنه قد آتى داود وسليان حكما

وعلها، وأن الله سخر لداود الجبال تسبح معه والطير ... إلخ الآيات. ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ: (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل أولتيك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ [الحديد: 10]؛ فإن قوله: «أولتيك أعظم درجة * قد يؤدي إلى انحطاط كبير في رتبة الآخرين الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، فرفع الله ذلك في قوله: «وكلا وعد الله الحسنى »، ومن ذلك - أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ: « لا يستوى القعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله الجهدين بأموالهم وأنفسهم على القعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ﴾ [النساء: ٩٥]؛ فلا ذكر الله تفضيل المجاهدين على القاعدين قال: «وكلا وعد الله الحسنى؛ لئلا يتوهم واهم نزول رتبة الآخرين نزولا فاحشا. ١٧- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان ما عليه بنو إسرائيل من التعاظم، والترفع، والاستعلاء؛ لقولهم ـ كما في قوله ـ تعالى -:

ج

٢٩،

أحكام من القرآن الكريم

والشين جئت بالحق * فكأنهم هم الذين يحكمون على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل هم الذين يحكمون على ما جاء به موسى من كونه حقا أو باطلاً؛ لقوله ـ تعالى ـ: «الفن جنت بالحق ، ومن المعلوم أن

موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد جاء بالحق في ذلك الآن وقبله. ١٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أنه يجوز حرث الأرض بالبقر، وسقي الحرث بها؛ لقوله ـ تعالى ـ: « ذلول تثير الأرض ولا تشقى
الحرث .

١٩ـ ومن فوائدها: الإشارة إلى أنه ينبغي ألا نستعمل في حرث الأرض وسقي الزرع إلا ما كان ذلولا طبعا؛ وذلك لأن الشموس أو الصعب قد يفسد أكثر مما يصلح، ويمكن أن نفرع عن هذه الفائدة فائدة أخرى؛ وهي ألا نستعمل من الأشياء إلا ما دلت التجارب على أنه صالح فيها؛ حتى لا نقع في الخطأ والزلل. ٢٠- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن بني إسرائيل حين امتثلوا ما أمرهم موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذبح البقرة مع التشديد، والتعنت، والاستفصال لم يذبحوها عن انقياد تام وتنفيذ فوري؛ وإنما ذبحوها * وما كادوا يفعلون »؛ أي: ما قاربوا الفعل؛ لكونهم متصفين بالعلو والاستكبار.

٢١- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أنه يجوز ذكر المسبب قبل ذكر السبب؛ فإن الذبح كان سببه الاختلاف الذي وقع بين بني إسرائيل

بشأن القتيل، ومع ذلك ذكر قبل أن يذكر السبب؛ لأنه هو محل العبرة، وهو الذي يكشف حال بني إسرائيل على وجه الحقيقة، وأنهم قوم لا يمتثلون لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ إلا بعد أن تقبله نفوسهم، وكأنهم يريدون أن يتبع الحق أهواءهم؛ ويدل لهذا قولهم: «الفن جئت بالحق. ٢٢- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى - حيث كان ضرب هذا القتيل سببا لحياته؛ فإن إحياء الموتى لا يكون إلا بقدرة الله - عز وجل -؛ ولهذا لما ناظر إبراهيم من حاجه في الله، قال له إبراهيم : (ربي الذي يخي، ويميت ؟، قال هذا المحاج: « أنا أخي، وأمين ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وهو كاذب فيها ادعاه؛ فإنه

لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا الله - سبحانه وتعالى. ٢٣- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن الله - سبحانه وتعالى - عليم بكل شيء، وأن ما كتمه الإنسان فإن الله - تعالى - سيخرجه، ولا سيما إذا كان في خروجه للعباد مصلحة؛ كما قال الله - تعالى -: «والله مخرج ما كنتم تكتمون ؟ .

٢٤- ومن فوائدها: أن القاتل لابد أن يخرجه الله تعالى يبينه؛ كا قال - تعالى -: ﴿ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه، سلطنا فلا يشرف في القتل ﴾ [الإسراء: 33]؛ فإن الآية الكريمة تدل على أن ولي المقتول له سلطان شرعي وسلطان قدري؛ فإن الله - تعالى - يبين هذا القاتل حتى يقتل؛ ولهذا قال: « فلا يشرف في القتل ﴾ [الإسراء: 33].

٢٥- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن هذه القصة قصة من خمس قصص في سورة البقرة، كلها في إحياء الموتى وسنبين ذلك - إن شاء الله - فيما بعد.
٢٦- ومن فوائد الآيات المذكورة في هذه القصة: جواز الأمر بالمبهم إذا كان يمكن امتثاله؛

لقوله - تعالى -: «فقلنا أضربوه ببعضها»؛ فإن البعض يتناول أي جزء من أجزائها؛ كاليد، أو الرجل، أو القلب، أو الكبد، أو أي جزء من أجزائها؛ لقوله ـ تعالى ـ: «أضربوه ببعضها ؛ وبناء على ذلك لو أنك قلت لشخص: افعل بعض هذه الأشياء وذكرت له أشياء محصورة فإن هذا الأمر صحيح، ويبرأ الإنسان الذي أمرته بفعل بعضه؛ أي بفعل ما شاء، أما إذا كان هذا الإبهام لا يمكن تحقيقه فإن الواجب الاستفسار؛ ولهذا لما قال الله ـ تعالى ـ للقلم: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٢٧- ومن فوائد هذه الآيات الكريات: بيان قدرة الله - سبحانه وتعالى ـ على إحياء الموتى، وقد ذكرنا فيها سبق أن الله ذكر خمس قصص في سورة البقرة فيها إحياء الموتى؛ فمن ذلك ما سبق في قوله ـ تبارك وتعالى : (وإذ قلتم ينموسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الضيقة وأنتم تنظرون ع ثم بعثتكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون (* [البقرة: 55 ـ ٥٦]، ومنها ـ أيضا ـ هذه القصة، قصة القتيل الذي اختلف بنو إسرائيل في قاتله، ومنها قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، ومنها قصة الرجل الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: أني يحيي الله هذه بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، والخامسة: قصة إبراهيم؛ حيث قال ـ كما في قوله ـ تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب كيف تُحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلى قال فخذ أربعة من الطير قصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم * * [البقرة: ٢٦٠]. والله ـ سبحانه وتعالى ـ قادر على إحياء الموتى كلهم بكلمة واحدة؛ كما قال الله ـ تعالى : (فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة * * [النازعات: ١٣، ١٤]. و
٢٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن الله ـ سبحانه وتعالى - أرى عباده من آياته ما يكون به العقل والرشد؛ لقوله ـ تعالى -: وكذالك يحي الله الموتى ويريكم اينته، لعلكم تعقلون»، وآيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية؛ فالآيات الكونية: ما يحصل بخلقه وتقديره؛ مثل السموات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والشجر، والدواب. والآيات الشرعية: ما
جاءت به الرسل من الأوامر، والنواهي، وغيرها من أقسام الوحي.

٢٩ـ ومن فوائد الآيات الكريات: أن تدبر الآيات سبب للعقل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «لعلكم تعقلون »؛ والعقل عقلان: عقل إدراك وعقل

ج

تصرف؛ فعقل الإدراك: هو الذي يترتب عليه التكليف ويكون في المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأما عقل التصرف: فهو ما يحصل به الرشد؛ وهو حسن التصرف في أفعال الإنسان وأقواله، وهذا خاص بمن آتاه الله الحكمة؛ كما قال ـ تعالى ـ: « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألبب » [البقرة: ٢٦٩]؛ وعلى هذا فلو سألنا سائل: هل الكفار عقلاء؟ فالجواب أن نقول: هم عقلاء من حيث عقل الإدراك الذي يترتب عليه التكليف، وليسوا عقلاء من حيث عقل التصرف الذي يحصل به الرشد؛ ولهذا ينفي الله عنهم ـ أي: عن الكفار ـ كثيرا سمة العقل؛ كا في قوله: «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون - * [الأنفال: 55]. وقوله ـ تعالى ـ: « إن شر الدوات عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون بي ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]؛ فالكفار ليس لهم عقل تصرف يوصلهم إلى الرشد، وإن كان عندهم عقل إدراك يترتب عليه التكليف والمؤاخذة. 30ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات الأسباب في قوله: ولعلكم تعقلون»، وقد تقدم الكلام فيما سبق عن ذكر اختلاف الناس في الأسباب وبينا أن القول الوسط هو إثبات تأثير الأسباب لكـن لا

بذاتها، ولكن بما أودع الله فيها من القوة التي تؤثر في المسببات. ٣١ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن بني إسرائيل ـ بعد هـذا كله ـ قست قلوبهم، ولم يزدادوا بهذه الآيات والنعم لينا للحق وقبـولا له، ولكنهم قست قلوبهم من بعد ذلك. ٣٢ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: التحذير ممـا جـرى لبني إسرائيل من قسوة القلوب بعد رؤية الآيات التي يرينا الله إياها؛ فمثلا إذا رأينا من آيات الله ما تلين به القلوب، ويحصـل بـه الـرجـوع إلى الله؛ فإن الواجب

علينا أن نقوم بذلك ـ أي: بالرجوع إلى الله ـ وأن تلين قلوبنا لذكر الله، أما إذا كان الأمر بالعكس؛ لا يزداد الإنسان من رؤية الآيات إلا قسوة قلب وتمردا في الفعل؛ فإن هذا وقوع فيها كانت عليه بنو إسرائيل ـ نسأل الله السلامة.

٣٣ـ

٣٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: التحذير من قسوة القلب بعد ظهور الآيات؛ لأن هذا أعظم شرا وأكبر إنها مما إذا لم ير الإنسان من آيات الله ما تقوم به الحجة، ومع الأسف أن بعض الناس بعد ظهور الآيات لا يزداد إلا كبرا وعنادا، فتجد من آيات الله ما يظهر ظهورا بينا، سواء أكانت هذه الآيات من الأمور الفلكية، أو الأرضية، أو الواقعة بين الناس، فإن كثيرا من الناس لا يهتم بها، ولا يذكرها إلا على سبيل أنها واقعة فقط؛ فعند كسوف الشمس أو خسوف القمر لا نجد كثيرا من الناس يتأثر أو يقبل على المساجد؛ ليفعل ما أمر به

الرسول ﷺ من الصلاة، وعند حصول الزلازل والفيضانات والعواصف الشديدة لا نجد كثيرا من الناس يهتم بها، ويقلق منها، ويخشى أن يصاب بمثلها، بل لا يذكرونها إلا على أنها حوادث وقعت، وكأنها ـ كما يقولون ـ كوارث طبيعية، لا يلتفت إليها، ونجد كثيرا من الناس تقع بينهم الحروب والفتن، ويعتدي بعضهم على بعض بالقتل، والنهب، وانتهاك الحرمات، ومع هذا لا يعدونها شيئا يذكر، بل يذكرونها على أنها حوادث تاريخية، وليست من الآيات التحذيرية التي يحذر الله بها العباد؛ فتجدهم بعد أن تزول هذه الكوارث وهذه الحوادث العظيمة يرجعون إلى غيهم، بل ربا يرجعون إلى أكبر من غيهم ـ نسأل الله السلامة.
والواجب على المؤمن أن يتخذ من هذه الآيات عبرة، وأن يرجع إلى الله رجوعا حقيقيا؛ حتى لا ترجع هذه
الحوادث والكوارث على وجه أكبر مما كانت عليه من قبل. ٣٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن قلوب بني إسرائيل التي قست كانت كالحجارة بل أشد.
٣٥ـ
ومن فوائدها: أن من الحجارة ما هو خير من هذه القلوب؛ فمنها ما يتفجر منه الأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط من خشية الله، وقلوب هؤلاء القوم التي تست لا يأتي منها خير، ولا تلين لحق.
36- ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: عموم رقابة الله - عز وجل

، وأنه على كل شيء رقيب، ولا يفوته شيء، ولا يخفى عليـه شيء؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما الله يغفل عما تعملون) . ٣٧- ومن فوائد هذه الآيات: تحذير المرء من العمل الذي لا يرضاه الله ـ عز وجل ؛ لأنه مهما عمل فالله ـ تعـالى ـ عـالم بـه مطلـع عـليـه
رقيب عليه.
٣٨ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: إثبات الوصـف الـسلبي؛ أي: إثبات الصفات المنفية عن الله - عز وجل ؛ يعني: الإيان بـأن الله موصوف بالإثبات وبالنفي؛ أما وصف الله بالإثبـات: فكثـير جـدا في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأما وصـف الله ـ تعالى ـ بـالنفي: فهـو أقل من وصـفـه بالإثبـات، ولم يذكر الله ـ تعـالى ـ أوصـاف النفـي إلا لأسباب تقتضيها؛ مثل توهم النقص في صفاته؛ كما في قولـه ـ تعـالى -: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * [ق: 38]؛ لأن الشيطان قد يوقع في قلب المـرء ـ إذا علـم أن الله خلق السموات والأرض وما بينها في ستة أيام ـ أن الله ـ تعالى ـ يلحقه تعب أو لحقه تعب في ذلك فقال ـ تعالى ـ: «وما مسنا من لغوب؟ ومنها أن الصفات المنفية تذكر لدفع ما افتراه الكاذبون في حق الله؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله » [المؤمنون: 91]، ومنها أن الصفات المنفية قد تذكر للتهديد؛ كما في هذه الآية: (وما الله بغافل عما تعملون »؛ فإن المراد بهذه الجملة تهديد

المخاطب ببيان أن الله ـ تعالى ـ لن يغفل عما عمل من خير أو شر، قليل أو كثير، وقد ذكر أهل العلم: أن ما جاء من صفات النفي في حق الله ـ عز وجل ـ ليس بنفي محض، بل هو نفي متضمن للإثبات، وهذا الإثبات هو كال ضد المنفي؛ فمثلا يقال في قوله ـ تعالى : (وما مشتا من لغوب ﴾ [ق: ٣٨] المقصود بهذا النفي إثبات كمال قوته ـ عز وجل ـ وأنه لكمال قوته لم يمسه تعب ولا إعياء، ومثل قوله ـ تعالى ـ: * وما ربك بظلم للعبيد ﴾ [فصلت: ٤٦]، يراد بنفي الظلم هنا عن الله إثبات كال عدله، وأنه لكال عدله لا يقع في إثباته ظلم إطلاقا، وكذلك قوله - تعالى -: «ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ [المؤمنون: 91]، يراد بذلك إثبات كمال

غناه عن كل أحد، وإثبات وحدانيته، وأنها وحدانية مطلقة ليس معه فيها إله، وعلى هذا فقس.

فكل ما جاء من صفات منفية عن الله فليس المراد بها مجـرد النفي، وإنما المراد بها إثبات كمال الضد مع نفي هذه الصفة المعينـة التـي جـاء النفي عنها، ثم اعلم أن أهل السنة والجماعة ـ وأعني بذلك سلف الأمة ومن تبعهم في هديهم ـ ليسوا كأهل البدع الذين لا يصفون الله ـ تعالى ـ إلا بصفات النفي، فتجدهم يكثرون من صفات النفي في حق الله ـ عـز وجـل ـ وأمـا صـفـات الإثبات فـإنهم لا يهتمون بهـا، ولـو ذكروهـا لذكروها على وجه مؤول تـأويلا بعيـدا عـن الـصواب، وحقيقتـه أنـه تحريف وليس بتأويل.

٣٩ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن هذا القرآن الكريم جاء تفصيلا لكل شيء يحتاج الناس إلى تفصيله؛ من أجل أن يكون موعظة تامة في جميع الأحوال؛ فإن في ذكر أخبار من سبق عبرة لمن اعتبر؛ كا قال ـ تعالى ـ: « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [يوسف: ١١١].

ج

ثم قال الله - عز وجل - : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم تخرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليخالجوكم به، عند ربكم أفلا تعقلون من أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * . في هذه الآيات يقول الله ـ عز وجل ـ مخاطبا رسوله ﷺ وأصحابه: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم »؛ أي: أهل الكتاب؛ يعني: أترجـون أن يؤمنوا لكم، والحال أن فريقا منهم يسمعون كلام الله ـ وهـم العـلـاء منهم ـ يسمعون كلام الله في التوراة، أو يسمعون كلام الله الذي أوحاه إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ربه ويسمعون كليم الله ثم خرفونه»؛ أي: يصرفونه عن المراد به إلى معان يريدونها هم، فيجعلون معنى كلام الله - سبحانه وتعالى -

-

تابعا لأهوائهم، يفعلون ذلك بعد أن عقلوا المعنى وعرفوه، فهم يفعلون هذا عن عمد، وهم يعلمون أنهم يفعلون ذلك عن عمد لكنهم يريدون أن يتبعوا أهواءهم، ومن شأن هؤلاء المحرفين أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض: «قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »؛ أي: قال بعضهم لبعض: أتحدثون المؤمنين بما فتح الله عليكم بما أعلمكم به، وأخبركم به من صفات محمد ﷺ ليحاجوكم به عند ربكم؛ لأنكم إذا ذكرتم أن محمدا ﷺ جاء :
وصفه في التوراة، وأنه يبعث ويكون رسولاً إلى كافة الناس؛ فإنهم سوف يحاجونكم به عند الله - عز وجل ، ثم يوبخ هؤلاء أقوامهم فيقولون: (أفلا تعقلون » أفلا تكونون عقلاء، فامتنعوا عن تحديث محمد وأصحابه بشيء يحاجوكم به عند الله، قال الله ـ تعالى ـ رادا عليهم: (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»، فهم وإن أسروا وكتموا صفة محمد ﷺ أو أعلنوها؛ فإن الله ـ تعالى ـ عالم بصنيعهم، وسيجازيهم على ما فعلوا من كتان الحق، وتحريف الكتاب، هذا هو معنى هذه الآيات، أما ما يستفاد منها من أحكام؛ فإنها تدل على فوائد كثيرة منها:

١ـ تأييس النبي ﷺ وأصحابه من إيان هؤلاء المعاندين المحرفين. ٢ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن المعاند الذي يعصي الله ـ عز وجل - عناد؛ تبعد هدايته؛ لأنه لا خير فيه؛ ويدل لهذا قوله ـ
ـ عن

تعالى : (ونقلب أفيدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا بية أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام: 110]؛ فالإنسان إذا رد الحق أول مرة مع
علمه به وفهمه له؛ فإنه يبعد أن الله - سبحانه وتعالى ـ يهديه؛ لأن

قلبه ـ والعياذ بالله ـ قد زاغ؛ قال الله ـ تعالى ـ: « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ [الصف: 5].

٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: إثبات كلام الله ـ تعالى ـ وأن الله ـ تعالى ـ تكلم، وأن كلامه

يسمع؛ لقوله ـ تعالى ـ: «يسمعون كلم الله ﷺ ، وهـذا يدل على أن كلام الله بصوت مسموع يسمعه من وجه الخطاب إليه، وهـذا أمر متفق عليه بين أهل السنة والجماعة، ويدل عليه القرآن والسنة؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: ه وتدينه من جانب الطور الأيمن وقريته نجيا ؟ [مريم: ٥٢]؛ والمناداة والمناجاة لا تكونان إلا بصوت، لكن المناداة تكون بصوت عال لمن بعد، والمناجاة تكون بصوت خفي لمن كان قريبا. ٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: ذم تحريف الكلم عن مواضعه؛ لقوله - تعالى -: «ثم خرفونه ؟، قال أهل العلم: تحريف الكلم ينقسم إلى قسمين: أحدهما: تحريف اللفظ، والثاني: تحريف المعنى؛ فتحريف اللفظ يكون بتغيير الشكل، أو تغيير بنية الكلمة، وما أشبه ذلك؛ مثل لو قرأ قارئ قول الله ـ تعالى ـ: * وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، فقرأ: «وكلم الله موسى تكليتا»؛ لكان محرفا

أحكام من القرآن الكريم

للكلم، ولو قرأ: «الحمد لله رب العالمين»؛ لكان محرفا للكلم أيضا، لكن الفرق بين هذا والذي قبله أن تحريف قوله: (وكلم الله موسى تكليمًا * يتغير به المعنى فيكون المكلم موسى وليس الله، أما «الحمد رب العالمين، فإنه لا يتغير به المعنى، ولكنه لا يجوز ارتكابه؛ لأنه تحريف للكلم.

وأما تحريف المعنى فإنه هو الذي وقع فيه كثير من الناس؛ بحيث يصرف معنى اللفظ عن ظاهره بدون دليل؛ مثل تحريف بعضهم قول الله - تعالى -: «الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: 5]، فقال معناه: الرحمن على العرش استولى، ولكنه أبقى اللفظ كا هو؛ فهذا تحريف معنوي، وهو بلا شك محرم؛ لأنه قول على الله بلا علم؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما خاطبنا بالقرآن العربي؛ لنفهمه على مقتضى اللغة العربية، إذا لم ينقل المعنى إلى معنى شرعي، فإذا صرفنا المعنى إلى ما لا تقتضيه اللغة العربية كان ذلك تحريفا للكلم عن مواضعه. هـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: شدة لوم هؤلاء الذين حرفوا ما سمعوا من كلام الله؛ حيث إنهم حرفوه بعد عقله وفهمه. 6ـ ومن فوائدها: أن تحريف الشيء بعد عقله وفهمه أشد من تحريفه إذا لم يكن قد عقله الإنسان؛ لأنه إذا لم يكن قد عقله فقد يكون معذورا لهذا التحريف؛ لأنه لم يعقله تمام العقل، فإذا كان قد عقله كان تحريفه أشد وأعظم.

ومن فوائد هذه الآيات: أن هؤلاء الذين حرفوا الكلم عن مواضعه بعد ما عقلوه إنها

حرفوه وهم يعلمون أنهم محرفون له؛ فيكون تحريفهم إصرارا على عناد، وليس إصرارا عن جهل أو تهاون، بل هو إصرار على خطأ متعمد ـ نسأل الله العافية. ومن فوائد هذه الآيات: أن هؤلاء ـ وأعني بهم بني إسرائيل الذين في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومن سلك مسلك النفاق صاروا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ولكنهم إذا خلوا إلى قومهم صار بعضهم ينكر على بعض؛ لقوله: «وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا؛ أي: آمنا بمحمد ﷺ، لكنهم على خلاف ذلك في الباطن. ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: أن نبوة الرسول ﷺ كانت معلومة عند بني إسرائيل، وأنهم يعرفونها تماما، ويعدونها من الفتح الذي فتحه الله عليهم؛ لقوله: «قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »، وهذا أمر معلوم بينه الله ـ تعالى ـ في كتابه، في قوله: « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في الثورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهتهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأعلل التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف: 157]، وقد بشر به عيسى قومه، فقال: « إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد * [الصف: 6]، صلوات الله ﷺ سلامه عليه.

١٠ـ ومن فوائد الآيات الكريات: بيان أن ما علمه أهل الكتاب من صفة النبي ﷺ هو فتح من الله، فتح الله به عليهم، وقد بين الله ـ عز وجل ـ أنهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا قبل بعث الرسول ﷺ أي: أنهم يستنصرون بمحمد ﷺ على الكافرين؛ لأنهم يعلمون فيا علموه من التوراة أنه ﷺ منصور، وستكون له العاقبة، ولكنهم - والعياذ بالله ـ لما بان الحق واتضح، وبعث النبي ﷺ صدهم الحسد عن الإيمان به ﷺ

١١ـ ومن فوائد هذه الآيات: أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث؛ لقوله: «ليحاجوكم به، عند ربكم »، وقد اتفقت الرسالات السماوية كلها على إثبات البعث، وأن الناس سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. ١٢ـ ومن فوائد الآيات الكريات: أن الخصومة ستقع بين يدي الله عز وجل ـ من المؤمنين والكافرين، يخاصم بعضهم بعضا، فيفصل الله بينهم، ويقضي بينهم بحكمه؛ ويدل لهذا أيضا قوله ـ تعالى ـ: * إنك ميت وإنهم ميتوني ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * * [الزمر: 30، 31]، وقوله ـ تعالى ـ: « إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [المائدة: 48]، وغير ذلك من الآيات الكريمات الدالة على أن أولياء الله ﷺ أولياء الشيطان يختصمون عند الله ـ عز وجل ؛ فيقضي بينهم

بحكمه وعدله ـ جل وعلا .

سـورة البقـرة

١٣٠٠

١٣ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: أن ما ذهـب إلـيـه هـؤلاء ـ الذين يقولون عند المؤمنين: آمنـا، وإذا خـلا بعـضهم إلى بعـض أنكـر بعضهم على بعض ـ مخالف للعقل؛ لقولـه ـ تعالى ـ: «أفلا تعقلون»؛ فإن مقتضى العقل أن الإنسان إذا آمن عن اقتناع آمن به ظاهرا وباطنا في حضور الخصم وحضور الولي، أما هؤلاء فكانوا مذبذبين يؤمنـون عند المؤمنين، لكنهم إذا رجـع بعـضهم إلى بعـض وخـلا بعـضهم إلى بعض أنكروا ما حدث.
١٤ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريات: إثبات عموم علم الله ـ عـز وجل ـ، وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون؛ أي: ما يسرونه مـن مخالفـة الحق وكتانه، وما يعلنونه عند المؤمنين بقولهم: إنهـم آمنـوا، وإن صـفة النبي ﷺ موجودة عندهم في التوراة.

١٥ـ ومن فوائد هذه الآيات الكريمات: تهديد المـرء وتحذيره عـن مخالفة أمر الله ـ عز وجل ـ والـوقـوع فـيا يغـضبه، سـواء أكـان سرا أم علنـا؛ لقولـه ـ تعـالى ـ: «أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»؛ فإن المراد بذلك تهديد هؤلاء وأمثالهم ممن يظنـون أن الله لا يعلم إلا ما كان علنا.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ومنهم أميون لا يعلمون الكتب إلا أماني وإن هم إلا يظنون .

أحكام من القرآن الكريم

يبين الله في هذه الآية الكريمة أن من بني إسرائيل قوما أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني؛ أي: إلا قراءة؛ فهم يقرءون التوراة، ولكنهم لا يفهمون معناها؛ ولهذا وصفهم الله ـ تعالى ـ بالأمية؛ والأمي هو الذي لا يعرف أن يقرأ أو يكتب؛ نسبة إلى الأم؛ لأن الإنسان إذا خرج من بطن أمه؛ فإنه لا يعلم شيئا؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: * والله أخرجكم من بطون أمهنتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصر والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [النحل: 78]، فمن بني إسرائيل قوم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني، إلا قراءة، وإن هم إلا يظنون»؛ أي: ما هم إلا يظنون ظنًا.
فوائد هذه الآية الكريمة:

1- بيان أن من بني إسرائيل من لا يفهم المعنى، ولكنه يقتصر على
اللفظ.

٢-.ومن فوائدها: ذم من لا يفهم معنى كتاب الله؛ لقوله: «أميون لا يعلمون الكتب إلا أماني .
3- ومن فوائدها: الحث على تعلم معاني كتاب الله ـ عـز وجـل ؛ فقـد كـان الـصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الـذين يـقـرءون القـرآن لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيهـا مـن الـعـلـم والعمـل؛ فتعلموا القرآن، والعلم، والعمل جميعا.
4- ومن فوائدها: الحث على فهم كتاب الله، وأنه ينبغي للإنسان أن

يتعلم معاني الكتاب كما يتعلم لفظه، وأن مـن المؤسف أن واقـع أكثـر المسلمين - اليوم ـ على غير هذا المنهج؛ أي: أنهم يقرءون القرآن للتعبـد بلفظه فقط، دون أن يفهموا معناه، أو أن يطبقوا أحكامـه، وهـذا ـ بـلا شـك ـ قصور عظيم؛ ولذلك ظهر أثر هذا على المسلمين؛ حيث تخلفـوا كثيرا عما كان عليه السلف الصالح مـن تطبيـق القـرآن لفظا ومعنى وعملا؛ ففاتهم بذلك خير كثير.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من لا يعلم الكتاب إلا لفظا يقع في الوهم، والظـن، والتخبط بـا لا يـعـرف؛ لقوله : (وإن هم إلا يظنون؛ وعلى هذا فينبغي للمسلم أن يكون حريصا على فهـم كـتـاب الله ـ عز وجل -، يتلقى تفسيره من كتب التفسير المعتمدة الموثوق بها، أو من أفواه العلماء المخلصين الذين يوثق بعلمهم.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به، ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .
ففي هذه الآية الكريمة توعد الله - سبحانه وتعالى ـ هـؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، وفي قوله: «بأيديهم» تأكيد لهذه الكتابة أنهـا من عند أنفسهم، ثم يقولون للناس: هذا مـن عنـد الله، يفعلـون ذلـك لغرض من الدنيا؛ ليشتروا به ثمنا قليلا.

A

ثم بين الله - سبحانه وتعالى ـ أن هذا الوعيد حاصل على أمرين: الأمر الأول: ما كتبوه، والأمر الثاني: ما كسبوه من هذه الكتابة؛ فإن هؤلاء يكتبون الكتاب ليس من عند الله - عز وجل ، ولكنه من عند أنفسهم؛ من أجل أن ينالوا جاها، أو مالا، أو رئاسة، أو غير ذلك من متاع الدنيا، وهو قليل بالنسبة لمتاع الآخرة؛ فيأثمون على الأمرين: على الكتابة التي يضل بها الناس، وعلى ما كسبوه.

فوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ تحريم أن يقول الإنسان القول من عند نفسه، أو أن يكتبه من عند نفسه، ثم يقول للناس: إن هذا من عند الله؛ من أجل أن يشتري به ثمنا قليلا، ووجه التحريم الوعيد الذي رتب على هذا الفعل؛ لأن التحريم يستفاد إما من لفظ التحريم؛ مثل: « حرمت عليكم الميتة * [المائدة: 3]، وإما من النهي، وإما من ترتيب العقاب عليه، وإما من
الوعيد عليه، وللعلم بالتحريم طرق معروفة في أصول الفقه. ٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من أسلوب القرآن الكريم تأكيد الشيء با هو معلوم؛ لقوله: «يكتبون الكتب بأيديهم ، ومن المعلوم أن الكتابة تكون باليد، لكن هذا من باب تأكيد هذه الكتابة، وأنها ليست من عند الله، بل هي بأيديهم.
٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن هؤلاء هم الذين كتبوا هذا الكتاب بأيديهم، وقالوا: إنه من عند الله؛ من أجل أن يشتروا به

ثمنا قليلاً؛ وهو كل ما يكون من متعة الدنيا. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ما يحصل من الدنيا مهما بلغ فإنه قليل بالنسبة إلى الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: «إنّ موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها...»(1).

هـ ومن فوائدها: أن العمل إذا ترتب عليه سيئات؛ فإن الإنسان يعاقب على كل سيئة ترتبت على هذا العمل السيئ؛ لقوله ـ تعالى -: فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»، وإذا كـان العمل السيئ يترتب عليه سيئات؛ فإنه يأثم به؛ فالعمل الصالح إذا ترتب عليه حسنات؛ فإن الإنسان يثاب عليه؛ لأن رحمة الله ـ تعالى - سبقت غضبه؛ ولهذا جاء

في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعـده مـن غـير أن ينقص من أجورهم شيء...»(٢).

ثم قال الله ـ تعالى ـ مبينا ما ادعاه هؤلاء المكذبون المفترون -: وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن

(١) رواه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١٣) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وروى نحوه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (4330)؛ ورواه الدارمي (٢/ ٣٣٢ - ٣٣٣).
(٢) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، رقم (١٠١٧).

أحكام من القرآن الكريم
تخلف الله عهده أن تقولون على الله ما لا تعلمون . هذه المقالة من مقالـة اليهـود؛ ادعـوا أن النـار لا تمسهم إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها، وقد كذبوا فيها ادعوه في الأول وفي الثاني؛ فالنـار لـن تمسهم أيامـا معـدودة فحسـب؛ بـل هـم خـالـدون مخلـدون فيها إذا ماتوا ولم يدخلوا في دين محمـد و؛ لقول النبي و:
«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد مـن هـذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به؛ إلا كـان مـن أصـحاب النّار» (١)؛ فهم ـ أعني اليهود ـ من أصحاب النـار، مخلـدون فيهـا إذا لم يدخلوا في دين محمد ﷺ، وثانيا: هم كاذبون في قولهم: إنكـم تخلفوننـا فيها؛ فإن المسلمين موعدهم الجنة، وهم أصحاب الجنة؛ فكل من مات مؤمنا بمحمد ﷺ، متبعا لشريعته؛ فإنه من أهل الجنة، وبين الله ـ عز وجل ـ أن هذه الدعوة كذب بطريق السبر والتقسيم، فقال: (أتخذتُم عند الله عهدا »، فإن كان الأمر كذلك؛ فإن الله لن يخلف عهـده، «أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟، وإذا كان كذلك؛ فـإن هـذه دعـوى مجردة عن العلم فلا تكون مقبولة.

فوائد هذه الآية الكريمة:
1- بيان كذب اليهـود، وأنهـم أهـل كـذب، كـا أنـهـم أهـل غـد

(1) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٣).

وخيانة، لا يوفون بعهـد، ولا يقومون بواجـب أمانـة، بـل صـفاتهم الكذب، والحسد، والخيانة، والمكر.
٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: حسن استدلال القرآن في مقابلة خصومه؛ حيث قال: «قل أتخذثم عند الله عهدا فلن تخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمورت ، وهذه الطريق من طرق الحجج مما يفحم الخصم، ومن نظائرها قوله ـ تعالى ـ: «أفرءيت الذي كفر باينينا وقال لأوتين مالًا وولدا - أطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهدا ت كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مذا = وترثه ما يقول ويأتينا فردا» [مريم: ٧٧- ٨٠]. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله - عز وجل ـ لن يخلف عهده؛ لأنه ـ جل وعلا ـ أصدق القائلين، وأتم المعاهدين، وأقدر على تنفيذ وعده وعهده؛ لقوله ـ تعالى ـ: « إن الله لا تختلف الميعاد ﴾ [الرعد:

٣١].

١٣١١

YA

4- ومن فوائد هذه الآية: أن اليهود لا يبالون إذا قالوا على الله ما لا يعلمون؛ لنيل مآربهم وأطاعهم.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: * بلى من كسـب سيئة وأحطت به، خطيئته فأولنيك أصحب النار هم فيها خلدون » .
هذه الآية ردّ لدعوى اليهود الذين قالوا: « لن تمسنا النار إلا أياما

معدودة »؛ بين الله فيها كذب هذه الدعوى، وأنها باطلة؛ لقوله: (بلى من كسـب سيئة وأحطت به، خطيئته، فأولتيك أصحب النار هم فيها خلدون »؛ أي: من كسـب سيئة كبرى تكون سببا لإحاطة خطيئته به حتى لا يبقى له حسنات؛ وذلك مثل سيئة الشرك والكفر، فهؤلاء هم

أصحاب النار المخلدون فيها، وليسوا المسلمين كما زعم هؤلاء اليهود،
وحينئذ يكون أحق الناس بالخلود في النار هم هؤلاء اليهود. فوائد هذه الآية الكريمة:

١- إبطال ما ادعاه هؤلاء اليهود الذين ادعوا أنهم أولياء الله، وأنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها. ٢- ومن فوائدها: أن أحكام الله ـ عز وجل ـ الجزائية معلقة بأوصاف لا بأعيان؛ ولهذا قال: «من كسب سيفه وأحطت به خطيئته ، من أي أحد من الأمم فله هذا الحكم، سواء كان من العرب، أم من بني إسرائيل، أم من غيرهم. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لا يستحق الخلود في النار إلا من أحاطت به خطيئته، أما من لم تحط به خطيئته، بأن كان عنده عمل صالح وآخر سيئ؛ فإنه لا يكون من أصحاب النار المخلدين فيها، ولكنه تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عاقبه بذنبه، وقد يحول بينه وبين العقوبة شفاعة ممن يشفعون عند الله، أو غير ذلك الأسباب التي ترفع عنه العقوبة، وهذا هو مذهب أهل السنة
من

والجماعة، أن العصاة من المسلمين تحت مشيئة الله إن شاء الله عاقبهم على معاصيهم، وإن شاء غفر لهم؛ كما يدل على هذا قوله ـ تعالى ـ: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * [النساء: ٤٨]، وقوله: «ما دون ذلك»؛ أي: ما دون الشرك لمن يشاء. وهذه الآية يذهب بعض الناس إلى التعلل بها، فتجدم يعمل ما شاء من الذنوب، ويقول: إن شاء الله غفر لي، والذي لا يغفر هو الشرك، فنقول له: وهل تعلم أن الله شاء أن يغفر لك؟ ربا لا تدخل أنت تحت من شاء الله أن يغفر لهم؛ لأن الله لم يقل: «ويغفر ما دون ذلك وأطلق، بل قال: «لمن يشاء »؛ فأنت لا تعلم أنك داخل في هذه المشيئة، ولا يجوز أن تمني نفسك المحال، بل إن الحزم والعزم أن تتجنب معاصي الله ـ عز وجل ـ؛ خوفا من أن ينالك عقابه. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية: أن أصحاب النار هم أهلها الذين يبقون فيها؛ لأن من عذب في النار بقدر ذنوبه، ثم خرج منها لا يعد من أصحابها في الواقع؛ إذ إن المصاحبة هي الملازمة؛ وعلى هذا يكون في الآية دليل على أن أصحاب النار مخلدون فيها تخليدا أبديًا؛ كما جاء ذلك في آيات أخرى؛ فقد ذكر الله تأبيد الخلود في ثلاث آيات من كتابه، فقال ـ جل وعلا ـ: « إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ت إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [النساء: 168، 169]، وقال - تعالى -: (إن الله لعن

لا
وأعد لهم سعيرا في خلدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا * [الأحزاب: 64، 65]، وقال الله ـ تعالى ـ: «ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [الجن: ٢٣]، فهذه آيات ثلاث فيها التصريح بأن أصحاب النار خالدون فيها أبدا، وبعد هذا التصريح لا يمكن أن نعارض لمجرد أقيسة عقلية، ونصوص عامة؛ لأن اللفظ الصريح يرفعه إلا لفظ صريح، ثم إن الظاهر أنه لا يمكن أن يقع لفظ صريح
يخالف هذا؛ لأن هذا خبر؛ وخبر الله - سبحانه وتعالى ـ لا يناقض بعضه بعضا، والأحكام الشرعية يمكن أن يدخلها النسخ، أما الأحكام الخبرية فإنها لا يمكن أن يدخلها النسخ؛ لأننا لو جوزنا نسخ أحد الخبرين بالآخر لزم منه تكذيب أحد الخبرين بالآخر، وهذا محال في كلام الله، وكلام رسوله ﷺ

**

ثم قال الله - تعالى -: (والذين ءامنوا وعملوا الصلحت أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون . هذه هي طريقة القرآن: أن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا ذكر أصحاب النار وعقوبتهم، ذكر أصحاب الجنة ومثوبتهم؛ لأن القرآن مثان تُثنى فيه الأحكام والمعاني، ولأجل أن يكون الإنسان دائرا في عبادته بين الخوف والرجاء؛ يقول ـ عز وجل -: «والذين ءامنوا وعملوا الصلحت»؛ آمنوا بالغيب الذي يجب الإيمان به، وقد بين النبي ﷺ

أركان الإيمان، حين سأله جبريل عن الإيمان قال: «... أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر كله خره وشره... (١)

وأما عمل الصالحات؛ فهـو القيام بـالأعمال الصالحة، والعمـل الصالح هو ما جمع بين وصفين: الوصف الأول: الإخلاص الله ـ تعالى بألا يريد بعمله إلا وجه الله ﷺ الدار الآخرة، لا يريد شيئا من الدنيا. والثاني: المتابعة لرسول الله و؛ بحيث يكون متأسـيا بـه ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ، فإن فقد الإخلاص صار في عمل الإنسان إشراك، والله لا يقبل الشرك؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه النبي ﷺ عـن ربه: «إن الله قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»(٢)، وإذا لم يكن متبعـا فيـه الرسول ﷺ كان عملا بدعيا؛ والعمل البدعي مردود؛ لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»(3)، وفي رواية: «من عمل عملا ليس

(١) رواه ـ عن أبي هريرة ـ البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي و عن الإيمان والإسلام...، رقم (٥٠)؛ ورواه ـ ضمن حديث طويل عن عمر ـ مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان، رقم (٨).

-

(٢) سبق تخريجه ص (٢٠).
(٣) رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور؛ فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم:، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم

(١٧١٨).

عليه أمرنا؛ فهو رد»(1)؛ فالعمل الصالح هو ما جمـع هـذين الوصـفين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ . ثم بيّن ـ عز وجل ـ جزاء هؤلاء الذين اتـصـفـوا بهذين الوصـفين: الإيـان والعمـل الـصالح، فقـال: «أولنيك أصحاب الجنة هم فيها خلدون *؛ الجنة: هي الدار التي أعـدها الله للمتقين، وفيهـا مـا لا
عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . فوائد هذه الآية الكريمة:
١- بيان جزاء المؤمنين الذين عملوا صالحا، وهو أنهـم مخلـدون في

الجنة.
٢- ومن فوائدها: أنـه لا يتم دخـول الجنة إلا بهذين الأمرين: الإيمان والعمل؛ فالإيمان وحده لا يكفي، والعمـل وحـده لا يكفي؛ لابـد مـن إيان وعمـل؛ ولهـذا ينبغي أن نركـز في خطابنـا في الـوعـد والدعوة إلى الله على الأمرين معا: على الإيمان الذي هو أساس العقيدة، وعلى العمل الصالح الذي به تتم هذه العقيدة. 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن العمـل لا ينفع إلا إذا كـان صالحا، وهو ما جمع بين الإخلاص والمتابعة لرسول اللى ﷺ كا أسلفنا في تفسيرنا لهذه الآية.

(١) سبق تخريجه ص (٤٩).

٤ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بطلان العمل الذي فيه الشرك؛ لأن الله اشترط لتأثير العمل واستحقاق الجـزاء عليـه أن يكـون عـمـلا
صالحا.

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمـة: أن أهـل الجنـة مخـلـدون فيهـا، وتخليدهم أبدي؛ كما دلت على ذلك آيات كثيرة، وأجمـع عـلـيـه سـلف
الأمة.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمسكين وقولوا للناس خشنا وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون .
(
قوله: (وإذ أخذنا ميثق»؛ الضمير في قوله: «أخذنا » راجع إلى الله ـ عز وجل -، وجاء بهذه الصيغة تعظيما لله؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى - يعبر عن نفسه أحيانا بصيغة الجمع، وأحيانا بصيغة الإفراد، والتعبير بصيغة الإفراد ما هو معلوم بأن الله ـ تعالى ـ واحـد، والتعبير بـصيغة الجمع للدلالة على العظمة؛ وذلك لأن ضمير الجمع تارة يراد به الجمع الذي هو العدد، وتارة يراد به التعظيم؛ كما في هـذه الآية: «وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل »؛ والميثاق هو العهد، وسُمي ميثاقا؛ لأنه توثقة بين المتعاهدين، وبنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم

=

أبناء عم للعرب؛ لأن العرب من ذرية إسماعيل، وبنو إسرائيل من ذرية إسحاق؛ وإسماعيل وإسحاق أخوان، أبوهما إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هذا الميثاق هو:
أولا: ألا يعبدوا إلا الله؛ لا يعبدون ملكا، ولا رسولاً، ولا حجرا،

ولا شجرا، ولا غير ذلك مما سوى الله ـ عز وجل ـ. الثاني: أن يحسنوا إلى الوالدين بالبر إليها وعدم العقوق. الثالث: أن يحسنوا إلى ذوي القربى بالصلة وعدم القطيعة. الرابع: أن يحسنوا إلى اليتامي؛ وهم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا، ويشمل الذكور والإناث من اليتامى.
د
خلقه
الخامس: الإحسان إلى المساكين؛ وهم الفقراء المعدمون، وسموا بذلك؛ لأن الفقر أسكنهم وأذلهم؛ فإن الفقر يوجب سكون الإنسان وذله ـ نسأل الله أن يغنينا بفضله عن
أما السادس: أن يقولوا للناس حسنا، وهذا يشمل المخاطبة فيا بينهم وبين الناس، ويشمل ما يدعون الناس إليه ما يكون شريعة؛ بحيث لا يقولون للناس إلا ما هو حسن، ولا يكون المدعو إليه حسنا إلا إذا كان موافقا لشريعة الله.
السابع: إقامة الصلاة؛ أي: أداؤها على الوجه الذي أمر الله به. الثامن: إيتاء الزكاة؛ أي: إعطاء ما يجب إعطاؤه من المال إلى أهله. ولكن هل هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق قاموا بذلك؟
يقول الله

عز وجل -: «ثم توليتم إلا قليلا منكم»، والخطاب في قوله : توليتم لبني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول ﷺ إلا قليلا منهم فإنهم قاموا بهذا العهد، وآمنوا بمحمد ؛ مثل عبدالله بن سلام، والنجاشي؛ وعبدالله بن سلام من اليهود، والنجاشي من النصارى، فهذان

وأمثالها ممن لم يتولوا، بل قاموا بالعهد والميثاق على ما عاهدوا عليه، وواثقوا عليه، ثم قال: «وأنتم معرضون »؛ أي: أنهم تولوا وهم معرضون، ليس فيهم شيء من الإقبال على ما جاء به
محمد ﷺ

فوائد وأحكام هذه الآية:
١- بيان عتو بني إسرائيل، وأنهم مع العهود والمواثيق لا يفون. ٢- ومن فوائد هذه الآية: التحذير مما وقع فيه هؤلاء من مخالفة الميثاق، وعدم الوفاء به؛ لأن الله - تعالى - إذا ذكر أخبار من سبق؛ فإنه لا يذكرها على سبيل التلهي بها والنظر المجرد، ولكنه يذكرها - عز وجل ؛ من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة؛ كا قال الله - تعالى -: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألبب﴾ [يوسف: ١١١]. 3- ومن فوائد هذه الآية: أن الدعوة للإخلاص في جميع الأمم؛ لقوله: «لا تعبدون إلا الله»؛ وهذه الدعوة جاء بها كل الرسل - عليهم الصلاة والسلام -؛ كما قال - تعالى -: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ﴾ [النحل: 36]، وكما قال الله -

١٣٢٠

تعالى -: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أحكام من القرآن الكريم

٤ - ومن فوائد هذه الآية وجوب الإحسان إلى الوالدين؛ والإحسان يكون بالقول، ويكون بالفعل؛ فالإحسان بالقول معناه أن يلين الإنسان لها قوله، وأن يكون قولا كريتا طيبا سمحا، والإحسان بالفعل يكون ببذل المال، وبخدمة البدن، وغير ذلك مما يكون إحسانا، والآية مطلقة (وبالوالدين إحسانا»، وليعلم أن أحق الوالدين بالصحبة هي الأم؛ كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - حين سئل: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمل»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»)، ولكن هذا لا يعني ألا نعطي الأب حقه، بل له حق وللأم حق، لكن لما كانت الأم أنثى والغالب عليها الضعف، وأنها تحتاج إلى لين أكثر صارت أحق الناس بصحبة الولد.

المال

والإحسان للوالدين بالفعل: يكون ببذل ما يحتاج إليه الوالدان من نفقة، وكسوة، وغير ذلك بقدر المستطاع، ويكون أيضا بالبدن؛ وهو القيام بخدمة الوالدين حينها يحتاجان لذلك؛ ولهذا قال

من

(1) الصحابة ـ هنا ـ بمعنى الصحبة. (٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن صحابتي، رقم (٥٩٧١)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به، رقم (٢٥٤٨).

ج
الله ـ تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسنًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. هـ ومـن فـوائـد هـذه الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى ذي القربى؛ أي: إلى أصحاب القرابة، سواء أكانوا من قبل الأم أم من قبـل الأب، والإحسان إليهم يكون كالإحسان إلى الوالدين؛ أي: بالقول وبالفعل، ولكن الإحسان إلى الوالدين أوكـد وأعظـم؛ لأنهـم أقـرب القربي إليك.

6ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى اليتـامي؛ وهـم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا؛ وذلك لأن هذا اليتيم قد انكسر قلبه بفقد أبيه وراعيه، فكان من رحمة الله ـ عـز وجـل ـ وحكمتـه أن أوصى بالإحسان إليه.

ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب الإحسان إلى المساكين عنـد الضرورة إلى ذلك، ومشروعيته على سبيل الاستحباب إذا لم يكن هناك ضرورة؛ وذلك لأن المساكين قد أسكنهم الفقر وأذلهم؛ فهم بحاجة إلى من يجبرهم بالإحسان إليهم؛ ولهذا وصى الله بذلك، وجعله من العهود والمواثيق على بني آدم.
هـ . ومن فوائد الآية الكريمة: وجـوب القـول الحسن في مخاطبـة

الناس، وفي دعـوتهم؛ لقولـه ـ تعـالى -: (وقولوا للناس حسنا ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن القول الحسن إن كان المراد بـه مـا هـو ضـد القول السيئ؛ فإن القول الحسن هنا يكون واجبا؛ أي: أنـه يجـب عـلى الإنسان أن يخاطب الناس بما لا يسيء إليهم، بل با يكون فيه منفعتهم الدينية والدنيوية، ومن القول الحسن: الأمر بالمعروف، والنهـي عـن المنكر، والدعوة إلى الله؛ فإن هذا كله من القول الحسن، وضـده القـول
السيئ الذي يكون به الإساءة والعدوان على الناس؛ فإنه محرم. ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب إقامة الصلاة؛ أي: الإتيان بها على الوجه المشروع، إلزاما في الواجبات، وندبا في المستحبات، والصلاة معروفة؛ وهي موجودة في جميع الملل؛ كما يفيده قوله ـ تعالى ـ: « يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين * [آل عمران: 43]، وكما تفيد هذه الآية الكريمة من أن بني إسرائيل قد أخذ عليهم الميثاق بأن يقيموا الصلاة.

١٠ـ ومن فوائد الآية الكريمة: وجوب إتيان الزكاة، وهـي القـدر
المفروض في المال الزكوي، يؤتى إلى أهل الزكاة لا إلى غيرهم. ١١ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عتو بني إسرائيل، وأنهم - مع هذا العهد والميثاق على هذه الخصال الحميدة ـ لم ينقادوا، ولم يفـوا؛ ولهذا قال: «ثم توليتم إلا قليلا منكم. ١٢ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عـدل الله ـ عز وجل ؛

وذلك باستثناء هؤلاء القليل ممن تولى؛ إذ لم يحكم بالتولي على جميع بنـي إسرائيل، وإنما حكم به على من قام به واستحقه، وهذا من كـال عـدل الله - عز وجل ـ
١٣ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل ـ مـع تـوليهم ونكثهم لهذا الميثاق ـ كانوا معرضـيـن عـن الحـق، غير متجهين إليـه؛ فجمعوا بين الانحراف القلبي والانحراف البدني.

*

*

ثم قال الله - تعالى -: «وإذ أخذنا ميشفكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من ديركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون نت ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تقدوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله يغفل عما تعملون * .

ج

ج

قل

بين الله ـ تعالى ـ في هاتين الآيتين أنه ـ تعالى ـ أخذ ميثاقا آخر عـلى بني إسرائيل؛ وهو عدم عدوان بعضهم على بعـض؛ كما في قولـه ـ

تعالى ـ : (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم؛ قوله: «لا تسفكون دماءكم﴾ يعني: لا تريقونها بالقتـل، ولا تخرجون أنفسكم من ديركم، وإنـا أضاف الـدماء إلـيـهـم

والإخراج إلى الأنفس؛ لأن الأمة الواحدة كأنها نفس واحدة؛ فإخراج بعـضـهـم يـكـون كـإخراج أنفـسـهـم هـم؛ ولهـذا قـال: «ولا تخرجون أنفسكم»؛ أي: مـن كـان مـنـكـم مـن ديـاركم، ثم أقررتم وأنتم تشهدون»؛ أي: أنكم مقرون بهذا الميثاق، شـاهدون بـه، ولكـن هـل استمروا عليه؟ الجواب: «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم، فلـم تـفـوا بالميثـاق، بـل قتـلـتـم أنـفـسـكـم وأخرجتم فريقا منكم من ديارهم، أخرجتموهم على وجـه مـن العـلـو والاستكبار عليهم، وتظهرون عليهم بالإثم والعدوان، ومع ذلك إذا أتوكم أسارى فاديتموهم؛ يعني: لو اسرو؛ فإنكم تحرصـون عـلى أن تفادوهم مع أن إخراجهم في الأصل حرام عليكم، ففـي هـذا الفعـل تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، «أفتؤمنون ببعض الكتب»؛ مثل إنقاذ من أسر منكم بالمفـاداة (وتكفرون ببعض» ؛ مثـل قـتـل بعضكم بعضا وإخـراج بـعـضـكـم بـعـضـا مـن ديـارهم؛ «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحيوة الدنيا * جـزاء؛ أي: مجازاتـه ومكافأته على عمله، وقوله: «من يفعل ذلك منكم * احـتراز مـن العموم؛ لأنه ليس كلهم يفعلون هذا، ولكن من يفعل هذا فهذا جزاؤه الخـزي في الحيـاة

الـدنيا وبيـان عيبـه، (ويوم القيامة يردون إلى أشت العذاب وما الله بغفل عما تعملون، وإنما يـردون إلى أشـد العـذاب؛ لنكثهم العهد والميثاق الذي بينهم وبين الله ـ عز وجـل ـ، ثـم خـتـم الله

الآية ببيان كال علمه ومراقبته في قوله: «وما الله يغفل عما تعملونه. فوائد وأحكام هاتين الآيتين:

١- العدول عن الكلام بصيغة الغيبة إلى الكلام بصيغة الخطاب؛ لأنه أشد وأوقع في النفس؛ ففي الآية التي سبقت هاتين الآيتين يقـول الله ـ تعالى ـ: (وإذ أخذنا ميثق بني إسرءيل »، وفي هـذه الآية يـقـول: (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم»، فعدل عن الكلام بالغيبـة إلى الكلام بالخطاب؛ لأنه أبلغ وأشد.
٢- ومن فوائد الآية الكريمة: تحريم الدماء في الأمم السابقة كما هو محرم في هـذه الشريعة، وقد أعلـن النبي ﷺ هـذا التحـريـم في أكـبر مجتمع اجتمع به مع أمته، وذلك في حجة الوداع؛ حيـث سـألهم: «أي يوم هذا؟ وأي شهر هذا؟ وأي بلد هـذا؟»، «فإنّ دمـاءكم، وأموالكم، وأعراضكم بينكم حرام؛ كحرمة يومكم هـذا، في شـهـر كـم هذا، في بلدكم هذا» (١).

والدماء من أعظم العدوان حرمة وجزاء؛ قال الله ـ تعالى ـ: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا﴾ [النساء: 93]، وأخبر النبي ﷺ بذلك؛ فقال:

(١) رواه البخاري: كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، رقم (67)؛ ومسلم: كتاب القسامة، باب تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، رقم (١٦٧٩).

«أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة الدماء»1) 3- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحريم إخراج الإنسان مـن بـلـده إلا بمقتـضـى الـشـرع؛ لقولـه ـ تعـالى -: (ولا تخرجون أنفسكم من ديركم» .

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: استعمال ما يوجب العطف والحنان، والرحمة في الخطاب؛ لقوله: «لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من ديركم »؛ حيث جعل دماء الغير كدماء الإنسان نفسه، وجعل إخراج الغير كإخراج الإنسان نفسه.
5- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان عتو بني إسرائيل؛ حيث إنهم أقروا بهذا الميثاق، وشهدوا به، ولكنهم لم يقوموا بتطبيقه والعمل
به.

(1)

6 - ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير من العمل بها عمل به ء من أخذ الميثاق بين العبد وبين ربه، ثم بعد ذلك ينكثه، ولا يفي
هؤلاء
به .
- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن هؤلاء الذين لم يطبقوا الميثاق وصاروا يقتلون أنفسهم، ويخرجون فريقا منهم من ديارهم

رواه البخاري: كتاب الرقاق، كتاب القصاص يوم القيامة، رقم (6533)؛ ومسلم: كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، رقم

(١٦٧٨).

ہے
يعتبرون مؤمنين ببعض الكتاب وكافرين ببعض، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه كفر به جميعا؛ لقوله: * فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا يخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ؛ وأشد العذاب لا يكون إلا للكافرين؛ لقوله - تعالى -: (إن الذين

يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا - أولئك هم الكفرون حقا ﴾ [النساء: 150، 151]؛ فبين الله أن و هؤلاء الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كافرون حقا، وهذه مسألة خطيرة عظيمة؛ لأن بعض الناس يؤمن ببعض الشريعة ويكفر ببعضها، ثم يقول: إنه مؤمن باعتبار أصل عقيدته، وهذا لا ينفعه؛ إذ لابد في الإيمان من أن يكون إيمانا شاملا لكل ما جاءت به الشريعة. ٨ ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تناقض بني إسرائيل؛ حيث إنهم يخرجون فريقا منهم من ديارهم متعالين عليهم بالإثم والعدوان، ثم إذا أتوهم أسارى فادوهم، وهذا تناقض؛ كيف يخرجونهم من ديارهم، ثم يفادونهم إذا أتوهم أسارى؟

ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: أن عمل بني إسرائيل من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه كان سببا لهذه العقوبة العظيمة،

أنهم يخزون في هذه الدنيا، وفي يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب. ١٠ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: بيان عدل الله ـ عز وجل ـ في

الاحتراز من العموم إذا لم يكن الحكم عاما؛ ولهذا قال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم»، ولم يقل: «فا جزاؤكم» مع أن الخطاب في الأول كان للجميع؛ حيث قال: (وإذ أخذنا ميشفكم لا تسفكون دماءكم»، وقال: «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم »، ثم قال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم ، وهذا من باب الاحتراز الدال على كال عدل الله ـ عز وجل ـ حتى في التحدث عن الغير.

١١ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: أنه يجب على الإنسان مراعاة العدل فيما يخاطب به غيره؛ فلا يتكلم عن أمة في مدح أو قدح على سبيل العموم إذا لم تكن كذلك، ولا يتكلم أيضا عن أفعال الشخص المعين من قدح أو مدح على سبيل العموم إذا لم يكن كذلك؛ لأن هذا هو الحق والعدل.

.

١٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة الثانية: إثبات يوم القيامة والجزاء فيه؛ لقوله ـ تعالى ـ: (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب؟. ١٣ـ ومن فوائدها: أن العذاب مراتب، بعضه أشد من بعض؛ لقوله: «إلى أشد العذاب؟.

١٤- ومن فوائدها: إثبات الصفات المنفية في صفات الله - عز وجل - بمعنى أن الله موصوف بالإثبات وموصوف بالنفي، في قوله - تعالى -: «وما الله بغفل عما تعملون»، لكن ليعلم أن الصفات المنفية عن الله - عز وجل - لا يراد بها مجرد النفي؛ وإنما يراد بها بيان كمال

ضدها؛ فإذا قال: «وما الله يغفل عما تعملونه كان دالا على كال
علمه، وكال مراقبته لعباده - عز وجل -، وأنه ليس بغافل عنهم. ١٥- ومن فوائدها: بيان كال الله - عز وجل - في عموم علمه ومراقبته؛ لقوله: «وما الله بغفل عما تعملونه؛ لأن «ما» من صغ العموم، والعموم في اسم الموصول أو غيره يدل على السعة والشمول.

**

الدنيا.
٢-

**

قال الله - سبحانه وتعالى -: « أولئيك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا تخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) . الإشارة في قوله: «أولئيك» إلى هؤلاء الذين نكثوا العهد من بني إسرائيل، فبين الله - عز وجل - أن هؤلاء الذين نكثوا العهد إنا نكثوه لأغراض الدنيا وأعراضها؛ ولهذا قال: « أولئيك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة ؛ أي: أخذوا الدنيا بدلا عن الآخرة، وهؤلاء حكمهم في الآخرة أنه لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون؛ لأنهم ماتوا وهم ناكثون لعهد الله - عز وجل -.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:

1- بيان أن من خالف امر الله - عز وجل - فإنها يخالفه لغرض من

ومن فوائدها: بيان سفه هؤلاء الذين نكثوا عهد الله؛ حيث
اختاروا الدنيا على الآخرة مع أن الآخرة خير وأبقى؛ كما قال الله - تعالى -:

و بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]. 3- ومن فوائدها: التحذير من اختيار الدنيا على الآخرة، ومن ذلك أن يتعامل الإنسان مع الناس بمعاملات محرمة؛ كالربا، والغش، والكذب، وغير ذلك؛ من أجل أن ينال عرضا من الدنيا؛ فإن هذا من السفه والخطأ؛ لأن الدنيا زائلة فانية، والآخرة هي الباقية، وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفتنة في قوله : «إنها ستكون فتن؛ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»(1).

(1)

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العذاب والجزاء، وأن من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة لا يخفف عنه العذاب؛ لأنه اختار الدنيا على الآخرة؛ فيبقى مخلدا في النار لا يخفف عنه العذاب، وليعلم أن أصحاب النار فيها ـ والعياذ بالله ـ يقولون لمالك: « ونادوا يدميلك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف: 77]، ويقولون لخزنة جهنم: « أدعوا * رتكم تخفف عنا يوما من العذاب ﴾ [غافر: ٤٩]، فأما جواب مالك لهم فيقول لهم: « قال إنكم منكثون ﴾ [الزخرف: 77]، وأما جواب خزنة النار فيقولون لهم: « أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينت قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعتوا الكفرين إلا في ضلال ﴾ [غافر: 50].

رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم (١١٨).

هـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن أصحاب النار ـ الذين هم أهلها ـ لا تنفع فيهم الشفاعة؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولا هم ينصرون»، والشفاعة نوع من النصر، ولكن هؤلاء المستحقين الخلود في النار لا تنفع فيهم الشفاعة؛ كما قال الله - تعالى -: * فما تنفعهم شفعه الشفعين * [المدثر : ٤٨].

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «ولقد ءاتينا موسى الكتب وقفينا من بعده بالرسل وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدته بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أستكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون .

يقول الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية: إنه أعطى موسى الكتاب - وهو التوراة ـ، ويؤكد ذلك الإعطاء بالقسم المقدر، واللام، وقد، وهذا الكتاب الذي أوتي موسى لم يكن آخر كتاب نزل على بني إسرائيل، بل إن الله ـ تعالى ـ قفى من بعده بالرسل، فأرسل إلى بني إسرائيل الرسل تباعا، وختم رسل بني إسرائيل بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام -؛ فقال الله - عز وجل -: (وءاتينا عيسى ابن مريم البينت »؛ أي: الآيات البينات، وهي

ما حصل من حمل أمه به من غير أب، و به من غير أب، ومن نطقه في المهد، ومما جاء به من إخراج الموتى من قبورهم، وإحياء الموتى قبل الدفن، وإبراء الأكمه والأبرص ـ بإذن الله ، كل هذه الآيات التي جاء

بها آيات بينات، لكن فيها آيات سبقت وجوده ـ أي: وجود عيسى ـ و آيات بعد وجوده ورسالته، ومع هذا فإن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أنه أوتي البينات قد أيده الله ـ تعالى ـ بروح القدس؛ وهو جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ، أيد الله به عيسى؛ أي: قواه به ونصره، ثم قال مخاطبا بني إسرائيل وموبخا لهم: «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أستكبرتم »؛ يعني: أفتبلغون إلى هذا الحال إذا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، وإذا جاءكم رسول با تهوى أنفسكم قبلتم، ولكن هذا الأخير قد لا تدل عليه الآية الكريمة؛ لأن جميع الرسل الذين جاءوا بالحق إلى بني إسرائيل جاءوا با لا تهوى أنفسهم ـ أي: أنفس بني إسرائيل ـ، ثم انقسم بنو إسرائيل ـ بالنسبة إلى هؤلاء الرسل ـ إلى فريقين: ففريقا كذبوا وفريقا قتلوا، وآخر من كذبوه هو محمد ﷺ؛ فإنهم كذبوه بعد أن جاءهم بالبينات حتى كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم استكبروا، ولم يقبلوا ما جاء به، بل عاهدوه ونقضوا العهد معه، وقاتلوا أصحابه، وما زالوا إلى يومنا هذا أعداء لأتباع محمد «ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون»، فبين الله - عز وجل ـ حال بني إسرائيل مع الرسل أنهم على هذين القسمين: إما أن يكذبوا وإما أن يقتلوا؛ فتكذيبهم تكذيب بالحق، وقتلهم قتل بغير حق؛ كما قال الله ـ تعالى ـ في آية أخرى: « ويقتلون النبين بغير حق ﴾ [آل عمران: ٢١]

فوائد وأحكام الآية الكريمة:
١ـ بيان ما من الله به على موسى ﷺ من إتيان الكتاب، وموسى عليه الصلاة والسلام ـ هو أفضل أنبياء بني إسرائيل، والتوراة هي أعظم الكتب المنزلة على بني إسرائيل؛ ولهـذا يـقـرن الله ـ تعالى ـ بينها وبين القرآن أحيانًا؛ لأن القـرآن أفـضـل الكتـب المنزلـة عـلى الأنبياء، والتوراة أفضل الكتب المنزلة على بني إسرائيل.
٢ـ ومن فـوائد هذه الآية الكريمة: إثبات نبوة موسى ؛ لقوله: ولقد ءاتينا موسى الكتب » .
3ـ ومن فوائدها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ لم يهمل الخلق بلا رسل؛ فإنه قفى من بعد موسى بالرسل تباعا؛ من أجل هداية الناس، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [فاطر: ٢٤]، فكل أمة خلا فيها نذير؛ لتقوم الحجة على العباد؛ فإن العباد إذا لم يأتهم رسل قد يكون لهم حجة على ربهم ـ عز وجل -، ولكنه ـ سبحانه وتعالى ـ منع هذا الاحتجاج بإرسال الرسل؛ كما قال ـ تعالى ـ: «رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا﴾ [النساء: 165].
٤
٤ـ ومن الفوائد المستنبطة المأخوذة من هذه الآية: أن الله - عز وجل من بعد موسى بالرسل؛ من أجل أن تبقى آثار الرسالة في العباد.
هـ ومن فوائدها: إثبـات نبـوة عيسى ﷺ؛ حيث قال: ﴿وءاتينا

عيسى ابن مريم البيست؟ .
جميع
6ـ ومن فوائدها: أن الله أعطى عيسى ابن مريم بينات من الأمر تبين رسالته، وأنه عبد الله ﷺ رسوله، والبينات هذه شاملة الرسل؛ فما من رسول إلا آتاه الله ما على مثله يؤمن البشر؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا رسلنا بالبينت* [الحديد: ٢٥]. ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان حكمـة الله ـ عز وجل ؛ حيث إنه ـ جل وعلا ـ إذا أرسل الرسل جعل معهم بينات تـشـهـد لهـم بالصدق، وهذا من كال حكمته، وكمال رحمتـه أيـضـا؛ لأنـه لـو جـاء رسـول من الخلق دون

أن تكون معه آية تدل على صدقه؛ لم يقبل الناس منه، ولكن الله ـ تعالى ـ بحكمته ورحمته ـ جعل مع كل رسول آية تـدل على صدقه، وأنه رسـول الله حقا.
8 ـ ومن فوائد هذه الآية الكريمة: منة الله عـلى عبـده ورسـوله عيسى ابن مريم؛ حيث أيده بروح القدس جبريل ـ عليه السّلام ـ ـ ومن فوائدها: بطلان دعوى النصارى بألوهية عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ لأنه أيد بروح القدس، ولو كان إلها لم يحتج إلى تأييد أحد، ولكنه عبد الله ورسوله؛ كما قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ﷺ رسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم

سـورة البقـرة

وروح منه...»(١)، وقد تبرأ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من دعوى من ادعى أنه إله معبود مستحق للعبادة في قوله ﷺ حين يسأله الله يوم القيامة: (وإذ قال الله ينعيسى ابن مريم ،أنت قلت للناس الجذونى وأتى إلهين من دون الله قال سبحسك ما يكون لي أن أقول ما ليس لى بحقي إن كنت قلته، فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علم الغيوب و ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

ع

ع

١٠- ومن فوائد هذه الآية: إثبات الملك الكريم جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ الذي وصفه الله بأنه روح القدس في هذه الآية وفي غيرها؛ قال الله ـ تعالى ـ: * فل نزله روح القدس من ربك بالحق *

-

(1)

[النحل: ١٠٢]

١١- .ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان أن بني إسرائيل لا يقبلون ما جاءت به الرسل، بل كلما

جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ـ أي: با لا يعتقدون أنه حق ـ استكبروا. ١٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن بني إسرائيل انقسموا في

رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ـ تعالى ـ: «يتأهل الكتب لا تغلوا في دينكم»، رقم (٣٤٣٥)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب من لقي ربه بالإيمان ـ وهو غير شاك فيه ـ دخل الجنة، رقم (٢٨).

١٣٣٦

أحكام من القرآن الكريم

جانب الرسل إلى قسمين: فريق كذبوا الرسل، وفريق قتلوهم؛ لقوله:
«ففريقا كذبتم وفريقا تقتلوت ؟.

ثم قال الله - تعالى -: (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم
فقليلا ما يؤمنون = * .

٨٨

التحدث
وقالوا الضمير يعود على بني إسرائيل؛ لأن هذه الآيات كلها في عنهم، «قلوبنا غلف»؛ أي: مغلفة لا يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ من الحق، فبين الله - عز وجل ـ بطلان دعواهم هذه في قوله: بل لعنهم الله بكفرهم »؛ أي: أن الله طردهم وأبعدهم عن رحمته بكفرهم، فران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، وإذا ران على القلب عمل العبد؛ فإنه لن يصل إليه الخير، يطبع على قلبه فلا يصل إليه الخير، فيظن أن قلبه لم يخلق منفتحا لهذا الخير، ويدعي أن قلبه أغلف، ثم قال ـ تعالى ـ: «فقليلا ما يؤمنون»؛ أي: أن إيمانهم قليل؛
بسبب لعنة الله لهم بكفرهم.
فوائد وأحكام الآية الكريمة:
1ـ أن بني إسرائيل يدعون ما ليس بحق حينا يدعوهم النبي - عليه الصلاة والسلام ـ أو غيره من أنبيائهم فيقولون: إن قلوبهم غلف؛ يعني: مغلفة لا يصل إليها ما دعوتم إليه، ووجه إبطال هذا قوله: «بل لعنهم الله بكفرهم »؛ أي: بل ليس الأمر ما يدعون، وإنا

الأمر أنهم كفروا؛ فلعنهم الله فلا يصل إلى قلوبهم الخير. ٢ـ ومن فوائد الآية الكريمة: بيان عقوبة الله لهؤلاء باللعنة؛ وهـي الطرد والإبعاد عن رحمة الله.
٣ـ ومن فوائدها: إثبات الأسباب؛ لقوله: «بكفرهم؛ فإن الباء -
هنا ـ للسببية.
٤ـ ومن فوائدها: أن الكفر ـ والعياذ بالله ـ يوجب انطاس القلب، والطبـع عـليه؛ بحيث لا يـصـل إلـيه الخير؛ لقوله: «بل لعنهم الله بكفرهم .

هـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل يقل فيهم الإيمان، والقلة هنا إما أن يكون المراد بها العدم، لقوله: «فقليلا ما يؤمنون»، وإما أن يراد بها أنه قد ترد على قلوبهم أحيانا واردات يكـون فيهـا شيء مـن الإيان،

٤
ولكنه شيء قليل لا يصل إلى إزالة الكفر عن هذه القلوب. ثم قال الله - تعالى -: «ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكفرين (. قول الله ـ عز وجل -: «ولما جاءهم كتب من عند الله * المـراد بـه القرآن؛ فهو من عند الله؛ لأن الله ـ تعالى ـ تكلم به وتلقاه جبريل، ثـم نزل به على قلب النبي ﷺ مصدق لما معهم»؛ أي: أن هـذا الـقـرآن مصدق ما معهم من الكتب؛ وتصديق القرآن لما معهم من الكتب عـلى

وجهين: الوجه الأول: أن حكم بصدق هذه الكتب السابقة، وأوجـب على الناس أن يؤمنوا بها؛ وهذا يعني أنه قال: إنا صادقة. والوجه الثاني من التصديق: أن الكتب السابقة أخـبرت بـه؛ فـجـاء مصدقا لما أخبرت به مطابقا له، وكلا الوجهيـن حق، لمـا جـاء هـم هـذا الكتاب من عند الله مصدقا لما معهم. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا »؛ يعني: أن هؤلاء اليهود كانوا من قبـل يـستفتحون عـلى الـذيـن كـفـرا؛ أي: يستنصرون عليهم بالرسول الذي

وعدوا به، وكانوا يقولون: إنه سيبعث نبي، وسنكون من أتباعه، وسننتصر عليكم، يقولون ذلك للكافرين، فلما جاءهم ما عرفوا»؛ أي: جاءهم ما عرفوا أنه الحق، وأنه الرسول الذي كانوا ينتظرونه؛ «كفروا به، » لم يقبلوا ما جاء به؛ «فلعنة الله على الكفرين »؛ يعني: أن هؤلاء لما كفروا بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي عرفوه كما يعرفون أبناءهم استحقوا اللعنة من الله ـ عز وجل ؛ وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وهنا قال فلعنة الله على الكفرين »، ولم يقل: «فلعنة الله عليهم»، والإظهار في موضع الإضمار له فوائد؛ منها: الحكم على مرجع الضمير بهذا الوصف الظاهر الذي حل محل الضمير، ومنها: إرادة التعميم فمثلاً لو قال: «فلعنة الله عليهم» لم تشمل غيرهم، ولكن إذا قال: «على الكافرين» شملتهم وشملت غيرهم من الكفار، ثم لو قال: «فلعنة الله عليهم» لم

ج

يتبين أنهم كفار بهذا الكفر، ولكنه قال: «فلعنة الله على الكفرين »؛
ليحقق بذلك اتصافهم بالكفر.
فوائد هذه الآية الكريمة:

1ـ أن بني إسرائيل قد امتد طغيانهم وعتوهم وتكذيبهم للأنبياء حتى آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ
٢ـ ومن فوائدها: أن القرآن الذي جاء به محمد من عند الله ليس منقولا عليه.
3ـ ومن فوائدها: إثبات كلام الله - عز وجل ؛ لأن القرآن كلام بلا شك، فإذا كان من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ دل هذا على أنه كلامه، وهذا هو ما يذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن القرآن كلام

الله، حروفه ومعانيه، وأنه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. ٤-. ومن فوائدها: الثناء على كتاب الله - عز وجل ـ القرآن؛ لكونه
مصدقا لما سبقه من الكتب؛ لقوله ـ تعالى ـ: «مصدق لما معهم؟. هـ ومن فوائدها: أن الحجة على بني إسرائيل كانت معهم، وبين أيديهم؛ فكتبهم كلها ناطقة متحدثة عن هذا القرآن الكريم، مصدقة له، مخبرة به، ومع ذلك كفروا به عتوا وطغيانًا.

و

6ـ ومن فوائدها: بيان الحسد العظيم في بني إسرائيل؛ حيث كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرا ظنًا منهم أن النبي الذي تحدثت عنه كتبهم سيكون من بني إسـرائـيـل؛ فلما تبين أنه من بني إسماعيل

كفروا به؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: «ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة: 109].

ـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل كفروا عن عناد وبيان؛ لقوله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .

ج

٨ـ ومن فوائدها: أن الكفر عن معرفة أشد من الكفر عـن جهـل؛ لقوله: «فلما جاءهم ما عرفوا»، ولم يقل: «فلما جاءهم الرسـول»، أو «جاءهم صاحب هذا الكتـاب»، أو مـا أشبه ذلك؛ بـل قـال: «فلما جاءهم ما عرفوا »؛ بيانًا لشناعة ما حصل منهم .
ـ ومن فوائدها: أن بني إسرائيل لما كفروا استحقوا اللعنة التي أوجبها الله - سبحانه وتعالى ـ على كل كافر؛ أي: أن لعنة الله حاقة عـلى كل كافر؛ ولهذا قال: «قلعنة الله على الكفرين ؟ .

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: «بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله، على من يشاء من عباده، فباءو بغضب على غضب وللكنفرين عذاب مهين - .
ع
يقول الله - سبحانه وتعالى ـ مبينا قـبـح مـا ذهـبـوا إلـيـه؛ لكـونهم اختاروا لأنفسهم الكفر بما أنزل الله؛ حسدا وبغيا منهم أن ينزل الله من

فضله على من يشاء من عباده؛ فإنهم حسدوا العرب حينا جاء النبي منهم، واختاروا لأنفسهم الكفر على الإيمان، قال الله ـ تعالى -: قباء وبغضب على غضب»؛ أي: أنهم أتوا بغضب على غضب، وهذا لا يعني أنهم باءوا بغضبين فقط، بل بأكثر؛ فهم استحقوا غضب الله ـ عز وجل ـ بعبادة العجل في زمن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبتكذيب عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبتكذيب محمد ﷺ؛ فهم باءوا بغضب على غضب؛ أي: رجعوا به ـ والعياذ بالله ـ والغضب الذي رجعوا به هو غضب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ثم قال: « وللكفرين عذاب مهين »، وهذه عامة وأول من يدخلها هؤلاء الذين كفروا بمحمد ﷺ؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم الكفر، وإنا قال: «عذاب مهين *؛ لأنهم كفروا استكبارا وتعاظما وعلوا؛ فكان جزاؤهم هذا العذاب الذي يهينهم ويلحقهم الذل والهوان.

فوائد وأحكام الآية الكريمة:

ا- بيان قبح ما اختاره هؤلاء المكذبون لرسول الله ﷺ من بني إسرائيل؛ لقوله: «بنسما اشتروا به أنفسهم ؟.

٢- ومن فوائدها: إثبات أن ما جاء به محمد ﷺ من عند الله؛ لقوله: وبما أنزل الله ؟.

3- ومن فوائدها: أن الذي حملهم على ذلك هو البغي والعدوان،

٤-

وهذا من طبيعة بني إسرائيل، أنهم بغاة عتاة متمردون على الحق. ومن فوائدها: بيان أن العلم الذي يهبه الله ـ تعالى ـ للشخص في شريعة الله من فضله، بل هو أعظم فضل يمن الله به على العبد بعد هدايته لدينه أن يرزقه الله ـ تعالى ـ العلم، والعلم أفضل من المال؛ لما فيه من النفع الكثير الواسع؛ وقد جاءت آيات كثيرة، بل وأحاديث كثيرة تدل على بيان فضل العلم، وأنه أعظم نعمة من الله بها على العبد. 5- ومن فوائدها: إثبات المشيئة الله؛ لقوله ـ تعالى -: على من

يشاء ،

ومشيئة الله ـ تعالى ـ عامة، عامة في كل شيء، فيما يفعله هو بنفسه، وفيها يفعله العباد.

6- ومن فوائدها: أن هؤلاء الذين اختاروا لأنفسهم الكفر بمحمد قد باءوا بغضب على غضب؛ أي: تراكم عليهم الغضب من الله ـ عز وجل -، وهذا يدل على أن الغضب إذا تكرر كان أعظم قبحا مما إذا كان غير متكرر.

-

ومن فوائدها: إثبات العذاب للكافرين، وأنه عذاب مهين يلحقهم بالذل والهوان؛ لقوله ـ تعالى : وللكفرين عذاب شهير بد ؟.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: (وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه، وهو الحق

ورة البق

١٣٤٣

مصدقا لما معهم فل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتُم
مؤمنين *.
وإذا قيل لهم »؛ أي: لبني إسرائيل الموجودين في عهد الرسول امنوا بما أنزل الله ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد كا
ﷺ لم يقبلوا هذا القول، بل يردونه بقولهم: «نؤمن بما أنزل علينا ← من الكتب التي نزلت عليهم كالتوراة على اليهود، والإنجيل على و
النصارى، «ويكفرون بما وراءه »؛ أي: بـا سـواه، وهو الحق»؛ يعني: أن الذي كفروا به هو الحق «مصدقا لما معهم ، والحق هو الشيء الثابت، وضده الباطل الزائل. وقوله: «مصدقا لما معهم »؛ أي: أن القرآن الكريم صدق ما معهم من كتب، وكان تصديقه لها على وجهين: الوجه الأول: أنه بين أنها كتب مشتملة على الصدق، والوجه الثاني: أنه صدقها؛ حيث كانت تتحدث عنه، وتبينه، وأنه سيكون فكان؛ يقول الله ـ عز وجل -: «وهو الحق مصدقا لما معهم »؛ أي: قل لهم يا محمد: «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين »؛ أي: إذا كنتم تدعون أنكم تؤمنون با أنزل عليكم، فلم تقتلون أنبياء الله الذين جاءوا بالوحي من الله؟ وهل هذا إلا كذب منكم وعدوان واستكبار على الحق؟! ولو كنتم مؤمنين حقا ما قتلتم الأنبياء الذين جاءوا منكم، وأتوا بالكتب منزلة
عليكم.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- بيان تعصب اليهود والنصارى لما هم عليه من الطريق، ولو كانت طريقا خاطئة؛ لأن رسالتي اليهود والنصلرى نسختا بمجيء وصارتا غير مقبولتين عند الله؛ لقوله - تعالى -: * إنّ الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران: 19]. وقوله: « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران: ٨٥].
محمد

٢- ومن فوائدها: التحذير من التعصب لما مع الإنسان إذا كان باطلاً؛ لأن الله ذكر هذا عن بني إسرائيل؛ تحذيرا من طريقتهم. 3ـ ومن فوائدها: أن هؤلاء ـ أعني: بني إسرائيل ـ إذا عرض عليهم الحق ردوه، وتعصبوا للباطل الذي هم عليه، وكفروا با سواه؛ لقوله: «ويكفرون بما وراءه. *.

٤ـ ومن فوائدها: أنهم ـ أعني بني إسرائيل - يردون الحق المصدق لما معهم، وكان الذي يجب عليهم ـ عقلا وشرعا ـ أن يقبلوا الحق، ولا سيا أنه مصدق لما معهم، ومبين أنه الحق؛ لقوله: «وهو الحق مصدقاً لما معهم »
لـ

5ـ ومن فوائدها: إقامة الحجة على كذب هؤلاء، الذين يدعون أنهم يؤمنون بها أنزل إليهم؛ لأنهم كانوا يقتلون الأنبياء، ولو كانوا صادقين في الإيمان بما أنزل إليهم ما قتلوا الأنبياء. 6ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي عند المحاجة أن يذكر المحاج ما يفحم

به الخصم، ويبين كذبه، وبطلان دعواه؛ لقوله: «قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين *.

ـ ومن فوائدها: بيان أن بني إسرائيل لا يقبلون الحق من كل مـن جاء به، ولكن إذا جاءهم ما تهوى أنفسهم سكتوا، وإذا جـاء هـم مـا لا تهوى أنفسهم قتلوا أو يكذبون ويصرحون بالتكذيب إذا لم يبلغـوا إلى حد القتل كما سبق في آية قبل هذه.

*

ولقد جاءكم موسى بالبينت ثم اتخذتم
العجل من بعده ، وأنتم ظلمون) [البقرة: ٩٢]. و في هذه الآية يخاطب الله بني إسرائيل موبخا لهـم عـلى مـا حـصل منهم؛ حيث إن موسى عليه السلام جاءهم بالآيات البينات الدالة على رسالته، وصدق دعوته، ومع ذلك اتخذوا العجل من بعـده إلهـا وهـم ظالمون؛ أي: ظالمون لأنفسهم بهذا الاتخاذ

وسبب
ذلك أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام - وعده الله سبحانه وتعالى ـ ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر؛ فبقي غائبا عن قومه أربعين ليلة، وكان قد خلف عليهم هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فلا تأخر عن الثلاثين؛ فتنوا با صنعه السامري من العجل المكون من الذهب الذي استعاروه، وقال لهم: إن هذا هو إلهكم وإله موسى؛ فعبدوا العجل وهم يعلمون أنه من صنعهم، وأنهم هم الذين صنعوه

= 346

أحكام من القرآن الكريم

وأحدثوه، ومع ذلك اتخذوه إلها، وقد نصحهم هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولكنهم قالوا لن نبرح عليه عنكفين حتى يرجع إلينا
موسى
[طه: 91]، وهذا ـ لا شك ـ دليل على سفههم، وعتوهم، وطغيانهم، أن يتخذوا إلها على صورة العجل، هم الذين صنعوه بأنفسهم وهو من جملة القبائح التي هم عليها. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

١- في هذه الآية بيان واحد مـن أمـور كثيرة تـدل عـلى عـتـو بني إسرائيل، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم.

٢- وفيها ـ أيضا ـ من الفوائد: المناداة إلى سفه هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها؛ فعبدوه مع أنه لا يرجع إليهم قـولا، ولا يملـك لهـم ضرا

ولا نفعا.
3- ومن فوائد هذه الآية: أنهم اتخذوا العجل على حال ظلم؛ لأنهم يعلمون أن هذا العجل هم الذين صنعوه، وأنـه لـيـس إلهـا، ولكـنهم - والعياذ بالله ـ تعنتوا هذا التعنت، ونصحهم هارون، ولكنهم لم يقبلـوا هذا النصح.

ﹷ
ثم قال الله - تعالى -: (وإذ أخذنا ميشكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيتكم بقوة وأسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بنسما يأمركم به
ع

إيمنكم إن كنتم مؤمنين * * [البقرة: 93].
هذه الآية خطاب لبني إسرائيل في عهد الرسـول و، ولكنهم لما كانوا أمة واحدة مع من سبقهم صح أن يوجه الخطاب إليهم بالشناعة عليهم بفعـل غـيرهم، فقال: «وإذ أخذنا ميثقكم »؛ أي: العهـد الثقيل الموثق، ورفعنا فوقكم الصور »؛ وهو الجبل المعروف، رفعه الله عليهم؛ تخويفا وإنذارا حتى صار كالظلة فوق رءوسهم، وأمـرهم أن يأخذوا ما آتاهم بقوة؛ أي: أن يأخذوا الكتاب الذي أنزله الله إليهم ـ وهو التوراة ـ بقوة في تصديق أخباره، والعمل بأحكامه، وأمرهم أن يسمعوا، ولكنهم عتوا وقالوا: «سمعنا وعصينا * ، وكـان الـواجـب علـيـهـم ـ وهـم عبـاد الله الـذيـن خلقـوا لعبادتـه ـ أن يقولـوا: سـمعنا وأطعنا، وكان هذا العصيان والتمرد نتيجة ـ والله أعلـم ـ لمـا أشرب في قلوبهم من حب العجل؛ فإن هذا العجل الذي صنعوه وعبـدوه تمكـن في قلوبهم حتى شربته؛ أي: شربت حبه؛ بسبب كفرهم بالله ـ عز وجل ؛ فهم لما عدلوا عن الحق عوقبوا بالإغراء بالكفر؛ لأن القلوب إمـا عـلى حق وإما على باطل، فإذا انتفى الحق ثبـت الباطـل؛ قال الله ـ ـ تعـالى ـ:

-

وقل بنسما يأمركم به، إيمنكم »؛ أي: بئس الأمر الذي يأمركم بـه إيانـكـم مـن عبـادة العجـل، والطغيان، والعتـو إن كنتُم مؤمنين ، ومن المعلوم أن من عبد مع الله غيره؛ فليس بمؤمن ولـو ادعى أنه مؤمن، ولكن هذه الصيغة التي جاءت في آخر الآية من بـاب

التحدي لهم؛ إذا كانوا مؤمنين فلماذا يعبدون العجل؟! هل الإيمان يأمر
بعبادة غير الله؟! لا.

فوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ من فوائدها: قدرة الله - عز وجل ـ؛ حيث نـتـق الجبـل فـوقهم كأنه ظلة، مع أن الجبل من الرواسي؛ فإن الجبـال جعلها الله ـ تعـالى - رواسي ثابتة في الأرض، ولكنه إذا أراد شيئا فإنها يقول له: كن فيكون. ٢ـ ومن فوائدها: بيان بلوغ الغاية في عنو بني إسرائيل؛ حيث إنهم قيـل لهـم: «خذوا ما اتيتكم بقوة ، ولكـنـهـم قـالوا: «سمعنا وعصينا *

٣ـ ومن فوائدها: أن السمع يطلق على الاستجابة والقبول؛ لقوله: واسمعوا ؛ أي: اقبلـوا واستجيبوا، لكـنـهـم قـالوا: «سمعنا وعصيناه.

٤ـ ومن فوائدها: وجوب الأخذ بقوة فيها نـزل عـلى الإنـسـان مـن الله، وألا يقابل هذا الوحي بالكسل والضعف؛ يشهد لهـذا قـول النبي ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله مـن المـؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرض عـلى مـا ينفعك واستعن بالله ولا تعجـز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله
وحي

وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).
هـ ومن فوائدها: أن الإنسان قد يبتلى بحب الباطل إذا أعرض عن

ج
الحق؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ؟. 6 ـ ومن فوائدها: إثبات الأسباب؛ لقوله: «بكفرهم »؛ فإن
الباء هنا للسببية.

ـ ومن فوائدها: التحذير من رد الحق، وأن الإنسان قد يبتلى إذا رد الحق بمحبة الباطل؛ حتى يبقى عليه، وقد حذر الله - سبحانه وتعالى من هذا بما ذكره في قوله ـ تعالى ـ: «ونقلب أفيدتهم وأبصرهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغينيهم يعمهون﴾ [الأنعام: 110]؛ فإن الإنسان إذا ردّ الحق، ولم يستجب له من أول الأمر قد يبتلى بأن يقلب الله ـ تعالى ـ قلبه وبصره؛ حتى يكون في أمر مريج.

هـ ومن فوائدها: تقبيح ما ذهب إليه هؤلاء من محبة العجل وعصيانهم، وكفرهم؛ لقوله: «قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنيت .

ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي عند المحاجة أن يسلك المحاج ما فيه التحدي لخصمه؛ حتى يتبين قدرته على المدافعة؛ لأن مقام المتحدي أعلى وأقوى من مقام المتحدى، وقد جاء في القرآن الكريم كثير من هذا

(1) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز...، رقم (٢٦٦٤)

النوع ـ أعني: التحدي ـ؛ أي: تحدي الخصم حتى يتبين عجزه، وأنه ليس على حق؛ من ذلك قوله ـ تعالى ـ: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين ﴾ [البقرة: ٢٣]، ومثل قوله ـ تعالى ـ: « أم يقولون تقوله، بل لا يؤمنون (فليأتوا يحديث مثله، إن كانوا صدقين ﴾ [الطور: 33، 34]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي فيها تحدي الخصم حتى يتبين

ع

عجزه.

ثم قال الله - سبحانه وتعالى ـ: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين و ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظامين و ولتجدهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشتركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزخرجه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)

الخطاب في قوله: «قل ← للرسول ﷺ؛ أمره الله ـ تعالى ـ أن يقول لهؤلاء الموجودين في عهده من بني إسرائيل: (قل إن كانت لكم الدار الأخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت »؛ وذلك أنهم كانوا يدعون أنهم هم أهل الجنة، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم يخلفهم المسلمون فيها، ويدعون أنهم أبناء الله تعالى

أحباؤه، وأنهـم خلاصـة الله ـ تعـالى ـ مـن البـشر، إلى غير ذلـك مـن الدعاوى الباطلة التي يشهد ببطلانها حالهم التي هم عليها، فيقـول الله ـ تعـالى ـ لنبيـه: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين»، ومن المعلـوم أنهم لن يتمنوا الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل؛ ولهذا قال: «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم »؛ أي بسبب مـا قـدمت أيـديهـم مـن الكفر، والظلم، والطغيان، ومن كانت هـذه حالـه؛ فإنه لا يمكـن أن يتمنى الموت؛ لأنه لو تمنى الموت في هذه الحال لكان معنـاه أنـه يتمنى استعجال العقوبـة عـلى نفسه، « والله عليم بالظامين * ، هـذه جملـة استئنافية تبين أن الله - سبحانه

وتعالى ـ يعلم أن هؤلاء ظلمة، وأنهـم لا يمكن أن يتمنوا الموت؛ لما هم عليه من الظلم، ثـم قـال: «ولتجدهم حرصت الناس على حيوة »؛ أي: لتجدن هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل أحرص الناس على حياة، وإن كانت قليلة، يتمنون أن يبقوا في هذه الحياة الدنيا ولو قليلاً؛ ليتمتعوا بما فيها من اللذات التي لا تنفعهم يوم القيامة؛ ولهذا قال: «ومن الذين أشركوا»؛ يعني: ولتجـدنهم أحرص الناس على حياة حتى من الذين أشركوا؛ يعني: فهـم أحـرص الناس على حيـاة، ويود أحدهم لو يعمر ألف سنة ؛ يعني: يحـب ويتمنى أن يعمر ألف سنة، ولكنـه لـو عمـر لم ينفعـه ذلـك، وما هو بمزحزحه، من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون »
له

وسيجازيهم الله على أعمالهم بها يستحقون.
فوائد وأحكام هذه الآيات الكريمات:
1ـ تحدي هؤلاء الذين ادعوا أنهـم أبنـاء الله وأحباؤه، وأن الـدار الآخرة لهم، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، تحـديهـم بـأمـر هـم قادرون عليه لو شاءوا؛ وهو تمني الموت إذا كانوا صـادقين بـأن الـدار الآخرة لهم.
٢ـ ومن فوائدها: أن هؤلاء الموجودين من بني إسرائيل في عهـد النبى ﷺ لا يمكن أن يتمنوا الموت؛ لأنهم يعلمـون أنـهـم عـلـى بـاطـل؛ ومن كان يعلم أنه على باطل فلا يمكن أن يتمنى الموت؛ لأنـه لـو تمنـاه لكان يستعجل العذاب لنفسه.
٣ـ ومن فوائدها: بيان علم الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظامين . ٤ـ ومن فوائدها: أن التأبيد إنما يكون بحسب الحال والقرينة، فلا يكون تأبيدا مطلقا أبدا؛ وذلك لأن أهل النار في النار يتمنون الموت؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: * ونادوا يملك ليقض علينا ربك ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وهؤلاء المكذبون لرسول اللہ ﷺ من بني إسرائيل هم من أهل النار؛ كا قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام -: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن
ت

بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النّار»
هـ ومن فوائدها: بيان أن بني إسرائيل أحرص الناس على حياة، وإن كانت حياة زهيدة قليلة؛ لقوله: «ولتجدهم أحرص الناس على حيوة ؟ .
6 ـ ومن فوائدها: أن المشركين أحرص الناس على حياة، ولكن هؤلاء اليهود من بني إسرائيل أشد حرصا على الحياة من المشركين. ـ ومن فوائدها: أن طول العمر لا يغني شيئا إذا لم يكن الإنسان على حق وعلى خير؛ ولهذا جاء في الحديث: «أن رجلا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وخشن عمله، قال: فأي الناس شر ؟ قال: من طال عمره وساء عمله»(٢).
٨ـ ومن فوائدها: أن عمر الإنسان حقيقة ما أمضاه في طاعة الله، وليس عمر الإنسان ما طال؛ فإن الإنسان قد يكون قصير العمر، ولكن يجعل الله في عمره بركة؛ ينتفع بنفسه وينتفع غيره؛ كما يوجد من بعض العلماء الذين عمروا قليلا، ولكنهم خلفوا خيرا كثيرا للأمة. ـ ومن فوائدها: أنه ينبغي لمن دعا لشخص بطول العمر أن يقرن

(١) سبق تخريجه ص (١٤١)
(٢) رواه الترمذي: كتاب الزهد، باب منه، رقم (٢٣٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح»؛ وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٤)، وقال: «رواه الترمذي وقال:
حديث حسن صحيح؛ والطبراني بإسناد صحيح؛ والحاكم؛ والبيهقي في الزهد وغيره».

ذلك بطاعة الله فيقول: أطال الله عمرك على طاعته؛ لأن طول العمر بدون طاعة لا يفيد الإنسان شيئا، بل إذا كان في معصية؛ فإنه لا يزيده إلا شرا.
١٠- ومن فوائدها: إثبات عموم علم الله - عز وجل ؛ لقوله: والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة: 96].

ج
وهذا قد دلت عليه النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة؛ حيث دلت على عموم علم الله - سبحانه وتعالى ـ بكل شيء، سواء من أفعاله أو من أفعال عباده، ذكر الله ذلك جملة، وذكره تفصيلاً؛ فذكره جملة مثل قوله - تعالى : (والله بكل شيء عليم ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والتفصيل مثل قوله ـ تعالى ـ: * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا

يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا * [النساء: ١٠٨]. ومثل قوله ـ تعالى ـ: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين ﴾ [الأنعام: 59] ومفاتح الغيب هي الخمس المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: (إن الله عنده علم الساعة ويترك الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » [لقمان: ٣٤]، وآيات العلم كثيرة في كتاب الله ـ عز وجل ـ.
وكذلك أحاديث النبي ﷺ في علم الله، والفائدة من علمنا بذلك

سورة البقـرة

١٣٥٥١

هي: أن يكون الإنسان مراقبا لربه، يخشى ربه في السر والعلانية، لا يكتم شرا، ولا يقول شرا، ولا يفعل شرا، ولقد قال الله ـ تعالى ـ: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد ﴾ [ق: ١٦]؛ فبين الله - سبحانه وتعالى ـ أنه يعلم ما توسوس به نفس الإنسان؛ تحذيرا من أن يضمر الإنسان في قلبه ما لا يرضاه الله ـ عز وجل ـ.

ثم قال - تعالى -: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى ويشترى للمؤمنين (من كان عدوا لله وملتبكيه، ورسله، وجبريل وميكنل فإن الله عدو للكفرين (ولقد أنزلنا إليك عاينت بينت وما يكفر بها إلا
ما
الفسفون - .
في هذه الآيات الكريات يأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لكل من كان عدوا لجبريل: «فإنه نزله على قلبك »؛ حيث إن جبريل نزل هذا القـرآن على قلب النبي ﷺ بإذن الله، وأول من صر بأنه عدة لجبريل هم اليهود؛ وذلك لأن جبريل - عليه الصلاة والسلام ـ ينزل بهذا الوحي من عند الله، فيفضحهم، ويبين جبروتهم وطغيانهم؛ فكان عدوا لهم، فأمر الله نبيه بهذه الآية أن يقول: «قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ، ولا يضر جبريل أن يكون

هؤلاء عدوا له، وإنما خص الله التنزيل على القلب؛ لأن القلب هو محل الوعي، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: (وإنه لتنزيل رب العالمين وي نزل به الروح الأمين ع على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤]. وأما قوله ـ تعالى ـ: «مصدقا لما بين يديه »، فقد سبق الكلام على معناه، وأما قوله: «وهدى وبشرى للمؤمنين »؛ فالمعنى: أن هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين؛ هدى يهديهم، ويبين لهم الحق،

ويبشرهم بما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم على إيمانهم. ثم قال ـ عز وجل : (من كان عدوا لله ومليكته، ورسله وجبريل وميكئل فإن الله عدو للكنفرين»، هذه الجملة الشرطية فيها بيان أن من كان عدوا الله؛ فإنه يكفر، وكذلك من كان عدوا لملائكته رسله، وجبريل، وميكال؛ وجبريل وميكال من الملائكة، ولكنها خصا بالذكر؛ لأن جبريل يتنزل بما فيه حياة القلوب، وميكائيل مأمور بالقطر والنبات وفيه حياة الأرض.
وفي قوله: «فإن الله عدو للكفرين» إظهار في موضع الإضمار؛ إذ كان مقتضى السياق أن يقول: فإن الله عد له، ولكنه أظهر في موضع الإضار؛ لبيان حكم من كان عدوا الله، وملائكته، ورسله، وجبريل، وميكال؛ فإنه كافر، ولأجل أن يكون هذا عاما في كل كافر، سواء أكان كفره بسبب عداوته الله، وملائكته، ورسله، وجبريل، وميكال، أم بسبب آخر، (ولقد أنزلنا إليك ايت بيست وما يكفر بها

إلا الفسقون »، يؤكد الله - عز وجل ـ أن الله أنزل إلى رسوله ﷺ آيات بينات، وهي هذا القرآن العظيم الذي بين الله فيه كل ما تحتاجه الأمة في معاشها ومعادها، وما يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون الخارجون عن طاعة الله.

فوائد هذه الآيات الكريمات:
1ـ من فوائدها: إثبات أن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ نزل بالقرآن الكريم عل قلب النبي ﷺ
٢ـ ومن فوائدها: بيان فضيلة جبريل؛ حيث كان موكلا بتنزيل
الوحي على رسول اللى ﷺ

٣ـ ومن فوائدها: أن القلب هو محل الوعي والحفظ. ومن فوائدها أيضا: أن نزول جبريل بالوحي على رسول الله كان بإذن الله الشرعي والقدري، وقد قسّم أهل العلم إذن الله - تعالى ـ إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي: فما تعلق بالمخلوقات فهو من الإذن الكوني، وما تعلق بالوحي فهو من الإذن الشرعي، ومثال الإذن الشرعي قوله ـ تعالى ـ: « أم لهم شركتوا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله: « قل الله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس: 59]، ومثال الإذن الكوني قوله تعالى -: ﴿ وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي:
بإذن الله الكوني.

هـ ومن فوائدها: بيان أن جبريل ـ عليه الصلاة " السلام ـ وإن كان من الملائكة ـ له أعداء من البشر من بني آدم، ومن أولهم اليهود، كا ذكر ذلك المفسرون.

6 ـ ومن فوائدها: أن هذا القرآن لا يهتدي به وينتفع به إلا المؤمن، ولا يكون بشرى إلا للمؤمن، أما غير المؤمن فإنه لا ينتفع بهذا القرآن، ولا يكون القرآن بشرى له.

وفي قوله - تعالى : (من كان عدوا لله وملتبكيه.. » إلى آخر

= ٣٥٨

الآية، من الفوائد:

1ـ أن كل من كان عدوا الله، أو لملائكته، أو لرسله، أو لجبريل وميكال؛ فإنه كافر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فإن الله عدو للكفرين *. ٢ـ ومن فوائدها: أن كل كافر هو عدو الله - عز وجل ؛ ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: « ينأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة: 1].

ج

3ـ ومن فوائدها: أن كل من كان عدوا لله؛ فإنه يجب أن يكون عدوا للمؤمنين؛ لأن من أحب أحدا كان وليا لمن والاه، وعدوا لمن
عاداه.

ثم قال ـ تعالى ـ: « ولقد أنزلنا إليك ايت بينت وما يكفر بها إلا
الفسقون - .

سورة البقـرة

١٣٥٩

هذه الآية فيها تأكيد من ثلاثة وجوه: اللام، وقد، والقسم المقـدر؛ يؤكد الله - عز وجل ـ فيها أنه أنزل إلى الرسول ﷺ آيات بينات . من فوائد هذه الآية:

١- من فوائدها: تأكيد أن القرآن نزل من عند الله، والآيات في هـذا
كثيرة جدا.
٢- ومن فوائدها: أن القرآن آيات بينات، ليس فيهـا غـمـوض ولا
إشكال.
3- ومن فوائدها: الرد على من قال: إن في القرآن آيـات مـشتبهات لا يعلم معناها الناس؛ فإن جميع آيات القرآن الكـريـم معلومة المعنى، وليس فيها شيء مجهول المعنى لجميع الأمة، فلو كان فيهـا شيء مجهـول المعنى لجميع الأمة لم يكن القرآن بيانا، بل كان بعضه بيانا وبعـضـه غـير بيان.

٤- ومن فوائدها: أنه لا يكفر بهذه الآيات التي أنزلها الله على محـمـد إلا الفاسق الخارج عن طاعة الله ـ عز وجل ـ. 5- ومن فوائدها: أن كل من كـان أطـوع الله ـ عـز وجـل ـ وأقـوم لطاعته؛ كان ظهور الآيات الكريات في القرآن أبين عنـده وأوضـح؛ لأن الحكم إذا رتب على شيء ـ أي: على وصـف ـ فإنـه يثبـت بثبوتـه، وينتفي بانتفائه.
6 - ومن فوائدها: أنه يجب علينا أن نعتني بهذا القرآن الكريم، وأن

٣٦٠

أحكام من القرآن الكريم

نستبين ما فيه من الآيات؛ حتى ننتفع بـه، وحتـى يـكـون منهجانسير عليه في اعتقاداتنا، وفي عباداتنا، وفي معاملاتنا؛ فإن هذا القرآن شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

لا
ثم قال ـ تعالى ـ: «أوكلما عهدوا عهدا نبذه، فريق منهم بل

أكثرهم لا يؤمنون (*.
ع
يقول الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية موبخا هؤلاء القوم؛ بنبذ فريق منهم لما عاهدوا عليه ـ:
«أوكلما عهدوا عهدا نبذه، فريق منهم * ثم يبين أن هذا النبذ بالعهد؛ لكون أكثرهم لا
يؤمنون (بل أكثرهم لا
يؤمنون .

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ توبيخ من عاهد عهدا فنبذه.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه إذا وقع الخطأ من بعض قوم؛ فإنه لا ينسب الخطأ إلى الجميع،
بل العدل أن يشار إلى أن هذا الذي حصل إنا
كان من فريق منهم؛ لئلا يلحق العار جميع القوم مع براءة بعضهم م ٣ـ ومن فوائدها
وأحكامها: أن نقض العهد علامة على نقص الإيمان؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ
أن من خصال النفاق الغدر بالعهد.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين
أوتوا الكتب كتب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

وهذه الآية كسابقتها، فيها التوبيخ لهؤلاء القوم الذين عرفوا الحق، ولكن فريقا منهم نبذه،
وكأنهم لا يعلمون به، فيقول ـ جل وعلا ـ: ولما جاءهم رسول من عند الله »؛ وهو محمد
«مصدق لما معهم، وذلك من وجهين:
الأول: أن القرآن شهد بصدق ما جاء به موسى وعيسى ـ عليها الصلاة والسلام -.
والثاني: أنه صدق ما أخبرا به عن هذا الرسول الذي بشر به بنو إسرائيل؛ كما قال عيسى ابن
مريم: « ينبني إسراءيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين ﴾ [الصف: 6]. ويبين الله -
عز وجل ـ في هذه الآية ـ أعني آية البقرة ـ أنه لما جاءهم هذا الرسول المصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب اللہ ﷺ راء ظهورهم، ولم يقل: «نبذ فريق منهم» بل

قـال: «من الذين أوتوا الكتب» ؛ زيادة في التشنيع عليهم؛ حيـث أوتـوا الكتـاب وعرفوا الحق، ولكنهم نبذوه، والذي نبذه فريق منهم، ومنهم من آمـن به وصدقه؛ كالنجاشي ـ رحمه الله ـ وكعبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه

٣٦٢

أحكام من القرآن الكريم

؛ فالنجاشي كان من النصارى، فلا بلغتـه رسـالة النبي ﷺ آمـن بـه وعبدالله بن سلام كان من اليهود، فلا قدم النبي ﷺ المدينة أتـى إليـه، وآمن به، ولم يكن كل اليهود أو النصارى كفـروا بمحمـد ﷺ ونبـذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ثم يبين الله ـ عـز وجـل ـ أن هـؤلاء الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون الحق، كأنهم جهال بـه
وهم عالمون به.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
١ـ صدق رسالة النبي ﷺ؛ لقوله: « ولما جاءهم رسول من عند الله * .
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن رسول اللـه ﷺ مرسل إلى بني إسرائيل، كما أنه مرسل إلى الأميين ـ وهم العرب ـ، بل وإلى الناس أجمعين؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: (قل يأيها الناس إلى رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يخيء ويميت فقامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الأعراف: 158]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من

سـورة البقـرة

١٣٦٣١

أصحاب النّار» (١).
3- ومن فوائدها وأحكامهـا: أن رسـول اللـه ﷺ كـان مـصدقا لما جاءت به الرسل السابقة؛ أي: مقرا بأنهـا صـدق، وشـاهـدا بـصدقها؛ حيث أخبرت به فجاء طبقا لما أخبرت به.
4- ومن فوائدها وأحكامها: قيام الحجة على بني إسرائيل؛ حيـث كان محمد ﷺ مصدقا لما معهم، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب

الله وراء ظهورهم. هـ ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: أن الـذيـن نبـذوا كتـاب الله وراء ظهورهم من بني إسرائيل نـبـذوه عـن عـلـم؛ لأنهـم أوتـوا الكتـاب وعرفوا الحق، وقـد بيـن الله ـ تعـالى ـ أنهـم يـعـرفـون محـمـدا ﷺ كا يعرفون أبناءهم، وهذا أشد لوما، وتوبيخا، وجريمة ممـن لا يعلـم ولم يؤت من الكتاب شيئا.

6- ومن فوائدها وأحكامها: أن نبذ هؤلاء الفريق من الذين أوتوا الكتاب نبذ لا يرجى معه إقبال؛ لقوله: « تبذ فريق من الذين أوتوا الكتب كتب الله وراء ظهورهم ، والذي ينبذ كتاب الله وراء ظهره

في الدنيا؛ يؤتى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره؛ جزاء وفاقا. - ومن فوائدها وأحكامها: أن من نبذ عن علم أشد قبحًـا ولـومـا

(١) سبق تخريجه ص (١٤١)

ممن نبذ عن جهل؛ ولهذا قال: «كأنهم لا يعلمون ؟. هـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من رد الحق بعـد الـعـلـم بـه؛ لأن الله ساق هذه الآية على وجه اللوم والتوبيخ لهؤلاء الـذيـن نبـذوا الحق بعد أن عرفوه.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من نبذ الحق بعد العلـم بـه؛ ففيـه شبه من بني إسـرائيل من اليهود والنصارى الذين ردوا الحـق بعـد أن
علموا به.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمين وما كفر سليمين ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس الشخر وما أنزل على الملكين ببابل هنروت ومروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به، بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلق وليئست ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون .
ج

في هذه الآية يبين الله ـ تعالى ـ أن قوما من بني إسرائيل اتبعـوا مـا تتلو الشياطين على ملك سليمان؛ وكانت الشياطين تتلو ما تتلوه مـن أنواع السحر، بل ومن أنواع الكفر أيضا، فتمليه على الناس با تلقيه في قلوبهم من ذلك.

ام

سـورة البقـرة
وقوله: «على ملك سليمان »؛ لأن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام قد آتاه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وسخر له الريح، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص، وسليان هو ابـن داود، وهـو مـن أفـضـل أنبياء بني إسرائيل، وهو من بعـد موسى بأزمنة طويلة، يقـول ـ عـز وجـل : «كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السخر»؛ يعني: أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يعلم الشياطين ما تتلوه من السحر فيكون بذلك كافرا، بل هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ نبي رسول معصوم من الكفر؛ ولهذا قال: «وما كفر شليمن ولكن الشياطين كفروا ؟ ومـن كـفـر هـم أنـهـم يعلمـون الـنـاس الـسحر؛ والسحـر ـ بالشعوذة، ودعاء الشياطين، والاستعانة بهم على إيذاء الخلق نوع من الكفر؛ ولهذا قال: «ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس
الشخر.

ع
يعني:
قال: «وما أنزل على الملكين ببابل هنروت ومروت »؛ أن ما أنزل على الملكين ببابل ـ وبابل اسم مكان ـ، والملكان أحدهما هاروت، والثاني ماروت، وهما ملكان من الملائكة أنزلها الله - عز وجل ـ إلى الأرض؛ من أجل اختبار الناس، يعلمان الناس السحر بأمر الله ـ عز وجل ، ولكنها ـ كما قال الله ـ تعالى ـ: «وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر »، فيتعلم الناس منها على بصيرة وعلى علم، يتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه من السحر، وهو ما

يسمى بالعطف والصرف، وهو نوع خبيث من أنواع السحر، ومن أشد أنواع السحر ضررا؛ حيث يفرق به بين المرء وزوجه، ومن المعلوم أن الصلة بين المرء وزوجه من أقوى الصلات؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ومن اينته، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » [الروم: ٢١]، فهذان الملكان يعلان الناس، ويقولان: «إنما نحن فتنة فلا تكفر ، ولكن بعض الناس يصمم على أن يتعلم، وهذا من اختبار الله ـ عز وجل ـ لعباده، «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله *؛ أي: أن ما يحصل من الضرر بالسحر صادر عن إذن الله وإرادته ـ عز وجل ـ ولو شاء الله ـ تعالى ـ لم يؤثر السحر شيئا؛ ولهذا قال: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ؟. ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم»؛ يعني: يتعلمون من السحر ما هو ضرر لهم في دينهم ودنياهم، ولا ينفعهم، وإن قدر أنهم انتفعوا به في الدنيا فإن ضرره أكبر من نفعه، قال الله ـ تعالى ـ: «ولقد علموا لمن أشكرنه ما له في الآخرة من خلق»؛ يعني: علم هؤلاء الذين أصروا على تعلم السحر أن من اشتراه ـ أي: تعلمه ـ ما له في الآخرة من خلاق؛ يعني: ليس له في الآخرة نصيب؛ وذلك لأنه أتى الكفر؛ والكافر ليس له نصيب في الآخرة، إنما يمتع في الدنيا كا تمتع الأنعام، والنار مثوى له، قال الله ـ تعالى -: (وليس ما شروا به
وقوله:

أنفسهم لو كانوا يعلمون »، في هذا قدح لهذا العلم الذي تعلموه، وأنه جدير بالذم والتقبيح؛ ولبس ما شروا به أنفسهم » أي: لبئس ما باعوا به أنفسهم، وهو هذا السحر الذي تعلموه، ثم قال: «لو كانوا يعلمون »؛ يعني: لو كانوا من ذوي العلم لعرفوا قبحه وابتعدوا عنه، ولم يحاولوا تعلّمه، هذا معنى الآية إجمالا، أما ما يستفاد
منها من الأحكام والفوائد فكثيرة.

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:
1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ سخر الشياطين لسليمان، وامتحن الناس بهم؛ لقوله: «واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمين ٢ـ ومن فوائدها: أن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكفر بكفر هؤلاء الشياطين الذين تعلموا السحر، وصاروا يتلونه ويلقونه على الناس؛ وذلك لأن الأنبياء معصومون من الكفر والشرك. 3ـ ومن فوائدها: أن العمل بالسحر كفر؛ لقوله ـ

تعالى ـ: «ولكن الشياطين كفروا .
٤ـ ومن فوائدها: أن تعليم الناس السحر من الكفر؛ لقوله ولكن الشيطين كفروا يعلمون الناس السُحره، والسحر نوعان: النوع الأول: سحر الشياطين الذي يكون بالاستعانة بهم، والتعوذ بهم، والالتجاء إليهم، وهذا كفر لا شك فيه.
والثاني: سحر بالأدوية، والأوراق، والأشجار، وما أشبه ذلك مما

= ١٣٦٨١

أحكام من القرآن الكريم

لا علاقة للشياطين به، فهذا لا يصل إلى حد الكفر، لكنه محرم تحريا شديدا؛ لما يحصل فيه من الأذية والضرر على الغير، وإذا ثبت السّحر على شخص: فإن كان من النوع الأول فإنه يقتل كفرا وردة، وإن كان من النوع الثاني فإنّه يقتل؛ لاتقاء شره وأذيته على المسلمين. هـ ومن فوائدها: أن الحق ما أذن الله فيه وأمر به، ولو كان في نفسه باطلاً؛ فهذان الملكان نزلا إلى الأرض؛ ليعلها الناس السحر، وتعليم السحر ـ كما سبق ـ كفر، لكن الله ـ عز وجل ـ أباح لهذين الملكين أن يعلمها الناس من أجل هذا الامتحان الذي حصل بتعليمها، والشيء قد يكون كفرا، وقد يكون طاعة، ولو كان واحدا من نوعه، وأضرب لهذين مثلين:

المثل الأول: السجود لغير الله كفر وشرك، وإذا سجد الإنسان لغير الله بأمر الله كان عبادة؛ ألم تر قول الله ـ عز وجل -: (وإذ قلنا للملتبكي اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [البقرة: 34]، فهنا نجد السجود لغير الله كان طاعة وعبادة؛ لأن الله أمر به، ويكون شركا في الحالة التي لم يأمر الله به فيها.

والمثل الثاني: قتل النفس فإنه من كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان المقتول من أقارب القاتل، ومع ذلك كان طاعة يمدحُ عليه، وذلك كا في قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل؛ فإن إبراهيم رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، فقص الرؤيا على ابنه؛ فقال: « يتأبت أفعل ما تؤمر

سورة البقرة

ستجدني إن شاء الله من الصبرين ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فأسلها أمرهما الله، واستسلا لقضاء
اللى ﷺ شرعه، فلا تل ابنه للجبين ليذبحه؛ جاء الفرج من الله ـ عز وجل - : (وندينه أن يتإبرهيم
قد صدقت الرنيا إنّا كذالك تجزى المحسنين لي إن هذا هو البلتؤا المبين ﴾ [الصافات:

104 - 106].

فامتحن الله إبراهيم بأمره بقتل ابنه حتى أسلم الله وانقاد؛ فصار ذبح ابنه طاعة الله، ولكن الله - عز وجل ـ تداركه بلطفه وإحسانه فكتب له أجر الممتثل، وقال له: (قد صدقت الرنيا إنا كذالك نجزى المحسنين »، فالملكان اللذان نزلا يعلمان الناس السحر نزلا بأمر الله، وبإذن الله، فكان تعليمها للسحر طاعة الله ـ عز وجل ـ، لكنه ـ باعتبار المعلم ـ كفر؛ ولهذا قال: «وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

6 ـ ومن فوائدها: أن الله ـ تعالى ـ قد يسر للإنسان أسباب المعصية؛ ليبلوه هل يعصي الله أم لا يعصى الله؟ فالله - سبحانه وتعالى ـ قد يسر للناس تعلم السحر بما أنزل على الملكين، وبها بذلاه من أنفسها لتعليم
الناس.
ـ ومن فوائدها: أنه يجب أن يبين الأمر لطالبه على وجه صريح، لا لبس فيه؛ فإن هذا من تمام النصح والبيان؛ لأن الملكين لا يعلمان من أحد حتى يقولا: «إنما نحن فتنة فلا تكفره، فيبينان حالها، وحال

المتعلم منها؛ يبينان حالها أنها نزلا فتنة، ويبينان حال المتعلم منها بأن
تعلمه كفر.

هـ ومن فوائدها: أن من أعظم أنواع السحر التفريق بين الرجل وزوجته؛ لقوله: « فيتعلمون منهما ما يفرقون به، بين المرء وزوجه ، وهذا ما يسمى بالعطف والصرف؛ فإن من أنواع السحر ما إذا شجر به الإنسان انعطف على غيره انعطافا بالغا شديدا لا يملك أن يتصرف بنفسه معه، حتى يكون وراء هذا الشخص الذي عطف عليه؛ كما تكون الشاة وراء الراعي الذي يدعوها، ومن السحر ما يكون بالعكس، يوضع للشخص ليفرق بينه وبين

حبيبه؛ مثل أن يفرق بينه وبين زوجته، فيصبح يرى زوجته وكأنها من أعدى أعدائه أو العكس، وهذا من أشد أنواع السحر إيذاء وضررا. 9ـ ومن فوائدها: أن ما يقع من تأثير السحر إنها يقع بأمر الله ـ عز وجل ـ وإرادته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن

١٠ـ ومن فوائدها: أنه متى لجأ الإنسان إلى ربه، واستعاذ به واستغاثه من الأمر الذي نزل به؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ قادر على أن يصرفه عنه، ولو كان قد نزل به الشر؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله *
١١- ومن فوائدها: الإشارة إلى أنه ينبغي للمسحور أن يلجأ إلى

الله ـ تعالى ـ وأن يسأله رفع ما نزل به بصدق، وإخلاص، وضرورة؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أوله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ [النمل: ٦٢]، وقد يكون لجوء الإنسان إلى الله ـ في الحال التي يصاب فيها بالسحر ـ وشدة تضرعه إليه من أقوى الأدوية تأثيرا إن لم يكن أقوى الأدوية تأثيرا؛ ولهذا لما شجر النبي ﷺ بسحر عظيم؛ أنزل الله عليه سورتي المعوذتين: « قل أعوذ برب الفلق» و« قل أعوذ برب الناس » ؛ فرقاه بها الملك؛ فشفاه الله ـ تعالى ـ من ذلك. ١٢ـ ومن فوائدها: أنّ السحر ضرر على الساحر كما هو ضرر على غيره، وإن ظن الساحر أنه ينتفع بذلك، وأنه يكسب من ورائه؛ فإنّ هذا الكسب الذي حصده كسب خبيث لا يزيده من الله إلا بعدا، ولا يزيده إلا خسارا؛ ولهذا قال: « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم». ١٣ـ ومن فوائدها: أن الساحر كافر؛ لقوله ـ تعالى -: (ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلقه . ١٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تقبيح ما حصل من هؤلاء من تعلم السحر؛ حيث قال: «ولبس ما شروا به أنفسهم. ١٥ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء باعوا أنفسهم وخسروها؛ من أجل تعلم هذا السحر القبيح الذي وصفه الله بقوله: «ولبئس ما شروا به أنفسهم؟ .

١٦ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين اختاروا تعلم السحر وأهلكوا أنفسهم به كانوا من أجهل الناس، سواء علموا ذلك أو لم يعلموه، مع أن قوله: (ولقد علموا لمن أشترنه ما له في الآخرة من خلق » يدل على أنهم يعلمون أن الساحر ليس له نصيب في

الآخرة، فيكونون قد خالفوا وعصوا على بصيرة ـ والعياذ بالله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون *
في هذه الآية يعرض الله ـ عز وجل ـ على هـؤلاء الذين كفـروا بتعلم السحـر، يعرض الله ـ عز وجل ـ عليهم الإيمان والتقوى، ويبين أن المثوبة التي عند الله لهم بإيمانهم وتقواهم خير مما يحصلونه في الـدنيا من جزاء السـحر لو كانوا من ذوي العلم. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ سعة فضل الله - عز وجل -، وإحسانه، وكرمه؛ فهـؤلاء الذين
عتوا وبغوا على الخلق بما يتعلمونه مـن الـسحر، ويضـرون بـه النـاس يعرض الله عليهم أن يؤمنوا ويتقـوا؛ حتـى يـكـون لهـم المثوبة، وهـذا
أنموذج من نماذج سعة رحمة الله، وفضله، وإحسانه؛ ومن نماذجه: أن الله ـ تعالى ـ قال في سورة البروج (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنت ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠]؛

ورة البقـرة

٣٧٣

فهؤلاء الذين قتلوا أولياءه وأحرقوهم في النار يعرض الله عليهم التوبة فيقول: «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهم ولهم عذاب الحريق ، فلو تابوا لنجوا من عذاب النار، هؤلاء أيضا لو أنهم آمنوا ـ أعني: الذين تعلموا السحر وأضروا الناس به ـ لو أنهم آمنوا واتقوا؛ لمحا الله عنهم الآثار السيئة لهذا السحر، وأثابهم على ذلك، وكان خيرا لهم.

٢ـ ومن فوائدها: أن ما عند الله من الثواب خير مما يحصل في الدنيا من المكاسـب، وهذا ظاهر بالأثر والنظر؛ أما الأثر فقد بين الله ـ تعالى ـ في غير آية أن الآخرة خير من الدنيا؛ فقال الله ـ تعالى ـ: * بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ [الأعلى: 16، 17]، وقال للنبي ﷺ: ﴿ وللأخرة خير لك من الأولى ﴾ [الضحى: 4]، وقال ـ تعالى ـ: « وما عند الله خير وأبقى ﴾ الآية [الشورى: 36]؛ يعني: لمن اتقى، والآيات في هذا كثيرة، وقال النبي ﷺ: «... وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها...» (١)، وهنا قال ـ تعالى ـ: «لمثوبة من عند الله

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين تعلموا السحر ـ مـع علمهم بأن مـن اشـتراه لا خـلاق لـه في الآخـرة ـ مـن ذوي الجهالة،

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم (٢٨٩٢)

١٣٧٤١

وكأنهم لا يعلمون؛ لذا قال: «لو كانوا يعلمون .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث على العلم والعمل به، وأن مـن لم يعمل بعلمه فهو كالجاهل، بل أشد قبحا من الجاهل؛ لأن الجاهل قد يعذر، وقد يستقيم إذا علم الحق، بخلاف من خالف الحق مع علمه به؛ فإنه ليس بمعذور، ورجاء رجوعه إلى الحق بعيد.

ثم قال - تعالى -: « ينأيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وأسمعوا وللكفرين عذاب أليمات .

يخاطب الله ـ تعالى ـ المـؤمنين بـصـفة الإيان؛ لينهـاهـم عـن هـذه الكلمة التي كانت اليهود تقولهـا لـرسـول الله ﷺ «رعنا ؛ يريدونها من الرعونة لا من الرعاية، فتكـون «رعنا »؛ يعني: «إنـك ذليـل»، وليس المراد الرعاية؛ فنهى الله عباده المؤمنين أن يقولـوا هـذه الكلمـة، ولكنه أرشدهم إلى كلمة خير منها، وهي بمعناها قـال: «وقولوا أنظرنا واسمعوا وللكفرين عذاب أليمه؛ يعني: اسمعوا ما نهيتكم عنـه،

ولا تخالفوه؛ فإن مخالفته من الكفر.
وللكفرين عذاب أليمه؛ أي: مـؤلم؛ لأنـه شـديـد ـ والعيـاذ بالله ـ كـا بيـن الله ـ تعالى ـ شدة عذاب النار في آيات كثيرة من القرآن، وبينها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة من السنة.
في هذه الآية الكريمة يخاطب الله المؤمنين بوصف الإيمان ويناديهم

بقوله: «يتأيها الذين امنوا).

١٣٧٥١

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن من خصال المؤمن أن يمتثل؛ لأنـه مـؤمن؛ والمؤمن يهـديه إيانـه إلى امتثال أمـر الله ـ عز وجل ـ.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي أن ينـادى الإنسان بأحـب الأوصاف إليـه، ولا شك أن أحـب أوصـاف المؤمن إليـه أن ينـادى بإيمانه.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن مخالفة مـا ذكـر نقـص في الإيان، وأن موافقته من مقتضى الإيان؛ ولهـذا وجـه الخطـاب إلى المخاطـب بوصف الإيمان.
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحـريـم الخطـاب بـالكلمات المحتملة للحق والباطـل بالنسبة لرسـول اللى ﷺ ؛ ولهذا قال: «لا تقولوا راعنا .

هـ ومن فوائدها: النهي عن مشابهة غير المؤمنين؛ لأن هذا الخطاب «راعنا» مما يدندن به اليهود إذا خاطبوا النبي ﷺ ومن فوائد وأحكام قوله: «وقولوا أنظرنا ؟ : 1ـ أنه إذا ذكر باب ممنوع مسدود أمام الناس؛ فإن الحكمة تقتضي أن يذكر لهم ما يستغنون به عنه من الأشياء المباحة؛ ولهذا قال: «وقولوا انظرنا ← ؛ فهو لم ينههم ويجعلهـم عـائمين لا يـدرون مـا يقولون، بـل

١٣٧٦

أحكام من القرآن الكريم

أرشدهم إلى القولة المباحة؛ وهي قوله: «انظرناه، فإذا نهيـت النـاس عن شيء يحتاجون إليه فافتح لهم بابا يغني عنه؛ حتى يسهل تـركهم لما نهوا عنه، وفعلهم هذا الـذي أرشـدوا إليـه، ونظير ذلـك مـا ثبـت في الصحيح: «أن رسول اللى ﷺ أتي إليه بتمر جيد؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: كنا نأخذ الصاع بالصاعين، والصاعين بالثلاثة ـ أي: نأخذ الصاع مـن هذا التمر بالصاعين من الرديء، والصاعين بالثلاثة ـ فـأخبرهم النبـي أن هـذا عـين الربـا)، وأرشـدهـم إلى أن يبيعـوا التمـر الـرديء بالدراهم، ثم يشتروا بالدراهم تمرا جيدا، ومنعهم مـن أخـذ الـصاع بالصاعين أو الصاعين بالثلاثة؛ لأنه ربا؛ فإن بيع التمر بالتمر يجب فيـه التساوي في الكيـل والتقابض في مجلس العقـد، ولمـا أخـذوا الـصاع بالصاعين لم يلتزموا بالتقابض؛ فأرشدهم النبي ﷺ وبين لهم أن هذا ممنوع، وأرشدهم إلى البيع المباح بأن يبيعـوا التمـر الـرديء بالـدراهم، ويشتروا بالدراهم تمرا جيـدا، وهـذا نظـر هـذه الآية الكريمة: «لا تقولوا رعنا ؟ هذا ممنوع، «وقولوا

أنظرنا هذا بدل عنه. ٢ـ ومن فوائدها: وجوب السمع والطاعة لأوامر الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: (وأسمعوا .

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ومن غير علم...، رقم (٧٣٥٠، ٧٣٥١)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، رقم (١٥٩٣).

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: ثبوت الجزاء على العمل؛ لقوله: وللكفرين عذاب أليمه.
٤ـ ومن فوائدها: أن مخالفة أمر الله ورسوله من الكفر؛ لأنه أعقب النهي عن قول: «راعنا» والإذن في قول: «انظرنا» ـ أي: الإرشاد إليه والأمر بالسماع ـ بقوله: (وللكفرين عذاب أليم؛ فدل هذا على أن المخالفة لأمر الله ـ عز وجل ـ نوع من أنواع الكفر.

ثم قال الله - تعالى -: « ما يود الذين كفروا من أهل الكتب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله مختص برحمته، من يشاء والله ذو الفضل العظيم (.
«ما يود »؛ يعني ما يحب «الذين كفروا من أهل الكتب»؛ وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (ولا المشركين »؛ يعني: ولا الذين كفروا من المشركين، لا يودون أن ينزل إلى رسول الله ﷺ وأمته من خير؛ لأنهم حسدة؛ والحاسد لا يحب أن ينزل الله الخير على غيره؛ ولهذا قال: «من خير من ربكم، ثم قال: «والله تختص برحمته، من يشاء »؛ أي: يخص من شاء من عباده رحمة خاصة غير الرحمة العامة لجميع الخلق؛ لأن رحمة الله - عز وجل ـ نوعان: رحمة عامة: تشمل جميع الخلق حتى الكفار؛ فإن الله ينزل عليهم الغيث، ويخرج لهم الزرع، ويكثر لهم المال والولد، وهذه رحمة ـ وكذلك يفعل بالمؤمنين ـ

والرحمة العامة رحمة متعة فقط، يستوي فيها جميع الخلق حتى البهائم. أما الرحمة الخاصة: فهي التي قال الله عنها: (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بقاينينا يؤمنون

﴾ [الأعراف: 156]، ويقول الله - عز وجل -: «والله مختص برحمته من يشاء ؛ يعني: فليس

لأحد أن يحجر على الله أن ينزل فضله على من يشاء من عباده . * والله ذو الفضل العظيمة؛ أي: صاحب الفضل العظيم، العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شمولا في المكان، وشمولا في الزمـان، فبين الله - عز وجل ـ في هذه الآية حقد الكفار من المشركين، واليهـود، والنصارى الذي بلغ بهم إلى هذا الحد.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1- بيان أن اليهـود، والنصارى، والمشركين لا يودون الخير للمسلمين، وهذا ليس خاصا بـزمن الرسـول؛ بـل هـو عـام إلى يـوم القيامة؛ لأن الكفار مـن اليهـود، والنصارى، والمشركين أعـداء لـنـا، وأعداء لربنا، وأعداد لكتابنا، وأعداء لرسولنا، ومن كان كذلك فإنه لا يمكن أبدا أن يحب نزول الخير إلينا.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحذر من مكـر الكـفـار مـن اليهـود، والنصارى، والمشركين؛ فلا نغتر با يبذلونـه لـنـا مـن حـلاوة اللسان، وإظهار انشراح الصدر بنا؛ لأنهم إنا يفعلون ذلك من أجل خير عائـد عليهم أكثر مما يتحملونه من كراهتهم للخير النـازل إلينـا؛ أو لأنهـم

يتربصون بنا الدوائر حتى يقضوا على ما لنا من الخير. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من كره الخير للمؤمنين عموما، أو لبعض مـنـهـم عـلـى سبيل الخصوص؛ فـإن فيـه شـبـهـا مـن اليهـود، والنصارى، والمشركين.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحريم كراهة نزول الخير للمؤمنين، وكراهة نزول الخير للغير هو الحسـد؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: إنّ التفسير الصحيح للحسـد ليس أن يتمنى الإنسان زوال نعمـة الله على غيره، ولكن التفسير الصحيح هو أن يكره الإنسان ما أنزل الله على غيره من الخير، سـواء تمنى زواله أو لم يتمن، وهذا التفسير ـ لشيخ الإسلام ـ هو الأقرب.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان ما منح الله هذه الأمة من الربوبية الخاصة؛ ولهذا قال: «من خير من ريكم »، وربوبية الله لعباده

هي
المؤمنين ربوبية خاصة، والربوبية نوعان: عامة وخاصة؛ فالعامة: الشاملة لجميع الخلق؛ ومنها: قوله - تعالى -: الحمد لله رب العلمين [الفاتحة: ٢].

والخاصة: هي الربوبية المضافة للمؤمنين أو للرسل؛ مثل قوله عن عباد الرحمن: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان: ٧٤].
فإن هذه الربوبية خاصة، وقد اجتمع النوعان في قوله ـ تعالى ـ:

٣٨٠

قالوا ءامنا برب العالمين و رب موسى وهرون [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]؛ فقوله: «برب العالمين * هذه الربوبية العامة، وقوله: * رب موسى وهنرون ← هذه الربوبية الخاصة.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن فضل الله ـ عز وجل ـ قـد يختص لأناس دون آخرين؛ لقوله: «والله تختص برحمته من يشاء . . ومن فوائدها وأحكامها: إثبات المشيئة الله؛ لقوله: «والله تختص برحمته من يشاء .
ع

أحكام من القرآن الكريم

ولا شك أن ما كان من أفعال الله؛ فإنه صادر عن مشيئة منه ـ عز وجل -، وكذلك ما صدر من أفعال العباد؛ فإنه صادر عن مشيئة منه وإذن منه بذلك؛ كا مر علينا في قوله: * وما هم بضارين به، من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢٨

فكل شيء يقع في السموات والأرض ـ من أفعال الله أو أفعال الخلق -؛ فإنه واقع بمشيئة الله؛ قال الله ـ تعالى ـ: «لمن شاء منكم أن يستقيم ع وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، ولكن هل في هذه الآية وما في معناها من النصوص حجة للعاصي على معصيته؛ بحيث يقول: إن معصيتي الله ليست بمشيئتي ولكنها بمشيئة الله؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقول: «لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، ويقول ـ عز وجل : « ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ [الأنعام: 107]، ويقول:

ولو شاء الله ما أقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينت ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما أقتتلوا »
[البقرة: ٢٥٣]؟.

وجوابنا على هذا أن نقول: ليس للعاصي حجة على معصيته؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمده وأعده؛ أمده بالعقل؛ وأعده لمعرفة الهدى والحق، وأرسل إليه الرسل، وقد قطع الله الحجة على الخلق بإرسال الرسل؛ فقال ـ تعالى ـ: « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيمًا ﴾ [النساء: 165].

فالعاصي ليس له حجة على معصيته، بل ليس له حجة على الله في معصيته؛ لما ذكرنا؛ ولهذا نجد العاصي يختار من الأمور ما شاء، ويقدم عليه؛ يختار أن يسافر إلى مكة، يختار أن يسافر إلى المدينة، يختار أن يسافر إلى البلد الفلاني أو الفلاني بإرادته وقدرته، ولا يحتج بالقدر على ذلك، فإذا كان هكذا فلم يحتج بالقدر على معصية الله ولا يحتج بالقدر على السفر، والذهاب، والمجيء، والأكل، والشرب، واللباس، وغير هذا؟ ثم إن القدر سر مكتوم لا يعلم عنه إلا بعد وقوعه، فكيف يحتج العاصي بالقدر على معصيته قبل أن تقع المعصية؟ لماذا لم يقدر هذا العاصي أن الله كتب له أن يكون من المتقين؟ فيتقي الله ـ عز وجل ؛ ولهذا أبطل الله هذه الحجة في قوله: « سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشتركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من
ع

ما

ل
قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ع فل فلله الحجة البلغة » [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].
فهنا قال الله ـ تعالى ـ: «حتى ذاقوا بأسنا»، ومن المعلوم أنهم لـن يذوقوا بأس الله إلا حين يرتكبون معصيته، وتبطل حجتهم با احتجوا به من مشيئة الله ـ عز وجل ـ.

٨ـ ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: إثبـات أن الله ـ تعـالى ـ موصـوف بالفضل العظيم؛ حيث قال ـ تعالى ـ: «والله ذو الفضل العظيمه. 9 - ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا يليق بالإنسان أن يطلب الفضل من غير الله؛ بل يجب أن يطلب الفضل من الله وحده؛ لقوله ـ تعالى ـ: «والله ذو الفضل العظيمة، والإنسان إذا طلب الفـضـل مـن الله؛ فقـد طلب الفضل من أهلـه؛ وهـو ـ عـز وجـل ـ أكـرم الأكرمين وأجـود الأجودين، فإذا دعاه الإنسان وسأله مـن فـضـله بنيـة صـالحة، وعـزم صادق، وافتقار إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ سـهـل الله أمـره، وآتـاه مـن فضله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت يخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير و ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصيرات ؟ .

سـورة البقـرة

١٣٨٣

قولـه ـ تعـالى -: ﴿ ما ننسخ من ءاية ؛ النسخ بمعنـى الرفع والإزالة؛ أي: ما نرفع آية أو حكمهـا؛ إلا أتينـا بخير منهـا أو مثلهـا؛ وذلك أن النسخ يكون إلى ما هو خير من المنسوخ، أو إلى ما هـو مثلـه، أو إلى ما هو دونه؛ فأما النسخ إلى ما هو خير من المنسوخ فـلا ريب في أنه خير، والنسخ إلى مثل المنسوخ لا ريب أنه خير؛ لأنـه يـكـون مماثلا للمنسوخ من حيث العمل، ولكنه ليس مماثلا لـه مـن حيـث النتيجـة، والثواب، والأجر ـ كما سنبينه ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ؛ وأما النسخ إلى ما هو دونه فإن ذلك لن يكون، ولن يليق بحكمة الله ـ عز وجل ـ؛ لأن النسخ إلى ما هو دون المنسوخ يكون تدنيا من الأعلى إلى الأسفل؛ وهذا لا يليق بجلال الله ـ عز وجل ـ
يقول ـ عـز وجـل : « ما ننسخ من ءاية »؛ أي: ننسخ لفظهـا أو حكمها، أو ننسـها »؛ أي: ننسـها رسـول اللہ ﷺ ؛ حتى لا يذكرها، ما يحصل هذا إلا أتى الله بخير منها أو مثلها؛ بخير منها عمـلا

وثوابا، أو مثلها عملا وخير منها ثوابا، ثم قال: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»، ومن قدرته ـ عز وجل ـ أن يمحو ما يشاء ويثبت، وينسخ ما يشاء ويحكم.
ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، وإذا كان له ملك السموات والأرض فهو ـ عز وجل ـ له التدبير المطلق في هذا الملك، ولا أحد ينازعه في ملكه، لا تقديرا ولا تدبيرا، (وما لكم من

دون الله من ولي ولا نصير؛ فهو الذي يتولى أموركم، وهو الذي ينصركم إذا استنصرتموه وقمتم بأسباب النصر، هذا هو معنى الآيتين
الكريمتين.

فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين:
ا- ثبوت النسخ في آيات الله ـ عز وجل ؛ وهو رفع الحكم أو اللفظ، أو اللفظ والحكم جميعا؛ فالنسخ يكون على ثلاثة أقسام: نسخ اللفظ وبقاء الحكم، ونسخ الحكم وبقاء اللفظ، ونسخها جميعا؛ فأما نسخ اللفظ وبقاء الحكم فمثل له العلماء بآية الرجم؛ أي: بآية رجم الزاني إذا زنى وهو محصن؛ فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت، سواء أكان رجلا أم امرأة؛ واستدلوا على ذلك با ثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ـ وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ : «إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم؛ قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»(ا)، فهنا لا نجد في القرآن الكريم

(ا) رواه البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، رقم (6830)؛ ومسلم: كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، رقم (١٦٩١)، واللفظ له.

الذي بين أيدينا آية تدل على الرجم في حق الزاني المحصن؛ فهي منسوخة لفظا باقية حكمًا.

ع
ج
وأما نسخ الحكم وبقاء اللفظ؛ فمنه: قوله ـ تعالى ـ: «إن يكن منكم عشرون صيرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون و الفن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين * [الأنفال: 65، 66]، فالآية الأولى نسخت بالثانية، وبقيت الأولى متلوة في كتاب الله ـ عز وجل ـ. وأما نسخها معا ـ أعني: اللفظ والحكم ـ فمثلوا له بحديث عائشة الثابت في صحيح مسلم، أنها قالت: «كان فيها أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول اللى ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن»(١)، ونحن لا نجد هذه الآية - أعني أن عشر رضعات معلومات يحرمن، لا نجدها ولا نجد خمس رضعات معلومات يحرمن ـ أيضا ـ فيكون النسخ باعتبار عشر رضعات نسخا للحكم واللفظ، وباعتبار الخمس نسخا للفظ دون الحكم، ولا يشكل على هذا قولها ـ رضي الله عنها ـ: «فتوفي رسول الله وهن فيها يقرأ من القرآن»؛ لأن الذين يتلونها من القرآن لم يعلموا

(١) رواه مسلم: كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (١٤٥٢).

=

بالنسخ فصاروا يتلونها؛ فهذه أقسام ثلاثة للنسخ. فإن قال قائل: ما الحكمة من نسخ اللفظ وبقاء الحكم؟ قلنا: الحكمة في هذا ـ والله أعلم ـ في آية الرجم هي بيان فضل هذه الأمة؛ حيث عملوا بالرجم بشيء لا يجدونه في القرآن، على العكس من أهل الكتاب ـ اليهود ـ الذين كتموا آية الرجم، ولم يعملوا بها مع أنها موجودة نصّا في التوراة.
وأما نسخ الحكم وبقاء اللفظ: فالحكمة من ذلك أن يتعبد الناس بتلاوته، وأن يذكروا نعمة الله عليهم بهذا النسخ الذي كان فيه التخفيف.

وأما نسخها معا: فالحكمة فيها نسخ لفظا وحكتها هو أن هذا الذي نسخ لفظا وحكما لم يبق له أثر بالنسبة للعمل به، ولا بالنسبة لتلاوته، فصار من الحكمة أن ينسخه الله ـ عز وجل ـ لفظا وحكتها.

٢ـ ومن فوائد هذه الآية: أن الله ـ تعالى ـ قد ينسي الرسول ﷺ الآية من كتاب الله إذا شاء الله - عز وجل ـ ألا يبقى حكمها في عباده؛ قال الله ـ تعالى ـ: « سنقرئك فلا تنسى و إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ [الأعلى: 6، 7].

٣ـ ومن فوائد هذه الآية: أن النسخ إذا وقع فإنه يكون إلى خير من المنسوخ، لكنه خير منه أو مثله، والخير قد يكون بالنسخ من الأخف إلى الأشد، أو من الأشد إلى الأخف، أو من مماثل لماثل، وكل ذلك

سورة البقرة

١٣٨٧

مطابق للحكمة؛ فالنسخ من الأسهل إلى الأصعب نسخ الصيام؛ حيث كان الصيام أول ما فرض مخيرا فيه بين الصوم والإطعام، ثم بعد ذلك تعين الصيام؛ فإن التخيير بين شيئين أيسر من تعين أحدهما، ولكن الله بحكمته جعل فرض الصوم متطورا هكذا؛ ليسهل على النفوس قبوله، والخيرية في النسخ من الأخف إلى الأشد هي استكمال الأجر في هذا الأشد من وجه، وبيان حكمة الله ـ عز وجل ـ في تشريعه لعباده؛ حيث كان يدرجهم من الأسهل إلى استكمال الشرع بأشد. وأما العكس ـ وهو النسخ من الأشد إلى الأخف ـ ففيه الخير، وهو التيسير على العباد، ومن ذلك ما ذكرناه في آيتي المصابرة؛ حيث فرض الله في الآية الأولى المنسوخة أن يصابر الإنسان عشرة، ثم خفف ذلك، وأوجب أن يصابر الإنسان اثنين، ولا شك أن هذا تخفيف من الله ـ تعالى ـ على العباد، وتيسير عليهم.

وأما إذا كان النسخ لماثل ففيه خير ـ أيضا ـ وهو بيان امتثال المكلّف؛ ومن ذلك
ذلك نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ فإن هذا النسخ باعتبار عمل المكلف لا يختلف؛ لأن المكلف ليس عنده فرق بين أن يستقبل بيت المقدس أو أن يستقبل الكعبة من حيث تكلف العمل والمشقة فيه، ولكن فيه خير باعتبار بيان امتثال المكلف، وأنه تابع لأمر الله، إذا أمره بشيء فعله، وإذا نهاه عن شيء تركه، ويشير إلى هذا قوله ـ تعالى : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن

ينقلب على عقبيه * [البقرة: 143]؛ وعلى هذا يكون المراد بقوله ـ تعالى ـ: أو مثلها »؛ أي: مثلها في العمل، وليس المعنى: أو مثلها في الخيرية؛ لأنه لو كان هذا هو المعنى؛ لكان النسخ عبثا لا فائدة فيه. ٤ـ ومن فوائد هذه الآية: إثبات القدرة الله ـ عـز وجـل ـ في قولـه ـ تعالى -: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»، وأن القدرة متقررة عنـد الإنسان بفطرته.

هـ ومن فوائد هذه الآية: عـمـوم قـدرة الله في كـل شيء، في قوله: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»؛ فهـو قـادر ـ عـز وجـل ـ على الموجود أن يعدمه، وعلى المعدوم أن يوجده. 6 ـ ومن فوائد الآية الثانية: تقرير ملك الله ـ عز وجل ـ للسموات والأرض؛ لقوله: «ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ـ ومن فوائدها: اختصاص ملك السموات والأرض الله ـ عز وجل -، لا يملكها أحد سواه؛ قال الله ـ تعالى ـ: « والذين تدعوت من دونه، ما يملكون من قطميري إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ [فاطر: 13، 14]، وقال ـ تعالى ـ: « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]؛ فملك السموات والأرض الله وحده، لا

يشاركه أحد في ذلك.
فإن قال قائل: أليس الله ـ تعالى ـ قد أثبت للإنسان ملكا فقال: ە والذين يبتغون الكتب مما ملكت أيمنكم فكاتبوهم ﴾ [النور: 33]. وقال: « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم فإنهم غير ملومين ﴾ [المؤمنون: 5، 6]. فالجواب: بلى، أثبت الله للإنسان الملك، ولكـن ملـك الإنسان لما يملكه ملك مقيد؛ مقيد من جهة العموم؛ حيث لا يملك الإنـسـان كـل شيء، لا يملك إلا ما كان في حوزته، مقيد من حيث التصرف والتدبير؛ فالإنسان لا يملك أن يفعل في ملكه ما شـاء؛ لأنـه مقـيـد بـالـشرع، فـلا يتصرف في ملكه إلا

بما تقتضيه الشريعة، مقيد من جهة الـزمن؛ فملـك الإنسان لما يملكه ليس دائما، قد يتلف هذا المملوك، وقد يبيعـه الإنسان بخلاف ملك الله ـ عز وجل ؛ فإنه ملك شامل دائم، فلا منافاة بـيـن مـا

)

أثبت الله للعبد من الملك، وبين ما أثبته لنفسه من الملك.
٨ ـ ومن فوائد الآيتين: بيان أنه لا ولي لأحد إلا الله ـ عز وجل ولا ناصر لأحـد إلا الله ـ عز وجل ،، وليعلم أن ولايـة الله عامـة وخاصة؛ فالعامة: هي تولي أمور الخلق، وهذه عامـة لكـل أحـد حتـى للكفار؛ وخاصة: وهي الولاية التي تتضمن العناية والتوفيق والسداد، وهذه خاصة بالمؤمنين.
فمن المعنى الأول قوله ـ تعالى ـ: (حتى إذا جاء أحدكم الموت

توفته رسلنا وهم لا يفرطون ان ثم ردوا إلى الله مؤلفهم الحق ﴾ [الأنعام:

٦٢،٦١]

ومن المعنى الثاني قوله - تعالى -: « الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الضغوث يخرجونهم من الثور إلى الظلمت أوليك أصحب النار هم فيها
خلدون ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

4

ثم قال ـ تعالى ـ: « أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سبل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل = * . الخطاب في قوله: «أم تريدون ← لهذه الأمة، لأصحاب النبي والمراد: «رسولكم ؟ محمد ﷺ، يقول الله ـ عز وجل -: أتريدون أن تسألوا النبي ﷺ آيات تقترحونها كما سيل موسى من قبل فقيل لـه : أرنا الله جهرة؟ وهـذا الاستفهام للإنكـار عـليهم؛ يعني: لا تسألوا الآيات وتقترحوها كما فعل ذلك من قبلكم؛ فإن هذا نوع مـن

الكفر؛ لأن الإنسان إذا كان لا يؤمن إلا حيث أتي بالآيات التي يقترحها صار إيانه تبعا لهواه لا تبعا لهداه؛ ولهذا قال: «ومن يتبدل الكفر بالإيمان»؛ أي: يأخذ الكفر بدلا عنه «فقد ضل سواء السبيل » أخطأ سواء السبيل؛ وسواء السبيل: وسطه المستقيم.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- توبيخ الأمة لو سألت كا سأل أصحاب موسى. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان حال قوم موسى من التعنّت،
والتشدد، واقتراح الآيات.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات أن موسى ـ عليه الصلاة
والسلام ـ رسول.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أوذي من قبل، وأن إيذاء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من ديدن المكذبين الذين أشركوا برسالتهم.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من أخذ الكفر بديلا عن الإيمان؛ فإنه ضال مخطئ مها ازدهرت له الدنيا، ومها زانت في وجهه؛ فإنه ضال سواء السبيل.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من تبدل الإيمان بالكفر فقد هدي؛ ويتفرع على هذه القاعدة أنه إذا من الله عليه بالهداية بعد الضلال فليحمد الله على ذلك؛ فإنه قد أصاب سواء السبيل. ومن فوائدها وأحكامها: أن جميع الكفار قد أخطئوا سواء السبيل، ووقعوا في السبيل المعوج الذي يتيهون به عن طريق الحق.
-

ثم قال الله - تعالى -: « ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأنروة" إن الله على

كل شيء

قديرى).

ود * ؛ يعني: أحب، والود خالص المحبة، ففي هـذه الآيـة يخـبر الله أن كثيرا من أهل الكتاب يودون أن يردوا أصحاب رسول الله ﷺ كفارا من بعد الإيمان، وأنه لا يحملهـم عـلى ذلك إلا الحـسد، حسد المسلمين على ما أنعم الله به عليهم من اتباع محمـد ﷺ، وكـان هـؤلاء اليهود ـ فيما سبق ـ يستفتحون على الذين كفروا ويقولون: سيبعث نبيّ وسوف ننصر به عليكم، فلا جاء هـم مـا عـرفـوه كـفـروا بـه ـ والعياذ بالله ـ؛ حسدا من عند أنفسهم، وهذا الحسد من عند أنفسهم كـان بـعـد أن تبين لهم الحق، وأن الحق مع ما جاء به النبي ﷺ، ومـا كـان عـليه أصحابه، وفي هذه الحال أمر الله المؤمنين أن يعفـوا ويصفحوا وحتى يأتى الله بأمره أن يعفـوا فـلا يؤاخـذوهم بالـذنب ويـصفحوا؛ فيعرضوا عما حصل إعراضا كليًا.

حتى يأتي الله بأمره؛ وهو الأمر بقتالهم، وهـذا حـكـم مغيى بغاية، والحكم المغيى بغاية يزول بزوال الغاية وانتهائهـا، فلـا جـاء الله بأمره وأمر بقتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، صار هـذا الحكم ـ وهو العفو والصفح ـ منتهيا بانتهاء مدته وأمـده الـذي جعلـه

الله ـ تعالى ـ له، وبين الله ـ تعالى ـ في ختـام الآية أن الله عـلى كـل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يمنعه شيء. أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

١- بيان ما عليه أهل الكتاب من الحسد العظيم لهذه الأمة. ٢- ومن فوائدها: أن من كان فيه حسد للناس على ما آتاهم الله من فضله؛ فإن فيه شبها باليهود.

٣ـ

ومن فوائدها: الحذر من كيد الأعداء ومخادعتهم؛ لأنهم يودون أن يردونا كفارا؛ فإنهم لم يألوا جهدا في سبيل الوصول إلى هـذه الغايـة منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا؛ ولهذا نجد النصارى يرسلون الفـرق والطوائف المنصرة إلى البلاد الإسلامية، ولا سيما البلاد الفقيرة التي يسيطرون عليها من هذه الزاوية؛ ليخرجوا الناس من الـديـن الحـق إلى الدين المنسوخ الذي لا يقبله الله ـ عز وجل ـ.

4- ومن فوائدها: أن هذا الحسد من أهـل الـكـتـاب نـابـع مـن عـنـد أنفسهم، لم يؤذن لهم فيه، ولم يكن عن روية وتعقل.

و
٦ـ
هـ ومن فوائدها: الحذر من محبة المسلمين للكفـر، وكـذلك يجـب الحذر من محبة المعاصي أن تنتشر بين المسلمين. ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الذين يودون هـذا لهـذه الأمة يودونه عن عمد وعناد من بعد ما تبين لهم الحق. - ومن فوائدها وأحكامها: التدرج في معاملة الكفار؛ حيـث أمـر

الله - سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية أن نعفـو ونـصفح حتـى يـأتي الله بأمره.
٨ ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأحكام التي يحكم الله بها تنقسم إلى قسمين: أحكام مؤمدة ـ أي إلى أمد ـ وأحكام مؤبدة ـ أي إلى الأبد فمن الأحكام المؤمادة: هذه الآية: «فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمروة ، من أمثلة ذلك أيضا قوله - تعالى -: « والتي يأتين الفحشة من نسابكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفتهن الموت أو تجعل الله لهن سبيلا * [النساء: 15]، فهنا قال: «حتى يتوفنهن الموت أو تجعل الله لهن سبيلا »، وقد جعل الله لهن سبيلا؛ فقد أعلن ذلك رسول الله ﷺ ؛ حيث قال: البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة

والرجم»).
9 ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان يعذر بجهله إذا خالف الأمر أو النهي؛ لقوله: «من بعد ما تبين لهم الحق ، وهذا الأصل قد دل عليه الكتاب والسنة؛ ففي القرآن يقول الله ـ عز وجل - : (وما كنا معذبين حتى تبعث رسولًا ﴾ [الإسراء: 15]، ويقول - تعالى -: « رسُلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [النساء: 165]،

(1) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب حد الزنى، رقم (1690).

ويقول - تعالى -: (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هدنهم حتى يبين لهم ما يثقون ﴾ [التوبة: 115]، ويقول الله ـ تعالى ـ: «وما كان ربك مهلك الفرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم ءايتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظلموت ﴾ [القصص: 59].
ع

وأما السنة: فمن أدلتها أن النبي ﷺ لم يأمر المسيء في صلاته أن يقضي ما فعله جاهلا ـ وكان المسيء في صلاته لا يطمئن في ركوع، ولا سجود، ولا قيام، ولا قعود ـ حتى بين له النبي ﷺ، ولم يأمره بالإعـادة أي: بإعادة ما سبق من الصلوات ـ مع أنـه كـان لا يطمئن، فالقول الصحيح الراجح أن من لم تبلغه الدعوة؛ فإنه ليس عليه حـرج فـيـها إذا مات وهو مسلم، لكن يفعل ما يخرج من الإسلام جهـلاً، أو يترك مـا يجب الإيمان به جهلاً.
١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات عموم قدرة الله - عز وجل ؛ لقوله: (إن الله على كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذه القضية الكلية العامة شيء؛ كل شيء فالله قادر عليه؛ قادر على إيجاد المعدوم، وعلى إعدام الموجود، وعلى تغيير الشيء من حال إلى أخرى، وهنا نذكر ما يقوله بعض الناس عند الحديث عن قدرة الله؛ حيث يقول: إنه على

ما يشاء قدير؛ فإن هذا يقتضي تقييد القدرة بما يشاء الله، والله ـ تعالى ـ قادر على ما يشاء وما لا يشاء، وتقييد القدرة بها يشاء تضييق لمعناها العام الذي أراده الله ـ تعالى ـ بها؛ فالواجب أن تجرى على عمومها

-

١٣٩٦

بدون استثناء، ويقال: إن الله على كل شيء قدير.

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « وأقيموا الصلوة و اتُوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) . في هذه الآيـة يـأمر الله ـ تعـالى ـ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكـاة، والصلاة تشمل الفرض والنفل، وهي معروفة، والزكـاة هـي الفـرض فقط؛ لأن ما سوى

الزكاة يسمى صدقة أو نفلاً، أو ما أشبه ذلك؛ والزكاة هي المال الذي أوجبه الله ـ تعالى ـ على عباده في أشياء معينة من الأموال، ويخرج منها الإنسان قدرا معينا حسب ما عليه من المئونة؛ ففي الحبوب والثمار: يكون فيها شقي بلا مئونة العشر كاملا، وفيها شقي بمئونة نصف العشر، حسب ما ينظر ولي الأمر في ذلك، ثم بين الله - عز وجل ـ أن كل ما نقدمه من الخير فإنا نقدمه لأنفسنا، ونجد ثواب ذلك عند الله ـ تعالى ـ مدخرا؛ ولهذا قال: ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله »، ثم بين الله ـ تعالى ـ أنه عليم بكل ما نعمل، بصير به، لا يخفى عليه شيء من أعمالنا.

قال الله - تعالى -: « وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير . ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله ـ تعالى ـ عباده أن يقيموا الصلاة

وأن يأتوا بها مستقيمة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، ويتموا ذلك بمكملاتها، وأن يؤتوا الزكاة؛ أي: يعطوها أهلها المستحقين لها؛ والزكاة هي المال الواجب أو هي نصيب يقدر شرعا في مال مخصوص. ثم يبين الله ـ عز وجل ـ أن ما نقدمه لأنفسنا من الخير فإنه لن يضيع، بل سيوجد عند الله ـ عز وجل ..
وفي آية أخرى يقول ـ تعالى ـ: « تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ [المزمل: ٢٠].
ويختم الله الآية بأنه بصير با نعمل؛ حثّا منه لنا على العمل
الصالح، واجتناب العمل المحرم.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ وجوب إقامة الصلاة؛ لقوله ـ تعالى -: «وأقيموا الصلوة»، وهذا ـ أعني: إقامة الصلاة الواجبة ـ فيا هو واجب؛ كالشروط، والأركان، والواجبات، أما ما كان مستحبا؛ فإن الأمر بإقامته على سبيل الاستحباب.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب إيتاء الزكاة؛ لقوله ـ تعالى -: وءاتُوا الزكوة»؛ أي: أعطوها مستحقها، وقد بينت السنة كيف تكون إقامة الصلاة، وكيف يكون إيتاء الزكاة على وجه مبين مفصل؛ فا توفي رسول الله ﷺ إلا وقد أبان للأمة كل ما تحتاج إليه في أمور دينها ودنياها؛ قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: لقد توفي رسول الله ﷺ

وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علها. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث علـى تـقـديـم الخير؛ لقولـه ـ
تعالى -: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » . ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها أيضا: أن ما نقدمه من الخير لن يضيع، بل سنجده عند الله ـ عز وجل ـ مدخرا، أحوج ما نكـون إليـه، ولكـن يجب أن ننتبه هنا إلى أن ما نجده يوم القيامة من الخير قد يكون لغيرنا؛ كا قال النبي ﷺ :
«أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: «إنّ المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكـل مـال هـذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهـذا مـن حـسناته، فـإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه؛ ثم طرح في النار» (١).
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ بـصـير بـكـل مـا نـعـمـل مـن خـير وشر؛ لقولـه ـ تعـالى -: «إن الله بما تعملون
بصير.

6ـ ومن فوائدها: تحذير العباد من المخالفة؛ لأن الله ـ تعـالى ـ إنـا قال: «إن الله بما تعملون بصير»؛ تحذيرا من أن نخـالف أوامـره،

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

وأن نقع في نواهيه، فإننا إن فعلنا ذلك؛ لن يخفى عليه ـ سبحانه وتعالى شيء من أحوالنا.

قلـے
ثم قال الله - تعالى -: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوذا أو نصري * تلك أمانيهم قل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه، ولا

خوف عليهم ولا هم يحزنون - ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢] وقالوا »؛ أي: اليهود والنصارى: «يدخل الجنة إلا من كان هوذا) يقوله اليهود، «أو نصرى » يقوله النصارى؛ يعني: وأنتم أيها المسلمون لن تدخلوا الجنة، لكن الله رد عليهم زعمهم هذا؛ فقال - تعالى -: (تلك أمانيهم »؛ أي: هذه أماني وأوهام باطلة لا تستند إلى شيء من الوحي المنزل على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؛ ولهذا قال: «قل هاتوا برهنتكم »؛ أي: قل لهؤلاء القائلين هـذه المقولة متحديا لهـم: «قل هاتوا برهتكم »؛ أي: أعطونا حـجـتـكـم التـي تثبتون بها ما زعمتم من أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وإن كنتم صادقين ← فيها تقولون، ومن المعلوم أنهـم لـن يـجـدوا حجة لما قالوه؛ ولهـذا قـال بـعـدها: «بلى من أسلم وجهه له وهو محـسـن»؛ «بلى»: فيها إبطال لما سبق من دعواهم أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، ثم يبين الله ـ عـز وجـل ـ مـن الـذي يـدخل

فلـــ

الجنة؛ حيث يقول: «من أسلم وجهه لله وهو محسن . وقوله: «أسلم وجهه لله »؛ أي: جعله مستسلها الله - عز وجل -
مقبلا عليه.

(وهو محسن» في أعماله؛ والإحسان هو اتباع شريعة النبي ﷺ
فشرط الله - سبحانه وتعالى ـ أمرين: الأمر الأول: الإخلاص؛ بأن يكون أسلم وجهه الله.
والثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ ؛ بأن يكون قد أحسن، فهذا له أجره عند ربه؛ أي: ثوابه، وسمّى الله الثواب أجرا؛ لأن الله ـ تعالى - التزم به لمن عمل صالحا؛ فصار بمنزلة الأجر الذي يستوفيه المستأجر على العمل وفله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم * فيا يستقبل من أمرهم، (ولا هم يحزنون» على ما مضى من أمرهم.
فوائد وأحكام هاتين الآيتين:

في الآية الأولى من الفوائد والأحكام:
١ـ بيان دعوى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مثلهم؛ يهوديا أو نصرانيا.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث

والجزاء؛ لأن الجنة إنما يدخلها أهلها بعد البعث يوم القيامة. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن يقدم المناظر الحكم على قول مناظره، ثم يطلب منه الحجة على إثباته؛ ولهذا قال: «تلك أمانيهم

قل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين»، ونظير ذلك أن يقول قائل: هذا واجب لابد من فعله، فأقول: هذا قولك فهات دليلك إن كنت صادقا، فيثبت المناظر أولا أن هذا قول المناظر، وأن هذا ليس له أصل، ثم يتحداه بطلب الدليل.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: قوة المحاجة في كتاب الله ـ عز وجل - التي تدحض الخصم وتفحمه؛ تدحض حجته وتفحمـه؛ ولهذا قـال: وقل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين »، ومن المعلوم أنه لا برهـان لهـم في ذلك؛ فـإن دخـول الجنـة لـيس معلقـا باليهوديـة أو النصرانية؛ بل هو معلق با ذكره الله ـ تعالى ـ فيما بعد.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: الإنصاف في معاملة الخصم، وإلا فإنه يكفي أن يقول الله ـ عز وجل ـ هذا باطل، ولكنـه ـ سـبحانه وتعالى ـ حكم عدل؛ فطلب من هؤلاء المدعين أن يأتوا بالحجة والبرهان. 6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا تقبل الـدعوى إلا ببينـة؛ فمـن ادعـى حُكها من أحكام الله الأخروية أو أحكامه الدنيوية فإنـه عليـه أن يبرهن على ما قال، فإن أثبت ما قال بالبرهان والدليل وإلا وجـب رده

عليه.
. ومن فوائدها وأحكامها: أن اليهود والنصارى لا حجة لهـم إطلاقا فيها ادعوه من أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وما أكثر دعاوى اليهود والنصارى بأنهم أهل الجنة، وبـأنهم يخرجـون

من النار إن عذبوا بها، وبأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكـل هـذه الـدعاوى يبطلها الله - عز وجل -، ويبين كذبها.

أما الآية الثانية ففيها من الفوائد والأحكام: 1ـ أن الثواب لا يحصل إلا بأمرين:
الأمر الأول: إسلام الوجه الله؛ وذلك بأن يخلص الإنسان قصده؛ فلا يقصد بعبادة الله ـ تعالى ـ ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلاً، ولا محاباة لأحد، ولا توصلا لسلطان أو جاه أو مال، وإنما يقصد بذلك ربه ـ عز وجل ، وهذا المفهوم من قوله: «بلى من أسلم وجهه لله » . الأمر الثاني: أن العبادة لا تقبل ولا تنفع إلا بالإحـسـان؛ وهـو متابعـة النبي ﷺ؛ بحيث تكون العبادة على وفق ما جاء عن رسول الله

ودليل هذين الأصلين العظيمين قوله ـ تبارك وتعالى -: «فمن كان يرجوا لقاء ربه، فليعمل عملا صلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداك [الكهف: 110]، وقوله - تعالى -: ﴿ ومن يشاقق

الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين تولي، ما تولى وتضلي، جهنم وساءت مصيرا [النساء: 115].
وقوله ـ تعالى ـ: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لك ذنوبك ﴾ [آل عمران: ٣١]. وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنها الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما

نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه»).

وثبت عنه ﷺ أيضا أنه قال: «قال الله ـ تعالى ـ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»). وثبت عنه ﷺ أيضا أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو
رد»)؛ فلابد لقبول العمل من شرطين:
أحدهما: الإخلاص الله.
والثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ ، وليعلم أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا وافق العمل الشريعة في أمور ستة:
الأول: في الجنس.

(٣)

والثاني : في الصفة والكيفية.
والثالث : في القدر.

والرابع : في السبب.
والخامس : في العدد.

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوستي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١)؛ ومسلم: كتاب الجهاد، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧).
(٢)سبق تخريجه ص (٢٠)

(٣)سبق تخريجه ص (٤٩)

404] =

والسادس : في الزمان والمكان.
فمن شرع عبادة لسبب لم يجعله الشارع سببا لها؛ لم تقبل منه هذه العبادة، ومن تعبد الله بعبادة على سبب لم يجعله الشارع سببا لها؛ فإنها لا تقبل منه، ومن تعبد الله بجنس غير ما شرع؛ فإنه لا يقبل منه؛ مثل أن يضحي الإنسان بفرس؛ فإن ذلك لا يقبل منه أضحية، ولو كان الفرس أغلى؛ لأنه من جنس غير ما أذن فيه، ولو أنه خالف الشرع في القدر؛ بأن صلى الظهر خمسًا أو ثلاثا؛ فإنها لا تقبل منه؛ لأنه خالف الشرع في القدر، ولو خالف الشرع في الزمن؛ بأن ضحى الإنسان في غير أيام الذبح؛ فإنها لا تقبل منه، أو حج في رمضان؛ فإن ذلك لا يقبل منه؛ لأنه في غير الزمن المحدد شرعا، ولو خالف الشرع في المكان؛ لم تقبل منه العبادة؛ مثل أن يعتكف في غير المسجد؛ فإن هذا الاعتكاف لا يقبل منه؛ لأنه في غير المكان الذي عينه الشرع للاعتكاف، وكذلك لو خالفت العبادة الشرع في الهيئة والكيفية؛ بأن صلى صلاة منكسة؛ يبدأ بالسجود قبل الركوع، أو يتوضأ منكسا؛ يبدأ بالرجلين قبل بقية الأعضاء؛ فإن ذلك لا يصح.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من عمل عملا مبنيا على الإخلاص والمتابعة؛ فإن أجره يثبت له عند الله؛ لقول الله ـ تعالى -: فله أجره عند ربه.
٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من وفق للعمل على هذا الوجه؛

●

فإن ذلك من ربوبية الله له، الربوبية الخاصة؛ لقوله: «عند ربه. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنّ من قام بالعبادة على هذا الوجه ـ: الإخلاص والمتابعة ؛ فإنه لا خوف عليه في مستقبله، ولا حزن عليه في ماضيه؛ لأنه سوف يصل إلى النعيم والسعادة؛ قال الله - تعالى -: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا

يعملون »
[النحل: ٩٧].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يتّصف بهـذه الـصفة ـ أي: من لم يسلم وجهه لله وهو محسن ـ فإن عمله هباء، ليس فيه أجـر؛ فلـو عمل الإنسان عبادة أشرك فيها مع الله؛ فهي مردودة عليه، ولـو عمـل عبادة ليسـت متمشية مع السنة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فإن عبادتـه مردودة عليه.
6. ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يتعبد الله بهذين الشرطين: الإخلاص والمتابعة؛ فإنه يحل به الخوف والحزن؛ الخوف في المستقبل، والحزن في الماضي؛ ولهذا يتمنى الكفار يوم القيامة أن يردوا إلى الدنيا؛ ليعملوا عملاً صـالحا، فيقولون: «يليتنا نرد ولا نكذب بعاينت ربنا وتكون من المؤمنين﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقال الله ـ تعالى ـ: «بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكذبون
[الأنعام: ٢٨].

أحكام من القرآن الكريم
. ومن فوائدها وأحكامها: أن الثواب والأجر الذي يحصل لمـن أسلم وجهه الله وهو محسن ثواب عظيم؛ لأن الله أضافه لنفسه، فقـال: فله أجره عند ربه، *، والثـواب مـن العـظـيـم يـكـون عـظـيـا ولا
شـك.

ثم قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصري ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله تحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه تختلفون - .
ع
اليهود هم أتباع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والنصارى أتبـاع عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكل منها يضلل الآخـر؛ كـا في هـذه الآيـة الـكـريمـة: (وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصري ليست اليهود على شيء »؛ يضلل بعضهم بعضا. وهم يتلون الكتب»، وهم يعلمون من هو على الحق، ولا شك أن النصارى كانوا على الحق حين كانت ملتهم قائـمـة قبـل بعثة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأن اليهود كانوا على باطل؛ حيث كفروا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أنه مرسل إليهم؛ لقوله - تعالى -: (وإذ قال عيسى ابن مريم ينبني إسراءيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من

بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف: 6]، وبعد أن بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا كلهم على دين منسوخ، وليسوا على شيء؛ فإن الله ـ
تعالى ـ يقول: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران: 85]، وكانوا أولياء بعضهم لبعض؛ كا قال الله - تعالى : (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [المائدة: 51]. وصارت النصارى كاليهود في كونهم علموا الحق ولم يتبعوه؛ قـال الله ـ تعالى ـ: «كذالك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم »؛ أي: قـال أهل الجهل والضلال مثل قولهم؛ أي: في أنهم على الحق، ومن سـواهم على الباطل، ولـيـس عـلى شيء، فالله تحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه تختلفون» ، إذا بعث الناس فإن الله يفصل بين الخلق مـن هـو

على الحق، ومن هو على الباطل.
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

١- بيان عداوة اليهود والنصارى بعضهم لبعض، وأن كل طائفة منهم تضلل الطائفة الأخرى، ولكن هذه العداوة بعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صارت ولاية؛ كما قال الله ـ تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ [الأنفال: 73]، وقال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

بعض ﴾ [المائدة: 51].

].

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أنّ هذه المقالة التي قالـتـهـا الـيـهـود، وقالتها النصارى يقولها أيضا كل من كان جاهلا؛ أي: كل مـن كـان ذا

جهالة، وليس عنده علم؛ فإنه يقول مثل هذا القول الباطل الذي يريد أن يدحض به الحق.
3- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الجزاء يوم القيامة؛ لقول الله - تعالى -: ﴿ فالله تحكم بينهم يوم القيمة ؟. 4- ومن فوائدها وأحكامها: أن الذين اختلفوا في الكتاب وفي الرسل سوف يقضي الله ـ تعالى ـ بينهم يوم القيامة، ويبين من هو على الحق، ومن هو على الباطل، وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة النساء أنه يحكم بين الناس، وأنه لن يجعل للكافرين على المؤمنين
سبيلاً.

5- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات يوم القيامة ـ وهو اليوم الآخر ؛ فالإيمان به أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ لجبريل حين سأله أن يخبره عن الإيمان، فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

(١) تقدم تخريجه ص (٢٣١)

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ومن أظلم ممن منع مسجد الله أن يذكر فيها أسمه، وسعى في خرابها أولتيك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين لهم في الدنيا جزئ ولهم في الآخرة عذاب عظيم و . وقوله: «ومن أظلم »؛ يعني: لا أحد أظلم ـ فالجملة استفهام بمعنى النفي -؛ فلا أحد أظلم من شخص أو طائفة تمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه؛ أي: تمنع الناس من دخول مساجد الله ليذكروا فيها اسم الله - عز وجل ـ بالصلاة وغيرها. وسعى في خرابها »؛ أي: أن منع المساجد أن تدخل ويذكر فيها اسم الله خراب لها؛ فإن عمارة المساجد إنها تكون بها يقام فيها من ذكر الله، وبين الله - عز وجل ـ أن هؤلاء الذين منعوها وكان لهم السلطة سوف تدور عليهم الدوائر حتى لا يدخلوها إلا خائفين؛ أي: لا يدخلون هذه المساجد إلا وهم في خوف، وقلق، واضطراب من المؤمنين الذين آلت هذه المساجد إليهم. وقوله: «ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين * هذا النفي يحتمل أن يكون المعنى ما كان لهم شرعا أن يدخلوها إلا خائفين، أو ما كان لهم قدرا أن يدخلوها إلا خائفين، والمعنيان كلاهما صحيح، ولهم في الدنيا جزى »؛ أي: عار وذل. (ولهم في الآخرة عذاب عظيم » فينالون بعد العز، والسلطة، والغلبة ذلا في الدنيا، وعذابا عظيما في الآخرة.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا۔ تحريم منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه. ٢۔ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن المساجد إنا بنيت لذكر الله - عز وجل ۔؛ لقوله: «أن يذكر فيها أسمه »، وقد جاءت السنة مصرحة بذلك؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ۔ رضي الله عنه ۔ قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول اللى ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول اللى ﷺ : مه مه قال: قال رسول اللى ﷺ : «لا تزرموه دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول اللى ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنها هي لذكر الله ۔ عز وجل ۔ والصلاة، وقراءة القرآن» أو كما قال رسول اللى ﷺ «(٢)

(ا)

3_ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن ما يتعلق بأمور الدنيا من بيع، وشراء، وإجارة، ونحوها لا يحل إيقاعه في المسجد؛ ولهذا قال النبي ۔ صلى الله عليه وآله وسلم -: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك... فإن المساجد لم تُبن لهذا»").

(1) أي: لا تقطعوه، والإزرام: القطع
(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم (٢٨٥)

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، رقم (568)، والترمذي، كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، رقم (١٣٢١).

4- ومن فوائدها وأحكامها: ذكر الله ۔ عز وجل ۔ يكون بذكر اسمه؛ وذلك يقتضي أن يكون

باللسان، وذكـر الله ـ سـبحانه وتعالى - يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بالجوارح.
أما ذكر الله بالقلب: فأن يكون الإنسان متفكرا متأملا في آيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدالـة عـلى عـظـيـم سـلطانه، ومـا تقتضيه رحمتـه وحكمته.
وأما الذكر باللسان: فهو يتناول كل قول يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ من قراءة القرآن، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم، وغير ذلك من كـل قـول يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ.
وأما الذكر بالجوارح: فيشمل كل فعل يتقرب به الإنسان إلى ربـه؛ كالوضوء، والغسل، والصلاة، والصوم، والصدقة، وغير ذلـك مـن أفعال الجوارح.
5- ومن فوائدها وأحكامها: أن عمارة المساجد إنـا هـي بـذكر الله - عز وجل ـ وما يفعل فيها من الطاعة؛ لقوله: «أن يذكر فيها أسمه . والسعي في خرابها كما يشمل منع ذكر الله ـ تعالى ـ فيـهـا يـشمل أيـضـا الخراب الحسي؛ وذلك بهدمها حتى لا يقـام الـذكر في هـذه البقعـة؛ لقوله: «وسعى في خرابها ؟.
6- ومن فوائدها وأحكامها: البشـرى للمؤمنين أن هؤلاء الذين

سلطوا على المؤمنين؛ بمنعهم من مساجد الله أن يذكروا فيها اسم الله سوف تكون العاقبة عليهم؛ أي: على هؤلاء المتسلطين المانعين؛ لقوله: أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين ، وهذه العاقبة تؤيدها آيات أخرى؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « تلك من أنباء الغيب توجيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العقبة للمتقين ﴾ [هود: 49]، وقوله: « قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء المتسلطين عـلى عبـاد الله؛ بمنعهم من مساجد الله أن يذكروا فيهـا اسـم الله ستنالهم عقوبتـان: عقوبة في الدنيا؛ وهي الخزي ـ أي: الذل والعار ، وعقوبة في الآخـرة؛ وهي العذاب العظيم.
٨ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من هذا العمل ـ أعني: منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ـ بأن الإنسان سوف يعاقب مرتين: مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة؛ كما ذكر الله ـ تعالى ـ في هؤلاء.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه
ها
ع
الله إن الله واسع عليم *
ويله المشرق والمغرب »؛ أي: له كل شيء؛ لأن كل شيء فهو إما

مشرق وإما مغرب؛ فمغرب قوم يكون مشرق قـوم آخـريـن وهـكـذا؛ فلـه المشرق والمغرب، فأينما تولوا »؛ أي: تتجهـوا فثم وجه الله »؛ أي: فهناك وجـه الله ـ عـز وجـل ؛ «إن الله واسع عليمه؛ أي: محيط بكـل شيء، وواسـع الـصفات، وواسـع الهبات، وواسع الفضل، وعليته؛ أي: عليم بكل شيء؛ فـالله ـ تعالى ـ ييـين في هـذه الآية أنه ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، وأن الإنسان مهـا تـولّى؛ فإن الله ـ تعالى ـ محيط به، عالم به.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

ا۔ عـمـوم مـلـك الله ـ عـز وجـل ـ في قوله: « ولله المشرق والمغرب ».

٢- بيان أن هذا العمـوم لا يتـأتى لأحـد سـوى الله؛ لقوله: ﴿ ولله المشرق والمغرب »؛ فإن تقديم الخبر يفيد الحصر؛ كما قرر ذلـك علـاء البلاغة.

٣۔ ومن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان مهما تولى واتجه إلى شيء؛ فثم وجه الله، واختلف المفسرون في المراد بوجه الله هنا : هل هـو وجـه الله الذي هو صفة من صفاته أم المراد الجهة؟ فـإن الـوجـه يـأتي بمعنى الجهة، فيقال: وجهة، ووجه، وجهة؛ كـا يقـال: سـافـر فـلان إلى هـذا

الوجه؛ أي: إلى هذه الجهة، والآية تحتملها جميعا؛ أي: القولين. ٤۔ ومن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان إذا صلى إلى جهـة مجتهـدا

معتقدا أن هذه الجهة هي القبلة؛ فإن صلاته تصح؛ لقوله ـ تعالى -: فأينما تولوا فثم وجه الله ؟.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات وجه الله ـ سبحانه وتعالى - والواجب إجراء الآية على ظاهرها، وأن يعتقد المرء أن الله ـ سبحانه وتعالى . ـ وجها حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته، ولا ياثل أوجه المخلوقين، وهكذا بقية صفاته كاليدين والعينين؛ فإن الواجب على المؤمن إثبات ذلك على حقيقته، لكن بدون أن يكيفه؛ أي: بدون أن يتصور له كيفية معينة؛ لأنه مها بلغ الإنسان في التخيل؛ فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مما يتخيله، ومن غير تمثيل؛ فلا يجوز أن يعتقد الإنسان أو يتصور أن وجه الله ـ تعالى ـ كأوجه المخلوقين؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
6- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات سعة الله - عز وجل ـ؛ أي: سعة علمه وإحاطته بكل شيء؛ وذلك أن كل الأشياء بالنسبة إليه - تعالى ـ صغيرة؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « يوم نطوي السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فعلين ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال الله ـ تعالى : (وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والشموات مطويت بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر: 67]. - ومن فوائدها وأحكامها: إثبات العلم الله - عز وجل ، وعلمه -
ج

ج

تعالى ـ محيط بكل شيء؛ « إن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء * [آل عمران: 5].
و يعلم خاينة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر: 19]، ﴿ ولقد خلقنا الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه ﴾ [ق: 16]. هـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الحذر من مخالفة الله ـ عز وجل ـ

بترك أوامره أو فعل نواهيه؛ لأنه عالم ـ سبحانه وتعالى ـ بذلك، وعلمه بذلك يقتضي الحذر من مخالفته.

ثم قال ـ تعالى ـ: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحته بل له ما في .
السموات والأرض كل له، فينتون و بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧]. وقالوا * الضمير يعود إلى كل من تفوه بهذه المقالة الكاذبة المنكرة من اليهود، والنصارى وغيرهم؛ فاليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، وكل هؤلاء قالوا فرية عظيمة، وإثما مبينا؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: وشبخته »؛ أي: تنزيها له أن يكون له ولد؛ لأن الله غني عن كل شيء، وهو مالك لكل شيء؛ والولد إنما يتخذه من كان محتاجا مفتقرا، أما الرب ـ عز وجل ـ فإنه ليس بحاجة إلى أحد؛ لأن له الملك المطلق، بل له ما في السموات والأرض؛ ولأن كل أحد خاضع الله، ذليل له

منقاد لأمره الكوني، والمؤمن منقاد لأمره الشرعي؛ لقوله: «كله قنتون * .

بديع السموات والأرض »؛ أي: خالقها ابتداء على غير

مثال سابق؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ الذي خلق السموات والأرض، وهو قادر على كل شيء؛ فكيف تجعلون له ولدا وقد خلق كل شيء، وبدع السموات والأرض «وإذا قضى أمرا »؛ أي: قضاه قدرا وكونا؛ فإنما يقول له كن فيكون، كلمة واحدة لا تثنى مرة أخرى يقولها ـ جل وعلا ـ للشيء مها كان؛ فيكون في الحال، فليس بغريب أن يخلق الله ـ تعالى ـ عيسى ابن مريم بلا أب، « إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران: 59].
فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين:

ففي الآية الأولى من الفوائد والأحكام:
١- بيان هذه الفرية العظيمة التي افتراها الظالمون على ربهم ـ جل وعلا ـ؛ وهي أن الله اتخذ

ولدا، وقد بينا أن اليهود قالوا: عزيز ابـن الله، وأن النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وأن المشركين قالوا: الملائكة بنات
الله.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان تنزيه الله ـ عـز وجـل ـ عـن كـل عيب ونقص؛ لقوله: «سبحانه ؛ ومن ذلك تنزيهه عن اتخاذ الولد. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان كال غنى الله ـ عـز وجـل ـ عـن

سـورة البقـرة

اتخاذ الولد؛ حيث إنه ـ سبحانه وتعالى ـ مالك السموات والأرض وما فيها.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامهـا: أن جميع الخـلـق قـانـت الله، ومنهم: ، عزير، والمسيح، والملائكة؛ كل قانـت الله ـ عـز وجـل ـ ذليـل لـه؛ فـلا يمكن أن يكون ولد له ـ سبحانه وبحمده.

وفي الآية الثانية من الفوائد والأحكام:
1- بيان أن الله - سبحانه وتعالى ـ لا ينبغي أن يتخـذ ولـدا؛ لأنـه خالق السماوات والأرض؛ فهو مستغن عن الولد. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: إقامة الدليل على بطلان الشبهة التي احتج بها النصارى على كون المسيح ابن الله؛ حيث قالوا: إنه خلق بلا أب، فأبوه هو الله، فبين الله ـ عز وجل ـ أنه خالق السموات والأرض، وهي أعظم من خلق البشر؛ كما قال ـ تعالى ـ: « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر: 57]، وخالق السموات والأرض لا يمتنع عليه أن يخلق البشر. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان كـال قـدرة الله ـ عـز وجـل ـ في قوله: «وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأمر مهما كانت عظمتـه؛ فإن الله - تعالى ـ قادر عليه بكلمة واحدة وهـي كـن»؛ فيكـون كـا أراد الله ـ عـز وجـل ـ؛ ولهذا لما خلق الله القلم قال له: اكتب، قـال: رب ومـاذا أكتـب؟

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات القول الله، وأن الله يقول، وأن قوله بحروف؛ لقوله:كى*؛ فإن هذه الكلمة حروف، وفيه رد على من يقول: إن كلام الله - عز وجل ـ وقوله هو المعنى القائم بنفسه، وليس حروفا أو أصواتا تسمع، وإنما كلامه هو المعنى القائم بالنفس، وما يسمع من ذلك فإنه عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، ولا شك أن هذا القول خطأ عظيم فاحش؛ فإن القول الذي يكون في النفس لا يطلق عليه اسم القول؛ بل لا بد أن يقيد؛ كما قال ـ تعالى ـ: ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله ﴾ [المجادلة: ٨].
أما القول عند الإطلاق فإنه القول الذي يسمع ويكون من حروف يسمعها من وجه إليه الخطاب، وقد قال الله ـ تعالى ـ في موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: « وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ٥ وتدينه من جانب الطور الأيمن وقربته يجيا » [مريم: ٥٢]، وهذا . ـ أعني كون كلام الله - عز وجل ـ من حروف وأصوات مسموعة ـ هو

قول السلف، وأئمة الخلف، ولا عبرة بمن خالف طريقهم. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل شيء يسمع كلام الله ـ عز وجل ـ إذا وجه إليه الكلام؛ لأنه يوجه الأمر «كن» إلى الشيء المراد؛ فيكون على ما أراد الله ـ عز وجل ـ.

سورة البقرة

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أن تأتينا ايه كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشبهت قلوبهم قد بينا الاينت لقوم يوقنون .
قوله: « الذين لا يعلمون »؛ أي: ليس عندهم شيء من العلم، بل هم في جهل وجهالة: «لولا يكلمنا الله * يقولون ذلك لرسلهم؛ يطلبون آية يقترحونها على الله ـ عز وجل ـ وذلك أن يكلمهم الله ـ
تعالى ـ.

تأتينا ءاية » أي: علامة على صدق ما جاءت به الرسل،

فبين الله ـ عز وجل ـ أن هذا القول قد قاله من قبلهم. ولقد اقترحت قريش على رسول الله ﷺ آيات متعددة، * وقالوا لن
أن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا من أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهر خلالها تفجيرا مع أو تسقط السماء كما زعمت علينا كشفا أو تأتي بالله والملتبكة قبيلًا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن يرقيك حتى تنزل علينا كتبا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولًا - وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولًا ﴾ [الإسراء: 90 - 94]

مع
فهم يطلبون آيات يقترحونها أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جاءوا بآيات بينات؛ ما من رسول أرسله الله إلا أعطاه من

الآيات ما يؤمن على مثله البشر؛ قال الله ـ تعالى ـ: «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم »؛ أي: مثل هذا القول الذي قالوه قاله من سبقهم، واقترحوا آيات على رسلهم؛ ومن ذلك قول بني إسرائيل لموسى: « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة: 55]، تشبهت قلوبهم * وإذا تشابهت القلوب تشابهت الأعمال؛ لأن الأعمال تصدر عن القلب؛ لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١)، فمتى صلح القلب

ل
صلحت الجوارح، ومتى فسد القلب فسدت الجوارح، نسأل الله أن يصلح قلوب الجميع، «تشبهت قلوبهم »، وإذا تشابهت قلوبهم تشابهت أقوالهم وأعمالهم؛ قال الله ـ تعالى ـ: «قد بينا الآيات لقوم يوقنون »؛ يعني: قد أظهرنا إظهارا يبين به الأمر. والايت »؛ أي: العلامات الدالة على صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ، لكن لا ينتفع بها إلا الموقن (لقوم يوقنون »، أما من ليس بموقن، بل هو في شك وريب؛ فإنه لا تنفعه الآيات؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: «وما تغنى الايت والتذر عن قوم لا يؤمنون ← [يونس: ١٠١]. وقال ـ تعالى ـ فيمن إذا تليت عليه آيات الله قال: أساطير

(١) تقدم تخريجه ص (٥٩).

الأولين: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين: ١٤].
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ - بيان عظم عنـاد الكـفـار المحـادين الله ورسله؛ لقوله: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا ايه ؟؛ ووجه ذلك أن الله -

تعالى ـ آتى الرسل آيات يؤمن على مثلها البشر. ٢- ومن فوائدها وأحكامها: بيان كذب هؤلاء المعاندين؛ لأن طلبهم
هذا يتضمن ادعاءهم بأنهم لم تأتهم آيات، وهذا كذب محض؛ فالآيات جاءتهم، وبينت لهم، لكنهم ـ والعياذ بالله ـ قد حقت عليهم كلمة الله، ومن حقت عليه كلمة الله فإنه لا يؤمن؛ قال الله ـ تعالى ـ: إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون - ولو جاءتهم كل ءاية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس: ٩٦،٩٧]. ٣ـ ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: أن القلـوب إذا تـشابهت تشابهت الأقوال والأعمال؛ لقوله حين حكى عـمـن سـبق أنهـم قـالـوا كـا قـال المكذبون لرسـول الله ـ صلى الله عليه وآلـه وسـلم -: «تشبهت قلوبهم

.
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن القلوب هي الموجهـة للبدن؛ لقوله: «تشبهت قلوبهم ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قـال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلـه، وإذا فسدت

=

فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١).

5- ومن فوائدها وأحكامها: تشابه أعال الكفرة؛ أي: مشابهة لاحقيهم لسابقيهم.
6- ومن فوائدها وأحكامها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ بين وأوضح الآيات التي تدل على صدق ما جاءت به رسله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «قد بينا الأيت لقوم يوقنون »

- ومن فوائدها وأحكامها: أن هذه الآيات البينات بنفسها لا تتبين إلا لموقن؛ ويتفرع على هذه الفائدة: أن من كان عنده شك؛ فإن الآيات لا تتبين له ولا تظهر له، بل لا تزيده الآيات إلا عمى وضلالا؛
كما قال الله ـ تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه، إيمنا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون (ع) وأما الذين في قلوبهم مرضت فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كنفروت ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]. هـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن الناس ينقسمون في آيات الله ـ تعالى ـ على قسمين: قسم موقن؛ فهذا ينتفع بالآيات التي آتاها الله الرسل، وقسم غير موقن، بل هو في شك، وأقبح منه من كان في عناد وإنكار؛ فإن هـذا لا ينتفع بالآيات؛ لأن الله ـ تعالى ـ خص

(١) سبق تخريجه ص (٥٩).

من
الانتفاع بالآيات لقوم يوقنون، ومن ذلك ما يقوم بقلوب بعض الناس الشك في نفع بعض الآيات التي رتّب عليها فوائد؛ مثل قول النبي في آية الكرسي: «من قرأها في ليلة؛ لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»، وإن بعض الناس يقرأ هذه الآية ولكنه في شك من هذا الخبر، أو يقول: أقرؤها وأجرب؛ فإن مثل هـذا لا ينتفع بها أبدا؛ فلا ينتفع بها إلا من أيقن بأنه إذا قرأها لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وهكذا بقية الآيات التي أخبر النبي ﷺ بشيء من فوائدها؛ فإن الواجب على المرء أن يتلوها وهو موقن بصحة ما أخبر به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ؛ حتى يتم إيمانه، وحتى ينتفع بها.
ثم قال الله ـ تعالى ـ: «إنا أرسلتك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم - .
المرسل هو الله - عز وجل ـ لخطاب للرسول ﷺ؛ فهو الرسول، وقوله: «بالحق» يحتمل أن يكون تبيانا للمرسل به؛ فإن ما جاء به الرسول ﷺ حق، وما سواه باطل، ويحتمل أن يكون تبيانا للرسالة؛ أي: أن رسالتك حق، ليس فيها شيء من الباطل، والمعنيان صحيحان؛

فرسالة النبي ﷺ حق، وما أرسل به من العلـم، والإيان،

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٥).

والعمل الصالح هو حق.
بشيرا ونذيرا * صفتان من صفات الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه بشير وأنه نذير؛ فهو بشير للمؤمنين، وهو نذير للكافرين؛ قال الله - تعالى -: « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم تجعل له عوجا و قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحت أن لهم أجرا حسنا و ملكيين فيه أبدا لي وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ن ما لهم به من علم ولا لأبابهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف:١-٥] .

فهو بشير للمـؤمنين بـالثواب العاجـل والآجـل، ونذير للكـــافرين بالعقـاب العاجـل والآجـل، «ولا تسئل عن أضحب الجحيم»؛ أي: لا يسألك الله ـ تعالى ـ عن أصحاب الجحـيـم بعـد إذ أنذرتهم؛ فإن سيئاتهم على أنفسهم، أمـا أنـت فقـد بلغـت الرسالة،
وأديت الأمانة، ونصحت الأمة.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ إثبات رسالة النبي ﷺ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إنا أرسلتك ؟ . ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن رسالة النبي ﷺ حق؛ لقوله:
إنا
أرسلتك بالحق
3ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب اتباع النبي ـ صلى الله عليـه

وآله وسلم ـ: لكونه رسول الله، ولكون ما جاء بـه حـقـا، وضـد الحـق الباطل؛ فمن خالف النبي ﷺ

فهو على باطل، ثم إن هذا الباطل قد يكون شاملا لجميع أعماله؛ كالكافر بما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد يكون الباطل في بعض أعماله؛ كمن فعل معصية لا تخرجه من الإسلام؛ فإن هذه المعصية تكون باطلا وما معه من الحق يكون حقًا.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم -
ليس له حق من الربوبية والتصرف في الخلق؛ إنما هو بشير ونذير. هـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث على فعل ما يكون بشارة للعبد، وتلك هي الأعمال الصالحة، فإن من عمل عملا صالحا؛ فله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ له البشرى في الحياة الدنيا؛ لأن توفيق الله له لهذا العمل دليل على أن الله يسره لليسرى؛ فيبشر بذلك، ويفرح، ويسر؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «... من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلك المؤمن»(1)؛ فأنت إذا رأيت الله ـ تعالى ـ قد وفقك للعمل الصالح فأبشر بالخير؛ قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار»، قالوا: يا رسول

(١)

رواه الإمام أحمد في مسنده (١/١٨)؛ والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه...» ؛ والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٩١)؛ وانظر المستدرك، للحاكم (١/ ٥٨ - ٥٩)

الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ← إلى آخر الآية [الليل: 5 ـ 7]).

=

وعلى هذا فينبغي للإنسان إذا رأى أن الله يسره للعمل الصالح، وهداه له، وسهله عليه أن يحمد الله على هذه النعمة، وأن يسر بذلك؛
قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «... يا عبادي، إنا هي أعمالكم -
أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك ـ أو قال: سوى ذلك ـ فلا يلومن إلا نفسه»(٢)، وإذا نفسه أن العمل الصالح ثقيل عليه، وأن نفسه تنقاد بسر

العمل السيئ فليرجع إلى الله ـ عز وجل -، وليتب إليه، وليحذر مما هو
وجد من
بسرعة إلى
عليه.

6-ومن فوائدها وأحكامها: أن رسـول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يسأل عن ضلال الضالين، ومن كان من أصحاب الجحيم؛ لقوله ـ تعالى ـ: (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم.
- رمن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان إذا أدى ما عليه من إبلاغ الشرع والدعوة إليه؛ فإنه لا يناله من ضلال الضالين شيء، إنا يضلون

(1) أخرجه ـ بنحوه ـ البخاري: كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، رقم (١٣٦٢)؛ ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧) (٢) رواه ـ ضمن حديث ـ مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

على أنفسهم؛ قال الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [القصص: 56]، وقال - تعالى -: (إن عليك إلا البلغ ؟ [الشورى: 48]، وقال الله ـ تبارك وتعالى -: (فذكر إنما أنت مذكرات لست عليهم بمصيطر ع إلا من تولى وكفر ع فيعذبه الله العذاب الأكبريت إن إلينا إياهم ع ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٦]. ٥ ومن فوائدها وأحكامها: أن أصحاب الجحيم ـ الذين هم أهل الجحيم ـ لا يستفيدون برسالة النبي ﷺ شيئا؛ لأنهم قد حقـت عـلـيـهـم كلمة العذاب ـ والعياذ بالله.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولين أتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصيري ﴾ [البقرة: ١٢٠] .
يقـول الله ـ تعـالى ـ مخـبـرا عـن حـال اليهود والنصارى، وشـدة معاداتهم لما جاء به الرسول

ﷺ: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصري حتى تتبع ملتهم »، وقد بينا ـ فيما سبق ـ أن اليهـود هـم أتبـاع موسى، وأن النصارى هم أتباع عيسى.
فاليهود أتباع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وشريعتهم التي كانوا عليها نُسخت بشريعة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ووجب

عليهم أن يؤمنوا بعيسى ويتبعوه، ولكنهم ـ والعياذ بالله ـ أبوا ذلك، وكفروا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وادعوا أنهم قتلوه وصلبوه، وقد أنكر الله ذلك عليهم في قوله: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ [النساء: ١٥٧].
أما النصارى فهم أتباع عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين محمد ﷺ رسول، وهم كانوا على دين حق حتى بعث النبي ﷺ، فلا بعث النبي ﷺ وجب
عليهم أن يتبعوه، فلا كفروا به صاروا كافرين حتى بعيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأن عيسى ابن مريم قد بشّرهم بمحمد ﷺ؛ كا ذكر الله ـ تعالى ـ ذلك في قوله: * وإذ قال عيسى ابن مريم يبنى إسراءيل إلى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين * [الصف: 6]؛ فأحمد الذي بشر به عيسى ـ عليه الصلاة والسلام - محمد ﷺ؛ والدليل على هذا قوله: «فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين *، ولكنهم كفروا بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم - فكانوا كافرين بعيسى وبشارته؛ ولهذا لا يقبل الله دينهم، ولا ينفعهم هذا الدين الذي هم عليه يوم القيامة؛ قال الله - تعالى -: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخنسرين ﴾ [آل عمران:
هو
85]، وقال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران: ١٩].

m

ويقول ـ تعالى ـ: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملهم »؛ أي: دينهم الذي هم عليه؛ فاليهود يقولون: لا نرضى عنك حتى تكون يهوديا، والنصارى يقولون: لا نرضى عنك حتى تكون نصرانيا، قال الله ـ تعالى ـ: «قل»؛ أي: منكرا عليهم: «إن هدى الله هو الهدى»، وليس ما أنتم عليه أيها اليهود ولا ما أنتم عليه أيها النصارى، بل هدى الله هو الهدى؛ وهدى الله بعد بعثة الرسول محمد هو ما كان عليه محمد ﷺ، وفي قوله: «هو الهدى» ضمير فصل، وضمير الفصل يفيد إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه؛ لأنه ـ أعني: ضمير الفصل ـ من أدوات الحصر. ثم قال الله - عز وجل -: «ولين اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير»؛ يعني: من اتبع أهواء هؤلاء اليهود أو النصارى، وهو ما يريدونه من أن يكون الناس نصارى أو يهودا، فمن اتبع هذا بعد ما جاءه من العلم برسالة محمد ؛ فإنه معرض نفسه لهذه العقوبة: ما له من الله من ولي يتولاه؛ فيحيطه با ينفعه، ولا نصير ينصره؛ فيمنعه مما يضره. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير الشديد من اليهود

والنصارى؛ لأنهم لن يرضوا عن الإنسان حتى يتبع ملتهم. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن اليهود والنصارى يرضون

بمن يتبع ملتهم، بل يفرحون بذلك، ويسرون به، ويستبشرون به. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الهدى لا يختص بأمة أو طائفة معينة؛ فليس الهدى لليهود فقط، ولا للنصارى فقط، بل الهدى هدى الله، فمن اتبع هدى الله على أي رسول؛ فقد اهتدى بهدى الله، ومعلوم أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، وأنه جاء بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، وأن شريعته نسخت جميع الشرائع؛ وعلى هذا نقول لليهود والنصارى: الملة الصحيحة ما كان عليه المسلمون؛ لأنها

هي هدى الله الذي بعث به محمدا ـ صلى الله عليه وآله وسلم. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من اتباع أهواء اليهود والنصارى؛ أي: اتباع ما يهوونه من الباطل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولين أتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن العقوبات إنها تقع على العبد بعد أن يأتيه العلم، وأما الجاهل فلا

عقوبة عليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولين اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، وهذا الأصل يشهد له آيات متعددة؛ منها: قوله - تعالى -: * ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله ـ تعالى ـ: قد فعلت. ومنها أيضا قوله ـ تعالى : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب: 5]، ومنها قوله - تعالى -: ﴿ وما كنا معذبين حتى تبعث رسولًا ﴾ [الإسراء: 15]، ومنها قوله ـ تعالى : (وما كان ربك مهلك

القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم واينينا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظلموت ﴾ [القصص: 59]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهو أنه لا عقوبة إلا بعد العلم. 6-ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا أحد يمنع ما أراد الله ـ عز وجل من خير أو من شر؛ ففي الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليـه وآله وسلم ـ في الأذكار التي تقال بعد الصلاة: «... اللهـم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منـك الجـد»(1)؛ أي: لا ينفع صاحب الحظ والغنى حظه وغناه من الله - عز وجل ، بل الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، وقادر على كل شيء.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه إذا كان هذا التحذير موجها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: «ولين أتبعت أهواءهم» إلى آخر الآية؛ فكيف بمن دونه؟! فإن هذا التحذير يشمله وأولى، ولقد قال الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وآله وسـلم -: : * ولولا أن
تبتنك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقنك ضعف الحيوة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]. ثم قال الله ـ تعالى ـ: « الذين ءاتينهم الكتب يتلونه حق تلاوته .
أولتيك يؤمنون به، ومن يكفربه، فأولتيك هم الخسرون ﴾ [البقرة: ١٢١]

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم (٥٩٣).

الذين ءاتينهم الكتب»؛ أي: أعطيناهم الكتاب، والمـراد بالكتاب هذا الجنس؛ فيشمل الكتاب الذي أنزله الله على محمد ؛ وهو القرآن، والكتاب الذي أنزله على موسى؛ وهو التوراة، والكتاب الذي أنزله على عيسى؛ وهو الإنجيل.
يتلونه حق تلاوته * ؛ أي: يتبعونه؛ والتلاوة يراد بها ثلاثة
أمور:
التلاوة اللفظية، والتلاوة المعنوية، والتلاوة الحكمية العملية. أما التلاوة اللفظية: فأن يقيم الإنسان حروف الكتاب الذي أنزل. وأما التلاوة المعنوية: فأن يقيم معناه؛ أي: معنى الكتاب الذي أنزل؛ وذلك بأن يفسره بها أراده الله ـ عز وجل -، لا بهوى نفسه؛ فلا يحرف الكلم عن مواضعه.
وأما التلاوة الحكمية العملية: فأن يؤمن بأخباره، ويقوم بأوامره،

ويتجنب نواهيه.
يتلونه حق تلاوته ؛ أي: التلاوة الحق، فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها «أوليك يؤمنون به، * ؛ يعني: هؤلاء هم الذين يؤمنون به حقا، وأما من لم يتله حق تلاوته، إما في اللفظ أو في المعنى، أو في الحكم والعمل؛ فإنه لم يؤمن به، وقد نقص من إيمانه به بقدر ما نقص من تلاوته، وبين ـ عز وجل ـ في هذه الآية أن من كفر بالكتاب الذي آتاه الله إياه؛ فإنه خاسر؛ خسر الدنيا والآخرة خسرانا كاملا إن

كان لم يؤمن به إطلاقا، وخسرانا ناقصا إن كان آمن به على وجه ينقص الإيمان؛ لأن الله ـ تعالى ـ حكم عدل، فمن كان معه الإيان كله؛ فله الربح كله، ومن كان معه الكفر وليس معه الإيمان؛ فله الخسران كله، ومن كان معه إيمان وكفر؛ فله الربح فيها آمن والخسران فيها كفر. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ الثناء على من آتاه الله الكتاب فتلاه حق تلاوته، وفيها حقيقة الإيمان بالكتاب: أن يتلوه الإنسان حق تلاوته. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يقم حروف الكتاب فإنه لم يؤمن به حق الإيمان؛ لأنه لم يتله حق تلاوته؛ ويتفرع من هذه الفائدة وجوب تلاوة القرآن على الوجه الذي أنزل من حيث الترتيب، ومن حيث الحروف؛ فلا يبدل حرف بحرف، ولا تقدم آية

علـى آيـة، ومـن
حيث الإعراب؛ فلا يفتح ما كان مضموما أو مكسورا ولا العكس. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحريم تفسير القرآن بالرأي والهوى؛ لأن من فعل ذلك فإنه لم يتل القرآن حق تلاوته باعتبار المعنى؛ ويتفرع على هذا بيان خطر ما ذهب إليه المحرفون لآيات الصفات؛ مثل قولهم: الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه: 5]؛ أي: استولى. ومثل قولهم: بل يداه مبسوطتان * [المائده: 64]؛ أي: نعمتاه مبسوطتان وما أشبه ذلك؛ فإن هذا ـ بلا شك ـ تحريف للكلم عن مواضعه، وقد يكون هذا أشد من التحريف في آيات الأحكام العملية؛ وذلك لأن باب الصفات

من باب الخبر المحض الذي ليس للعقول مدخل في تفاصيله؛ فيجب تلقيه من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ . فمن حرف نصوص الكتاب والسنة في آيات الصفات وأحاديثها؛ فهو أشد خطرا ممن حرفها فيما يتعلق بالأحكام البدنية؛ وعلى هذا فالواجب إجراء نصوص الصفات في الآيات والأحاديث على ظاهرها اللائق بالله بلا تمثيل ولا تحريف، فنقول: إن معنى قوله: « الرحمن على العرش استوى * [طه: 5]؛ أي: علا على العرش علوا يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل، ونقول في قوله تعالى -: بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]: هما يدان حقيقيتان بها يأخذ وبها يقبض، ولكنها لا تماثلان أيدي المخلوقين، وهكذا بقية الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يجب علينا أن نؤمن بها على ظاهرها لكن من غير تمثيل؛ لقوله ـ تعالى ـ: * ليس كمثله شي * [الشورى: 11]، ومن غير تكييف أيضا؛ لقوله ـ تعالى ـ: ولا يحيطون به، علما ﴾ [طه: 110]، وقوله ـ تعالى ـ: * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولتيك كان عنه مسئولا* [الإسراء: 36]؛ فلا يجوز لأحد أن يمثل لصفات الله بصفات خلقه، ولا يكيف صفات الله ـ عز وجل ؛ لأن ذلك قول على الله بلا علم.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن التلاوة تنقسم إلى قسمين: تـلاوة تامة؛ وهي حق التلاوة، وتلاوة ناقصة؛ وهي أن يتلوه بعض التلاوة.

سـورة البقـرة

5ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يقم بالعمل الصالح الذي دل عليه الكتاب؛ فإنه لم يتله حق تلاوته، فيكون ناقص الإيمان، وهذا هو طريق أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية أو غيرها من أسباب نقصه. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: الثناء على المتبعين، بل على التالين لكتاب الله حق تلاوته؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «أوليك يؤمنون به . ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الكافر بالكتاب الذي أنزله الله على رسله خاسر في الدنيا والآخرة، حتى وإن ربح في الدنيا أموالا، وقصورا، ومراكب، وأنعم عليه بالأهل والبنين؛ فإنه خاسر؛ لإطلاق الخسران في قوله: «فأولتيك هم الخسرون»، ولم يقل: في الدنيا، ولم يقل في الآخرة؛ فيكون ذلك عاما؛ قال الله ـ تعالى ـ: (قل إن الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذالك هو الخسران المبين من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك تخوف الله به، عباده يعباد فائفون ﴾ [الزمر: ١٥ ـ ١٦].

ثم قال الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة: « ينبني إسرءيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتى فضلتكم على العلمين ﴾ [البقرة: ١٢٢] هذه الآية الكريمة سبق مثلها، بل شبهها في أول السورة؛ ينادي الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل ـ وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن

إبراهيم -، يناديهم مذكرا إياهم نعمته التي أنعمها عليهم، ويأمرهم بتذكرها، فيقول: «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ، وقد أنعم الله على بني إسرائيل بنعم عظيمة؛ منها: الإيمان؛ حيث آمنوا بموسى ـ صلى الله عليه وآله وسلم -. ومنها: أن الله أهلك عدوهم (فرعون وقومه)، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم.
ومنها: أن الله ـ تعالى ـ ظلل عليهم الغام وأنزل عليهم المن

والسلوى، ونعم الله عليهم كثيرة.
ومنها: أن الله فضلهم على العالمين؛ أي: جعلهم أفضل من العالين، وذلك في زمانهم؛ فإن بني إسرائيل الذين آمنوا برسلهم أفضل العالمين في وقتهم، أما بعد بعثة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن أفضل الأمم أمة رسول الله ﷺ الذين آمنوا به؛ كا قال الله ـ تبارك وتعالى -: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهوب عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران: 110]، وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «نحن الآخرون السّابقون يوم

القيامة»(١)، يقول الله ـ تعالى ـ في هذه الآية مخاطبا بني إسرائيل ومذكرا لهم بهذه النعم: واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العلمين ؟.

-

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم (٨٧٦)؛ ومسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥).

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أنه يجب على المرء أن يتذكر نعمة الله عليه؛ ليقوم بشكرها، ويشكر النعم تزداد، وبكفرها ترتفع؛ قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ تأذت ريكم لين شكرتم لأزيدنكم ولين كفرة إن عذاى تشديد ﴾ [إبراهيم: 7]. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على بني إسرائيل أن يؤمنـوا بمحمد ﷺ؛ لأنه مرسل إليهم، فعليهم أن يتبعـوه شـكرا الله ـ تعـالى ـ على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التـي تميـزوا بهـا عـن العـالمين في وقتهم.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: تفاضل الناس؛ فالناس يتفاضلون عند الله في الأعمال، ويتفاضلون في الإيمان؛ قال الله ـ تعالى ـ: « هم درجت عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ [آل عمران: 163]، وقال ـ تعالى -: «ولكل درجت مما عملوا وما ربك بغفل عما يعملون ؟ [الأنعام: ١٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
[البقرة: ٢٥٣].

وسئل النبي ﷺ: أي العمـل أحـب إلى الله ـ عـز وجـل ؟ فقال : «الصّلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»(١)؛ فـالأعمال تتفاضـل، والعاملون يتفاضـلون

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله ـ تعالى ـ أفضل الأعمال، رقم (٨٥).

بحسب ما عندهم من العلم، والإيمان، والعمل الصالح. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على من فضله الله عـلى غيره بعلم أو مال أو عمل من الشكر ما لا يجب على من هو دونه؛ وذلك أن الناس قسمان: قـسـم أنـعـم الله عليـهـم فـابتلاهم بـالنعم؛ ليشكروا أو يكفروا، وقسم آخر ابتلوا بالمصائب؛ ليعلم الله ـ تعالى ـ هـل يـصـبرون أم لا يصبرون؟ ولكل فيها ابتلي به وظيفة؛ فمن ابتلي بالخير فعليه وظيفة الشكر، ومن ابتلي بضده فعليه وظيفة الصبر، وكلا عظمت النعم كـان الشكر عليها أوجـب.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفيعة ولا هم ينصرون) «واتقوا» ؛ واحذروا يوما » ؛ هو يوم القيامة ولا تجزى نفس عن نفس شيئا ؟ ؛ لا تغني عنها شيئا حتى الوالد لا يغني عن ولده شيئا، والولد لا يغني عن والده شيئا؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ في سورة لقمان: « ينأيها الناس اتقوا ربكم وأخشوا يوما لا تجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ﴾ [لقمان: 33]، وقال ـ تعالى ـ: (يوم يفر المرء من أخيه ابن وأمه، وأبيه ع وصحبته، وبنيه به لكل بتري منهم يومين شأن يغنيه ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].
وقوله: «ولا يقبل منها عدل»؛ أي: لا يقبل منها ما تدفعه عـدلا؛

أي: فدية عنها * ولا تنفعها شفعة؛ والشفاعة هي التوسـط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ ففي يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أحـدا إلا من أذن له الرحمن ورضي لـه قـولا، ولا هم ينصرون »؛ أي: ولا هـم
يمنعون من عذاب الله.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا۔ وجوب الحذر من عذاب يوم القيامة؛ لأنـه هـو المـراد بقوله: «واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ؟ .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه في يوم القيامة لا ينفع أحد غيره شيئا بخلاف الدنيا؛ فإنه قد ينفعه بشفاعة أو غيرها، أما في الآخرة فلا. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الحذر من هذا اليوم العظيم الذي لا تنفع فيه قرابة، ولا ينفع فيه الفداء، ولا تنفع فيه الشفاعة؛ وإنها الإنسان وعمله.

4. ومن فوائدها وأحكامها: نفي نفع الشفاعة لمن ليس من أهلها؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تنفعها شفعة»، أما من كان من أهل الشفاعة فإن الشفاعة تنفعه، وليعلم أن الشفاعة قسان: قسم عام، وقسم خاص، والخاص هو الذي لا يقوم به إلا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ وهي الشفاعة العظمى التي يتراجع فيها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حتى تصل إلى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإن الناس يوم القيامة يلحقهم من الهم والكرب ما لا يطيقون، فيأتون

إلى آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، حتى تنتهي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمد؛ فيقوم ويشفع بإذن الله - سبحانه وتعالى، وهذه خاصة بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.

وقسم عام: تكون للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولغيره من المؤمنين من الملائكة والبشر؛ ومنها: الشفاعة للميت بالصلاة عليه؛

قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ما من رجل مسلم يموتُ فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه»(١)، وهذه عامة ـ كما قلنا ـ تكون للأنبياء والصالحين من البشر، وتكون كذلك للملائكة.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: قطع آمال المشركين الذين يعبدون الأصنام، ويتخذونها شفعاء عند الله؛ فإنها لا تنفعهم يوم القيامة خلافا لما يتوهمونه من أنها تنفعهم؛ حيث يقولون: * ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر: 3]، وقال - تعالى -: (ويقولون هؤلاء شفعتؤنا عند الله ﴾ [يونس: ١٨]؛ فلا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمت فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين *

-

[البقرة: ١٢٤].
يقول الله ـ تعالى ـ: «وإذ ابتلى إبراهيم » ؛ أي: اختبره؛ وإبراهيم عليه السلام هو ابن آزر، وهو خليل الرحمن ـ سبحانه وتعالى ؛ يخبر الله ـ تعالى ـ أنه ابتلاه بكليات، وإذ * هنا متعلقة بمحذوف، والتقدير : واذكر إذ ابتلى إبراهيم؛ أي: اذكر للناس هذه القصة العجيبة الدالة على فضل إبراهيم؛ ابتلاه الله ـ تعالى ـ بكلمات؛ والكلمات هذه كلمات شرعية ابتلاه الله ـ تعالى ـ بها؛ وهي الأوامر والنواهي، ولم يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ عين هذه الكلمات ولا نوعها، لكننا نعلم أنها كلمات تكليفية قام بها إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الوجه الذي ابتلاه الله ـ تعالى ـ بها حسب ما يرضي الله ـ عز وجل ؛ ومن ذلك: أن الله ـ تعالى ـ أمره أن يذبح ابنه إسماعيل بعد أن بلغ معه السعي؛ كما قال الله ـ تعالى : (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين و رب هب لي من الصلحين فبشرته بغلم حليم ات فلما بلغ معه الشعي قال يبنى إنى أرى في المنام أني أذحك فانظر ماذا ترى قال يتأبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصبرين * فلما أسلما وتله للجبين (وندينه أن يتإبراهيم و قد صدقت الرءيا إنا كذالك نجزي المحسنين (إن
ع

هذا هو البلتؤا المبين ﴾ [الصافات: ٩٩-١٠٦] (١). فابتلي الله - تعالى - إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكلمات: أوامر ونواه؛ «فأتمهن»، وهذا هو محل الثناء، لما ابـتلي بـذلك أتمهـن عـلى الوجه الذي يرضى به الله ـ عز وجل ؛ فأثابه الله ـ تعالى ـ ذلك الثـواب العظيم: «قال إني جاعلك للناس إماما »؛ أي: قدوة يقتدي بك الناس. قال ومن ذريتي »؛ يعنى: واجعل من ذريتي إماما، أو اجعل مـن ذريتي
أئمة، وقال لا ينال عهدي الظلمين ، فتعهد الله له بذلك إلا أنه استثنى فقـال: «لا ينال عهدي

الظلمين » ، ومـن أكـبر الأئمة - بل هو أكبر الأئمة ـ من ذريته محمد ﷺ؛ فهو إمام المتقين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، بل هو إمام الأنبياء ، وإن كان آخـر هـم؛ كـا تبـدى ذلك في قصة الإسراء والمعراج؛ حيث صلى بهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إماما، «قال لا ينال عهدي الظلمين »؛ أي: مـن كـان ذا ظـلـم لنفسه بالإشراك بالله؛ فإنه لا يمكن أن يكون إماما.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن الله أمر نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يذكر للنـاس مـا حصل من الابتلاء لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ والفائـدة مـن ذلك: الاقتداء بـه؛ أي: بإبراهيم؛ كـا قـال الله ـ تعالى ـ: «ثم أوحينا

(1) أسلا: أي: انقادا لأمر الله ـ تعالى ، وتله للجبين: أي: تله على وجهه؛ ليذبحه من قفاه.

ا
إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل: ١٢٣]. ٢ـ ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: فضيلة إبراهيم ـ عليـه الـصلاة
والسلام ـ، وأنه إمام؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إني جاعلك للناس إماما ؟. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: شفقة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام على ذريته؛ حيث قال: «ومن ذريتي *، وهذا يشبه من بعض الوجـوه ما سأل موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ربـه ـ جـل وعـلا ـ أن يـشـرك أخاه هارون في الرسالة.

٤ـ ومـن فـوائـدها وأحكامهـا: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطى إبراهيم ما سأل؛ بأن يجعل من ذريته أئمة، لكنه استثنى من ذلك الظالم؛ فإنه لا يكون إماما.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل من كان أقـوم الله ـ تعـالى ـ بـا أمر به كان أحرى بالإمامة من غيره؛ وذلك لأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما كان إماما؛ لأنه أتم ما ابتلاه الله به؛ ولذلك قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فـإن كـانوا في القراءة سواء فـأعلمهم بالشئة، فـإن كانوا في الـشـة سـواء فأقـدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم ستا»(1).

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم (673).

6 ـ ومن فوئدها وأحكامها: كراهية الله ـ تعالى ـ للظلم؛ ولذلك لم
يجعل لظالم إمامة.

من
ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطايفين والعيكفين والركع السجود * * [البقرة: ١٢٥].
قوله: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » متعلق بمحذوف تقديره: واذكر إذ جعلنا؛ ومعنى جعلنا: صيرنا، والمراد بالبيت: بيت الله الحرام (الكعبة).

١٢٠

مثابة للناس ؛ أي: مرجعا يرجعون إليه ويثوبون إليه، وأمناء يأمنون به؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « أولم يروا أنا جعلنا خرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت: 67]، ثم أمر الله - سبحانه - وتعالى ـ أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى، ومقام إبراهيم ـ معروف ـ شرقي الكعبة المعظمة، وسُمي مقاما؛ لأنه قام عليه حين بناء الكعبة؛ لما ارتفع البناء وضع هذا الحجر، فصار يرتفع عليه؛ من أجل إتمام البناء، ومازال هذا المقام محفوظا إلى يومنا هذا.
وقوله: «مصلى »؛ أي: مكانا للصلاة، وقد فسّر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذلك بفعله حينا انتهى من الطواف ـ طواف القدوم ، فتقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: «واتخذوا من مقام إبراهيم

مصلى»، فصلى خلف المقام ركعتين، وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل؛ أي: عهد عهدا ألقاه إلى إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليها الصلاة والسلام

ـ وإسماعيل هو أكبر أولاد إبراهيم، وهو من سريته هاجر، وقد أبقاهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا المكان، أبقاهما؛ أي: أبقى إسماعيل وأمه في هذا المكان حتى شب، وكبر، وأتاه الأولاد الذين هم العرب المستعربة، فكان إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أبيه في هذا المكان، فأمره الله ـ عز وجل ـ أن يطهر بيته للطائفين، والعاكفين، والركع السجود؛ قال: «وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطايفين والعكفين والركع السجود ، وسيأتي ذكر بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة
المعظمة.

وقوله: «للطايفين » ؛ أي: الطائفين بهذا البيت والعكفين ؛ أي: في المسجد «والركع السجود »؛ أي: المصلين، وإنا بدأ بالطائفين؛ لأنهم أخص بهذا المكان؛ فإن الطواف لا يصح إلا في الكعبة، ولا يشرع إلا بالكعبة، ثم ثنى بالعاكفين؛ لأنهم أخص من المصلين ـ وإن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، فلا يكون في كل أرض، ثم ثلث بالركع السجود؛ أي: المصلين؛ لأن ذلك أعم؛ فإن الصلاة تصح في كل مكان من الأرض إلا ما استثني من ذلك؛ قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: «... وجعلت لي الأرض مسجدا

وطهورا»)، وذكر الركوع والسجود؛ لأنها ركنان من أركان الصلاة؛ قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ للرجل الذي صلى ولكنه لم يطمئن في صلاته: «...ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا»(٢).

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ أن الله ـ تعالى ـ جعل البيت مثابة للناس وأمنا؛ أي: مرجعا لهم وأمنا؛ ومن ذلك أنهم يترددون إليه في كل موسم حج، وفي غير موسم الحج؛ فأفئدة الناس تهوي إلى هذا المكان للحج، والعمرة، وغيرهما من الطاعات.

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن مكة بلد آمن، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... إنّ مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس؛ فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة...» (٣)؛ فلا يحل القتال في مكة لأحد إلا لرسول الله ﷺ حين الفتح فقط، فهي لم تحل لأحد قبله، ولن تحل لأحد بعده؛ ولهذا يحرم

القتال في مكة المكرمة إلا على سبيل الدفاع عن

(١) رواه البخاري: كتاب التيمم، باب وقول الله تعالى: « فلم تجدوا ماء فتيمموا »، حديث رقم (٣٣٥)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (بدون)، رقم (٥٢١). (٢) تقدم تخريجه ص (٣٨).
(٣) رواه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٤)؛ ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم قتلها وصيدها...، رقم (١٣٥٤).

النفس؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم ﴾ [البقرة: 191].

3ـ ومن فـوائـدها وأحكامهـا: الأمـر باتخـاذ مـصلى مـن مـقـام إبراهيم، وقد بينا أن النبي ﷺ بيـن ذلـك بـكـونـه صلى خـلـف المقـام ركعتين، وقرأ: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . *
واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في وجوب هاتين الركعتين؛ فمنهم من قال: إنها واجبتان؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمر بها، وبينها النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بفعله، والأصل في الأمر الوجوب. ومنهم من قال: إنها سنة؛ لأنها من توابع الطواف، والمشروع في هاتين الركعتين أن يخففها، وألا يمكث بعدهما عند المقام، وأن يقرأ فيها في الركعة الأولى بعد الفاتحة: * فل يتأيها الكفرون * وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة * قل هو الله أحد ، وبهذا نعرف أن ما يفعله بعض الناس من التطوع خلف المقام من غير طواف، أو التطوع بأكثر من ركعتين، أو إطالة الركعتين، أو الجلوس بعدهما في هذا المكان لقراءة القرآن، أو للذكر، أو للدعاء غير مشروع؛ لأن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحرص الناس على الخير بلا شك، ومع ذلك فقد صلى خلف المقام ركعتين خفيفتين ثم انصرف؛ ولأن هذا المكان يختص بالطائفين الذين يصلون ركعتين، فكون الإنسان يبقى فيه بدون سبب شرعي فيه شيء من الجناية على غيره، ولكن لو سألنا سائل: إذا كان

المطاف مزدحما، وكان الطائفون يطوفون من وراء مقام إبراهيم، فهل للإنسان الحق أن يصلي ركعتين بين الطائفين، فيعيق سيرهم ويؤذيهم أم ليس له الحق في ذلك؟
الجواب: أنه ليس له الحق في ذلك؛ لأن حق الطائفين أولى بالمراعاة من حق المصلي؛ إذ إن المصلي يمكنه أن يصلي بعيدا عن مكان الطواف، فيصلي ركعتين، ويجعل المقام بينه وبين البيت، ولو كان في آخر صحن المطاف، بل ولو كان تحت السقف، لكن الطائف ليس له إلا هذا المكان، وبهذا نعرف خطأ من يفعلون هذا الفعل، تجدهم يصلون خلف المقام مع ازدحام المطاف، واحتياج الناس إلى الطواف، فمثل هؤلاء لا حق لهم في هذا المكان ما دام الطائفون محتاجين إليه. 4- ومن فوائدها وأحكامها: تعلية شأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ حيث أمرنا الله ـ تعالى ـ أن نتخذ مقامه مصلى، وهذا
من جملة ما يترتب على الإمامة التي قال الله ـ تعالى ـ فيها: * إني جاعلك للناس إماما * .
من

هـ ومن فوائدها وأحكامها: عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل ـ أي: وصى إليها ـ وأمرهما بأن يطهرا بيته للطائفين، والعاكفين، والرئع
السجود.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة إبراهيم وإسماعيل؛ حيث أوكل إليها هذا الأمر العظيم.

- ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الطواف؛ لقوله: «طهرا بيتي للطايفين»، ولا شك أن الطواف من الأعمال الجليلة الفاضلة؛ ولهذا كان ركنا في الحج والعمرة؛ فلا يتم حج الإنسان ولا عمرته إلا أن يطوف بالبيت.

ج
٨- ومن فوائدها وأحكامها: وجوب تطهير البيت للطائفين، والعاكفين، والركع السجود، وتطهير البيت ينقسم إلى قسمين: تطهير معنوي، وتطهير حسي؛ أما التطهير المعنوي: فأن يطهر من الشرك والمعاصي؛ وذلك لأن الشرك نجاسة؛ كا قال الله ـ تبارك وتعالى -: يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ فلا يجوز أن يركن أحد في هذا البيت إلى الإشراك بالله - عز وجل ـ؛ وهو أن يدعو نبيا، أو

وليا، أو ملكا، أو غيره من دون الله - عز وجل -؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ ولهذا قال الله ـ تعالى : ﴿ يأيها الذين امنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ [التوبة: ٢٨]، فنهى أن يقربوا المسجد الحرام فضلا عن أن يكونوا في البيت الحرام. والطهارة الحسية: أن يطهر من الأقذار؛ من البول، والغائط، والدم، وما أشبه ذلك من الأشياء النجسة؛ فالواجب أن يطهر منها، فهذا الحكم ـ أعني التطهير من النجاسة الحسية ـ ثابت للمسجد الحرام ولغيره من المساجد؛ ولهذا لما بال الأعرابي في مسجد النبي ﷺ في المدينة أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن المشروع للطائف أن يكون متطهرا؛ لأنه إذا أمر بتطهير البيت من أجله فتطهيره بنفسه، وتطهير ما لبسه من الثياب من باب أولى؛ فالمشروع للطائف أن يكون طاهرا من الأنجاس، كما أن المشروع له أن يكون طاهرا من الأحداث؛ فلا يطوف وهو محدث حدثا أصغر أو أكبر؛ ولهذا اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ على قولين في هذه المسألة: لو طاف وعليه حدث أصغر؛ هل يصح طوافه أم لا؟ اختار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن طوافه صحيح، وقال أكثر أهل العلم: إن طوافه غير صحيح.

١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الاعتكاف؛ حيث أمر أن يطهر البيت من أجل العاكفين.

١١ـ ومن فوائدها وأحكامها: مشروعية الاعتكاف في المسجد الحرام؛ لقوله: «أن طهرا بيتي للطايفين والتكفين »، وهذا أمر لا إشكال فيه، وقد قال عمر: «يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «فأوف بنذرك» (١).

١٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الركوع والسجود؛ حيث عبر بها عن الصلاة كاملة؛ قال أهل العلم: وإذا عبر الله عن العبادة ببعضها دل على وجوب هذا البعض فيها، وقد بينا أن الركوع

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم، رقم (٢٠٤٣)؛ ومسلم: كتاب الأيمان، باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم، رقم (١٦٥٦).

والسجود من أركان الصلاة، وحد الركوع أن ينحني القائم، أن يحني ظهره بحيث يكون إلى الركوع التام أقرب منه إلى القيام التام، وقيل حده أن ينحني بحيث يمكنه مس ركبتيه إذا كان معتدل اليدين لا طويلها ولا قصيرهما، وأما السجود فقد بين النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه لابد من السجود على أعضاء سبعة؛ فقال: «أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم: الجبهة ـ وأشار بيده على أنفه ـ واليدين، والرجلين، وأطراف القدمين...» (١).

١٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن تطهير المساجد من فروض الكفاية؛ لقوله: «أن طهرا بيتي للطايفين»؛ فوجه الأمر إليها، وإن كانت هذه الفائدة، أو هذا الحكم قد يكون مأخذه من

هـذه الآيـة الكريمة ضعيفا، لكنه يؤخذ ـ أي: وجوب تطهير المساجد مـن الأذى والقذر ـ من أمر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الـصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يريقوا على بول الأعرابي الذي بال في المسجد ذنوبا مـن ماء؛ أي: دلوا من ماء؛ فإن هذا يدل على الوجوب، وعلى أنـه وجـوب كفائي؛ وعلى هذا فإذا رأيت في المسجد قذرا فأزلـه إن أمكنـك، فـإن لم يمكنك وجب عليك أن تبلغ من عليه تطهيره.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب السجود على سبعة أعظم، حديث رقم (٨١٠)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود...، رقم (٤٩٠)، واللفظ له.

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - تعالى -: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا وأرزق أهله، من الثمرات من ءامن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعة قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . قوله ـ تعالى ـ: «وإذ قال إبراهيم متعلق بمحذوف ـ كسابقيه ـ والتقدير: «واذكر إذه قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا ءامنا ؛ ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ أن يذكر الناس ويبلغهم ما قالـه إبـراهيم ـ عـلـيـه الـصلاة والسلام ـ مـن الدعاء للبيت الحرام وأهله؛ حيث قال: «رب اجعل هذا بلدا ءامنا ؛ أي: آمنا من كل خوف، «وأرزق أهله، من الثمرات »؛ أي: أعطهم من

In

الثمرات؛ أي: ثمرات الأشجار من النخيل، والأعناب، وغيرها. وإنها سأل إبراهيم ذلك؛ لأن مكة بلد غير ذي زرع، فسأل إبراهيم ربه أن يرزقهم من الثمرات؛ فأجاب الله دعاءه؛ كما بينه - سبحانه وتعالى ـ بقوله: « أولم يروا أنا جعلنا حزما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم * [العنكبوت: 67]، وقال في آية أخرى: « تجبى إليه ثمرث كل شيء رزقا من لدنا ﴾ [القصص: 57]، ولكن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قيد ذلك بقوله: «من ءامن منهم بالله واليوم الأخرة وهذا من تمام أدبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أنه سأل الله أن يرزق أهل هذا البيت من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ وذلك تأدبا من قوله - تعالى -: «لا ينال عهدي الظلمين »؛ حيث قال في الأول حين

قال الله له: «إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين، فأطلق إبراهيم بسؤال الإمامة، ولكن الله قيدها بأنها خاصة بمن ليس بظالم، فهنا قال إبراهيم: «من ءامن منهم بالله واليوم الأخر ، ولكن الله ـ عز وجل ـ بين أن رزقه لأهل هذا البيت يشمل؛ قال ـ تعالى ـ: «ومن كفر ؛ يعني: وأعطي من كفر من الخيرات التي تجبى لهذا البلد ـ أعني: مكة ـ أما من كفر: «فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصيره؛ أمتعه في هذه الدنيا بها أعطيه من الثمرات والخيرات، لكنه متاع قليل؛ إذ إن الدنيا كلها فانية تمضي لحظة فلحظة، ولا يدري الإنسان إلا وقد بلغ الأجل، وحل به الموت؛ فهي - مها طالت بالإنسان ـ قليلة، ثم إن الدنيا إذا طالت بالإنسان، وأمد له في الأجل؛ فإنه يرجع إلى أرذل العمر، وقد قال الشاعر : لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بـاذكـار الـمـوت والهـرم قال - تعالى -: «فأمتعة قليلا ثم أضطره إلى عذاب النّار »؛ يعني: أمتعه قليلا ثم أدفعه مضطرا إلى عذاب النار يوم القيامة؛ كما قال الله ـ تعالى -: ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ﴾ [الطور: 13]؛ فهم ـ والعياذ بالله ـ يدفعون دفعا، وكأنهم إذا شاهدوا النار كأنهم يتلكئون ولا ينطلقون؛ فيدعون إلى نار جهنم دعا، ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير هذا قدح وثناء بالشر على مصير أهل النار ـ نسأل الله العافية.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

١- نصح إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ للبلد مكة؛ حيث قال : رب اجعل هذا بلدا ءامنا *، وقد استجاب الله دعوته؛ قال الله - تعالى -: « والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين » التين: ١-3]، وقال ـ تعالى ـ: « أولم يروا أنا جعلنا حرما ءامنا ويتخطف الناس من حولهم * [العنكبوت: 67]، وقال - تعالى -: ﴿ وإذ جعلنا البيت كيا
مثابة للناس وأمنا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أنّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - سأل الله ـ تعالى ـ أن يرزق أهله من الثمرات، من آمن منهم بالله واليوم الآخر، فسأل شيئين: الأمن، ورغد العيش؛ فأجاب الله دعوته أيضا؛ فكانت مكة ـ وإن لم تكن بلدا زراعيا ـ تُجبى إليها ثمرات كل شيء من كل قطر؛ فأهلها آمنون، وبالعيش راغدون؛ فكان يجب عليهم من طاعة الله أكثر مما يجب على غيرهم؛ شكرا الله ـ تعالى ـ على هذه النعمة. 3- ومن فوائدها وأحكامها: حسن

أدب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ لقوله: «من ، امن منهم بالله واليوم الآخر ؟ . 4- ومن فوائدها وأحكامها: أن الإيمان بالله واليوم الآخر من أسباب الرزق والأمن، وكلما كان الإنسان أقوى إيمانا بالله واليوم الآخر كان أكثر أمنا؛ قال الله - تعالى -: * الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمنتهم يظلم أولئيك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام: ٨٢].

من

هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله ـ تعالى ـ قد يعطي السائل أكثر مما سأل؛ لحكمة تقتضي ذلك؛ فإبراهيم سأل أن يرزق الله أهله الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، ولكن الله قال: «ومن وهنا قد يرد إشكال: هل قوله: «ومن كفر * يقتضي إقرار الكافر على كفره في مكة أم لا؟ والجواب: لا يقتضي ذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: « يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون تجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة: ٢٨].

µ

6ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الرزق للكافر؛ فالكافر رزقه من الله ـ عز وجل، ولكنه مسئول عن هذا الرزق يوم القيامة، محاسب عليه؛ قال الله ـ تعالى ـ: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبنت من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: (ليس على الذين امنوا وعملوا الصلحت جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وءامنوا وعملوا الصلحت ثم اتقوا وءامنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ [المائدة: 93]؛ فالكافر ـ وإن نعم برزق الله ـ محاسب على هذا الرزق يوم القيامة.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الدنيا ـ وإن طالت ـ متاعها قليل؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «فأمتعه قليلا ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه

قال: «وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها»(1). ٨ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل النار يضطرون إلى دخولها اضطرارا، ويدفعون إليها دفعا؛ لقوله: «ثم

أضطره إلى عذاب النار ؟. 9ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات النار، وأنها جـزاء للكـافرين؛ لقوله: «ثم أضطره إلى عذاب النار ؟. ١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: الثناء بالشر على النـار ومـن كـانـت مصيرا له؛ لقولـه ـ تعالى : (وبئس المصير، نسأل الله ـ تعـالى ـ أن يجيرنا وإياكم من النار، وأن يدخلنا الجنة دار القرار؛ إنه جواد كريم.

أحكام من القرآن الكريم

*

(١) سبق تخريجه ص (٢٧٦).

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة: ١٢٧] - إبراهيم هو خليل الرحمن - عليه الصلاة والسلام ـ، وهو أبو الأنبياء بعد نوح ـ عليها الصلاة والسلام ؛ قال الله ـ تبارك وتعالى - (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب » [الحديد: ٢٦]، أما ابنه إسماعيل فهو أبو العرب، ومن سلالته خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ، والقواعد أساس ،
البنيان * من البيت البيت هنا هو الكعبة، رفعا القواعد وهما يقولان:

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليمه؛ لأن العمل إذا لم يقبل صار
تعبا وضياعا.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ فضل إبراهيم وإسماعيل؛ حيث رفعا قواعد هذا البيت الذي أضافه الله ـ تعالى ـ إلى نفسه في قوله: «أن طهرا بيتي للطايفين والتكفين والركع السجود﴾ [البقرة: ١٢٥].
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: تواضع الأنبياء لشريعة الله ـ عز وجل

، وتعظيمهم لحرماته؛ حيث بني إبراهيم وابنه إسماعيل هـذا البيـت؛ تواضعا الله ـ عز وجل ـ وتعظيها لحرماته.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل أحد مها عظمت درجته وعلت منزلته مفتقر إلى ربه، وإلى قبوله ـ جل وعلا ـ؛ لقول إبراهيم: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليمه .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: طرد العجب من النفس، فلا يقول الإنسان: أنا عملت، أنا فعلت، أنا قلت، بل يعمل العمل، وهو مفتقر إلى ربه ـ عز وجل ـ في قبوله.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الشأن ـ كل الشأن ـ في قبول العمل، لا في نفس العمل، وإذا كان كذلك؛ فإنه ينبني على هذا أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على ما يكون به القبول؛ وهو الإخلاص لله ـ عز وجل ـ، والمتابعة لشريعته؛ لقوله ـ تعالى ـ: (فمن كان يرجوا لقاء

ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف: ١١٠]. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها وجوب الإيان بهذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «السميع» ﷺ «العليم»؛ السميع لكل مسموع مها خفي، والعليم بكل معلوم مها تباعد . ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات صفتي السمع والعلم الله ـ عز وجل. ؛ لأن السميع والعليم اسان مشتقان من السمع والعلم؛ فلابد أن يتضمنا هذه الصفة، ولا نقول ـ كما قال أهل البدع -: إنه سميع بلا سمع، وعليم بلا علم، وسمع الله - سبحانه وتعالى ـ ينقسم إلى قسمين: سمع بمعنى الإجابة، وسمع بمعنى إدراك الصوت وإن خفي؛ فمن الأول قوله ـ تعالى ـ عن إبراهيم: «إن زنى لسميع الدعاء [إبراهيم: 39]؛ أي: لمجيب الدعاء، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده؛ أي: استجاب لمن حمده؛ ومن الثاني ـ أي: إدراك الصوت ـ قوله ـ تعالى -: « قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ [المجادلة: 1].
أما في هذه الآية في قوله: «إنك أنت السميع العليم». فتحتمل المعنيين جميعا؛ أي: تحتمل سمع الصوت، وسمع الإجابة، هذا وقد قسّم العلماء
الصوت ـ بحسب ما يقتضيه السياق ـ إلى عام وخاص؛ فالعام: هو الذي يتضمنه هذا الاسم الكريم في القرآن أو في غيره، ومقتضاه إدراك كل صوت مها خفي؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية:
سمع

ه قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله؟ الآية [المجادلة:1]، قالت عائشة: «الحمد لله الذي وسـع سمعـه معـه الأصـوات؛
لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول»(1).

ہے
وأما السمع الخاص فمقتضاه: النصر والتأييد؛ مثل قوله ـ تعالى ـ لموسى وهارون: « لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه: ٤٦]. أما العليم فهو ـ كما أسلفنا ـ متضمن لصفة العلم، وعلم الله سبحانه وتعالى ـ أزلي أبدي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان؛ قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفرعون حين سأله: « فما بال القرون الأولى « قال علمها عند رتى في كتب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ [طه : ٥١، ٥٢]، والله ـ عز وجل ـ واسع العلم، عليم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبدا، فلم يسبق علمه جهل، ولا يلحقه نسيان ـ سبحانه وتعالى ، وقد جاء ذكر العلم جملة وتفصيلا؛ فمن التفصيل قوله ـ تعالى ـ: « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتب مبين * [الأنعام: 59].
ع

(١) انظر : فتح الباري (١٣/ ٤٦٠)؛ ومسند الإمام أحمد (6/ ٤٦)؛ وسنن النسائي: كتاب الطلاق، باب الظهار، رقم (٣٤٦٠)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيها أنكرت الجهمية، رقم

(١٨٨).

ولكن ما الذي نستفيده من هذين الاسمين الكـريمين: السميع،
والعليم؟
نستفيد من الناحية المسلكية فائدة؛ وهي أن نحذر من أن نتكلم بـا لا يرضي الله؛ لأننا إن تكلمنا سمعه الله ـ عز وجل ، ونحـذر مـن أن نضمر في نفوسنا أو نعمل بجوارحنا ما لا يرضي الله - سبحانه وتعالى - عنا؛ لأنه سوف يعلمه، ثم ينبئنا با عملنا يوم القيامة.

ثم يقول الله ـ عز وجل ـ في ذكر ما قاله إبراهيم وإسماعيل ـ عليها الصلاة والسلام ـ وهما يرفعان القواعد من البيت ـ: * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ [البقرة: ١٢٨]

قوله: «ربنا واجعلنا مسلمين لك»؛ أي: منقادين لأمرك على وجه الإخلاص لك؛ لأن الإسلام الله يتضمن الإخلاص له والانقياد لأمـره ـ جل وعلا .

ومن ذريتنا»؛ يعني: واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك، وهـي أمة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأنهـا هـي الأمـة التي يـصـدق عليها أنها من ذرية إبراهيم وإسماعيل، أما بنو إسرائيل فهـم مـن ذريـة

ITA

إبراهيم؛ فهم ليسوا من ذرية إسماعيل، بل هم بنو عمهم. وأرنا مناسكنا»؛ أي: مواضع نسكنا، ألهمنا إياها حتى نراها.

ع

وثب علينا إنك أنت التواب الرحيمة؛ ومعنى التوبة من الله على عباده: أن يوفقهم للتوبة أولا، ثم لقبولها ثانيا، والتوبة في الأصل: الرجوع إلى الله - عز وجل -، «إنك أنت التواب الرحيم»؛ التواب: كثير التوبة على عباده مها عظمت ذنوبهم؛ لقوله ـ تبارك وتعالى -: و قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر: 53]، فقد نزلت هذه الآية في التائبين؛ والتوبة من الذنوب ـ مها عظمت الذنوب ـ تهدم ما قبلها؛ لقول النبي ﷺ: «التوبة تهدم ما قبلها»، أو قال «تجب ما قبلها». والتوبة تكون من أعظم الذنوب في حق الله وفي حق العباد، وتقبل؛ قال الله ـ تعالى ـ: « والذين لا يدعون مع الله إليها ءاخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ت يضعف له العذاب يوم القيمة وتخلد فيه، مهانا ت إلا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فأولتيك يبدل الله سيئاتهم حسنت وكان الله غفورا رحيما (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا* [الفرقان: 68 - 71]، والرحيم ذو الرحمة التي بها حصول النعم واندفاع

النقم.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا۔ أن كل أحد محتاج إلى ربه ۔ عز وجل ۔ بل مضطر إليه في أن يوفقه للاستسلام له ظاهرا وباطنًا؛ لقول إبراهيم ۔ عليه الصلاة

والسلام ۔ وابنه إسماعيل: «ربنا واجعلنا مسلمين لك؟. ٢۔ ومن فوائدها وأحكامها: أن الداعي إذا استمع إليه من يؤمن على دعائه؛ فإن الدعاء يكون لها جميعا؛ لأن الظاهر أن الذي يدعو إبراهيم، وإسماعيل يؤمن، والمستمع المؤمن مع الداعي كالداعي تماما؛ ودليل ذلك قوله ۔ تعالى ۔: « وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس

مع
على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - قال قد أجيبت دعوتكما فأستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون» [يونس: ٨٨-٨٩]، فقال ۔ تعالى ۔: «قد أجيبت دعوتكما؟ أن الداعي موسى، قال العلماء: لأن موسى يدعو وهارون يؤمن. 3۔ ومن فوائدها وأحكامها: فضل إبراهيم وإسماعيل على هذه الأمة؛ لقوله: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك؟.

٨٨

٤۔ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله له عقبا صالحا؛ لقوله: «ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »، وهذا كقول إبراهيم: « رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء *
٤

[إبراهيم: 40].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل إنسان مهما عظمت درجته وعلت مرتبته مفتقر إلى علم الله له؛ لقوله: «وأرنا مناسكنا» . 6۔ ومن فوائدها وأحكامها: أهمية معرفة موضع العبادة إذا كانت

العبادة مقيدة بمكان معين، وكذلك أهمية معرفة وقت العبادة إذا كانت مقيدة بوقت معيّن؛ وينبني على هذا أنه ينبغي أن نعتني بمعرفة أوقات الصلوات الخمس حتى نؤديها في الوقت الذي حدده الله - عز وجل - لعباده؛ لقوله: « إن الصلوة كانت على المؤمنين كتبا موقوتا * [النساء: 103]؛ ومن ثم أحذر إخواننا المؤذنين من أن يؤذنوا قبل دخول وقت الصلاة، أولا: لأن الأذان إعلام بدخول وقت الصلاة، والأذان قبل دخول وقتها لا يصح أن يكون إعلاما بدخول الوقت، وثانيا: أنهم إذا أذنوا فربا يتعجل أحد في البيوت من النساء أو من الرجال الذين لا تلزمهم صلاة الجماعة لعذر شرعي، فيصلون فور انتهاء المؤذن من أذانه، وتكون صلاتهم قبل دخول الوقت، ومن المعلوم أن الإنسان لو كبر تكبيرة الإحرام قبل دخول الوقت، ثم أتم الصلاة بعد دخوله؛ فإن صلاته لا تصح؛ يعني: لو تقدمت الصلاة بتكبيرة الإحرام فقط قبل دخول الوقت؛ فإنها لا تصح.
ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل إنسان مها علت منزلته وارتفعت درجته مفتقر إلى توبة الله ـ عز وجل ـ عليه؛ لقول إبراهيم: وتب علينا ، وقد من الله - سبحانه وتعالى ـ على نبيه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بتوبته عليه؛ فقال: « لقد تاب الله على النبي والمهجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العشرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ [التوبة: 117].

والتوبة هي الرجوع إلى الله ـ عز وجل ـ مـن معـصيته إلى طاعتـه،
ولابد فيها من شروط خمسة:
الأول: الإخلاص لله بألا يحمله على التوبة إلا رضا الله ـ عز وجل وابتغاء ثوابه؛ فلا يحمله عليها خوف من سلطان أو من أناس.

والثاني: الندم على ما فعل من المعصية. والثالث: الإقلاع عن المعصية في الحال.
والرابـع : العزم على ألا يعود في المستقبل. والخامس: أن تكون التوبة قبل إغلاق زمن التوبة؛ وعلى هذا فلا تصح التوبة إذا حضر الأجل؛ لقوله - تعالى -: ﴿ وليست الثوبه للذين يعملون

السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت الن * [النساء: 18]، ولا تصح التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها؛ لقوله ـ تعالى ـ: « يوم يأتى بعض ءايت ربك لا ينفع نفسا إيمئنها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمينها خيرا ﴾ [الأنعام: ١٥٨].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: التوسل إلى الله ـ تعالى ـ بأسمائه عند الدعاء؛ لقوله ـ تعالى ـ: « هل ينظرون إلا أن تأتيهم المليكه أو يأتي ريك أو يأتى بعض ،ايت ربك يوم يأتى بعض ،ايت ربك لا ينفع نفسا إيمننها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهنا قال: «وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم»، وينبغي أن يكون التوسل بالاسم المناسب لما دعوت به؛ فإذا دعوت للتوبة فتوسل إلى

الله باسمه «التواب»، وإذا دعوت للمغفرة فتوسل إلى الله باسمه «الغفور»، وإذا دعوت لطلب الرزق فتوسل باسمه «الرزاق»، وما أشبه ذلك.

٩ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «التواب» و«الرحيم»؛ أما التواب فهو الذي يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، وهو الذي يوفق من يشاء إلى
التوبة؛ فيتوب؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [التوبة: 118]، وأما الرحيم فهو ذو الرحمة العظيمة الواسعة؛ قال الله - تعالى -: * ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف: 156]، وقال عن الملائكة وهم يدعون: « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ [غافر: 7].
وقد قسّم العلماء ـ رحمهم الله ـ رحمة الله - عز وجل ـ إلى قسمين: رحمة مخلوقة، ورحمة هي صفته، ومثلوا للرحمة المخلوقة بقوله ـ تعـالى - في الحديث القدسي ـ للجنة: «أنت رحمتي أرحـم بـك مـن أشـاء مـن عبادي»، وأطلق عليها اسم رحمته؛ لأنها محل رحمته؛ ولأنها مقر عبـاد الرحمن، وسكن الرحماء من عباد الله.
والقسم الثاني: رحمة هي صفته ـ جل وعلا ـ وهي غير مخلوقة؛ فإن

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: (وتقول هل من مزيد»، رقم (٤٨٥٠)؛ ومسلم: كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٤٦).

= 466

أحكام من القرآن الكريم

جميع
صفات الله غير مخلوقة؛ فإن الله ـ تعالى ـ بصفاته هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وهذه تنقسم إلى قسمين: رحمة عامة تشمل جميع الخلق من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، وعاقل وبهيم، ورحمة خاصة بعباد الله المؤمنين؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب: 43]، ومقتضى الرحمة العامة إيجاد ما به تقوم مصالح المرحومين، وتندفع مضارهم، وأما مقتضى الرحمة الخاصة فهو توفيق هؤلاء، وتسديد أمورهم، وإصلاح أحوالهم على وجه أخص مما تقتضيه الرحمة العامة.

ثم قال الله - تعالى -: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءايتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [البقرة: ١٢٩] .

159

قوله: «رَبَّنا وابعث فيهم رسولا منهم » «فيهم »؛ أي: في الذرية، وأعاد الضمير إليها بالجمع؛ لأن معناها الجمع، والبعث، والإرسال بمعنى واحد؛ قال الله ـ تعالى ـ: « لقد أرسلنا رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال الله ـ تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينت بغيا بينهم
ع

سورة البقـرة

467

فهدى الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقوله ـ تعالى ـ: «رسولًا منهم * هـو محـمـد ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم -؛ لأنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وليس في ذرية إسماعيل نبي سوى محمد ﷺ

يتلوا عليهم اينيك؛ يقرؤها عليهم حتى يفهموها عليها، وفهـا، وعملا؛ ولهذا قال: «ويعلمهم الكتب والحكمة »؛ الكتاب الـذي هـو القرآن، والحكمة التي هي السنة وما تتضمنه أحكام القرآن والسنة من الحكم والأسرار، «ويزكيهم»؛ ينمي أخلاقهم وأعالهـم؛ ولهـذا كـان النبي ـ عـليـه الـصلاة والسلام ـ مـتمها لمكارم الأخلاق؛ «إنك أنت العزيز الحكيم الجملة ـ هنا ـ جملة توسلية؛ توسل بها إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام ـ لقبول ما دعا به وتحقيقه، و«العزيز) يعني: ذا العزة الكاملة؛ وهي عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع؛ فـالله ـ سـبحانه وتعالى ـ له هذه الأنواع من العـزة؛ فهـو ذو قـدر عـظـيـم، وقـهـر بـالغ وامتناع عن كل سوء وعيب، وأما الحكـيم فـهـو ذو الحكمة والحكـم؛ أي: أن الحكيم من الإحكام، وهو الإتقان، ومن الحكم.
-

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ حاجة البشـر إلى الرسـل؛ ولهـذا دعـا إبـراهيم ـ عـليـه الـصلاة والسلام ـ أن يبعث في هذه الذريـة رسـولا مـنهم؛ يتلـو عـلـيـهـم آياتـه ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، وهذا أمر معلوم بالضرورة؛ فإن

العقول مهما كبرت لا يمكن أن تستقل بمعرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل، ولا يمكـن أن تتعبـد الله ـ تعالى ـ إلا با شرعه لعباده؛ فهم في أشد الضرورة إلى الرسـل. ،
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هذا الرسول - صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ يتلو عليهم آيات الله، وقد حصل مـا دعـا بـه إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام -؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وآلـه وسـلـم ـ كـان يعلـم أصحابه القـرآن الكـريـم، ولا يتجـاوزون عـشـر آيات حتـى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، ثم ألقوا هذا القـرآن الكـريـم إلى من بعدهم بكل ثقة وأمانة، وهكذا تداوله المسلمون إلى يومنـا هـذا . ولله الحمد ـ، ولم يجرؤ أحد على العدوان على هذا القرآن الكـريـم، وإذا اعتدى وجد ـ ولله الحمد ـ من يصده ويرده على عقبه.
3.. ومن فوائدها وأحكامها: أن ما جاء به الرسول ﷺ آيات؛ أي: علامات دالة دلالة قطعية على أنه نزل من عند الله ـ عز وجل ـ، وعـلى أنه شرع الله .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة العلم، وأن رسـول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ علم

أمته الكتاب والحكمة؛ ولهـذا لم يـدع النبـي شيئا يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم إلا علمهم إياه؛ قـال أبـو ذر ـ رضي الله عنه ـ: «لقد توفي رسـول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه

إلا ذكر لنا منه علا»(1).
5- ومن فوائدها وأحكامهـا: أن هـذه الـشريعة جـاءت بالحكمـة المطابقة للمصالح؛ ولهذا كانت مبنية على جلب المصالح، ودرء المفاسد. 6- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات القياس في الشريعة الإسلامية إذا كان قياسًا صحيحًا؛ ووجه ذلك أن إلحاق النظير بنظيره في الحكـم من الحكمة؛ فيكون داخلا فيها علمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أمته، ودلائل هذا كثيرة؛ فكل مثل ضربه الله في القرآن فإنـه دلـيـل عـلى ثبوت القياس، وكذلك كل مثـل ضربـه النبي ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ فإنه دليل على ثبوت القياس، وقد كان النبي ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ يذكر المحسوس ليقاس عليه المعقـول؛ فـعـن أبي هريرة - رضي الله عنه ـ: «أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسـول الله، ولـدلي غلام أسود، فقال: «هل لك من إبل؟»، قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟ » قال: خمر، قال: «هـل فيـهـا مـن أورق؟))، قال: نعم، قال: «فأنى ذلك؟»، قال: لعل نزعه عرق، قال: «فلعل ابنك هذا نزعه ٣٨)؛ فـاقتنع الرجل اقتناعا كاملا؛ لأن إلحاق النظير بنظيره من الحكمة، لكـن أكـثـر

(١) تقدم تخريجه ص (٢٦).
(٢)الأورق: ما لونه بين السـواد والبياض.
(٣) رواه البخاري: كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم (٥٣٠٥)؛ ومسلم: كتاب اللعان، رقم (١٥٠٠).

ما يحصل في القياس أنه لا يكون صحيحا؛ حيث يقيس القـائس شـيئا على ما لا يماثله؛ وحينئذ يحصل الخطأ، وتكثر مجانبة الصواب . ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن نبينا ﷺ بعث ليتمم لأمته المكارم، وينمي فيها الفضائل؛ لقوله: «ويزكيهم»، وربما تشمل التزكية التعديل الذي هو ضد

الفسق، وذلك أن من تمسك بهذه الشريعة؛ فإنه يكون عدلا مقبولا.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات التوسل إلى الله ـ تعالى - بأسمائه، ودعاؤه بها؛ لقوله: «إنك أنت العزيز الحكيم. ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما: «العزيز» و«الحكيم».
١٠ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات العزة، والحكمة، والحكم الله؛ فأما العزة فقد سبق الإشارة إلى أنها ثلاثة أنواع: عزة قدر؛ وهي أن الله ـ تعالى ـ ذو قدر عظيم لا يماثله شيء في قدره، وعزة قهر وغلبة؛ وهي أنه ـ سبحانه وتعالى ـ قاهر لكل شيء، غالب على كل شيء، وعزة امتناع؛ وهي أن الله ـ تعالى ـ يمتنع عن كل نقص وعيب؛ قال الله تبارك وتعالى -: ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون: ٨]. ١١ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الحكمة الله؛ والحكمة هي

وضع الشيء في موضعه اللائق به، ثم هي نوعان: حكمة في جعل الشيء على صفة معينة، وحكمة في الغاية من هذا

الشيء، وتكون في الشرع، وتكون في القدر؛ ولنضرب لهذا مثلا بالقمر؛ القمر وضعه الله ـ تعالى ـ في الساء، وجعله مقدرا بمنازل، وهذا التقدير يختلف به حجم القمر؛ أي: الحجم المضيء من القمر؛ فكونه على هذه الصفة المعينة يزداد حجم المضيء فيه رويدا رويدا حتى ينتهي، ثم يعود في النقص، هذه حكمة بلا شك؛ لأن الإنسان بمجرد أن ينظر إليه، فيجد ضوءه ناقصا يعرف أنه في الربع الأول من الشهر مثلا، وإذا وجده ممتلئا عرف أنه في الأخير من الربع الثاني ـ هكذا ـ، ثم إن الغاية منه هو أن نعرف عدد السنين والحساب، فكان هذا حكمة في كون القمر على صفة معينة وفي غاية تقديره منازل؛ لنعلم ـ بذلك ـ عدد السنين والحساب.

كذلك أيضا في الصلاة ـ وهي شرعية ـ نجد أن كونها على هذه الصفة المعينة في غاية الحكمة؛ قيام الله - عز وجل ـ وتقرب إليه بتلاوة كتابه، ومناجاته به، ثم ركوع يفيد قوة التعظيم الله ـ عز وجل ـ، ثم قيام بعده حتى يخر الإنسان ساجدا له ـ عز وجل ـ من أعلى انتصاب له إلى أسفل انخفاض له؛ حيث يضع أعلى ما في بدنه، وأشرف ما في بدنه وهو الوجه على الأرض

التي هي موطئ الأقدام وأسفل ما يكون إلى الجسم؛ تواضعا الله ـ عز وجل ـ وتعظيها له؛ ولهذا كان العبد إذا سجد أقرب ما يكون من ربه، ثم قعود بعد ذلك وهكذا؛ فكون الصلاة على هذه الصفة في غاية الحكمة، ثم الثمرات المرجوة من هذه الصلاة أيضا

حكمة عظيمة وهي حكمة الغاية؛ وحكمة الغاية من الصلاة هي سعادة الدنيا والآخرة؛ قال الله - تبارك وتعالى ـ في نفع الصلاة في الأمور الكونية والقدرية: « واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾ [البقرة: 45]. وفي نفع الصلاة في الأمور الشرعية قال: « إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فأنت ترى أن حكمة الله ـ عز وجل ـ كائنة في الأمور في صفتها التي هي عليها، ثم في الغاية منها. ١٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الحكم الله، وأن الحكم الله وحده، أما كونا؛ فإنه لا مشارك له في حكمه، ولا يمكن لأحد أن يشارك الله في حكمه؛ فلا يمكن لأحد أن يمنع الموت إذا حضر، ولا يمكن لأحد أن يخلق شيئا مها ضعف؛ يقول الله ـ عز وجل -: « ينأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له: إن الذين تدعون من دون الله لن تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له" وإن يسلهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [الحج: 73].
فحكم الله الكوني لا يمكن لأحد مخالفته، ولا مضادته، ولا معارضته؛ ولهذا نجد أن الفيضانات العظيمة والعواصف المدمرة، والصواعق المحرقة تنزل على أعظم دولة وأقواها صناعة، واقتصادا،
وسلاحا، وتدمر ما شاء الله أن تدمره، ولا يملكون ردها. أما الحكم الشرعي: فإنه قد يغير وقد يبذل، لكن تغييره وتبديله اعتداء على حكم الله ـ عز وجل -، يلقى جزاءه من بدل أو غير، ولكن

مع ذلك لو بدل أو غير فإنه باقي، ولا سيما شريعة الإسلام التي بعث بها محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأنها مكتوب لها البقاء إلى يوم القيامة؛ ولهذا يحاول المبطلون المعتدون الملحدون أن ينالوا من هذه الشريعة، ولكن يقيض الله لها من يكبح جماحهم، ويرد عدوانهم؛ إذن الحكيم من الحكم ومن الحكمة، والحكمة حكمة الشيء على الوصف

الذي هو عليه، وحكمة الشيء في الغاية والثمرة المرجوة منه، والحكم كوني وقدري؛ وعلى هذا فيكون الحكم الكوني له حكمتان: حكمة وصف، وحكمة غاية، والحكم الشرعي له حكمتان: حكمة وصف وحكمة غاية.

١٣- ومن فوائدها وأحكامها: الفائدة المسلكية العظيمة؛ وهي أن الإنسان إذا علم أن الله هو العزيز؛ فإنه لن يستمد العزة إلا من عنده ـ عز وجل ـ، والعزة المستمدة من عند الله تكون بأمرين: إذا استقام على دينه، وبدعائه وسؤاله العزة؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ ولله العزة ولرسوله، وللمؤمنين ولكن المتفقين لا يعلمون ﴾ [المنافقون: 8]، وقال - تعالى -: (قل اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير اي تولج اليل في النهار وتولج النهار في اليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧]

١٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: الفائدة المسلكية في أن الإنسان يرضى با قدره الله عليه، وبها شرعه له؛ لأنه يعلم أنه مبني على الحكمة، فإذا علمت أن ما قدره الله عليك صادر عن حكمة؛ فإنك سوف تقتنع؛ لأنك تعلم أن الله أعلم بمصالحك، وكذلك إذا علمت أن شريعة الله مبنية على الحكمة؛ فإنك تنقاد لها، وترضى بهذه الشريعة، وتعلم أنها حق، وأن مخالفتها هو السفه والباطل. ١٥ـ ومن فوائدها وأحكامها: الفائدة المسلكية أيضا في أنك إذا علمت أن الحكم الله ـ تعالى ـ كونا وشرعا؛ فإنك لن تتجاسر على مخالفة أحكامه الشرعية، كما أنك لن تتمكن من مخالفة أحكامه القدرية؛ وحينئذ تكون مسلها الله ظاهرا وباطنا، كونا وشرعا.

**

ثم قال الله - تعالى -: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من شفة نفسه، ولقد اصطفيته في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصلحين * *
[البقرة: 130].

لما ذكر الله ـ جل وعلا ـ ما قام به إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام - من الأفعال الجليلة،

والأقوال الحميدة، والـدعوات المستجابة، والإخلاص التام لله ـ عز وجل ـ قال: «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه »؛ يعني: لا أحد يرغب عن مـلـة إبـراهيم، وهـي دينـه الذي هو عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، «إلا من شفة نفسه، * يعني:
ر

إلا من رضي لها السفه؛ والـشفـه ضـد الرشـد؛ وهـو ـ أعنـي: الـسفه - التصرف على وجه الخطأ، وبين الله - عز وجل ـ فضله عـلى إبـراهيم في قوله: «ولقد أصطفينه في الدنيا »؛ فيكون من اتبع ملته مصطفى في هذه الدنيا، ويكون في الآخرة من الصالحين، كـا كـان إبـراهيم ـ عليـه الصلاة والسلام.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1- الثناء على ملة إبراهيم؛ وهي دينه المبني على الإخلاص لله، والمتابعة لشرعه، ولقد أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يتبع ملة إبراهيم حنيفا؛ قال الله ـ تعالى ـ: « ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل: ١٢٣] ٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن اتباع مـلـة إبـراهـيـم هـو الـعـقـل، والرشد، والصلاح.

3- ومن فوائدها وأحكامها: أن من رغب عـن مـلـة إبـراهيم فهـو السفيه، الذي أوقع نفسه في السفه، وإذا كان الناس يعدون من تصرف في ماله خبط عشواء سفيها؛ فإن من رغب عن ملة إبراهيم أسـفـه منـه وأشد سفها.

4- ومن فوائدها وأحكامها: الثناء عـلى إبـراهيم ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ؛ لكون الله ـ تعالى ـ اصطفاه في الدنيا، ووعـده وأكـد أنـه في الآخرة من الصالحين.

هـ ومن فوائدها وأحكامهـا: أن طـريـق إبـراهيم ـ عليـه الـصلاة والسلام ـ وملته صفوة أعمال الخلق؛ لأنها شريعة الله، ولأنهـا صـادرة عمن اصطفاه الله؛ فتكون هي الصفوة من أعمال الخلق التي لا يرغـب عنها إلا من سفه نفسه.

6ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الآخرة؛ وهي اليوم الآخر الذي يقوم فيه الناس من قبورهم الله - عز وجل ؛ لينالوا جزاء أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره *

[الزلزلة: ٧، ٨].
ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الصلاح وصف حميد حتى للرسل؛ فهم ـ أي الرسل ـ قمة الصالحين، والصلاح قد يكون قسيتا للنبوة والرسالة إذا ذكر أو قرن معها في الذكر؛ قال الله ـ تعالى ـ: «ومن يطع الله والرسول فأولنيك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أوليك رفيقا ﴾ [النساء: 69]، لكن إذا ذكر الصلاح وحده فهو عام للجميع.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: جواز وصف النبي ﷺ بالصالح؛ لقوله: «وإنه في الآخرة لمن الصالحين، وفي حديث المعراج: أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا مر بالنبي في السموات يقول: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، وإبراهيم قال: «مرحبا بالنبي

الصالح والابن الصالح»(١).
ثم قال الله ـ تبارك وتعالى -: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمتُ يرت العلمين = ﴾ [البقرة: 131].
«إذ هذه متعلقة بشيء محذوف، والتقدير: اذكر ـ منوها ومثنيا على إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين وقال له ربه أسلم »؛ أي: أسلم الله - عز وجل ـ إسلاما شرعيا؛ كا أنه مسلم له إسلاما كونيا قدريا، وقال أسلمت لرب العالمين فكان الجواب جواب مبادرة وفورية، لم يتأخر، ولم يتوان، «قال أسلمت لرب العالمين، ولم يقل: «أسلمتُ لربي»؛ لأن قوله: «يرت العلمين أعم واشمل، وهو كالتعليل للحكم؛ أي: الإسلام؛ يعني: أسلمت الله؛ لأنه رب العالمين
الذي يتصرف في عباده كما يشاء.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ فضيلة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ حيث أضاف الله ربوبيته إليه في قوله: «قال له ربه

أسلم .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: التنويه بذكر إبراهيم وبيان فضله، وهذه من عادة الله ـ عز وجل ـ أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يضيع أجر من

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٩)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله و إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١٦٣).

أحسن عملا؛ فإن الله يرفع ذكر من أحسن عملا بعد مماته، ويقيض من يبعث حياته وإن كان ميتا؛ قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ أومن كان ميتا فأحيينه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ثم قال الله - عز وجل -: « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ينبني إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وقضى بها ؟ أي: بهذه الكلمة العظمية؛ وهي الإسلام الله ـ عز وجل ؛ فإن إبراهيم وصى بها بنيه، «ويعقوب» أي: وصى بها بنيه أيضا؛ ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم؛ فيكون إبراهيم جذا له. ينيني إن الله اصطفى لكم الدين »؛ اختاره لكم دينا تدينون به الله ـ عز وجل -، تقومون بحقه وحق عباده؛ «فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون»؛ أي: استمروا على إسلامكم إلى الموت.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

1 ـ أهمية الإسلام الله - عز وجل ـ؛ حيث إن الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وصوا به أبناءهم.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن البنين الذكور هم أهل القيام بهذه المهمة العظيمة؛ الإسلام الله، والدعوة إليه، ونشره بين الأمة. 3- ومن فوائدها وأحكامها: تفضيل الذكور على الإناث.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن يعقوب ـ وهو ابـن إبـراهيم - ،
وصى بها بنيه أيضا، ومن أبنائـه: يوسـف الـذي أنـزل الله ـ تعـالى ـ في
قصته سورة كاملة.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله ـ تعالى ـ اصـطفى هـذا الـدين لعباده المؤمنين، واختاره
لهم.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب شكر الله ـ تعالى ـ على نعمتـه بالدين الإسلامي؛ حيث اختاره
الله ـ عز وجل ـ لعباده، ثم شكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن وفق العبد للقيام بهذا الـديـن الـذي
اصطفاه الله - تعالى ـ له .

. ومن فوائدها وأحكامها: وجـوب استمرار الإسلام الله ـ عز وجل ـ إلى الموت؛ وهذا يتفرع عنه
فائدة أخرى؛ وهي حرص الإنسان على الثبات على دينه إلى أن يلقى الله ـ عز وجل ـ وهو مسلم
له.

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون .
«أم » هنا في معنى «بل»، وهمزة الاستفهام، والتقدير: «بل أكنتم شهداء» «إذ حضر يعقوب
الموت»، والمقصود بهذا تقرير هذه الوصية التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب.

وهو
وإذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي»؛ يعني: أي معبـود تعبدونـه من بعدي؟ «قالوا نعبد إلهك
وإله ابايت إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، الله رب العالمين، وذكر إسماعيل هنا من بـاب
التغليـب والتبعية؛ لأن إسماعيل ليس من آباء يعقوب، ولكنه عمـه، وقـد قـال النبي ﷺ لعمر
بن الخطاب: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»(1). وقوله: «إلها واحدا * هذا تأكيد التوحيـد؛
يعني: لا نعبـد معـه غيره، بل نعبده هـو إلها واحدا ونحن له »؛ أي: لهـذا المعبـود ـ وهـو رب

العالمين ـ عـز وجـل ـ «مسلمون»؛ أي: مستسلمون لـه ظـاهرا
وباطنًا.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا- بيان حرص يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ عـلى أن يكـون بنوه على توحيد الله - عز وجل -، والاستسلام له ظاهرا وباطنًا؛ ووجه
ذلك أنه سأل بنيه عن هذا الأمر العظيم وهو في سياق الموت. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: اعتبار قول المحتضر، وأن قوله المعتبر معمول به، وهذا يختلف باختلاف أحوال الناس؛ فمن النـاس مـن إذا احتضر، ونزل الملك لقبض روحه؛ غاب عن شعوره، ولم يدر ما يقول، وهذا لا عبرة بقوله، ومن الناس من يبقى معـه فـكـره وإحساسه وإن

(ا) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب تقديم الزكاة ومنعها، رقم (٩٨٣).

٣ـ
كان في سياق الموت، وهذا هو الذي يعتبر قوله. 3- ومن فوائدها وأحكامها: حرص الأب على أبنائه، وأنه ينبغي أن يورث بعده ذرية طيبة تعبد الله - سبحانه وتعالى ـ ولا تعبد غيره. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الآباء والأجداد يكونون أسوة لأبنائهم وأبناء أبنائهم، فإما أسوة حسنة وإما أسوة سيئة، فهؤلاء البنون ـ أعني: بني يعقوب ـ قالوا: «نعبد إلهك وإله ابابك »، والكفار الذين عاندوا المرسلين قالوا: « إنا وجدنا اباءنا على أمة *
[الزخرف: ٢٢]
5- ومن فوائدها وأحكامها: أنـه ينبغي للرجـل إذا كـان مبتلى بمعصية من المعاصي أن يحرص على ألا يشاهده أهلـه عليهـا؛ وأضرب لذلك مثلا بشرب الدخان؛ فإن بعض الناس يكون مبتلى بهذه المعصية، ثم يشربها أمام أبنائه فيألفون هذا، وربا يشربونها كـا يـشربها أبـوهـم، فيكون ـ بذلك ـ دالا على سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم

القيامة.
6 - ومن فوائدها وأحكامها: إطلاق اسم الأب على الجـد؛ لقوله: «قالوا نعبد إلهك وإله ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهـو دليل على القول الراجح من أقوال أهـل العلـم في أن الجـد

في الميراث

بمنزلة الأب؛ فيحجب الإخوة، سواء كانوا أشقاء، أو لأب، أو لأم. 7- ومن فوائدها وأحكامها: إطلاق لفظ الأب على العم تغليبا؛

٤٨٢١ =

أحكام من القرآن الكريم

لقوله: « ابابك إبراهيم وإسماعيل وإسحق».
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن التوحيد لا يتم إلا باعتقاد وحدانية الله - عز وجل ـ؛ بحيث لا يعتقد الإنسان له شريكا؛ لقوله: إلها واحدا ؟ .
9ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة بني يعقوب؛ حيث قالوا: إنهم يعبدون الله ـ عز وجل -، ويسلمون له في قوله ـ تعالى ـ: «ونحن له مسلمون، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يحقق لنا جميعا الإسلام له؛ حتى نلقاه على أحسن حال يرضى بها عنا.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما ستتم ولا تشغلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: ١٣٤]. تلك» المشار إليه من سبق من الأمم، حيث إن بعض الناس يظن أن انتسابه إلى أحد من الأنبياء أو غيرهم من الأولياء ينفعه عند الله؛ فيقول: أنا أبي فلان، فقال الله ـ عز وجل -: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون»؛ أي: عا كان يعمل هؤلاء، بل كل يسأل عما عمل.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
اـ قطع تعلق الإنسان بالنسب، وأن نسبه لا ينفعه عند الله؛ وإنا الذي ينفعه هو العمل الصالح الذي يكون قرينه في قبره وفي حشره،

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى

عمله»(١)

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن كسب الآباء لا ينتفع به الأبناء، وأن كسب الأبناء لا ينتفع به الآباء إلا إذا كان ذلك سببا؛ فإنه يؤجر المتسبب للخير على ما تسبب به؛ لأن الدال على الخير كفاعله، وهو في الحقيقة من كسبه؛ فمن اقتدى بك في العمل الصالح وانتفع بها عملت؛ فإن أجره ينالك منه؛ لأن الدال على الخير كفاعله.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأبناء والأحفاد لا يسألون عا يعمله الآباء؛ فخطيئة الآباء عليهم، وخطيئة الأبناء عليهم؛ لقوله * ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الإسراء: 15]، وقوله: « ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: 134].

*

ثم قال: (وقالوا كونوا هودا أو نصرى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (* [البقرة: 135].
قالت اليهود للنبي ﷺ وأصحابه: كونوا هودا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، وكذبوا في ذلك؛ فإن الهداية باتباع

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم (٦٥١٤)؛ ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم (٢٩٦٠).

=

شريعة الله ـ عز وجل ـ، وبعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم - لا اهتداء ولا هداية إلا بالدين الذي جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؛ وهو ملة إبراهيم؛ ولهذا قال: «قل بل ملة إبراهيم ؛ أي: بل نتبع ملة إبراهيم؛ أي: دينه الذي هو عليه، «حنيفا »؛ أي: بدون ميل إلى الشرك والكفر؛ ولهذا قال: «وما كان من المشركين » ؛ بل كان من المخلصين الله ـ عز وجل ـ

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن أهل الباطل لا يألون جهدا في الدعوة إلى باطلهم وتضليلهم الناس؛ لقولهم: «كونُوا هودا أو تصرى تهتدوا .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل الباطل قد يدعون ما يعلمون أنه باطل؛ لقولهم: «كونوا هودا أو نصرى تهتدوا ؛ فإن اليهود والنصارى آتاهم الله الكتاب، وهم يعرفون النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يعرفون أبناءهم؛ كما قال ـ تعالى : (الذين اتيتهم الكتب يعرفونه, كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة: ١٤٦]، لكنهم ـ والعياذ

بالله ـ كتموا الحق، وقالوا: الحق معنا، ومن تبعنا فهو الذي قد اهتدى . ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: عناية الله ـ سبحانه وتعالى ـ بهذه الأمة؛ حيث رد على هؤلاء المضللين؛ اليهود والنصارى بقوله: «قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين .
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على من بين الباطل أن يبين

سورة البقرة

١٤٨٥

الحق؛ ليسير الناس عليه؛ لأن الناس لابد لهم من دين يدينون به، ومن عمل يسلكونه وينهجونه، فإما خير وإما شر؛ ولهذا قال: «قل بل ؛ أي: بل لا نكون هوذا ولا نصارى، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا. هـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان منقبة عظيمة من مناقب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ حيث كان على غاية من الإخلاص لله حنيفا، ولم يكن من المشركين.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام - معصومون من الشرك، كيف لا وهم قد جاءوا لإبطال الشرك، والقضاء على أهله: « قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا تحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صغرون ﴾ [التوبة: ٢٩]، واقتلوهم حيث تقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة
ع
أشد من القتل ﴾ [البقرة: 191].

ثم قال الله - سبحانه وتعالى -: (قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأشباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى البيوت من ربهم لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون = ﴾ [البقرة: 136].
الخطاب في قوله: «قولوا لهذه الأمة، لكل من كان مـن بنـي آدم

= 486

بعد نزول هذه الآية؛ فالخطاب ـ إذن ـ موجه لكل أمة الدعوة. امنا بالله »؛ أي: أقررنا بوجوده، وأذعنًا لأمـره، وقبلنـا خـبره، والإيمان بالله - سبحانه وتعالى ـ يتضمن عـدة أمـور؛ يتضمن: الإيـان بوجـوده، والإيان بربوبيتـه، والإيمان بألوهيتـه، والإيان بأسـائه وصفاته، فمن انتقص شيئا من هذه الأمور الأربعة؛ فإن إيمانه نـاقص، وقد يكون إيمانه معدوما.
وما أنزل إلينا؛ وهو القرآن، «وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب والأشباط؛ وهؤلاء كلهم أنزل إليهم، يهتدون به، ويهدون به، وما من رسول إلا أنزل الله عليه كتابا؛ قال الله ـ تعالى ـ: لقد أرسلنا رسلنا بالبينت وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد: ٢٥].
كے
وقوله: «والأشباط * قيل: إن المراد بهم أبناء يعقوب، وقيل: المراد بالأسباط القبائل التي تفرق إليها بنو إسرائيل؛ قال الله - تعالى -: وقطعتهم اثنتي عشرة أسباطا أمما ﴾ [الأعراف: 160]؛ أي: ما أنزل على الأسباط بواسطة أنبيائهم ـ عليهم الصلاة والسلام -؛ فإن الله ـ تعالى ـ بعث في بني إسرائيل أنبياء كثيرين، وهذا القول أصح من الذي قبله. :
وقوله ـ تعـالى -: (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم »؛ أي: ما أوتي موسى من الآيات، وما أنزل عليـه مـن الـوحي، وهو التوراة، وكذلك ما أوتي عيسى من الآيات ومـا أنـزل عـليـه مـن

الوحي، وهو الإنجيل .
وما أوتى النبيون من ربهم * ؛ على سبيل العموم من الآيات التي يؤمن على مثلها البشر؛ فإن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله

آمن عليه البشر...» (١)؛ وذلك أنه لابد أن يكون للأنبياء آيات تبين للناس صدق ما بعثوا به؛ لأن الناس لن يصدقوا إذا جاءهم شخص وقال: أنا رسول الله إليكم إلا بآيات تدل على صدقه؛ ولهذا جعل الله - عز وجل ـ لكل نبي آية، ولا تفرق بين أحد منهم »؛ أي: لا نفرق بين أحد من هؤلاء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والمراد أننا لا نفرق بينهم في أصل الإيمان؛ فإننا نؤمن بأنهم كلهم صادقون فيما جاءوا به من الوحي، وأنهم رسل الله - عز وجل ـ إلى خلقه، ولكننا نفرق بينهم من حيث الأحكام والشرعة ـ أي: الشرائع -؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [المائدة: 48]؛ فالشرائع لا تلزمنا ـ أي: شرائع من قبلنا ـ، وإنا تلزمنا شريعتنا التي جاء بها نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، أما شرائع من قبلنا فإن وافقت شريعتنا آمنا بها؛ بناء على أن شريعتنا جاءت بها، وإلا فإنها تكون منسوخة بشريعتنا، وقوله - تعالى -: «ونحن له مسلمون»؛ أي: ونحن الله مسلمون؛ أي:

-

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم (٤٩٨١)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد و إلى جميع الناس، رقم (١٥٢).

منقادون لأمره، متبعون لشرعه، وهذه الآية فيها أصول عظيمة؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقرأ بها في سنة الفجر أحيانا؛ يقرأ بها في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية يقرأ: (قل يتأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكر ألا نعبد إلا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأحيانا يقرأ في الركعة الأولى: (قل يأيها الكفرون ﴾ [الكافرون: 1]، وفي الركعة الثانية: « قل هو الله أحد »
[الإخلاص: 1].

-:
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ وجوب الإيمان بها ذكر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «قولوا ءامنا بالله * . ٢- ومن فوائدها وأحكامها: الإيمان على وجه التفصيل بما أنزل إلينا وهو القرآن؛ فنؤمن بأن القرآن كلام الله - عز وجل ،

أنزله على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بواسطة جبريل الأمين؛ كما قال الله ـ تعالى ؛ (وإنه لتنزيل رب العلمين - نزل به الروح الأمين و على قلبك لتكون من المنذرين و بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، ونؤمن كذلك بما تضمنه هذا القرآن الكريم من الأخبار، وأنها أخبار حق، ونؤمن كذلك با تضمنه هذا القرآن من الأحكام؛ وهي الأوامر
والنواهي، وأنها أحكام مبنية على العدل، والرحمة، وتحقيق المصالح؛ ولهذا لا رحمة للخلق أعظم من رحمتهم بهذا الدين الإسلامي.

198

١٩٣

سـورة البقـرة

١٤٨٩

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الإيمان بما أنزل الله ـ تعالى ـ على الرسل المذكورين؛ كالصحف التي أنزلت على إبراهيم؛ كما قال ـ تعالى -: « إن هذا لفي الصحف الأولى من صحف إبراهيم وموسى » *
الأعلى: ١٨، ١٩]، وكذلك ما أنزل إلى إسماعيل وإسحاق... إلخ. 4.. ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء الرسل المذكورين كلهم قـد أنزل إليهم، إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط؛ يعني: أنبياء الأسباط على القول الرجح.
هـ ومـن قـوائـدها وأحكامهـا: وجوب الإيـان بـا أوتي موسى وعيسى من الآيات البينات الشرعية والكونية.

فمن آياتها الشرعية: التوراة التي جاء بها موسى، والإنجيل الـذي جاء به عيسى، ومن آياتها الشرعية أيضا: أن مع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عصا، إذا وضعها في الأرض انقلبت حيه، وإذا حملها عادت عضا، وأنه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء مـن غـيـر سـوء؛ أي: مـن غير برص، لكنه بياض نور.

أما آيات عيسى ـ عليه الصلاة والسلام -: فإنه لا يمسح ذا عاهـة إلا برأ؛ فهو يبرئ الأكمه والأبرص، وأبلغ من هذا أنـه يحيي المـوتى - بإذن الله ؛ يأمر الميت فيحيـا، وأبلـغ مـن هـذا أنـه يخـرج المـوتى مـن قبورهم؛ يقول للميت في قبره: اخـرج؛ فيخـرج، ولكنـه ـ بـإذن الله ؛ لأن

عيسى - عليه الصلاة والسلام ـ لا يملك أن يحيى أحدا من الخلق،
-

ولا أن يميت أحدا من الخلق؛ فالذي يحيي ويميت هو الله - عز وجل - .
ولكن الله ـ تعالى يجعل قول عيسى سببا، فإذا قال عيسى للميت: قم حيا وما أشبه ذلك؛ قام حيا، وإذا وقف على القبر وقال: اخرج حيا؛ خرج حيا، وكان أيضا يخلق من الطين كهيئة الطير ـ؛ صورة الطير ـ فينفخ فيها فتكون طيرا يطير بإذن الله، ينفلت من يده طائرا، وهذا النفخ الذي نفخه عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو نفخ للروح في هذا التمثال الذي كهيئة الطير ـ فتبارك الله رب العالمين. 6ـ ومن فوائدها وأحكامها وجوب الإيان با أوتي الأنبياء عموما من الآيات، وأنها حق، وأنها ليست سحرا، بل هي تكون بقدرة الله ـ تعالى ـ وإذنه.

- ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب علينا الإيان با أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، نؤمن بذلك إيمانًا لا نفرق فيه بين واحد وآخر، وهذا من حيث الخبر؛ فيجب علينا أن نصدق أخبارهم، ونؤمن بها، أما من جهة الأحكام؛ فلكل جعل الله شرعة ومنهاجا، وكل أمة تعمل بما جاء في شريعتها من الأحكام.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة هذه الأمة؛ حيث كانت الآخرة؛ لتصدق جميع الأنبياء السابقين؛ فيكون لها فضيلة الإيمان بكل الأنبياء السابقين.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: إعلان الإخلاص الله في قوله: «ونحن
له مسلمون .

ثم ق
قال الله - تعالى -: ﴿ فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به، فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (* [البقرة: 137].

قوله: «فإن ءامنوا»؛ يعني: المكذبين للرسل، بل المكذبين لرسول اللى ﷺ من اليهود، والنصارى، والمشركين، وبمثل مآ ءامنتم به »؛ أي: بالقرآن الكريم، والباء قيل: إنها زائدة، والمعنى: فإن آمنوا مثل ما آمنتم به؛ أي: على صفة ما آمنتم به، ونحن قد آمنا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وآمنا بالقدر خيره وشره، والتزمنا بأحكام شريعة محمد و، فإذا آمنوا مثل هذا الإيمان الذي آمنت به هذه الأمة؛ فقد اهتدوا »، وهذا مقابل قوله: « وقالوا كونوا هودا أو نصرى تهتدوا ﴾ [البقرة: 135]؛ فيكون الاهتداء حقيقة من كان مسلها مؤمنا بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -.
وإن تولوا »؛ يعني: أعرضوا عن الإيمان بمثل ما آمنتم به. فإنما هم في شقاق »؛ أي: في تباعد عن الدين ومنازعة فيه، وهذا لا يضركم، ولكنه يضرهم؛ ولهذا قال: «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»؛ أي: فسيكون الله كافيا لك بالنسبة لهم، وسينصرك

عليهم، وقد حصل هذا ـ ولله الحمد -؛ فإن اليهود والنصارى أذهم الله ـ عز وجل ـ لما كان المسلمون أعزة بدين الله، قائمين بأمر الله؛ صار اليهود والنصارى أذلاء بين أيديهم، يؤدون الجزية أو يسلمون، وقوله: وهو السميع العليم* سبق الكلام عليه عند قول الله ـ تبارك وتعالى ـ عن إبراهيم وإسماعيل: « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * [البقرة: ١٢٧]؛ فلا حاجة إلى إعادة الكلام عليه.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١- بيان أنه لا هداية بغير الإيمان با آمنت به هذه الأمة؛ لقوله: فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا، وإذا فات الشرط فات المشروط.

٣ـ
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن اليهود والنصارى ضالون، تائهون، بعيدون عن الحق؛ لقوله:

«فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به، فقد اهتدوا ؛ فمفهومه إذا لم يؤمنوا كذلك فلا هداية لهم. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: ضلال من ظن أن دين اليهود والنصارى ـ اليوم ـ دين قائم مشتمل على الهداية، مقبول عند الله، ومن زعم ذلك فإنه كافر خارج عن الملة ـ والعياذ بالله ـ، مكذب لقول الله ـ تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين ﴾ [آل عمران: 85]، ولقول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم

يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النّار»(١)، ومعلوم أن من شهد أو اعتقد أن دين اليهود والنصارى دين حق ـ اليوم - سيجعلهم - أي: اليهود والنصارى ـ من أصحاب الجنة؛ فإنه يكون بهذا مكذبا لقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام -: «إلا كان من أصحاب النّار». 4ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الأمم السابقة قبلنا تبع لنا، يلزمهم أن يؤمنوا بشريعتنا، ويتبعوا شريعتنا، وهذا من نعمة الله ـ تعالى علينا؛ فنحن الآخرون زمنا، السابقون فضلا، السابقون يوم القيامة حشرا، ونشرا، وإعطاء للكتب، وعبورا على الصراط، ودخولا للجنة ـ والله الحمد.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: تهديد المتولين عن شريعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وأنهم في شقاق؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وإن تولوا فإنما هم في شقاق»؛ أي: في شق بعيد عن الدين الحق المقبول عند الله . 6 - ومن فوائدها وأحكامها: البشرى السارة في قوله فسيكفيكهم الله»، وأن الله - سبحانه وتعالى ـ سيكفي نبيه كل عدو للمسلمين من اليهود، والنصارى، وغيرهم؛ لقوله ـ تعالى -: فسيكفيكهم الله.
ـ ومن فوائدها وأحكامها: تنشيط المسلم على التمسك بدينه،

(١) سبق تخريجه ص (١٤١).

وأنه على حق، وأنه منصور، ولابد أن الله ـ تعالى ـ كافيه أعداءه؛ لقوله - تعالى -: «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»، وقوله ـ تعالى ـ في آية أخرى -: « إن الله يدافع عن الذين ءامنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ [الحج: ٣٨].

٨ ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان عظمة الله ـ عز وجل ـ، وعزته وقدرته؛ حيث قال:
«فسيكفيكهم الله»، وهو شامل لكل عدو
لرسول اللى ﷺ

= I494

ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات هذين الاسمين الكريمين من أسماء الله؛ وهما «السميع العليم»، وإثبات ما دل عليه هذان الاسان الكريان من الصفة؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ موصوف بالسمع، وموصوف بالعلم، فسمعه واسع للأصوات كلها، وعلمه محيط بكل شيء؛ وفسيكفيكهم الله وهو السميع العليمه.

ثم قال الله ـ تعالى : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن -:
له عبدون (* [البقرة: ١٣٨].

صبغة الله * منصوب بفعل محذوف تقديره: الزموا صبغة
الله؛ أي: دين الله - عز وجل (ومن أحسن من الله صبغة»، أي: لا أحد أحسن من الله صبغة (ونحن له »؛ أي:الله ـ عز وجل ـ وحده عبدون»؛ أي: متذللون بالطاعة بامتثال أمره، واجتناب نهيه.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ فضيلة ما نحن عليه من دين الله؛ حيث أضافه الله إلى نفسه، فقال: «صبغة الله * .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن أحسن شريعة يستمسك بها الخلق
شريعة الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ومن أحسن من الله صبغة »
٣ـ ومن فوائدها وأحكامها وجوب إقرار العبد بأنه عبد الله، ومقتضى هذه العبودية أن يكون ممتثلا لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ مجتنبا لنهيه؛ لأن العبودية مأخوذة من التعبد؛ وهو التذلل محبة وتعظيها. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب إخلاص العبادة الله؛ لقوله . تعالى : (ونحن له عبدون) .

*

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (قل أنحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعملنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون = ﴾ [البقرة: 139]. «قل»؛ أي: يا محمد، ويصح أن يكون خطابا لكل من يتوجه إليه الخطـاب. والاستفهام في قولـه: «أتحاجوننا في الله » للإنكـار والمحاجة هي المخاصمة؛ لإقناع الخصم؛ لأن كل واحد من الخصمين يدلي بحجته؛ ليلزم بها الآخر.
وقوله: «في الله ﷺ؛ أي: في دينه وشرعه، فتقولون: نحن الذين على

الحق مع أن الحق مع من اتبع ما جاء به رسول اللہ ﷺ وهو ربنا وربكم : باتفاقنا واتفاقكم أنه رب الجميع، وإذا كان هذا إقراركم؛ فإن الواجب عليكم أن تأخذوا بشرعه الآخـر فـالآخر؛ لأنه رب؛ فهو أعلم بمصالح عباده، فهـو الـذي يملـك مـا شـاء مـن أمورهم، فيأمرهم وينهاهم على حسـب ما تقتضيه حكمته ورحمته. ولنا أعملنا ولكم أعمالكم »؛ يعني: أن الرب واحد، وأن لكل ذي عمل عملا خاصا به؛ فعمله خاص به وحده؛ ولهذا قال: «ولنا أعملنا ولكم أعملكم »، وهذا كقوله - تعالى -: «فل بتأيها الكفروت (لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد - ولا أنا عابد ما عبدتم ع ولا أنتم عابدون ما أعبد و لكم دينكم ولي دين » [الكافرون: 1 ـ 6]. فكيف تحاجوننا في الله ـ عز وجل ـ، ونحن نتفـق جميعـا عـلى أنـه ربنا، ولكن أنتم تخالفون هذا الرب، فلنا أعـالنـا ولـكـم أعـالـكـم، ثـم ختم الآية بذكر الإخلاص لله ـ عز وجل ـ، وإخلاص الشيء تنقيته مما يشوبه؛ فالمعنى: نحن له مخلصون في العبادة، لا نعبد غيره، ولا نتخذ
ربّا سواه.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1_الإنكار على من يحاج في الله بغير علـم، بـل بـا يعـلـم أن الأمـر بخلافه؛ لقوله - تعالى -: (قل أنحاجوننا في الله .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي عند المحاجة ذكـر مـا يـتـفـق عليه الطرفان؛ ليكون ملزما

للآخر فيما يقتضيه هـذا الاتفـاق؛ لقوله: وهو ربنا وربكم »، وقد سبق في تفسيرها ما يتبين به وجه ذلك. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: التبرؤ من أعمال المشركين، والاعتزاز بأعمال أهل الحق؛ لقوله: «ولنا أعملنا ولكم أعمالكم ؟.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه ينبغي للمؤمن أن يكـون لـه قـوة شخصية، يعتـز بـهـا في دينه، وفي شرعـه، وفي منهاجـه؛ لقوله: «ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ؟.
هـ ومن فوائدها وأحكامها: الحذر من التشبه بغير المسلمين؛ لأنـه إذا كانت أعاالهم لهم ـ وهذه قضية مسلمة ـ فلا يجب أن نتشبه بهم فـيا يختص بهم من أعمالهم؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليـه وآله وسلم -: «من تشبه بقوم فهو منهم».
6 ـ ومـن فـوائـدها وأحكامها: فضل هـذه الأمـة بإخلاصـها الله - عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ونحن له مخلصون »؛ أي: له لا لغيره.

**

(١) سبق تخريجه ص (٣٢).

**

ثم قال - تعالى -: ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأشباط كانوا هودا أو تصري" قل أنتم أعلم أمر الله ومن

أظلم ممن كتم شهيدة عنده من الله وما الله بغفل عما تعملون ع *
[البقرة: 140].
«أم » هنا بمعنى «بل، وهمزة الاستفهام»؛ أي: بل أتقولون، والاستفهام هنا للإنكار؛ يعني: أن الله ـ تعالى ـ ينكر عليهم هذا القول: إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأشباط كانوا هودا أو نصرى »، وهل هذا يعقل أن يكون إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

والأسباط المتقدمون هودا أو نصارى، واليهودية والنصرانية

ما

لم تحدثا إلا من بعدهم؟! هذا ليس بالمعقول؛ كما قال الله - تعالى -: أولما أصبتكم مصيبة قد أصبتم مثليها فقلتم أن هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران: 65].

يقول ـ عز وجل ـ عن هؤلاء اليهود والنصارى منكرا عليهم: وقل أنتم أعلم أمر الله ، ومن المعلوم أن الجواب: بل الله - عز وجل - هو الأعلم، وإذا كان الله ـ تعالى ـ أعلم، وقد بين أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبنيه، ويعقوب وبنيه كلهم كانوا على الحق، كلهم كانوا على الإخلاص، فكيف تأتون أنتم وتقولون: إن إبراهيم كان يهوديا أو إن إبراهيم كان نصرانيا؟!.

ومن أظلم ممن كتم شهدة عنده من الله »؛ «ومن أظلم » «من» استفهام، والاستفهام هنا بمعنى النفي؛ أي: لا أحد أظلم من كتم شهادة عنده

الله؛ لأن الواجب على المستشهد أن يشهد ولا

من

يـــتم، ومن أظلم ممن كنم شهيدة عنده من الله » ، وتقدير الجواب لهذا الاستفهام أن نقول: لا أحد أظلم من هذا، «وما الله يغفل عما تعملون» ! هذه نافية، «وما » هذه نافية، «يغفل » خبر المبتدأ، ودخلت عليه الباء لزيادة التأكيد؛ فلم يكن الله ـ تعالى - غافلا

عما يعمل هؤلاء؛ لكال علمه ومراقبته ـ جل وعلا. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

١ـ بيان بطلان هذه الدعوة الباطلة الكاذبة من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط كانوا هودا أو نصاري.

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإنكار عليهم، والمناداة عليهم بالجهل؛ لقوله: «قل أنتم أعلم أمر الله *

٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: اتخاذ هذه القاعدة العظيمة لرد دعوى أهل التعطيل الذين أنكروا ما وصف الله به نفسه، وقالوا: لا يمكن أن يتصف الله بهذا؛ لأن هذا حادث، أو لأن هذا يقتضي التجسيم، أو ما أشبه ذلك، فنقول لهم: «أنتم أعلم أمر الله ؟ فإن قالوا: نحن أعلم؛ فقد نادوا على أنفسهم بالضلال، وإن قالوا: بل الله أعلم؛ قلنا: إذن أثبتوا ما أثبت الله لنفسه

من الأسماء والصفات على حقيقته، وانفوا ما نفسه من الأسماء والصفات.
عن
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب نشر الإنسان ما علمه الله -

نفى الله

عز وجل ـ من العلم، لاسيما في أعظم الأمور؛ وهو توحيد الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «ومن أظلم ممن كتم شهدة عنده من الله ؟. -
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من كتم ما علمه الله ـ عز وجل ؛ فإنه من أظلم الناس، وأظلم كتم للشهادة أن يكتم الإنسان ما أشهده ربه عليه.

6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات كال علم الله ـ عز وجل - ومراقبته؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما الله يغفل عما تعملون . ـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات صفات النفي في حق الله، ولكن يجب أن نعلم أن النفي المحض في صفات الله لا يوجد؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم ليس بشيء، ولكن لا توجد صفة منفية عن الله إلا تضمنها كالا؛ ولهذا نقول: كل صفة نفاها الله نفسه فإنها متضمنة لشيئين: أولها: نفي تلك الصفة المذكورة، وثانيها: إثبات كمال ضدها؛ فمثلا قال الله ـ تعالى ـ: * ولا يظلم ربك أحدا * [الكهف: ٤٩]؛ فنفى الظلم عن نفسه لماذا؟ لكال عدله ـ عز وجل ـ لا لعجزه عن الظلم، ولكن لكال عدله لم يظلم أحدا، وعلى هذا فقس.
عن

ثم قال ـ تعالى ـ: « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبنت ولا تشغلون عما كانوا يعملون ﴾ [البقرة: ١٤١].
وقد سبق نظيرها في الآية الرابعة والثلاثين بعد المئة، وتكلمنا على

سـورة البقـرة

٠١

ما فيها من أحكام، حسب ما فتح الله به علينا، ونكتفي بها سبق.

ثم قال تبارك وتعالى: «سيقول الشفهاء من الناس ما ولنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ﴾ [البقرة: ١٤٢].

السين في قوله: «سيفول * للتنفيس، وتفيد أمرين: الأمر الأول: تحقيق مدخولها.
الأمر الثاني: قرب وقوع مدخولها.
و الشفهاء » : جمع سفيه، وهو من جانب الرشد في تصرفاته القولية والفعلية، وفي عقيدته أيضا؛ لقوله تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة: 130].
ع
وما ولنهم عن قتلتهم التي كانوا عليها ، يعني: أي شيء ولاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، والقبلة التي كانوا عليها هي بيت المقدس؛ فإنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة، صار يتجه في صلاته إلى بيت المقدس نحو ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، ثم أمره الله ـ تعالى ـ أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام، أي: الكعبة ـ كما سيأتي في الآيات إن شاء الله ـ فرد الله - سبحانه وتعالى ـ هذا الاعتراض من هؤلاء الشفهاء بقوله: «قل لله المشرق والمغرب»، أي: هو مالك المشرق والمغرب، وله
أن يتصرف في ملكه با يشاء، حسب ما تقتضيه حكمته البالغة.

٢

أحكام من القرآن الكريم

يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ومن هداهم إلى الصراط هذه الأمة،

المستقيم
حيث هداهم إلى القبلة الأصلية، وهي الكعبة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله ـ: إنّ الكعبة كانت قبلة الأنبياء، وإن حرف القبلة إلى بين المقدس كان من تصرف أتباع أولئك الأنبياء.

وعلى هذا فالصّراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه هنا، هو الاتجاه
إلى الكعبة المشرفة في الصلاة.
في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ا- علم الله - سبحانه وتعالى ـ با سيكون؛ لقوله: «سيقول الشفهاء ، ومن المعلوم أن الله - سبحانه وتعالى ـ بكل شيء عليم، وأن علمه - سبحانه وتعالى ـ بالأشياء محيط بها جملة وتفصيلا، وعلمه -

سبحانه وتعالى ـ أزلي لم يسبق بجهل، أبدي لا يلحقه نسيان. ٢ـ أنه لا يعترض على شرع الله إلا

من كان سفيها؛ وذلك لأن السّفيه لا يعرف الحكمة، أو يعرفها ويسلك خلافها، ومن لا يعرف الشيء لا يرتضيه؛ لذلك سوف يعترضون على ما سيفعله الله ـ عز وجل -، بل على ما سيأمر الله به من الاتجاه إلى الكعبة. 3- أن النبي ﷺ كان يتجه ـ قبل أن يؤمر بالاتجاه إلى الكعبة ـ إلى بيت المقدس، قيل: لأنه كان يجب أن يوافق أهل الكتاب فيها لم يؤمر بخلافه؛ وهذا كان أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، كان يحب أن يوافق ،

أهل الكتاب فيها لم يؤمر بخلافه، ثم صار يأمر بمخالفة أهل الكتاب. ٤ـ عموم ملك الله - سبحانه وتعالى ـ لكل شيء: «قل لله الشرق والمغرب »، أي: هو المالك لكل شيء، وهو المتصرف فيها يشاء با يشاء ـ عز وجل ـ؛ على ما تقضيه حكمته البالغة.

هـ أن الهـداية بيد الله - عز وجل ـ، فهـو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فلا تطلب الهداية إلا من الله - عز وجل ؛ وهذا ينفي الإعجاب بالنفس والافتخار بالعمل.

ولكن لو قال قائل: هل هداية الله سبحانه من يشاء بمجرد المشيئة، أم أنها مقرونة بالحكمة؟

فالجواب على ذلك أن نقول: بل هي مقرونة بالحكمة، وما من شيء يحكم الله به، إلا وهو مقرون بالحكمة، سواء كان ذلك الحكم الذي حكم الله به شرعيا أم كونيا؛ ودليل ذلك قوله - تبارك وتعالى -: « أليس الله بأحكم الحكمين ﴾ [التين: 8]، وقوله - تعالى -: « إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه، سبيلا * وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا ﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠]؛ فبين ـ سبحانه وتعالى ـ أن مشيئته تابعة لعلمه وحكمته.

وهداية الله سبحانه وتعالى نوعان:

هداية دلالة: وهذه عامة لكل أحد؛ للكفار والمؤمنين، والفجار والأبرار.

}

•

وهداية توفيق: وهذه خاصة بمن وفقه الله - سبحانه وتعالى - لاتباع الحق؛ قال الله ـ تعالى ـ: « وكذالك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب ولا الإيمن ولكن جعلته نورا تهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فهذه هي دلالة التوفيق وقال ـ تعالى ـ: وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهذه هي الهداية العامة أو هداية الدلالة والإرشاد.

-

مثال الأولى العامة لكل أحد: قوله ـ تعالى ـ: « إنا هديته الشبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان:3]، يعني: الإنسان، وقوله: (وأما ثمود فهدينهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت:17]، أي: دللناهم على الصراط المستقيم، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى. 6 ـ أن طريق الله ـ تعالى ـ مستقيم، ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، وكون الله - سبحانه وتعالى ـ يصف طريقه بالصراط المستقيم، يدل على أن هذا الطريق واسع، ليس محجورا على أحد. بل كل من شاء من النّاس دخله، ويدل ـ أيضا ـ على أن هذا الطريق ليس فيه اعوجاج ولا انحراف، بل هو موصل إلى دار كرامة الله - سبحانه وتعالى ـ بدون انحراف، ولا تردد.

ثم قال الله ـ تعالى : (وكذلك جعلتكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

ورة البقـرة

إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمنتكم إن الله بالناس لرءوف
ج

3

رحيم ﴾ [البقرة:١٤٣].
وكذالك *: مثلا ذكر من هداية الله - سبحانه وتعالى ـ من يشاء إلى صراط مستقيم «جعلتكم أمة وسطا »: صيرناكم أمة وسطا، أي:
عدلًا خيارا.
والأئمة: هي الطائفة من الناس، وترد في القرآن على معان متعددة: منها: الطائفة من الناس؛ كما في هذه الآية. ومنها: الإمام؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: « إن إبراهيم كان أمة قايتا لله

﴾ [النحل: ١٢٠]
ومنها: الدين؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: * بل قالوا إنا وجدنا اباءنا على أمة ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أي: على دين وملة.
ومنها: الزمن؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: * وقال الذي نجا منهما واذكر

-

بعد أمة * [يوسف:٤٥].
كيا
فهذه أربعة معان.
لتكونوا شهداء على الناس » أي: لتصيروا شهداء على الناس، على الأنبياء والرسل وعلى الأمم؛ فنحن آخر الأمم، نشهد على من سبقنا، فتشهد من سبقنا من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنهم بلغوا رسالات ربهم، ونشهد على من سبقنا من أممهم أن الرسالة

بلغتهم، وأن منهم مكذبين، ومنهم مصدقين، وكذلك نكون شهداء على الناس يوم القيامة؛ كا جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ ويكون الرسول عليكم شهيدا »:
الرسول ﷺ: هو محمد ﷺ؛ لأن (أل) هنا للعهد الذهني، ولا
معهود في الذهن حين نزول هذا القرآن من الرسل إلا محمد ﷺ عليكم شهيدا »: يشهد عليكم بأنه بلغ رسالة ربه؛ ولهذا لما خطب الناس يوم عرفة، قال: وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، قال: (اللهم اشهد) ثلاث مرات).
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها»، أي: ما جعلنا القبلة التي كنت عليها، وهي استقبال بيت المقدس قبل أن يؤمر بالاتجاه إلى الكعبة . وإلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »؛ وذلك أنه لا صرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، صار عند بعض الناس شك وارتياب، وربا ارتد عن الإسلام بسبب هذا التوجيه من الله ـ عز وجل ؛ يقول هذا الشاك المتردد: كيف تكون قبلته بالأمس بيت المقدس، وقبلته اليوم الكعبة؟
وقوله ـ تعالى ـ: «إلا لتعلم » هو عالم جل وعلا من قبل أن يحصل

(١) رواه مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

هذا الاتباع والمخالفة، لكن المراد بالعلم هنا ـ وفيها يشبهه من الآيات الكريمة ـ: العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب؛ وذلك أن علم الله ـ تعالى ـ السابق با يكون من عباده، لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب إلا بعد التكليف؛ إذا كلّفهم الله - عز وجل ـ، ترتب على هذا ـ
التكليف الثواب والعقاب؛ الثواب من وافق، والعقاب من خالف. ولا يظن الظان أن علم الله - سبحانه وتعالى ، ولا يكون إلا بعد وقوع المعلوم؛ فإن هذا ليس بصحيح؛ فإن الله - سبحانه وتعالى ـ عالم بكل شيء قبل أن يكون.

من يتبع الرسول ممن ينقلب» والرسول هنا هو محمد ﷺ؛ إذ لا رسول عهده سواه، ويحتمل أن تكون للعهد الذكري؛ لأنه سبق ذكر الرسول ﷺ، وإذا أنت «أل» داخلة على ما سبق ذكره، فإنهم يقولون: إنها للعهد الذكري؛ كما في قوله ـ تعالى ـ: كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا و فعصى فرعون الرسول ﴾ [المزمل:15،16]. فالرسول هنا هو موسى ـ عليه السّلام ـ؛ لسبق ذكره.
«ممن ينقلب على عقبيه »؛ أي: يمن ينكض إلى الوراء، وذلك

بارتداده عن دين الإسلام، وعدم رضاه بما وقع. وإن كانت»، يعني: وإن كانت هذه الحال، أو هذه القضية. لكبيرة »: شاقة.
إلا على الذين هدى الله »؛ فإنّ الذين هداهم الله ووفقهم للحق

ج
يسهل عليهم كل شيء في موافقة ما أمر الله به ورسوله، ولا تكون الأوامر كبيرة وشاقة إلا على من ضعف إيمانه. وما كان الله ليضيع إيمنكم ؟ هذا التعبير يدل على امتناع الشيء غاية الامتناع، أي: إذا جاءت (ما كان الله ليفعل كذا وكذا)، فهو ممتنع غاية الامتناع.
وقوله: «ليضيع إيمنكم »، أي: ما آمنتم به، ومنه صلاتهم إلى بيت المقدس سابقا؛ لأنه قد يقع في قلوب بعض الناس الإشكال عا سبق من الصلوات إلى بيت المقدس، هل تكون باطلة ـ لأن القبلة صرفت إلى الكعبة ـ أم لا؟ فبين الله - سبحانه وتعالى -: أن الله لا يضيع ذلك.
الله بالناس لرءوف رحيم الرءوف: مأخوذ من الرأفة، وهي أشد الرحمة، وألطف الرحمة، والرحيم: هو ذو الرحمة التي يكون بها الإحسان إلى خلقه، والإنعام عليهم.

وفي هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ١- بيان فضيلة هذه الأمة؛ لقوله: «وكذالك جعلنكم أمة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ؟ .
٢ـ أنّ هذه الأمة ذات شهادة على من سبقها من الأمم. ٣- تعديل الله - عز وجل ـ لهذه الأمة؛ حيث جعلهم شهداء على سائر الأمم، ولم يجعلهم الله - سبحانه وتعالى ـ شهداء إلا ليقبل شهادتهم.

سورة البقـرة

4- أن رسول الله ﷺ كان شهيدا على أمته، فهو شهيد عليهم ما دام فيهم، أما فيها بعد موته، فإنه تعرض عليه أعمال أمته و، كما جاء في بعض الأحاديث، فإذا صحت، فإنه يكون شهيدا عليهم في حال

حياته وبعد مماته، وإلا فإنه سيكون شهيدا عليهم يوم القيامة. هـ أنّ الله - سبحانه وتعالى ـ قد يبتلي العباد بشرع بعض الشرائع ونسخه؛ لقوله: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه *

٦ـ أن علم الله - عز وجل ـ ينقسم إلى قسمين: علم يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو ما يحصل بعد موافقة

العبد لأمر الله، أو مخالفته، وهو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب. وعلم سابق: لا يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو علم الله - تعالى ـ الثابت في الأزل قبل امتحان العبد، فعلمه ـ سبحانه وتعالى - يكون قبل وجود المعلوم، ويكون بعد وجود المعلوم، فالعلم الأول: لا يترتب عليه الثواب والعقاب، وهو المراد في هذه الآية وأشباهها. 7- الإشارة إلى أن اتباع رسول الله ﷺ هو الطريق الصحيح

(١) منها: قوله ﷺ: «أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة علي» رواه أحمد (١٥٧٢٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم (١٦٣٦).

السليم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إلا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ؟.

فمثال
٨- ثبوت النسخ، أي: أن الله - سبحانه وتعالى ـ ينسخ من أحكامه ما يشاء. والنسخ هو: رفع الحكم السابق، فتارة يكون النسخ من بدل إلى بدل أخف منه، وتارة يكون من بدل إلى بدل أثقل منه، وتارة يكونُ من بدل إلى بدل مساو له، وتارة يكون إلى غير بدل: نسخ الحكم إلى بدل أشق منه: نسخ التخيير بين الصيام والإطعام في رمضان، إلى تعيين الصيام؛ فإن صيام رمضان ـ أول ما فرض ـ كان يخير فيه الإنسان بين أن يصوم أو يطعم؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: * يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون به أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [البقرة:١٨٤،١٨٣]؛ فهذه الآية ظاهرة في التخيير بين الصيام والإطعام، وقد ثبت ذلك صريحا في الصحيحين» من حديث سلمة بن الأكوع: أن الصيام أول ما فرض كان يخير فيه الإنسان بين الإطعام والصيام، ثم نسخ هذا التخيير إلى وجوب الصيام عينا).
ج

١٨٣

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: «فمن شهد منكم الشهر فليصمة رقم (٤٥٠٧)، ومسلم كتاب الصيام، باب بيان نسخ: « وعلى الذين يطيقونه فدية»، رقم (١١٤٥)..

والحكمة في ذلك: هو أن الله - سبحانه وتعالى ـ إذا أراد أن يحكم حكها، وكان فيه شيء من المشقة على النفوس، بدأ ـ سبحانه وتعالى ـ بالأخف فالأخف، حتى ترتاح النفس، ويسهل عليها قبول الأشق أو
الأثقل.

-

ع
ومثال النسخ إلى بدل أخف منه: قوله ـ تبارك وتعالى ـ في آيتي المصابرة: (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * [الأنفال:65]، فجعل الله ـ تعالى ـ الصبر مشروطا بأن يقابل العشرون منا مئتين، وأن يقابل المئة منا ألفا من الذين كفروا، وهذا لا شك أن فيه مشقة، لكن الله - سبحانه وتعالى ـ لطف وخفف في قوله: « التين خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين ﴾ [الأنفال:66]، فصار الصبر يتحقق في مقابلة الواحد لمثليه.
ج

ومثال النسخ إلى بدل مساو: ما نحن فيه الآن، نسخ استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة شرفها الله؛ فإن هذا البدل مساو للبدل الآخر بالنسبة للمكلّف؛ إذ لا فرق عند المكلف من حيث التعب البدني والمشقة البدنية بين أن يستقبل بيت المقدس، أو يستقبل الكعبة المشرفة. ومثال النسخ إلى غير بدل: ما أوجب الله - سبحانه وتعالى ـ على

المسلمين من الصدقة عند مناجاة النبي ﷺ؛ فإن الله أوجب على المسلمين إذا أرادوا أن يناجوا رسول الله ﷺ أن يتصدقوا)، ولكن الله ـ تعالى ـ خفف ذلك عنهم ونسخ هذا الوجوب. ولا شك أن النسخ قد يكون سببا لفتنة بعض الناس، وارتداده أو شكه، ولكن الحقيقة أن النسخ يدل دلالة واضحة على أن رسول الله ، رسول الله حقا، وأنه صادق فيما بلغ عن ربه، تبارك وتعالى. ثم إن في النسخ بيانا لحكمة الله - سبحانه وتعالى ـ في شرعه وأنه ـ جل وعلا ـ يتعبد عباده با شاء، على الوجه الذي يكون به صلاحهم. 9ـ أن النسخ يكون شاقا على كثير من النفوس، إلا على من هداهم الله؛ فإنه يكون يسيرا عليهم؛ لأنهم يعلمون أن هذا النسخ لم يصدر إلا عن حكمة بالغة، ولا يزيدهم النسخ إلا طمأنينة وثقة بشريعة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: «وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » ١٠ـ لطف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعباده؛

حيث لم يهـر ثواب الأعمال المنسوخة، ولم يضيع أجرها على من تعبد الله بها؛ لقوله:«وما كان الله ليضيع إيمننكم ؟.

اا۔ أن فيها دليلا لما ذهـب إليه أهـل الشئة والجاعـة، مـن أنّ الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؛ لقوله - تعالى -: «وما كان الله ليضيع

(ا) كا في سورة المجادلة، آية: ١٢.

إيمانكم »، ووجه دخول الأعمال في مسمى الإيمان، أنها صادرة عـن إيمان: فلولا الإيمان مـا تعبد الناس الله - عز وجل ۔ لولا إيان الـنـاس بأن هذه شريعة الله، وأنه يثيب عليها، ما تعبدوا الله ۔ تعالى ۔ بها؛ ولهـذا أطلق الله الإيمان هنا على الصلاة إلى بيت المقدس سابقا. ١٢۔ إثبات اسمين من أسماء الله، وهما: «الرؤوف» و«الرحيم»، وإثبات ما تضمّناه من صفة؛ فإنّ كل اسم من أسماء الله، فإنه متضمن لصفة من صفاته، وهذا نقول: الصفات أوسع من الأسماء؛ لأن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة من صفاته، وليس كل صفة من صفات الله يشتق له منها اسم، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأخبار عن الله أوسع من باب الصفات أيضا؛ فالأسماء والصفات أخبار، فمثلًا: الاسم يتضمن الصفة، والصفة لا يشتق منها الاسم، والأخبار يخبر بها عن الله بالشيء الذي لا يمكن أن يوصف به، فتقول مثلًا: إن الله شيء، لكن لا تصفه بذلك؛ قال الله ۔ تبارك وتعالى -: (قل أي شيء أكبر شهدة قل الله شهيد بيني وبينكم ؟ [الأنعام: 19].

ع

ع

ثم قال الله ۔ جل ذكره ۔: « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضنها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من

ربهم وما الله بغفل عما يعملون ﴾ [البقرة:١٤٤]. وقد نرى : جملة فعلية مؤكدة بـ(قد)، والرؤية هنا: رؤية بـصر، وجاء الفعل بصيغة المضارع دون الماضي، إشارة إلى تكرار الفعـل مـن النبى ﷺ، فتكررت رؤية الله ـ تعالى ـ له.
«تقلب وجهك» هو أن النبي ﷺ كان يقلب وجهه في السماء ترقبا لنزول الوحي بأمره بالاتجاه إلى الكعبة المعظمة. فلنولينك قبلة ترضنها »، أي: لنوجهتك إلى قبلة ترضاها، أي: تطمئن إليها وتستقر؛ لأنه ﷺ راض بكل مـا شـرعـه الله لـه، سـواء في استقبال الكعبة، أو بيت المقدس، لكن طمأنينته لاستقبال الكعبة أشد؛ ولهـذا فـرع عليهـا قـولـه:«فول وجهك شطر المسجد الحرام »، أي: جهة المسجد الحرام، وهو الكعبـة، وسُـئي مسجدا حرامـا لـحرمته

وتعظيمه، ولهذا ثبت له من خصائص التحريم ما لم يثبت لغيره. وحيث ما كنتُر»، يعني: في أي مكان كنتم من مشارق الأرض

ومغاربها.
«قولوا وجوهكم شطره » الخطاب هنا للأمة عموما، والخطـاب

الذي قبله لرسول الله ﷺ، الخطاب الذي لرسول الله ﷺ خطـاب لـه وللأمة، كما سنذكره إن شاء الله قريبا.
ه وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم * الذين أوتـوا الكتاب هم اليهود والنصارى.

وليعلمون أنه»، أي: ما حصل من الاتجاه إلى الكعبة، والحق من ربهم؛ ولكنّهم قوم معاندون مستكبرون؛ ولهذا توعدهم الله بقوله:
وما الله يغفل عما يعملون».

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: 1 - إثبات رؤية الله ـ تعالى ـ لما يفعله العباد؛ لقوله: «قد نرى تقلب
وجهك في السماء ..

-

٢- إثبات على الله - سبحانه وتعالى ـ؛ لأن النبي ﷺ يقلـب وجـهـه في السماء ترقبا لنزول الوحي من الله - سبحانه وتعالى ـ. وعلو الله - سبحانه وتعالى ـ في الـساء أمـر مفـطـور عـليه الخلـق، ودلت عليه الشرائع والعقول، وقد اجتمعت الأدلة الخمسة: الكتـاب والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، عـلى إثبـات علـوّ الله - سبحانه

وتعالى ـ فوق خلقه.
وقد قسّم العلماء ـ رحمهم الله ـ العلو إلى قسمين: الأول: علو ذات، بمعنى أن الله ـ تعالى ـ فوق كل شيء. والثاني: علو صفة، بمعنى أن صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ هـي أعلى ما يكون من الكمال.
فأما الأول: فأدلته ما أشرت إليهـا: الكتاب، والـشنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، وتفصيل ذلك في كتب العقائد. وأما الثاني: فله أدلة سمعية وعقلية:

=5111

أحكام من القرآن الكريم

منها: قوله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [النحل:60]، أي: الوصف الأعلى الأكمل، وهذا دليل سمعي. وأما الدليل العقلي: فلأن الرب لا بد أن يكون أكمل من المربـوب، وأعلى من المربوب، وصفا وقدرا، وهذا هو الواقع . 3- وعد الله - سبحانه وتعالى ـ لرسوله ﷺ أن يوليه قبلة يرضـاها، وقد فعل ـ جل وعلا فقال: «فول وجهك شطر المسجد الحرام ؟. 4- أن الخطاب الموجه للرسول ﷺ خطاب لـه ولأمته، ولكـن في هذا تفصيل؛ وذلك أن الخطاب الموجه إلى رسـوله ﷺ، إمـا أن يقـوم الدليل على أنه موجه له وحده، أو على أنه موجه له وللأمة، أو لا يكون هناك دليل، لا على هذا، ولا على هذا:
ع

فأما الأول: فيكون خاصا به؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك و الذي أنقض ظهرك » الشرح:1-3]، ومن المعلوم أن هذا خاص برسول اللہ ﷺ وأما الثاني: وهو الذي دل الدليل على عموم الحكم له ولأمته ـ: دلَّ
فمثل قوله - تعالى -: «يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدين ﴾ [الطلاق:1]، فهنا

صدر الخطاب بخطاب موجه إلى الرسول ، بأداة النداء، في قوله: «ينأيها الني، ولكنه جعل الحكم عاما، فقال: «إذا طلقتم النساء فطلقوهن “، ولم يقل: «إذا طلقت»؛ وهذا يدلُّ على أنه عام له ولأمته و، ومنه هذه الآية: * فول وجهك شطر

سـورة البقـرة

ج
المسجد الحرام وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم شطره .

517

وأما القسم الثالث: فكثير في القرآن الكريم، يكون الكلام بصيغة الخطاب للواحد، وهذا ظاهره أنه موجه إلى الرسول ﷺ، فقيل: إنـه موجه له ولأمته، لكن خص الخطـاب بـه؛ لأنـه قـائـد الأمـة وإمامهـا، وقيل: بل هو موجه له وحده، وأمته ـ في ذلك ـ يشملها الخطـاب مـن باب التـأسي والاقتـداء، والخلاف في هـذا لفظي؛ لأن كـلا القـولين ينصب في أن الأمة تفعل ما وجه إلى الرسول ﷺ
5- وجـوب استقبال القبلة في أي مكـان مـن الأرض؛ لقولـه : وحيث ما كنتة فولوا وجوهكم شطره .
6- أن الواجب الاتجاه إلى الجهـة، لا إصـابة عين الكعبـة؛ لقوله: ٦ـ شـطر المسـجد الحرام»، أي: جهته، وهذا ما لم يتيسر استقبال عـين الكعبة، فإن تيشر استقبال العين، كان واجبا، ومن المعلوم أن مـن كـان في المسجد الحرام، يتيشـر لـه أن يتجـه إلى عين الكعبـة غالبا؛ لأنـه يشاهدها، ومـن كـان خـارج المسجد الحرام، ولا يسعه أن ينظـر إلى الكعبة، فإنه لا يمكنه أن يشاهد الكعبـة، فيكفيـه الاتجاه إلى الجهـة.

w

والجهة واسعة، وكلما بعدت المسافة، اتسعت الجهة؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله ـ: إنه لا يضر الانحراف اليسير عن القبلة، وإنما الـذي يضـر أن تكون القبلة عـن يمينـك، أو عـن شـالك، أو خـلـف ظهـرك، أما الانحراف اليسير فإنه لا يـضر؛ واستدلوا بقـول النبي ﷺ: «ما بين

المشرق والمغرب قبلة»(١)، قاله لأهل المدينة، ومن كان على سمتهم، ولقوله و: «لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا»(٢).

ويستثنى من وجوب الاتجاه إلى القبلة، ثلاث مسائل: المسألة الأولى: عند الخوف، إذا كان الإنسان هاربا من عدة، فإنه يصلي حيث كان وجهه.
المسألة الثانية: العجز، إذا كان الإنسان مريضا، ولا يستطيع أن يتوجه إلى القبلة بنفسه، ولا بمن يوجهه، فإنه يصلي حيث كان وجهه. المسألة الثالثة: النّافلة في الشفر؛ فإن الإنسان يصلي على راحلته من سيارة، أو بعير، أو طائرة، حيث كان وجهه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك.

أما الدليل في المسألتين الأوليين، الخوف والعجز: فهو قوله ـ تعالى ـ: (فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن:16]. ـ أن أهل الكتاب يعلمون الحق الذي جاء به النبي ﷺ، ولكنهم معاندون مستكبرون، وقد قال الله ـ تعالى ـ في آية أخرى: إنهم يعرفون

(١) رواه الترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، رقم (٣٤٢، ٣٤٣،٣٤٤)، وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة، رقم (١٠١١). (٢) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول، رقم (١٤٤)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الاستطابة، رقم (٢٦٤).

ع
لا
النبي ﷺ كا يعرفون أبناءهم، وذلك با ذكر من أوصافه عندهم التي لا تنطبق على بشر سواه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورنة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهنهم عن المنكر وجل لهم الطيبنت وتحرم عليهم الخبيث ويضع عنهم إضرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين ءامنوا به، وعززوه ونصروه واتبعوا الثور الذي أنزل معه أولتيك هم المفلحون ﴾ [الأعراف:15]؛فإن هذه الأوصاف منطبقة

تماما على رسول الله الهاشمي القرشي و، وهم يعلمون ذلك، لكنهم كانوا مستكبرين حسادا؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « ود كثير من أهل الكتب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة:١٠٩].

٨ـ ذم من علم الحق ولم يتبعه، وتعريضه نفسه للعقوبة؛ لقوله ـ تعالى -: « ليعلمون أنه الحق من ربهم ؟. 9ـ إثبات أن الله ـ تعالى ـ موصوف بالإثبات، وموصوف بـالنفي؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ قد جمع فيها وصف به نفسه بين النفي والإثبات، والإثبات أكثر من النفي؛ ولهـذا يأتي الإثبات مفصلًا، ويأتي النفـي مجملًا، إلا فيما يحتاج إلى التفصيل فيه. قال أهـل الـعـلـم: وصفات الله -

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٦، وسورة الأنعام، آية: ٢٠.

سبحانه وتعالى ـ التي نفاها عن نفسه لا يقصد بها مجرد النفي؛ لأن مجرد النّفي ليس وصفا كاملًا، ولكن كل صفة نفاها الله عن نفسه، فالمراد بها إثبات كال ضدها مع النّفي:
ج
فمثلًا قوله - تعالى -: ﴿ وما الله بغفل عما يعملون» يدل على انتفاء غفلة الله عما يعملون مع ثبوت كمال العلم والمراقبة، وفي قوله - تعالى -: ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض *، إثبات كمال العلم والقدرة؛ ولهذا قال بعدها: «إنه كان عليما قديرا ﴾ [فاطر:44]، فلا يمكن أن تجد نفيا محضا في صفات الله، وتعليله أنّ النّفي المخض عدم محض، والعدم المخض ليس فيه كال، وكل ما نفاه الله عن نفسه، فالمراد به نفي ما نفاه مع إثبات ما تضمنه من كمال الضفة التي هي ضد ذلك النفي، فلم ينف عن نفسه الظلم، إلا لكال عدله، ولا العجز، إلا لكال علمه وقدرته، ولا الغفلة عن أعمال العباد، إلا لكال عليه ومراقبته،،، وهلم جرا.

ج
ثم قال ـ تعالى ـ: « ولين أتيت الذين أوتوا الكتب بكل ءاية ما تبغوا قبلتك وما أنت بتابع قبلهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظلمين * *

بكل ءاية»، أي: بكل دليل على ما أتيت به.
وما تبعوا قتلتك »؛ وذلك لأنهم لا يريدون الحق، وإنا يـريـدون با

العلم والاستكبار.
ع
(وما أنت يتابع قبلهم »؛ وذلك لأن شرع النبي ﷺ نسخ جميع
ج
الشرائع، فهم بريئون منك، وأنت بريء منهم، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: * فل يتأيها الكفرون و لا أعبد ما تعبدون (ولا أنتم عابدون ما أعيد ﴾ [الكافرون:1-3] إلى آخر السورة.
«وما بعضهم يتابع قبلة بعض »، يعني: أن أهل الكتـاب ـ أيـضـا ـ مختلفون، فلا يتبع بعضهم بعـضـا في القبلـة والاتجاه؛ فالنّصارى لهـم اتّجاه، واليهود لهم اتّجاه، ومع ذلك فهم فيما بينهم أولياء ضد المؤمنين. ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظلمين ، يعني: إن قدر أنك داهنتهم واتبعت أهواءهم .. من بعد ما جاءك من العلم ـ لكنت من الظالمين، وهذا التعليق لا يلزم منه وجود المعلق؛ فإنّ «إن» الشرطية تدخل على شيء متعذر، بل مستحيل؛ كقوله - تعالى -: * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العبدين * [الزخرف:٨١]، فلا يعني ذلك: أنه يمكن أن يكون الله ولد. فـ«إن» هنا: داخلة على شيء مستحيل، وكذلك قوله ـ تعالى ـ: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لين أشركت ليخبطن عملك ولتكونن من الخسرين * [الزمر:65]، لا يقول قائل: إن الرسول يمكن أن يشرك، بل هذا على

فرض وقوع ذلك، والفرض يمكن أن يرد على شيء مستحيل. في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: 1- بيان تمرد الذين أوتوا الكتاب واستكبارهم، وأنهم لو أتوا بكل
آية ما قبلوها؛ لعنادهم واستكبارهم.
٢ـ أنّ المؤمن بريء من كل دين يخالف الإسلام، حتى من دين من .

٤
يزعمون أنهم على دين، كالذين أوتوا الكتاب . ٣ـ وجوب مخالفة المشركين فيما يختص بهم؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما أنت بتابع قبلهم »؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من مشابهة الكفار، فقال: امن تشبه بقوم فهو منهم»، وقال: «خالفوا المجوس؛ وفروا اللحى، وحفوا الشوارب»(٢)؛ فلا يحل للمؤمن أن يتشبه بالكفار فيما يختص بهم من لباس، أو هيئة، يعني: في الجسم، كالشعور مثلًا، يصففها على ما يصففها الكفار، وغير ذلك؛ لهذا الحديث الذي ذكرتُ، ومن المعلوم أن التشبه بالكفار يؤدي إلى فرحهم وسرورهم، ومن المعلوم ـ أيضا ـ أن المتشبة في حال ومرتبة دون المتشبه به، فتشبهنا بالكفار والمشركين، يؤدي إلى اعتلائهم وترفعهم علينا، واعتقادهم أننا لهم تبع، ولا شك

(١) رواه أحمد رقم (5093، ٥٦٣٤)، وأبو داود كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم

(4031)..

(٢) رواه البخاري كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، رقم (٥٨٩٢)، ومسلم كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٢٥٩) عن ابن عمر، ولفظه: «خالفوا المشركين». ورواه مسلم عن أبي هريرة، رقم (٢٦٠) بلفظ: «خالفوا المجوس».

-

أنّ هذا إهانة وإغاظة للمؤمن، والمؤمن ينبغي أن يعتقد بقلبه أنه هو الأعلى؛ لأنه يدين الله ـ تعالى ـ بدين عال على كل الأديان؛ كما قال ـ تعالى -: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله، ﴾ [التوبة:33، والصف:9]، وقال - تعالى -: ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران:١٣٩]. ٤- بيان اختلاف أهل الكتاب، وأن بعضهم لا يدين بما يدين به الآخر؛ لقوله ـ تعالى ـ: «وما بعضهم بتابع قبلة بعض »، وهذا هو الواقع، فلننظر الآن إلى اليهود ماذا قالوا عن عيسى؟ قالوا: إنه ابن زانية ـ والعياذ بالله ـ وقالوا عن أمه: إنها زانية بغي. وماذا قال النصارى عنه؟ قالوا: إنه ابن الله، وقالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة: الله، والمسيح، وأمه، فنجد الطرفين متناقضين بينها أكثر ما بين المشرق والمغرب، وقال المسلمون في عيسى بن مريم وأمه: إن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن أمه مريم صديقة، أبعد ما تكون عمّا رماها به اليهود. 5- التحذير من متابعة أهواء أهل الكتاب؛ لأن الله ـ تعالى ـ حذر نبيه منه، وما حذر منه الرسول ﷺ، فنحن محذرون منه. 6- الإشارة إلى أن ما قاله أهل الكتاب من الحق، فلا حرج علينا في اتّباعه؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: «ولين أتبعت أهواءهم»، فأما ما جاؤوا به من الحق فإننا نقبله؛ لأن الحق يقبل من كل من جاء به؛ ولهذا لما

جاء الخبر إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا محمد، إنا نجد أن الله ـ تعالى ـ يجعل السّموات على إصبع، والأرضين على إصبع...» وذكر الحديث. ضحك النبي ﷺ تصديقا لقوله، وقرأ: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والشموات مطويت بيمينه شبخته، وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر:67] ().
٤

ـ أنه يشترط للإثم بالعمل: العلم بالتحريم، فلا يأثم العامل بالإثم، وهو لا يعلم أن عمله محرم؛ لقول ـ تعالى ـ: «ولين أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم »، فلا يؤثم الإنسان بفعل شيء هو جاهل به؛ ويدل هذا الأصل العظيم أن الله ـ تعالى ـ قال: « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم * [الأحزاب:5]، وقال ـ جل وعلا -: « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فقال الله - تعالى -: «قد فعلتُ»(٢) وقال الله - تعالى -: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا [الإسراء:15]، وقال ـ تعالى ـ: * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم ءايتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها
ج

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب (وما قدروا الله حق قدره * رقم (٤٨١١)، ومسلم كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٦).
(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان قوله ـ تعالى ـ: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه * رقم: (١٢٦).

ج
ظلمون * [القصص:59]، وقال - تعالى -: * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيز حكيما * [النساء:165]، وقال ـ تعالى ـ: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم:4]. والآيات في هذه كثيرة، تدل على أنه لا تأثيم مع الجهل، وهذا من رحمة الله بالعباد، ألا يؤثمهم با يجهلونه؛ لأنّ الإنسان بشر ضعيف، وإذا لم يأثم به لم يترتب عليه فدية ولا كفارة؛ إلا ما كان من قتل الخطأ، فإن فيه الكفارة؛ لعظم حتّى النفس المعصومة.
.!

ثم قال الله - عز وجل -: (الذين ءاتينهم الكتب يعرفونه، كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (*

[البقرة:١٤٦].
والذين اتيتهم الكتب» هم اليهود والنصارى.
يعرفونه, »، أي: يعرفون النبي ﷺ
كما يعرفون أبناءهم »، أي: كمعرفة أبنائهم؛ وذلك ما علموا من صفته في التوراة والإنجيل، وخص الأبناء؛ لأن تعلق النفوس بهم أعظم من تعلقها بالبنات غالبا.
وإن فريقا منهم » فريقا منهم، أي: طائفة من هؤلاء الذين أوتوا

الكتاب، وهم علاء بني إسرائيل.
ليكتمون الحق وهم يعلمون»، أي: يعلمونه، ولكنهم يكتمونه

ويخفونه عن الناس؛ إما حسدا لأمة محمد ، وإمّا للخوف على رئاستهم وسلبهم أموال الناس، وإما لغير ذلك. قال - تعالى -: « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين *

[البقرة:١٤٧]:
الحق من ربك ؟ هذا تثبيت للرسول ﷺ : أن الحق من ربك،
وقد أتاك.
(فلا تكونن من الممترين »؛ نهاه الله - عز وجل ـ عن ذلك، وهو لا يمكن أن يمتري؛ لأن الضغوط العظيمة، والكلمات القوية من الذين أوتوا الكتاب ومن المشركين على رسول الله ﷺ، قد تطيح بالشخص، إلا أن يثبته الله ـ تعالى ـ كما قال ـ تعالى ـ: « ولولا أن تبتنك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلًا في إذا لأذقنك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

في هاتين الآيتين من الفوائد والأحكام ما يلي: 1ـ أن أهل الكتاب ـ اليهود والنّصارى ـ يعرفون النبي ﷺ تمام المعرفة؛ وذلك با ذكر من أوصافه في التوراة والإنجيل. ٢ـ تمام عدل الله ـ عز وجل ؛ حيث قال: « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»، ولم يقل: «وإنهم ليكتمون الحق»؛ لأن منهم من أقر بالحق وآمن؛ كعبد الله بن سلام من اليهود، والنجاشي من النصارى، ولو جاء التعميم: «وإنهم ليكتمون الحق»، لم يكن في هذا

بيان لفضل أولئك الذين آمنوا بالرسول ﷺ . ثم إن في قوله: ﴿ وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» إشارة إلى أن النبي ﷺ على الحق؛ لأن فريقا من أهل الكتاب آمنوا به وصدقوه، فيكون في ذكر

«الفريق» دون التعميم فائدتان:
الفائدة الأولى: العدل، وأن لا يهضم الذين آمنوا حقهم. الفائدة الثانية: إثبات صدق الرسول ﷺ عند أهل الكتاب؛ حيث إن فريقا منهم آمنوا به وصدقوه.

٣- ذم من كتم الحق وهو يعلمه، ويشهد لهذا قوله ـ تعالى ـ: * وإذ أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه, فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به، ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾ [آل * عمران:
١٨٧]، وقوله ـ تعالى ـ: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينت والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتب أوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون »

[البقرة:159].
ولهذا كان واجبا على أهل العلم أن يبينوا العلم كلما احتاجت الأمة إليه، إما بالسؤال المباشر عن العلم، وإما بلسان الحال، بحيث يقع الناس في أمر يحتاجون إلى بيانه؛ لأن النبي ﷺ توعد من سئل عن علم، فكتمه، والسؤال عن العلم ـ كما أشرت إليه ـ يكون بلسان الحال، ويكون بلسان المقال:
أما بلسان الحال: فأن يقع الناس في أمر يحتاجون إلى التنبيه عليه.

=

وأما بلسان المقال: فأن يأتيك شخص يسألك عن مسألة شرعية، وأنت تعلمها، فيجب أن تبينها له، إلا إذا علمت أن هذا الرجل لا يريد الوصول إلى الحق، وإنما يريد أن يوقع بين العلماء؛ لأنه ربما يحصل بينهم اختلاف في الرأي، أو يريد الإعنات والمشقة على المسؤول، فحينئذ يكون المسؤول مخيرا بين إجابته، وترك إجابته. ٤ـ أن الحق من عند الله - عز وجل -؛ لأنه صادر من الله ـ تعالى -

وما صدر من الحق فهو حق، وما خالفه فهو باطل. هـ فضيلة الرسول ﷺ؛ حيث أضاف الله ـ تعالى ـ الربوبية إليه في قوله: * الحق من ربك ﴾، وهذه ربوبية خاصة، تقتضي عناية أخص. والربوبية تنقسم إلى قسمين: ربوبية عامة لجميع الخلق، وربوبية خاصة لمن اجتباهم الله - عز وجل -، ومن الأمثلة الجامعة للعامة والخاصة: قوله ـ تعالى ـ عن سحرة آل فرعون: * قالوا ءامنا برب العلمين [الأعراف:١٢١]، وهذه عامة، رب موسى وهرون [الأعراف: ١٢٢]، وهذه خاصة.

6 ـ تثبيت النبي ﷺ وتقويته في قوله ـ تعالى ـ: «فلا تكونن من الممترين، وهو ﷺ لم يمتر، ولم يشك، ولكن هذا من باب تقويته وتثبيته؛ لأن النبي ﷺ بشر ويحتاج إلى التثبيت والتأييد؛ ولهذا قال الله ـ تعالى -: *فلا تكونن من الممترين، وقد بين الله ـ تعالى ـ أن ثبات النبي ﷺ كان بفضله ورحمته، فقال: «ولولا أن تبتنك لقد كدتُ

سورة البقـرة

تركن إليهن شيئا قليلًا مع إذا لأذقنك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء:٧٤-٧٥]. ـ ورود النهـي عـا لا يمكـن وقوعـه؛ لقوله: « فلا تكونن من الممترين»، والامتراء من الرسول ﷺ ليس بواقع، ولا يتوقع ـ أيضا ـ لأنه ﷺ أقوى الناس إيمانا بالله ـ تعالى ـ.

ثم قال ـ سبحانه وتعالى -: ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير »
ج

[البقرة: ١٤٨].
ولكل وجهة »، أي: لكل من المسلمين وأهل الكتاب، وجهة هو موليها، وإن شئت فقل: ولكل، أي: لا بد لكل أحـد، مـن وجهـة هـو موليها، فمن الناس من يولي وجهه شطر الإيمان والإصلاح. وفاستبقوا الخيرات »، أي: تسابقوا إلى الخيرات، والخيرات هي:
ع

ما جاء به الرسول ﷺ من الحق.
ع
أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، يعني: في أي مكان تكونون، فإن الله - سبحانه وتعالى ـ سوف يأتي بكم جميعا، وذلك إذا حشر الناس؛ فإن الله ـ تعالى ـ يحشر الناس جميعا، من أي مكان كانوا من قبل، يحشرون كلهم جميعا كنفس واحدة، يقومون الله ـ عز وجل - من قبورهم، قيام رجل واحد؛ كا قال الله - تعالى -: (ونفخ في الصور

أحكام من القرآن الكريم

فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [يس:51]، وقال - تعالى -: إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ [يس:٥٣]، وقال - تعالى -: (فإنما هي زجرة واحدة - فإذا هم بالشاهرة

[النازعات:١٣-١٤].
فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يأتي بالخلق جميعا أينما كانوا في الأرض، يأتي بهم جميعا ويحشرهم في مكان واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر.
وإن الله على كل شيء قدير؛ فهو قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام
الموجود، بدون عجز ولا ضعف.
وفي هذه الآية الكريمة من الحكم والفوائد ما يلي: 1ـ أن كل واحد من الناس له وجهة يتولاها، ويتوجه إليها، وهم فرق متباينة؛ كما قال ـ تعالى ـ: « هو الذي خلقك فمنكر كافر ومنكر مؤمن ﴾ [التغابن: ٢].
٢ـ الأمر بالتسابق إلى الخير؛ لقوله - تعالى -: «فاستبقوا الخيرات، ثم إن الخيرات منها ما يجب، ومنها ما يستحب، على حسب ما جاءت به الشريعة.

3ـ إثبات الحشر يوم القيامة، وأن جميع الناس سوف يحشرون إلى الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ؟. ٤- إثبات اسم من أسماء الله، وهو «القدير»، وما دل عليه من

سورة البقرة

٣١.

الوصف، وهو: القدرة، فلله - سبحانه وتعالى ـ القدرة التامة في كل شيء إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليها قديرا ﴾ [فاطر:٤٤].

قال الله ـ تعالى ـ: « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد ،

الحرام وإنه للحق من ربك وما الله يغفل عما تعملون ﴾ [البقرة: ١٤٩]. وهذه الآية للتوكيد كا سبق؛ لأن المقام مقام عظيم، والأمر مهم جدا، ولا يشعر إنسان بهذا المقام وأهميته، إلا لو كان موجودا ذلك الوقت - أي: حين تحويل القبلة - لأنه أمر جلل عظيم، أكده الله - عز وجل - في هذه الآية، وفي الآية التي بعدها.
(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام »، أي: من أي مكان خرجت، وإلى أي جهة اتجهت، فلا بد أن تولي وجهك شطر المسجد الحرام، أي: جهته.
وإنه, للحق من ربك »، أي: إن ما ذكر من توليك شطر المسجد الحرام، للحق من الله، وهذه جملة مؤكدة بـ«إن»، وبـ«اللام»، وتأكيد الجملة يدل على أهميتها، وأن الأمر فيها يحتاج إلى توكيد وتثبيت في
قلوب الناس.

أحكام من القرآن الكريم

وما الله يغفل عما تعملونه يقال فيها كما قيل في الآية السابقة،
أي: أنه لكال مراقبته وعلمه، لا يغفل عما يعمله العباد. في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1- تأكيد الأمور الهامة، حتى ترسخ في النفوس، وتطمئن إليها القلوب، ولا يعد هذا من التكرار الزائد، بل هو من التكرار البليغ؛ لأن الشيء كلما كان هاما، فإن البلاغة في العناية به، والاهتمام به. ٢- أن الإنسان في أي جهة خرج، من بر أو بحر أو جو، فإنه يتعين عليه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام في الصلاة، ولكن سبق أنه

استثني من ذلك مسائل: الخوف، والعجز، والنافلة في السفر. 3- أن الإنسان لو تبين له في أثناء الصلاة أنه إلى غير القبلة، فإنه يجب أن ينحرف إلى القبلة، فلو أن الإنسان في البر، واجتهد في القبلة، واتجه إلى جهة ما، ثم جاءه رجل أعلم منه بالجهات، وقال له: إن القبلة عن يمينك، أو عن يسارك، وجب عليه أن يتجه إلى ما أرشده إليه هذا الرجل، ولا يلزمه أن يستأنف الصلاة؛ لأن ما حصل منه في أول الصلاة، صادر عن اجتهاد، ولكن لو استمر على الجهة التي هو عليها بدون علم، فإنه يجب عليه إعادة صلاته؛ لأن اتجاهه إلى غير القبلة فيها بقي من صلاته، باطل.
والصلاة لا تتجزأ، فينسحب البطلان إلى أولها، ولهذا لما جاء رجل إلى أهل قباء، وهم يصلون صلاة الفجر، متجهين إلى بيت المقدس،

والكعبة خلف ظهورهم، قال لهم: إن النبي ﷺ أنزل عليه الليلة القرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاتجهوا إلى الكعبة واستقبلوها، وصار بيت المقدس خلف ظهورهم، بعد أن كان قبل وجوههم؛ لأن هذا هو الواجب.

٤ـ أن ما جاءت به الشريعة ـ شريعة محمد ﷺ هو الحق؛ وعلى هذا فيكون ما سواه باطلًا، ويتفرع على هذه الفائدة: بطلان البدع بجميع أنواعها؛ لأن البدع مخالفة لما جاء به النبي ﷺ؛ فإن البدعة المذمومة هي: التعبد الله ـ تعالى ـ بما لم يشرعه الله، من عقيدة أو قول أو عمل فكل بدعة فهي باطلة؛ لأنها مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ هـ كال علم الله ـ تعالى ـ ومراقبته؛ للمفهوم من قوله: «وما الله بغافل عما تعملون.

نسأل الله - سبحانه وتعالى ـ أن يوفقنا للعمل الذي يرضيه، وأن لا يعلم منا إلا ما يرضى به عنا؛ إنه جواد كريم.

ج

قال الله - تعالى -: ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأيم يعمنى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ [البقرة:150].

وهذه الآية ـ كما هو معلوم ـ هي الآية الثالثة التي كرر فيها وجوب

الاتجاه إلى الكعبة المعظمة، وذلك للتأكيد، وكل جملة منها أعقبت بمعنى عظيم:

ع

أما الأولى: وهي قوله ـ تعالى ـ: «قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتة فولوا وجوهكم شطره »، فأعقبها الله ـ تعالى ـ ببيان أن ذلك هو الحق، وأن الذين أتوا الكتاب يعلمون ذلك. وأما الثانية، ففيها: بيان الحكمة من تحويل القبلة، وتثبيت المؤمنين على ما يورد عليهم من الشبهات حول هذا الموضوع؛ يقول الله ـ تعالى -: ﴿ ومن حيث خرجت»، أي: من أي جهة خرجت، من أي

مكان خرجت.
قول وجهك شطر المسجد الحرام ، أي: جهة المسجد الحرام. وحيث ما كنتم ؟ في أي مكان؛ من بر، أو بحر، أو جو. «قولوا وجوهكم شطره. » .
ثم بين الحكمة من ذلك بقوله: (إفلا يكون للناس عليكم حجة»، أي: لئلا يحتج الناس عليكم، يعني: أوجبنا عـلـيـكـم ذلـك؛ لئلا يحتج الناس عليكم، فمن الذي يحتج؟ يحتج من الناس طائفتان:
الطائفة الأولى: أهل الكتاب.
الطائفة الثانية: المشركون.
أما المشركون: فإن النبي ﷺ لو بقي على الاتجاه لبيـت المقـدس، لقالوا: هذا الرجل ترك قبلة آبائه، إلى بيت المقدس.

وأما اليهود: فإنهم يقولون: هذا الرجل تـرك قبلتـا، وأخـذ بقبلـة قومه.

فبيـن الله ـ عز وجل ـ أنه أوجب علينا أن نتجـه إلى الكعبـة؛ لئلا يحتج هؤلاء وهؤلاء، فبطلـت حـجـة المشركين، باتجاه النبي ﷺ إلى الكعبة، ورجع إلى ما كانت عليه القبلة زمن إبراهيم ـ عليـه السلام ـ وبطلت حجة اليهود الذين قالوا: يتركنـا ويرجـع إلى ديـن آبائه؛ لأن النبي ﷺ إنا يفعل ذلك امتثالًا لأمر الله - سبحانه وتعالى ـ وتحقيقا لما عرفوه هم فيها عندهم من الكتاب؛ ولهذا قال الله ـ عـز وجـل ـ: «إلا الذين ظلموا منهم * وهم اليهود والمشركون، على الوجه الذي ذكرنا
آنها.

ثم نهى الله عباده عن خشية الناس، ولو كانوا ظالمين، فقال: فلا تخشوهم وأخشوني » ، يعني: دعوا خشية هؤلاء الظالمين، واخـشوني؛

فإن خشية الله - سبحانه وتعالى ـ يندفع بها كل شر، وكل ظلم. ولأنه يعمنى عليك ولعلكم تهتدون هذه الجملة معطوفة على قوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة»، أي: وأمـرتـكـم بـأن تـولـوا وجوهكم شطر المسجد الحرام؛ لأتم نعمتي عليكم بالاتجاه إلى الكعبـة المعظمة، التي

هي أول بيت وضع للناس. ولعلكم تهتدون» «لعل» هذه: للتعليل، أي: لعلكم تكونون من ذوي الهداية، الذين وفقوا لهداية العلم، وهداية الرشد.

في هذه الآيات الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1. تأكيد الاتجاه إلى الكعبة المعظمة ـ وقد سبق الكلام عن ذلك ـ وبيان أن الاتجاه إلى الكعبة المعظمة واجب، من شروط صحة الصلاة، إلا ما استثني من المسائل السابقة.
٢ـ أن أحكام الله ـ تعالى ـ الشرعية، معللة، أي: لها علة وحكمة، وليست لمجرد المشيئة التي ليس لها حكمة ولا علة؛ لقوله: «لئلا يكون للناس عليكم حجة .

وفيها: رد على من يقول من أهل البدع: إن أفعال الله - سبحانه وتعالى ـ وأحكامه لا تعلل بعلل؛ لأنه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴾ [الأنبياء:٢٣]، فنقول: إن القرآن والسنة مملوءان من ذكر تعليل الأحكام بالعلل والمصالح، وأما قوله ـ تعالى ـ: « لا يسئل عما يفعل وهم يستلوت »، فهو لا يسأل عما يفعل؛ لكمال أفعاله، ولكونها لا تصدر إلا عن حكمة بالغة.ثم إن هناك أفعالًا الله ـ تعالى ـ وأحكاما لا تعلم عللها وحكمتها؛ فلا مطعن فيها، ولا معارضة الله ـ تعالى ـ
فيها؛ لأن عقول الخلق قاصرة عن إدراك كل حكمة الله ـ تعالى ـ. 3. أنه ينبغي للإنسان أن يتجنب كل سبيل يكون فيه حجة عليه حتى ولو كانت الحجة من أهل الظلم، ما لم يخالف بذلك شريعة الله -

تعالى ـ فدرء الإنسان عن نفسه ما يقبح به، ويسب به: أمر مطلوب. ٤ـ أن الظالمين أهل عناد وشقاق، وأنهم يعاندون ويشاقون حتى

فيها تبين فيه الحق؛ لقوله: «إلا الذين ظلموا منهم ؟ . 5. تحريم خشية الناس في إضاعة حقوق الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فلا تخشوهم وأخشونى »، ويترتب على هذه الفائدة: أنه لا تجوز

المداهنـة في دين الله ـ عز وجل -، بل يجب أن يكون الإنسان قويا، حازما، معتزا بدينه الذي من الله به عليه.

٦- بيان نعمة الله - سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة بإتمام النعمة، حيث قال: «ولأتم نعمتى عليكم»، وما أكثر نعم الله ـ تعالى ـ على هذه الأمة، الدينية والدنيوية؛ كما قال الله ـ تعالى : (اليوم يىس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة:3].

ـ أن امتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهي الله ورسوله، سبب للهداية، وكلما ازداد الإنسان تقوى الله، ازداد هداية؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى -: « والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتىهم تقولهم ؟ [محمد:١٧]؛ ولهذا قال هنا: «ولعلكم تهتدون».

٥

ثم إن الآية الكريمة تشير إلى أن هناك أناسا ضد الدين الإسلامي، يحتجون على المسلمين، في كل ما جاء من شرعهم، ولكن على المسلمين أن يصمدوا، وأن يثبتوا على ما هم عليه، كما أمرهم الله في قوله: (يأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وأهل العدوان يحتجون أحيانا على القرآن

الكريم، وأحيانا على رسول اللہ ﷺ، وأحيانا على ما تضمنته رسالة النبي ﷺ من الشرائع أو الشعائر. نسأل الله - سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنا ممن يعتز بدينه، وأن يكفينـا شر أعدائنا، وأن يجعل شرورهم في نحورهم، إنه على كل شيء قدير.

قال الله ـ تعالى ـ: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم ايتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون - فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

[البقرة:١٥١-١٥٢].
قوله: «كما» «الكاف» هنا: للتعليل؛ كقوله - تعالى -: (واذكروه كما هدىكم ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أي: لهدايته إياكم. و «ما» مصدرية، وتقدير الكلام كإرسـالنا فـيكـم رسـولًا، وهـو محمد ﷺ

وقوله: «فيكم رسولا منكم»، أي: منكم أيها العرب؛ لأنه من العرب، فهو هاشمي قرشي، وهو من بني إسماعيل، وليس من بني إسماعيل نبي سوى محمد ﷺ
يتلوا عليكم ابينا ←، أي: يقرؤها، والمراد بها: القرآن الكريم. (ويزكيكم»، أي: يزكي عبادتكم، ويزكي أخلاقكم، ويزكي
نفوسكم؛ فالدين كله تزكية، على يد الرسول ﷺ

ويعلمكم الكتب والحكمة» يعلمكم الكتاب ـ وهو القرآن -
.
لفظه ومعناه، «والحكمة» هي السنة التي جاء بها رسول الله ﷺ وكذلك ما تضمنه القرآن من الحكم والأسرار، في الأحكام التي جاء بها. ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون»، أي: ما لم تكونوا تعلمون من قبل؛ فإن العرب كانوا قبل الرسالة أمة أمية، لا يعرف واحد منهم أن يكتب اسمه، ولكن الله ـ تعالى ـ من عليهم بهذا الرسول الكريم، فحصل لهم علم وزكاة وحكمة.

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ١ـ منة الله - سبحانه وتعالى ـ علينا؛ حيث أرسل فينا هذا النبي الأمي، الذي يتلو علينا آيات الله، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة. ٢ـ أن رسول الله ﷺ حق من عند الله، قام بها يجب عليه من تلاوة آيات الله علينا وتزكيتنا، وقد علمنا ﷺ كل ما نحتاج إليه في أمور ديننا ودنيانا، حتى قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء، إلا ذكر لنا منه عليا»(1). ٣ـ ثبوت التزكية، وإن شئت فقل: ثبوت الزكاة لمن اهتدى با يتلوه النبي ﷺ من آيات الله؛ لقوله: «ويزكيكم »، ومن عرف حال العرب قبل الإسلام، عرف كيف زكاهم الإسلام، وهذب أخلاقهم

(١) رواه أحمد (٢٠٨٥٤، ٢٠٩٢٨)

وأزال عنهم عصبية الجاهلية.
٤ـ الحث على تعلم الكتاب والحكمة، أي: تعلم الكتاب والسنة؛ لأن الله جعله مما مـن الله بـه عـلينا، حيـث قال: ويعلمكم الكتب والحكمة ». فضل النبي ﷺ على أمته بما يتلوه عـلـيـهـم مـن آيـات الله،

ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلمهم ما لا يعلمون. هـ الإشارة إلى أن من تلا على عباد الله آيات الله، وزكاهم بـا يقـدم لهم من المواعظ، وعلمهم كتاب الله وسنة رسوله و، كان وارثا لرسول اللہ ﷺ، ولهذا كان العلماء الربانيون، ورثة الأنبياء؛ لأنهـم يـرثـونهم في أممهم، يعلمون الأمم ما خلفه الرسل من العلم والهدى، ويدعونهم إلى الخير، ويعينونهم على البر والتقوى.

6ـ أن القرآن والسنة مشتملان على الحكمة، والحكمة هي: وضع الأشياء في مواضعها، بحيث تكون الأحكام مشتملة على ما تكون فيـه المصالح، وتدرأ به المفاسد.
ـ فضيلة العلم؛ لقوله: «ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »، حتى
انتقلت أمة العرب من أمة أمية جاهلية، إلى أمة عالمة متقدمة. هـ أنه ينبغي للإنسان أن يذكر الناس بنعمة الله عليهم في إرسال محمد ﷺ، الذي يتلو علينـا آيات الله، ويزكينا، ويعلمنا الكـتـاب والحكمة، ويعلمنا ما لم نكن نعلم.

سـورة البقـرة

١٥٤١

قال الله - تعالى -: « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »
[البقرة: ١٥٢].
أمر الله ـ تعالى ـ بذكره، وبيـن ثوابه وجزاءه، فقال: «فاذكرون»،
وهذا أمر بالذكر.

وأذكركم»، وهذا الثواب والجزاء.
واشكروا لي »، أي: اشكروني على ما أعطيتكم من النعم. ولا تكفرون» فتجحدوا نعم الله عليكم.

في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي: 1ـ الأمر بذكر الله، وذكـر الله ـ تعـالى ـ ينقسـم إلى

قسمين:ذكـر واجب، وذكر تطـوع لـيس بواجـب، فالصلاة ـ مـثلًا ـ مـن الأذكـار الواجبة، وهي متضمنة لذكر الله ؛ لأن فيها قراءة القرآن، وفيها الركوع والسجود، والقيام والقعـود، والتسبيح والتعظـيـم الله ـ عـز وجـل ـ ودعـاء الله ـ عـز وجـل ـ، والنـوع الثاني: ذكـر تـطـوع؛ كالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والصلوات النافلة.

وينقسم الذكر من وجه آخر إلى قسمين: ذكر بالجوارح: كالأقوال والأفعال، وهذا يقع من المؤمن والمنافق. وذكر بالقلب: وهذا لا يقع إلا من المؤمن.
٢ـ أن جزاء الذاكرين الله أن يذكرهم الله، وقـد ثـبـت في الحديث

الصحيح: أن الله - سبحانه وتعالى ـ قال: «من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم»)، وهم: الملائكة. وعلى هذا فينبغي للإنسان الإكثار من ذكر الله - عز وجل -، والمؤمن يمكنه أن يكون ذاكرا لله ـ تعالى ـ دائها، وذلك بأن يشاهد نعمة الله عليه؛ فإن نعم الله - سبحانه وتعالى ـ على العبد لا تحصى، كل نعمة أنعم الله - سبحانه وتعالى ـ بها عليك، فإنها تذكرك بالله ـ عز وجل -، وبإحسانه وبفضله وإنعامه؛ ولهذا أثنى الله ـ تعالى ـ على الذاكرين على كل حال، فقال: « إن في خلق السموات والأرض واختلف اليل والنهار لايت لأولى الألبب له الذين يذكرون الله فيما وقعودا وعلى جنوبهم*[آل عمران:١٩٠-١٩١]، وقال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلًا * ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]. ٣ـ وجوب شكر الله - عز وجل -، وذلك بالقيام بطاعته، وصرف
نعمه إلى ما أمرنا الله بصرفها إليه، فلا نستعين بنعمه على معصيته. ٤ـ تحريم كفر النعمة؛ لقوله: «ولا تكفرون). فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على ذكره، وشكره، وحسن عبادتـه؛ إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

م
(١) « رواه البخـاري كـتـاب التوحـيـد، بـاب قـول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه * رقـم (٧٤٠٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله، رقم (٢٦٧٥).

قال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا أستعينوا بالصبر والصلوة إنّ
الله مع الصابرين ﴾ [البقرة:153].
قوله: «يأيها الذين امنوا»؛ هـذا نـداء مـن الله ـ عـز وجـل ـ وجهه إلى المؤمنين بوصف الإيمان، وهو الوصف العظيم الذي يعتز بـه كل مؤمن، وهو لا شك وصف تكريم وحث وإغراء؛ ولهذا قـال عبـد الله بن مسعود ـ رضي الله عنـه ـ: «إذا سمعت الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: «يتأيها الذين ءامنوا»، فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه»، وإذا صدر الله الخطاب بهـذا النداء، فإنـه يـستفاد منـه

ثلاث فوئد:

٥٤٣

الأولى: أهمية ما سيوجه إلى المؤمنين.

الثانية: أن امتثال ما سيوجه إليهم من مقتضيات الإيمان. الثالثة: أن مخالفته نقص في الإيمان.
يأيها الذين ءامنوا أستعينوا بالصبر والصلوة »، أي: اطلبـــــوا
العون بالصبر والصلاة:
الصبر على الأمور، ومصابرتها: إن كانت من المأمور بها، فأن تصبر على أداء ما أمرت به، وإن كانت من المنهي عنها، فأن تصبر على اجتنابك لها؛ وذلك لأن النفوس ضعيفة، قد تشق عليها الأوامر، فتتراجع وتتسحب، ولا تكمل الواجب، وقد يشق عليها اجتناب النواهي، فتعجز عن الصبر، وتنتهك المحرمات؛ فلهذا أمر الله -

= ١٥٤٤

أحكام من القرآن الكريم

سبحانه وتعالى - بالصبر: «أصبروا، والاستعانة به، وما أعطي الإنسان عطاء أحسن وأوسع من الصبر؛ فإن الإنسان إذا صبر وعود نفسه على الصبر، خفت عليه الأمور.
وأما الاستعانة بالصلاة: فإن الإنسان يقـف بيـن يـدي الله ـ عـز وجل ـ يناجيه بكلامه، ويتقرب إليه بالثناء عليـه ويـدعوه، قـال النبي : «وأما السجود، فأكثروا فيه من الدعاء؛ فقمـن أن يـسـتـجـاب لكم»، فالصلاة تعين الإنسان على شدائده، ويذكر عن النبي ﷺ أنـه كان إذا حزبه أمر

فزع إلى الصلاة").
ثم قال ـ تعالى ـ: «إن الله مع الصبرين؛ وهذا ترغيب في الـصبر؛ لأن الإنسان إذا علم أن الله معه، سهل عليه معالجة نفسه بالصبر. في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي: ا ـ فضيلة الإيمان، وأنه وصف ينبغي للإنسان أن يعتز به؛ لقوله - تعالى -: «يأيها الذين امنوا).
٢ـ أن يستعين الإنسان على أموره بالصبر.
٣- جواز الاستعانة بغير الله، فيها يكون سببا للعون؛ لأنه قال:

(١) رواه مسلم كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقـم: (٤٧٩) بلفظ : «فاجتهدوا في الدعاء» .
(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، قال: (كـان رسـول اللى ﷺ إذا حزبـه أمـر صلى)، وأبو داود كتاب التطوع، باب وقت قيام النبي ﷺ، رقم (١٣١٩).

واستعينوا بالصبر والصلوة »، وهذه استعانة مقيدة غير متعبد بها.أما الاستعانة المطلقة المتعبد بها، فلا تكون إلا الله وحده؛ لقوله ـ تعالى ـ: إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة:5].

٤- فضيلة الصبر، وأنه عون للإنسان عـلى مـهـات أمـوره، وهـذا شيء مجرب؛ فإن الإنسان قد يستثقل أن يقـوم في آخـر الليـل؛ ليتوضأ بالماء البارد ويصلي في البرد، وفراشه أدفأ له، ولكن نقول: اصبر، اصبر على هـذا، واحتسب الأجـر، وكذلك ربـا يـشـق عـليـه أن يتردد إلى المسجد، فنقول: اصبر واحتسب، وربما يشق عليه أن يصوم، فنقـول: اصبر على الجوع، اصبر على العطش؛ فإن هذا كله خـيـر لـك، وكـذلك إذا نزلت به مصيبة فصبر وانتظر انكشافها، هانت عليه. 5ـ أن الإنسان إذا حزبه أمر، واشتد عليه، فليفزع إلى الصلاة؛ لقوله : (وأستعينوا بالصبر والصلوة ؟.
الاختلاط،
6- فضيلة الصلاة، وفوائدها، ومن تأمل الواقع، وجد أن للصلاة تأثيرا بالغا في تنشيط الإنسان وتقويته، وتسهيل الأمور أمامه. 7- إثبات أن الله
مع
الصابرين، والمعية هنا لا تقتضي
يعني: لا تقتضي أن يكون معهم في أماكنهم؛ فإن الله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك، وهو ـ سبحانه

وتعالى ـ فوق كل شيء، كما قال الله - تعالى -: وهو القاهر فوق عباده، ﴾ [الأنعام: ١٨]، لكن هذه المعية تقتضي: النصر والتأييد والتثبيت، وهذه معية خاصة، وأما المعية العامة لكل أحد

فتقتضي: الإحاطة بالخلق؛ علما وقدرة وسلطانا، وغير ذلك من معاني ربوبيته ـ تعالى ـ كقوله ـ تعالى ـ: « يعلم ما يلج في الأرض وما تخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير [الحديد: 4].
٨ - الترغيب في الصبر؛ لأن قول الله ـ تعالى ـ: «إن الله مع الصبرين»، يراد به ـ مع إثبات المعية ـ الحث على الصبر، والترغيب

وللصبر فوائد كثيرة:
منها: الأجر الكثير؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال: « إنما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر:10].
ومنها: ترويض النفس على الانضباط، والحكمة، وعدم الملل؛ وذلك أن الإنسان لا بد أن يفعل، فإذا صبر على الفعل الذي هو متلبس به، لعلمه بفائدة الاستمرار فيه، فقد روض نفسه على معاناة الأمور وتحملها.

ومنها: أن الصبر سبب لحسن العاقبة؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى -: تلك من أنباء الغيب توجيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصير إن العقبة للمتقين ﴾ [هود:٤٩].
ومنها: أن الله مع الصابرين، وهذه أعظم فائدة: أن يكون الله
معك؛ فإنه من كان الله معه، فإنه منصور.

ومنها: أن الإنسان تهون عليه المصائب، فيما إذا أصيب بمصيبة، ثم صبر واحتسب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «مرها فلتصبر ولتحتسب؛ فإن الله ما أخذ وله ما أبقى، وكل شيء عنده بأجل

مسمى

)(١)

قال الله ـ تعالى ـ: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموت بن أحياء ولكن لا تشعرون (* [البقرة: ١٥٤].

في هذه الآية ينهى الله - سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين أن يقولوا للذي يقتل في سبيل الله : أموات، أي: أن يقولوا في شأن هؤلاء: إنهم أموات، ومعلوم أن من قتل في سبيل الله، فقد مات حتها؛ ولهذا يدفن في الأرض، كما يدفن غيره من الأموات؛ لأن روحه فارقت جسده، لكن هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله، في الواقع: أحياء حياة برزخية ليست كحياة الدنيا المادية الحسية.
بل أحياء ولكن لا تشعرون»؛ لأن حياتهم من عالم الغيب، وعالم الغيب لا يمكن أن نشعر به في عالم الشهادة، لكن يجب علينا أن نؤمن بكل ما أخبر الله به من أمور عالم الغيب؛ لأنه صادر عن أعلم العالمين، وأصدق القائلين، وهو الله - سبحانه وتعالى ـ.

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «لا يعذب الميت ببعض بكاء أهله»، رقم (١٢٨٤)، ومسلم كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم (٩٢٣).

=

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي:
١ـ نهي المسلم أن يقول لمن قتل في سبيل الله : إنه ميت، هذا إذا قلنا: إن القول: قول اللسان، أما إذا قلنا: إن القول قول القلب ـ يعني: اعتقاد القلب ـ فإنه لا حرج أن نعتقد أنه مات ميتة حسية؛ لأن ذلك هو الواقع، لكنهم أحياء عند الله ـ تعالى.

٢ـ فضيلة من يقتل في سبيل الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «بل أحياء،
أي: بل هم أحياء.

3- جواز إطلاق الوصف باعتبارين؛ فإن الذين قتلوا في سبيل الله أموات باعتبار الحياة الحسية؛ لأن أرواحهم فارقت أجسادهم، لكنهم أحياء باعتبار الحياة البرزخية، فهم أموات من وجه، وأحياء مـن وجـه آخر، وذلك لاختلاف الأحوال، ولكن لا نصفهم بالوصـف الأدنى، وهو الموت.

4ـ أن علم الآخرة غـيـر مـشـعور بـه؛ لقولـه ـ تعـالى -: (ولكن لا تشعرون »؛ لأنه أمر غيبي لا يمكن إدراكه حسا.

هـ أن عذاب القبر أو نـعـيـم القـبـر أمـر لا يطلـع عـليـه، هـذا هـو الأصل، لكن قد يطلع الله عليه من شاء من عباده، كـا أطلـع الله نبيـه محمدا ﷺ، على الرجلين اللذين كانا يعذبان في قبريها، حيـث قـال: «إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكـان لا يـستبرئ مـن

البـول ـ أو قال: لا يستتر مـن البـول ـ وأمـا الآخـر : فكـان يـمـشي بالنميمة»).

6ـ قصور علم الإنسان؛ حيث يكون الذي قتل في سبيل الله عنده حيا، وهو لا يشعر بحياته، وهذا يدل على نقص علم الإنسان، وهو كذلك؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا *
[الإسراء:٨٥].

**

قال - تعالى -: « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصبرين ﴾ [البقرة: 155]. في هذه الآية يؤكد الله - سبحانه وتعالى ـ أنه سيبلو عباده «بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »، كلها فيها الابتلاء والامتحان، ويؤكد الله - سبحانه وتعالى ـ ذلك بثلاث مؤكدات: اللام، ونون التوكيد، والقسم المقدر؛ لأن تقدير الكلام: والله لنبلونكم بشيء من الخوف، وهو: الذعر، سواء أكان هذا الخوف من عدو حقيقي ماثل أمام الإنسان، أو من عدو غير معلوم: كالخوف الذي يلقيه

الشيطان في قلب الإنسان؛ كما قال ـ تعالى ـ: « إنما ذلكم الشيطن خوف أولياءه ﴾ [آل عمران:175]، أي: يخوفكم أولياءه.

(١) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٨)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

والجوع *، وهو: نقص الطعام، سواء أكان ذلك بفقد النقود التي يشتري بها الإنسان طعامه، أو بفقد الطعام نفسه، بحيث لا تنبت الأرض، أو لا يجلب إلى البلد.
ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » نقص من الأموال: با
يحدث من الجوائح والفيضانات وغيرها، مما يرسله الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده عند معصيتهم إياه، ونقص الأنفس: بالموت؛ كالأوبئة ونحوها، ونقص الثمرات: أن ما يخرج من الأرض؛ كالأشجار والزروع وغيرها، تصاب بنقص: إما في فساد ثمرتها، أو هلاكها، أو ضعفها، أو ما أشبه ذلك.

وكل هذه مصائب يقدرها الله - عز وجل ـ؛ ليبلو عباده: أيصبرون أم لا يصبرون؟ ولهذا قال: «ويشير الطبريت»، أي: أخبرهم با يسرهم، وهم الذين يصبرون على هذا البلاء: الخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

والخطاب في قوله: «وبشر الصابرين * : إما للرسول و، أو لكل
من يصح توجه الخطاب إليه، إلى يوم القيامة. ثم بين صفة من صفات الصابرين، يتميزون بها عن غيرهم، وبين ثوابهم، فقال ـ تعالى ـ: * الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون و أولتيك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولنك هم المهتدون ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧]:

سورة البقرة

١٥٥١١

وأصبتهم مصيبة ، أي: من المصائب السابقة في الآية قبلها، أو
غيرها.
«قالوا »، أي: بألسنتهم، معترفين بها في قلوبهم. «إنا لله »، أي: له، ملكا وعبيدا؛ فله أن يفعل بنا ما شاء. وإنا إليه راجعون ، أي: في جميع شؤوننا، ومنها أننا سنبعث ونلاقيه؛ كما قال ـ تعالى ـ: « ينأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه * [الانشقاق: 6].
(عليهم صلوات من ربهم ورحمة »، الصلوات من الرب على
العبد، قيل: إنها، الرحمة، والصواب: أن الصلوات غير الرحمة؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: *صلوات

من ربهم ورحمة »، والعطف يقتضي المغايرة، فما هي الصلاة على العبد؟ «الصلاة على العبد» أحسن ما قيل فيها ما قاله أبو العالية ـ رحمه الله ـ حيث قال: «صلاة الله على العبد: ثناؤه عليه في الملا الأعلى»، يعني: أن الله ـ تعالي ـ يثني على المصلى عليه، في الملا الأعلى عند الملائكة.
وعلى هذا: فمعنى الآية: «عليهم صلوات من ربهم»، أي: لهم ثناء من الله ـ تعالى ـ عند الملا الأعلى. ورحمة » أي: رحمة يحصل بها مطلوبهم، وينجون بها من

مرهوبهم.
وأولتيك »، أي: إن الذين إذا أصابتهم مصيبة، سلموا الأمر

لهم

لله، وقالوا: «إنا لله وإنا إليه راجعون »، «هم المهتدون» . و«هم» هذه يسميها علماء اللغة: ضمير الحصر، يعني: أنها تحصر الحكم فيها بعدها، ويتضح هذا بالمثال، فإذا قلت: فلان القائم، أو قلت: فلان هو القائم، صار قولك هو القائم، أكد في الحصر والاختصاص من قولك: فلان القائم؛ ولهذا فهي ـ في الحقيقة ـ مع إفادتها الحصر، تفيد: التوكيد.
وأولتيك هم المهتدون»، أي: الذين اهتدوا بهداية الله ـ تعالى ـ

في الآيات السابقة من الفوائد والأحكام ما يلي: ا- جواز التوكيد بالقسم في الأمور الهامة؛ لقوله: (ولنبلونكم بشيء ، ولكن ينبغي أن يعلم أنه لا ينبغي للإنسان أن يكثر من الأيمان، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وإلا فإنه يلقي الخبر على ما هو عليه، بدون توكيد، لكن عند الحاجة لذلك يؤكده بالقسم. ٢- أن الخوف والجوع ونقص الأموال ونقص الأنفس ونقص الثمرات، كلها من المصائب والبلاء.
٣- بيان حكمة الله - عز وجل ـ في تدبيره لخلقه، حيث يقدر لهم الضراء والسراء؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملًا؛ كقوله - تعالى -: ولنبلونكم حتى تعلم المجتهدين منكم والصبرين وتبلوا أخباركه [محمد:٣١].

٥٥٣

٤ـ أنه ينبغي للإنسان أن يشعر بقـدر نعمـة الله عليـه، بـالأمن، والعيش الرغيد، ونمو الأموال والأنفس والثمرات.
هـ أن نقص هذه الأشياء مصيبة، فتكون زيادة هذه الأمور، نعمةً ومنحة، ولا شك أنـه كـلـا كـثـرت الأموال، وصرفت في طاعة الله، واستعمل الناس حياتهم في طاعة الله، فإن ذلك خير. 6 ـ أنه ينبغي للإنسان أن يبشر أهل العمل الصالح، بـا يكـون مـن ثواب هـذا العمـل؛ لقولـه ـ تعـالى -: «وتشير الصبرين ان الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » والمبتلى بمصيبة من المصائب المذكورة، لا يخلو من أربع حالات: الحالة الأولى: التسخط والتضجر.
الحالة الثانية: الصبر.
الحالة الثالثة: الرضا.
الحالة الرابعة: الشكر.
هكذا قسم بعض العلماء من يصابون بالمصائب، إلى هذه الأقسام
الأربعة:

فأما الحال الأولى:
وهي
التسخط، فهي حرام، لا يحل للإنسان أن يتسخط على قـضاء الله وقدره، لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا بفعله، ولا يعني ذلك أن نقـول: إنه لا يحزن، قد يحـزن الإنسان، ولا يستوي عنـده المصيبة وعـدمها،

١٥٥٤

أحكام من القرآن الكريم

فتكون المصيبة أشد وقعا عليه، ويحزن لها، لكن يصبر؛ وإلى هـذا يـشير قول النبي ﷺ في ابنـه إبـراهيـم حـيـن مـات، قال: «إن العيـن تـدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنـا، وإنـا بفراقـك يـا إبـراهيم لمحـزونون»(١).
الحال الثانية: الصبر، وهو: أن يتجرع ألم المصيبة ويتألم، ولا يستوي عنده وجود المصيبة وعدمها، بل هو متكـدر منهـا، لكنه لا يقـول مـا يغضب الله، ولا يفعل ما يغضب الله، وهذا

واجب، يجب على الإنسان

أن يصبر، ولا يجوز أن يتسخط، لا بقوله، ولا بقلبه، ولا بفعله. الحال الثالثة: أن يرضى بقضاء الله، أي: يرضى بهذه المصيبة التي أصابته، والفرق بين الرضا والصبر: أنه في حالة الصبر، يتألم الإنسان من المصيبة قلبيا، لكن لا يظهر التسخط، لا بقوله، ولا بقلبه، ولا بفعله، لكنه يتألم، إلا أنه صابر عن فعل ما لا يرضي الله، أما في حالة الرضا: فإنه لا يتألم، بمعنى: أن وجود هذه المصيبة عنده كعدمها؛ لأنها من الله، لا يكون في قلبه ألم أو حسرة، ومعلوم أن هذه الحالة أعلى من الحال الأولى، وإن كانت الحال الأولى أشد من جهة المعاناة، معاناة منازعة النفس.

أما الحال الرابعة: فهي الشكر على هذه المصيبة، ولكن قد نقول:

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» رقم (١٣٠٣)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان، رقم (٢٣١٥).

سورة البقرة

ههه

كيف يشكر الإنسان على مصيبة ألمت به، وأثرت عليه؟ فنقول: نعم يشكر الله؛ لأن هذه المصائب عقوبات معجلة على ذنوب فعلها، فيشكر الله - سبحانه وتعالى ـ على أن عجل عقوبة هذه الذنوب في الدنيا، قبل أن تكون في الآخرة، وأيضا: هو يشكر الله - سبحانه وتعالى ـ على ما يحصل له من ثواب هذه المصيبة، فيكون شكر الله منه على هذه المصيبة، من وجهين:

الوجه الأول: أن عقوبته عجلت، والعقوبة في الدنيا أهون من

عقوبة الآخرة.

والوجه الثاني: أن الله ـ تعالى ـ يثيبه على هذه المصيبة أكثر مما يتوقع. فهذه أحوال من أصيب بمصيبة.

ـ أن من تمام الصبر، تفويض الأمر إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عند المصائب؛ لقوله ـ تعالى ـ: « إنا لله وإنا إليه راجعون »؛ ولهذا ينبغي لمن أصيب بمصيبة أن يسترجع فيقول: « إنا لله وإنا إليه راجعون »، وأن يقول ما جاءت به السنة: «اللهم، أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها»؛ فإن من قال ذلك، آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها، قالت أم سلمة ـ رضي الله عنها

ـ: إنه حين مات زوجها أبو سلمة - رضي الله عنه ـ وهو من أحب الناس إليها ـ قالت ما ذكره النبى ﷺ قالت: « إنا لله وإنا إليه راجعون »، اللهم، أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها، فكانت تقول في نفسها: من خير من أبي سلمة،

ا556ا =

فإذا برسول اللہ ﷺ يتزوجها بعد أبي سلمة، فأعطاها الله سبحانه خيرا مما أخذ منها).
٨ ـ أن العباد الله ـ عز وجل ـ، خلقا وملكا وتدبيرا؛ فهو يفعل فيهم

ما يشاء.
9- الإيمان باليوم الآخر؛ لقوله: «وإنا إليه راجعون *. أما قوله ـ تعالى ـ: «أولتيك عليهم صلوات من ربهم ورحمة »،
فمن فوائدها:

١٠ـ أن الله ـ تعالى ـ يعطي الصابرين هذا الثواب الجزيل. ١١- علو منزلة هؤلاء الصابرين؛ حيث قال: «أولتيك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولتيك هم المهتدون . أولتيك ؟ : اسم إشارة للبعيد؛ وذلك لعلو مرتبتهم. ١٢- بيان الثواب العظيم والجزيل للصابرين؛ حيث نالوا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الثناء عليهم في الملا الأعلى؛ لقوله: (أولنيك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ؟.

١٣- بيان ضعف القول بأن الصلاة من الله هي: الرحمة؛ وذلك لأن الله ـ تعالى ـ عطف الرحمة على الصلوات، والعطف يقتضي المغايرة؛ فدل ذلك على أن الصلوات غير الرحمة، وكا أسلفنا أن أبا

(١) رواه مسلم كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، رقم (٩١٨).

العالية ـ رحمه الله ـ قال: «إن صلاة الله على عبده، ثناؤه عليه في الملا الأعلى».

١٤- أن هؤلاء الصابرين موفقون للهداية؛ لقوله ـ تعالى -: وأولتبلك هم المهتدون ؟ .
نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين على البلاء، الشاكرين على الرخاء، المهتدين بهداية الله، إنه جواد كريم.

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: « إن الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ [البقرة: ١٥٨].

الصفا والمروة: جبلان معروفان، شرقي الكعبة المشرفة، ويسمى الأول: جبل أبي قبيس، جبل كبير من جهة غزة، وعليه بيوت الآن!! والثاني: جبل المروة، وكان عليها صنان لقريش، فتحرج الصحابة - رضي الله عنهم ـ من أن يطوفوا بها، فأنزل الله هذه الآية: «إن الصفا والمروة من شعائر الله ؟.

والشعائر: جمع شعيرة، وهي الخصلة المعظمة في كتاب الله ـ عز وجل كا قال ـ تعالى ـ: (ذالك ومن يعظم شعتبر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ [الحج: ٣٢].
«فمن حج البيت أو اعتمر» «أو» هنا: للتنويع، يعني: أن من

حج، أو اعتمر، فليسع بينها: «فلا جناح عليه أن يطوف بهما »، ويستفاد من قوله ـ تعالى ـ: «من شعائر الله * أن الإنسان مأمور بالطواف بها؛ فإن شعائر الله معظمة، ومن تعظيمها أن يطوف المسلم بين الصفا والمروة.

و«الجناح» هنا بمعنى: الإثم، و«أن يطوف بهما »، أي: بينها. ومن تطوع خيرا »، أي: من فعل طاعة؛ فإن الطاعة خير. فإن الله شاكر عليم * يشكر هذا الفاعل، فيعطيه جزاءه: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي: 1ـ أن الصفا والمروة من شعائر الله، ويتفرع على ذلك أن الطواف بها قربة إلى الله ـ عز وجل ـ.

٢ ـ أن السعي بين الصفا والمروة، من شعائر الحج والعمرة؛ لقوله - تعالى -: «فمن حج البيت أو اعتمره .
أن نفي الجناح لا يمنع أن يكون الشيء مأمورا به؛ لأنه قد ينفى الشيء، خوفا من توهمه، مع بقاء أصل المشروعية . 3ـ أنه لا بد أن يستوعب الإنسان ما بين الصفا والمروة؛ لقوله: أن يطوف بهما ، ولا يمكن تحقق الطواف بها، إلا إذا استوعب ما بينها؛ ولهذا قال العلماء: «لا بد أن يستوعب الساعي، ما بين الصفا والمروة». وفي الوقت الحاضر علامة الاستيعاب، هي: منتهى الشبك -

سورة البقـرة

٥٥٩١

الممر ـ الذي جعل للعربات، فإنه بانتهائه يكون انتهاء المسعى القديم. ٤ـ الحث على فعل الطاعة؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «ومن تطوع خيرا
فإن الله شاكر عليم ؟ .
5 - إثبات هذين الاسمين من أسماء الله وهما: «الشاكر» و«العليم» وإثبات ما تضمناه من صفة، وهي: «الشكر» و«العلم»، ولكن لا شكر إلا على فعل محمود؛ فالله ـ تعالى ـ يشكر من فعل ما يقربه إليه ويرضيه.

**

ثم قال الله - تعالى -: « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينت والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتب أولتيك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولتهك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة: ١٥٩-160].

هاتان الآيتان فيمن آتاه الله علها فكتمه، توعده الله ـ تعالى ـ بهذا الوعيد الشديد: أن الله يلعنه، ويلعنه ـ أيضا ـ اللاعنون؛ وهذا كقوله ـ تعالى -: « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أوليك عليهم لعنة الله والمليكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة:161]، إلا أن الله ـ تعالى ـ استثنى من تاب وأصلح وبين، ووعد من قام بذلك، أن الله يتوب عليه، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو التواب الرحيم.

-

في هاتين الآيتين الكريمتين من الفوائد والأحكام ما يلي: ا۔ تحريم كتم ما أنزل الله مـن البينات والهـدى، وأنـه مـن كـبـائر

=.

الذنوب؛ لأن الكاتم مستحق للعنة الله ولعنة اللاعنين. ٢۔ علو الله - عز وجل ۔؛ لقوله: «ما أنزلنا من البيت والهدى*،
وعلو الله ۔ سبحانه وتعالى ۔ ينقسم إلى قسمين: علو ذاتي: بمعنى أنه ۔ تعالى ۔ بذاته فوق كل شيء. وعلو معنوي: بمعنى أن صفاته كلها عليا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه؛ لقول الله - تعالى -: ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم [النحل:60].
3۔ أن ما أنزله الله ۔ عز وجل - بيان للناس وهدى؛ وهذا كقوله ۔ تعالى ۔ في وصف القرآن: « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان * [البقرة:185].
٤۔ أن ما نزل من عند الله، فإنه هدى يهتدي به كـل مـن شـاء الله - تعالى ۔ هدايته؛ لقوله - تعالى -: «من البيت والهدى ؟. ه أن الله ۔ تعالى ۔ بيـن للناس في الكتب ما يحتاجون إليه في أمـور دينهم ودنياهم، فما من شيء يحتاجه العباد في عبادة الله، إلا بينـه ۔ عـز وجل -، وما من شيء يحتاجونه في المعاملات بينهم، إلا بينـه الله ۔ عـز وجل ۔، حتى يكون الناس على بصيرة من أمرهم، وحتى تقوم عليهم الحجة؛ لقوله: «من بعد ما بينه للناس في الكتب ؟ .
لا
6۔ أن أولئك الكاتمين يستحقون اللعنة؛ لقوله: «أولتيك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنُون ، ويترتب على ثبوت اللعنة لهؤلاء، أنه يجـب عـلى

أهل العلم أن يبينوا للناس ما أنزل الله ۔ تعالى ۔ من العلم، ولا يكتمـوا شيئا منه؛ مداهنة، أو محاباة لبعض الناس.

ـ ومن الفوائد والحكم في الآية الثانية، وهي قوله ـ تعـالى -: ﴿ إلا *
الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولتيك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم
[البقرة: 160]، ما يلي:
هـ أن من تاب مـن ذنـب، فإن الله ـ تعـالى ـ يـتـوب عـليـه، وهـذا مستفيض مشهور في كتاب الله، وسنة رسوله ، ولكن التوبة لا بد لها من شروط:
الشرط الأول: أن تكون بإخلاص، بألا يحمل الإنسان على التوبة إلا وجه الله، ورجاء ثوابه، لا يريد بذلك جاها، ولا رياسة، ولا مـدحا من الناس.

الشرط الثاني: أن يندم على ما جرى عليه من المعصية، سواء كانـت المعصية بترك واجب، أم بفعل محرم.
الشرط الثالث: أن يقلع عما هو عليه من الذنب، فـإن كـان إهمالًا لواجب، قام به، أي: بالواجب، وإن كان فعلًا لمحـرم، نـزع عنـه، وإذا كان حقا لآدمي، فإنه لابد أن يستحله، أو يؤديه حقه.
الشرط الرابع: أن يعزم على ألا يعـود في المستقبل، فـإن قـال: إنـه
تائب، ولكن من نيته أن يعود، فإن هذه التوبة ليست بصحيحة. الشرط الخامس: أن تكون التوبة في الوقت الذي تقبل فيه، وهي

بالنسبة لكل فرد، تنتهي بحضور أجله، وبالنسبة لعموم الناس، تنتهي بطلوع الشمس من مغربها، ودليل ذلك في القرآن الكريم قوله - تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى ثبت الفن ﴾ [النساء:18]، وقوله: (يوم يأتي بعض ايت ربك لا ينفع نفسا إيمنها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمها خيرا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وذلك يعني: طلوع الشمس من مغربها، فإنها إذا طلعت من مغربها، آمن الناس كلهم، ولكنه: «لا ينفع نفسا إيمنتها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . 9- أنه لابد في التوبة مـن الإصلاح؛ لقولـه ـ تعالى ـ: (إلا الذين تابوا وأصلحوا »، فإذا ترتب على فعل المعصية فساد شيء من الأشياء، فلابد أن يقوم التائب بإصلاح هذا ما أمكنه.
١٠ـ أن من كانت معصيته بذنب، فلا بد أن يأتي في التوبة بما يقابل هذا الذنب، وهؤلاء كانت معصيتهم بـالكتان ـ كـتـان مـا أنـزل الله - فلهذا لا بد أن يبينوا؛ ولهذا قال: «وأصلحوا وبينوا»، فـإن قال: إنـه تائب عن كتان ما أنزل الله، ولكنه لم يبين؟ فنقول: إن هـذه التوبـة لا تنفعه؛

لأنه لا بد أن يصلح الإنسان ما فسد على يديه بمعصيته،
فالكاتم لا يمكن أن تقبل توبته وتكون صحيحة، إلا إذا بين. ١١ـ أن من تاب من ذنب، فإن الله يتوب عليه، وعد من الله ـ عز وجل ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فأولئك أتوب عليهم ، وهذا عام في كل

ج
زمان، فمن تاب ـ من أي ذنب كان ـ فإن الله يتوب عليه؛ لقول الله ـ تعالى : (قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر:53].
ج

١٢ـ إثبات اسمين من أسماء الله هما: «التواب»، و«الرحيم». فـ«التواب» هو الذي يوفق للتوبة، ويقبل التوبة؛ والدليل على ذلك: أن الله - سبحانه وتعالى ـ قال ـ في الذين خلفوا في غزوة تبوك ـ: ه وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ [التوبة:118]، فقوله: «ثم تاب عليهم، أي: قدر لهم التوبة حتى قاموا بها؛ ولهذا قال: «ثم تاب عليهم ليتوبوا .

أما المعنى الثاني للتوبة فهو: قبول التوبة، ودليله قوله - تعالى -: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ [الشورى:35].
وأما «الرحيم»، فهو: ذو الرحمة، ورحمة الله ـ تعالى ـ نوعان: عامة، تشمل كل الخلق، حتى الكفار فإنها تشملهم. وخاصة: بالمؤمنين، لا تشمل الكافرين؛ ودليلها قوله ـ تعالى ـ: وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الأحزاب:43].

ثم قال ـ تبارك وتعالى -: « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنه الله والملتيكة

والناس أجمعين و خلدين فيها لا تخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون = ﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢]. «إن الذين كفروا»، أي: كفروا بالله، وبها يجب الإيمان به. والكفر نوعان: نوع جحود، ونوع استكبار.
فالجحود: يتعلق بالأخبار.

١٩١

والاستكبار: يتعلق بالأوامر والنواهي.
فمن كذب خبرا من أخبار الله أو أخبار رسوله الثابتة عنه ، فإنه يكون كافرا، وكفره هذا كفر جحود وتكذيب، ومن صدق، ولكن استكبر، فإنه يكون كافرا، إذا استكبر عن جميع ما أمر الله به، وكفره هذا كفر استكبار، ومنه كفر إبليس؛ حيث قال الله له مع جملة الملائكة: * اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكفرين ﴾ [البقرة:34]. وماتوا وهم كفار»، يعني: استمروا في كفرهم حتى الموت. «أولتيك عليهم لعنه الله والملتيكة والناس أجمعين * كل يلعنهم - والعياذ بالله ـ كل يتبرأ منهم، بل هم أنفسهم في النار «كلما دخلت أمه تعنت أختها ﴾ [الأعراف:38].
خالدين فيها ، أي: في اللعنة؛ وهي الطـرد والإبعـاد مـن رحمـة

الله، هم خالدون فيها، والعياذ بالله.
ولا تخفف عنهم العذاب لا يخفف عنهم؛ أي: بقلة ألمهم.

سـورة البقـرة

ولا هم ينظرون »؛ أي: لا يمهلون بتأخير العذاب عـنهم، بـل العذاب يعجل ـ والعياذ بالله ـ، ويؤاخذون على ما فعلوه. في هذه الآية من الحكم والفوائد، ما يلي: ١ـ أن الكافر لا يستحق الوعيد إلا إذا مات على الكفر؛ لقوله: إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار »، هذه هي
القاعدة العامة في
الشريعة: أن الإنسان لا يعذب عذاب الكفرة، إلا إذا مات على الكفر،
ومن
ذلك قوله ـ تعالى ـ: (ومن يرتدد منكم عن دينه، قيمت وهو كافر فأولتيك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولتيك أضحب النّار هم فيها خلدون ﴾ [البقرة:٢١٧].
٢- خلود أهل النار في لعنة الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «خلدين فيها » وقد وردت آيات ثلاث تدل على أن عذاب النار مؤبد، ففي سورة النساء قال الله ـ تعالى ـ: «إن الذين كفروا وظلموا لم يكن

الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا - إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا [النساء:168-169]، وفي سورة الأحزاب قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿إنّ الله لعن الكفرين وأعد لهم شعيرا و خلدين فيها أبدا [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وفي سورة الجن قال الله ـ تعالى ـ: «إلا بلغا من الله ورسليه، ومن يعص الله ورسوله، فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا [الجن:٢٣]؛ ولهذا لا يعرف عن أهل السنة وأئمة السلف، إلا هذا القول، أي: القول بأن جهنم يخلد فيها أصحابها أبد الآبدين ـ والعياذ بالله .

ج

١٨

٥٦٥

=I566I

أحكام من القرآن الكريم

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة: 163].

والخطاب هنا لجميع البشر : يخبر الله ـ تعالى ـ أنه إله واحد، ويؤكد ذلك بقوله: «لا إله إلا هو»، أي: لا إله حق إلا هو، والإله بمعنى: المعبود حبا وتعظيها.

ويبين ـ عز وجل ـ بعد ذلك أنه الرحمن الرحيم، وفي هذا ـ والله أعلم ـ إشارة إلى أن ألوهيته وربوبيته مبنية على الرحمة بعباده؛ ولهذا ترى ما أمر الله به أمرا ليس بشاق على الناس، بل إذا وجدت المشقة، وجد التسهيل؛ لقول النبي ﷺ: «إن هذا الدين يسر»، وقوله ﷺ وهو يبعث البعوث: «إنها بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»، وقوله لعمران بن حصين: «صل قائها، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم
تستطع فعلى جنب»(٣).

في هذه الآية من الحكم والفوائد، ما يلي: 1ـ إثبات ألوهية الله، ووحدانيته في هذه الألوهية؛ لقوله - تعالى -: وإلهكم إله واحد *.

٢ـ أنه ينبغي في الكلام الهام أن يؤكد بها يؤيده؛ لقوله: «لا إله إلا
نوع

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩).
(٢) رواه البخاري كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم (٢١٧). (٣) رواه البخاري كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعدا صلّى على جنب، رقم (١٠٦٦).

3ـ إثبات اسمين من أسماء الله، هما: «الرحمن» و«الرحيم»، وإثبات ما تضمناه من صفة، وإذا ذكر هذان الاسان جميعا، صار الأول للصفة، والثاني للفعل، وإن أفرد أحدهما شمل الآخر، وعلى هذا فيكون: «الرحمن»، أي: ذو الرحمة الواسعة، و«الرحيم»، أي: الموصل رحمته لعباده، وفي «الرحيم» إثبات أن رحمة الله - عز وجل ـ تتعدى للمرحوم؛ ولهذا قال الله ـ تبارك وتعالى -: * وربك الغفور ذو الرحمة لويؤاخذهم بما كسبوالعجل لهم العذاب ﴾ [الكهف:٥٨]. ٤- إثبات وحدانية الله ـ تعالى ـ في الألوهية؛ لقوله: (وإلهكر إله
واحد *.

5ـ الرد على المشركين الذي يعبدون مع الله إلها آخر، والعجب أنهم يعبدون مع الله إلها آخـر، ويقولون في حـق النبي ﷺ: «أجعل الألهة إليها وجدا إن هذا لشيء عجاب» [ص: 5]، فيقـال: إن العجـاب كـل العجاب، ما أنتم عليه من الشرك، كيف تعبـدون مـع الله غيره، وهـو خالق السموات والأرض، المتفرد بخلقها؟!

٦ـ تأكيد الجملة الخبرية بما يؤيدها، لا سيما في الأمور الهامة، ولا يعد هذا تكرارا في الكلام؛ لقوله: «لا إله إلا هوه. ـ الرد على النصارى المثلثين،الذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: (والهكر إنه وجد)

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « إن في خلق السموات والأرض واختلف اليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريح والشحاب المسخر بين السماء والأرض لايت لقوم يعقلون ﴾ [البقرة: ١٦٤].

هذه جمل تدل على آيات عظيمة، لكن لا ينتفع بهذا إلا أهل العقل؛ لقوله: «لايت لقوم يعقلون).
فالأول قوله ـ تعالى ـ: «إن في خلق السموات والأرض ، في خلـق السموات والأرض آيات عظيمة ولايت لقوم يعقلون كيف جـعـل الأرض على هذا الوجه، وأرساها بالجبال؟! وجعـل الـسـاء عـلى هـذا الوجه، وزينها بالنجوم؟! وكيف تكون هذه الأرض على مـا فيهـا مـن سعة عظيمة، تكون ملجأ للخائفين، ومزدرعـا لـلـحـارثين؟! وكذلك السماء بأفلاكها ونجومها، وشمسها وقمرها، كلها إذا تأملها الإنسان، وجد فيها آيات عظيمة.
وقوله: «واختلف اليل والنهار» أيضا فيه « ءايت لقوم يعقلون [الجاثية: 5]. اختلاف الليل والنهار: بالطول والقصر، كذلك ـ أيضا ـ با يحدث فيها من حوادث، وحروب، وأمن، ورخـاء، وشـدة، وقحـط، وغيث، وغير ذلك.
والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس» وهذا ـ أيضا ـ مـن

الآيات لقوم يعقلون»، الفلك: هي السفينة، تجري في البحر، في هذه المياه العميقة الواسعة التي تتلاطم بـالأمواج، وهـذه الفـلـك تجـري في البحر بما ينفـع النـاس: بحمـل بنـي آدم مـن جـهـة إلى جهـة، وتحمـل الأرزاق من بلد إلى بلد، وغير ذلك مـن الآيات العظيمة في «والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ؟ . وقولـــــه: «وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها؟ هذا ـ أيضا ـ من آيات الله؛ فهذا المطر الذي ينـزل على الأرض القاحلة الميتة الهامدة، فتصبح الأرض مخضرة، كل هذا مـن آيـات الله - عز وجل -، وقـول الله ـ عـز وجـل ـ: (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، يعني: في هـذا ـ أيـضـا ـ آيـات لـقـوم يعقلون، ويريد بالماء الذي ينزل من السماء، يريـد بـه ـ تبـارك وتعالى - المطر، يحيي به الله الأرض بعد موتها، فتجد الأرض هامدة، يابسة، فإذا بها مخضرة تهتز، في هذا آيات على كـال قـدرة الله ـ عـز وجـل ـ، وعـلى قدرته على إحياء الموتى؛ كما يستدل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ذلك في آيات كثيرة من القرآن.

وبث فيها من كل دابة »، أي: نشر في الأرض من كل دابة من الدواب الكثيرة، التي لا يمكن تعداد أجناسها، فضلًا عن أفرادها، وهذه الدواب كلها رزقها على الله ـ عز وجل ـ؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلل في ع

كتب مبين * [هود:6].
والدابة هنا: اسم لكل ما يدب على الأرض، من صغير وكبير،

وإنسان وحيوان.
وتصريف الريح ، يعني: تحريفها من جنوب إلى شال، ومن شرق إلى غرب، وهناك تصريف آخر: من حارة إلى باردة، وتصريف ثالث: من مثيرة للسحاب، إلى ملقحة له، كل هذا التصريف فيه آيات لقوم يعقلون؛ فإن هذا التصريف للرياح، لو اجتمعت الخليقة كلها على أن تأتي بمثله، ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، لو جمعت جميع المكائن النفاثات، وبكل قواها، ما استطعت أن تأتي بأدنى ريح من هذه الرياح.

والشعاب المسخر بين السماء والأرض ؟ هذا السحاب الذي ينسحب في الجو حاملًا المياه العظيمة، بل قد قال الله ـ تبارك وتعالى -: ه وينزل من السماء من جبال فيها من بري فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ [النور:43]، هذا السحاب المسخر المذلل بأمر الله ـ تعالى ـ

يوجهه حيث شاء.
في هذا كله يقول الله ـ عز وجل ـ: «لايت لقوم يعقلون»، أي: لقوم عندهم عقول، يستدلون بهذه الأشياء وغيرها، على قدرة الله، تبارك وتعالى.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي: 1 ـ ما أشار الله إليه في آخرها: «لايت لقوم يعقلون» . ٢ـ الإشارة إلى خلق السموات والأرض، وأن خالقها ـ جل وعلا ـ له من القدرة العظيمة ما يبهر العقول، ولقد بين الله ـ تعالى ـ: أنه خلقها في ستة أيام، وما مسه من لغوب، جل وعلا).
3- العبرة باختلاف الليل والنهار على الوجه الذي شرحناه فيها سبق. وفيها ـ أيضا ـ نعمة الله - سبحانه وتعالى ـ بهذا الاختلاف، وقد أشار الله ـ تعالى ـ إلى ذلك في قوله: « وهو الذي جعل اليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

٤ـ بيان نعمة الله ـ تعالى ـ بالفلك التي تجري في البحر با ينفع الناس، حيث تنقل الناس من بر إلى بر، وتنقل الأطعمة وما يحتاجه الناس، حتى ينتفع الصادر منهم ذلك، والوارد إليهم. 5ـ تمام قدرة الله ـ تبارك وتعالى ـ بإنزال الماء من الساء، وإحياء
الأرض به.

6ـ بيان حكمة الله حيث جعل هذا المطر ينزل من علو، ليشمل ما ارتفع من الأرض، وما نزل منها.
ـ بيان إحاطة علم الله - سبحانه وتعالى ـ بكل شيء في هذه

(ا) سورة (ق)، آية: 38.

الأرض: من الدواب الصغيرة والكبيرة؛ حيث إن الله ـ تعالى ـ نشر في هذه الأرض هذه الدواب، حتى إن الإنسان لينزل أحيانا في أرض قفر ليس حولها أحد، فإذا به يرى النمل، ويرى غيرها مما خلق الله ـ عز

وجل ـ.
٨- بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ بتصريف الرياح، وهذا التصريف له حكم عظيمة؛ لأنه من فعل الله ـ تعالى ـ وكل فعل من أفعال الله، فإنه مقرون بالحكمة البالغة؛ لأن من أسماء الله: «الحكيم»، وهو: المحكم المتقن، لكل ما صنع، ولكل ما شرع.
9ـ أن هذا السحاب مسخر، أي: مذلل، يصرفه الله ـ تعالى ـ حيث يشاء، ولا أدل على ذلك من

استسقاء النبي ﷺ في خطبة الجمعة، حيث جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه، وقال: «اللهم، أغثنا - ثلاث مرات - فما نزل من المنبر إلا والمطر يتحدر من لحيته»). وكذلك قصة الرجل صاحب الحديقة: حين سمع رجل آخر صوتا من السحاب يقول: اسق حديقة فلان، فنزل المطر في حدة، ثم جرى في شرج منها حتى أروى تلك الحديقة، فجاء الذي سمع الصوت إلى صاحب الحديقة يسأله: من أنت؟ حتى ذكر له الاسم

(١) رواه البخاري كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم (١٠١٣)، ومسلم كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء رقم (٨٩٧).

الذي سمعه من السماء، فلما سأله صاحب الحديقة: ما شأنك؟ أخبره بأنه سمع صوتا من السحاب، يقول: اسق حديقة فلان، ثم سأله: ماذا كنت تصنع في هذه الحديقة؟ فأخبره أنه يجعلها أثلاثا: يجعل ثلثا للقيام عليها، وثلثا لنفقته وعياله، وثلثا يتصدق به(١). ١٠- فضيلة العقل، وأن العقل يهتدي به صاحبه إلى معرفة آيات الله - عز وجل -، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - أنه لا يعقل هذه الأمثال، وهذه الآيات إلا العالمون، فقال - تعالى -: « وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها إلا العلمون ﴾ [العنكبوت:43].

قال الله - عز وجل -: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا *
حبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾ [البقرة:165]. في هذه الآية يذكر الله - سبحانه وتعالى - أن من الناس - يعني: أن بعض الناس - يتخذ من دون الله أندادا، أي: نظراء وأمثالًا، يسوونهم بالله - عز وجل -، في المحبة؛ فيحبونهم كحب الله، ويشير بهذا - سبحانه وتعالى - إلى أولئك العابدين لأصنامهم، الذين يحبونها كما يحبون الله - عز وجل -، فيجعلونها شريكة مع الله في المحبة.
قال الله - تعالى -: (والذين ءامنوا أشد حبالله»، وهذا كالاستثناء
(١) رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين، رقم (٢٩٨٤).

الذي يخرج المؤمنين الذين يحبون الله ـ عـز وجـل ـ، أشـد حبـا الله مـن هؤلاء لأصنامهم، أو مـن هـؤلاء الله؛ يعني: أن المؤمنين يحبون الله، ويتعلقون به أشد حبا وتعلقا من هؤلاء بأصنامهم؛ لأن محبة المؤمنين الله ـ عز وجل -، محبة تقتضيها الفطرة والشريعة، أما محبة هؤلاء لأصنامهم

كحب الله، فهي محبة لا ترتضيها الشريعة، ولا تقتضيها الفطرة. ويجوز أن يكون المعنى: ﴿والذين ءامنوا أشد حبالله »، أي: أشـد حبا الله من هؤلاء، وذلك لأن محبة المؤمنين الله، محبة خالصة لا يشركها محبة أحد من الخلق، ومحبة هؤلاء الله ـ تعالى ـ محبـة فيهـا شـرك، بحيـث يحبون هـذه الأصنام كمحبة الله، وإذا كانت الآيـة تحتمـل المعنيين، وأحدهما لا ينافي الآخر، فإن الواجب حملهـا عـلى المعنيين جميعا؛ لأن ذلك أعم وأشمل.
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب»، يعني: ولو يرى هؤلاء الذين ظلموا باتخاذهم أندادا يحبونهم كحب الله .
إذ يرون العذاب»، أي: يشاهدونه، ويعاينونه يوم القيامة. وأن القوة لله جميعا »، وأن أصنامهم ليس لها قوة ولا حول، بل أضعف وأهون من أن يكون لها قوة، وقد قال الله - تعالى -: ـ ويتأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن تخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا
ج

يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [الحج:73]، وهنا يقول: «ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا »، وأنه لا قوة لأصنامهم، فتنقذهم من عذاب الله.
وأن الله شديد العذاب»، يعنى: ويرون أن الله شديد العقاب. يعني: لو رأوا ذلك، لتبدلت أحـوالهم، ولعرفـوا أنهـم عـلى خطأ
وضلال.

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي: ا- تحريم تشريك المحبة الله ـ تعالى ـ مع غيره، بحيث

يتخذ أصناما يحبها كحب الله، سواء كانت هذه الأصنام من الشجر، أو الحجر، أو البشر، فمن أحب أحدا كمحبة الله ـ عز وجل ـ فإنه قد أشرك مع الله ـ

تعالى ـ في المحبة، ويسمى هذا النوع من الشرك: شرك المحبة. ٢- أنه يجب إخلاص المحبة الله ـ عز وجل ـ والمراد بها: محبة التذلل والخضوع والعبادة، وأما المحبة الطبيعية التي تكون من الإنسان وبين ما يلائمه، من بشر، أو مأكول، أو ملبوس، أو مركوب، فهذه لا تعلق لها بهذا الباب، وكذلك محبة الإنسان لأبنائه، وبناته، وأصحابه،

لا تدخل في هذا الباب؛ لأنها ليست محبة مع الله، وهي من نوع آخر . 3- شدة محبة المؤمنين الله ـ عز وجل -، وأنها محبة كاملة، أكمل من محبة هؤلاء لأصنامهم، ومحبة خالصة، وأخلص من محبة هؤلاء الله - عز وجل - .

٤ـ الوعيد الشديد لهؤلاء الذين جعلوا الله شريكا في المحبة، يؤخذ ا
من قوله ـ تعالى ـ: «ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب؟.

هـ أن هؤلاء الذين جعلوا الله شريكا في المحبة كانوا ظالمين، أي: ظالمين لأنفسهم، حيث انتقصوها حقها، وهكذا كل عاص الله، فإنه ظالم لنفسه؛ لأن نفسه أمانة عنده، يجب أن يرعاها حق رعايتها، وألا يوقعها في المهالك، فتهلك؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ في آيات متعددة: وما ظلمنهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ [هود:١٠١]، (وما ظلمنهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ [الزخرف:76].

6- إثبات أن القوة الله ـ تعالى ـ جميعا، فجميع القوى الله ـ عز وجل ـ حتى ما يجعله، أو يخلقه في بعض المخلوقات من القوى، فإنه لله، ملكه، لو شاء لسلب ذا القوة قوته؛ ولهذا يقول المؤمن: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

- التحذير من عذاب الله؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «وأن الله شديد العذاب، وقد بين الله - سبحانه وتعالى ـ في آيات متعددة، أن شدة عذابه إنما تكون لمن يستحقه من الكفار والعتاة، ولكنه

غفور رحيم؛ كا قال الله - تعالى -: « نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم بي وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر:49-50]، وقال -
ذلك
مع

سورة البقـرة

٥٧٧ا

تعالى -: «أعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور
رحيم * [المائدة:٩٨].
هـ أن المحبة تتفاضل، فيحب الإنسان شيئا أكثر مما يحـب الـشيء الآخر. وإذا كانت محبة الله ـ تعالى ـ من الإيمان، ومن أفضل العبادات، وكانت تتفاضل، فهو دليل على أن الإيمان يتفاضل، وهو مذهب أهـل السنة والجماعة، فقد صرح أهل السنة والجماعة بـأن الإيمان يتفاضـل وأنه يزيد وينقص، وأن من أسباب زيادتـه: طاعـة الله ـ عـز وجـل ـ ومن أسباب نقصانه: معصية الله ـ عـز وجـل ـ بـل إن الإيان يـزيـد وينقص حتى في العلم الحاصل في القلب، فإن العلم الحاصل في القلب يتفاوت بحسب الطرق الموصلة إليه، فالإنسان يعلم بخبر الاثنين أكثـر
مما يعلم بخبر الواحد، وكلما تعدد المخبرون، ازداد الإنسان يقينا. 9ـ أن يحذر الإنسان ممـا وقـع لهـؤلاء الذين جعلوا الله شريكـا في المحبة، فأحبوا الأنداد كا يحبون الله، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا جميعا
من أحبابه وأوليائه، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب .

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب و وقال الذين اتبعوا لو و
أن لنا كرة فتتبرأ منهم كما تبره وا منا كذالك يريهم الله أعمالهم حسرت عليهم وما هم بخرجين من النار ﴾ [البقرة: 166 - 167].

١٥٧٨

أحكام من القرآن الكريم

هذه الآية: آية البراءة، أي: براءة أهل الشرك ممن اتخذوهم أندادا يوم القيامة، وكذلك براءة المتبوعين من أتباعهم يوم القيامة. يقول الله ـ عز وجل ـ: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا »، «إذه، هذه مفعول لفعل محذوف، والتقدير : اذكر إذ تبرأ الذين اتبعوا، وهم: السادة القادة الذين يقودون الناس، سواء قادوهم باسم الشرع، وهم محرفون للشرائع؛ كأئمة اليهود والنصارى ونحوهم، أو قادوهم باسم الإمرة والسلطة؛ كأمراء السوء.

الذين اتبعوا من الذين اتبعوا : يتبرؤون منهم، وذلك أن الذين اتبعوا يحتجون على الذين اتبعوا، ولكن الذين اتبعوا يتبرؤون منهم حين يرون العذاب.

وقوله ـ تعالى ـ: «ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب»، يعني:

أن المتبعين رأوا العذاب، وأنهم على ضلال. وتقطعت بهم الأسباب ؟ ؛ قال ابن عباس ـ رضي الله عنها -: يعني: المودة؛ يعني: أن المحاب التي كانت بينهم وبين هؤلاء المتبوعين، تقطعت؛ لأن هؤلاء الأتباع يظنون أن هؤلاء المتبوعين ينفعونهم يوم القيامة، ولكنهم لا ينفعونهم، بل يتبرؤون منهم، وحينئذ يكون عليهم اتباعهم حسرة؛ لأنهم يندمون حين لا ينفع الندم. وقال الذين اتبعوا لو أن لناكرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ؟: «لو»، هنا: للتمني، يعني: قالوا: ليت لنا كرة، أي: رجوعا إلى

الدنيا، فنتبرأ منهم، كما تبرؤوا منا في الآخرة، ولكن أنى لهم ذلك، بل لا يزيدهم هذا إلا حسرة؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: «كذالك يريهم الله أعملهم حسرات عليهم وما هم بخرجين من النار، أي: هم من أهلها
الذين لا يخرجون منها.

في هاتين الآيتين من الحكم والفوائد، ما يلي: 1ـ التحذير من اتباع أهل السوء؛ لأن هؤلاء المتبوعين قادوا أتباعهم إلى ما وصلوا إليه من العذاب والحسرات، ودخول النار دخولًا لا يخرجون منها.

٢ـ أن كل من كان بينه وبين شخص علاقة لغير الله، فإنه سوف يندم على هذه العلاقة، ويتبرأ كل من الآخر؛ ويشهد لهذا قول الله - تعالى -: * الأخلاء يومين بعضهم لبعض عدو إلا المتقين *
[الزخرف:67].

3ـ أن كل سبب ليس مبنيا على أصل صحيح، فإنه سوف ينقطع، ولا يوصل صاحبه إلى مقصوده؛ لقوله ـ تعالى ـ هنا: «وتقطعت بهم الأسباب .

٤ـ تتابع الحسرات على هؤلاء التابعين، الذين ضلوا بضلال متبـــوعيهم؛ لقوله : كذالك يريهم الله أعملهم حسرات عليهم »، والحسرة: شدة الندم.
هـ بيان أن هؤلاء المتبوعين ليسوا يدعون إلى هدى وصلاح، وإنا

يدعون إلى ضلال وفساد، ووجه ذلك: أن الله أخبر بأن هؤلاء التابعين ليسوا بخارجين من النار، فإذا كان التابعون لا يخرجون من النار، فالمتبوعون من باب أولى.
6- الإشارة إلى أن النار مؤبدة؛ لأنهم إذا كانوا لا يخرجون منها ـ وقد ذكر الله ـ تعالى ـ في آيات ثلاث أن أصحاب النار خالدون فيها أبدا ـ دل ذلك على أن النار لا تفنى؛ كا هو مذهب أهل السنة
والجماعة.

قال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الناس كلوا مما في الأرض خليلا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (إنما يأمركم بالشوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾
[البقرة:١٦٨-١٦٩]. قوله: «يأيها الناس) يعم المؤمنين والكافرين. كلوا مما في الأرض خليلا طيبا » الأمر هنا للإباحة، أي: كلوا مما أخرج الله من الأرض حال كونه حلالًا لكم طيبا، وليس بخبيث، والإشارة في قوله: «طيبا» إلى أنه يجب على الإنسان أن يكون مكسبه على وجه مباح حلال؛ لأن الكسب المحرم خبيث . ولا تتبعوا خطوات الشيطن»، أي: لا تتبعوا الشيطان في خطواته، كلا خطا خطوة، مشيتم عليها؛ فإنه لا يجركم إلا إلى النار، وبئس القرار؛ ولهذا قال: «إنه لكم عدو مبين * ومن المعلوم أن

عدوك إذا خطا واتبعته، سيوقعك في المهالك. ثم بين ـ تبارك وتعالى ـ ماذا يدعو إليه الشيطان، فقال: «إنما يأمركم بالشوء والفحشاء » : بالسوء، أي: بالعمل السيئ، وهو ما دون الفحشاء، والفحشاء: العمل الكبير الذي يستفحش في العقول والشرائع.
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»، أي: وأن تفتروا على الله كذبا، إما في ذاته، أو في أسائه، أو في صفاته، أو في أحكامه، أو في أفعاله؛ فإن الشيطان يدعو إلى أن يقول الإنسان على ربه ما لا يعلم، وهذا من المحرمات في جميع الشرائع.

في هاتين الآيتين من الحكم والفوائد، ما يلي: ١ـ وجوب العناية بها ذكر الله ـ تعالى ـ فيها من أحكام، ووجه ذلك أن الله ـ تعالى ـ صدرها بالنداء، والتصدير بالنداء يدل على أهمية ما وجه إلى المنادى.

،

٢ـ أن الخطاب في الأكل مما في الأرض يعم المؤمنين والكافرين؛ لقوله - تعالى -: «يتأيها الناس ، وكلمة «الناس » عامة، لكن جاء في آيات أخرى توجيه ذلك للمؤمنين، فقال - تعالى -: (يأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبت ما رزقتكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ [البقرة: ١٧٢]، فهل نخصص عموم هذه الآية بالآية الأخرى، ونقول: إن المؤمنين يؤذن لهم بالأكل مما في الأرض، وأما

الكافرون: فإنه لا يحل لهم الأكل مما في الأرض، بل سيحاسبون على ذلك، أو نقول: إن هذه الآية عامة، وأن ما في الأرض يأكل منه الكافرون والمؤمنون، على أنه حلال لا يحاسب عليه الكافر؟ ولكن المعنى الأول أصح، وأن المراد بالناس هنا إما عموم الناس، وخصص بالمؤمنين، أو أن المراد بها الخصوص؛ يعني: عبر بـ«يتأيها الناس »، والمراد بها: يتأيها الذين ءامنوا ﴾، ويدل لهذا قول الله ـ تبارك وتعالى وليس على الذين ءامنوا وعملوا الصلحت جناح فيما طعموا [المائدة:93]، ومفهوم قوله ـ تعالى ـ: «ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصلحت جناح فيما طعموا أن غير المؤمنين العاملين للصالحات، عليهم جناح فيما طعموا، ويؤيد ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ: « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبنت من الرزق قل هي للذين ءامنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وعلى هذا فيكون ما في الأرض

حلالًا للمؤمنين، ليس فيه تبعة عليهم، وحلالا للكافرين، بمعنى: أننا لا نمنعهم من تناوله، ولكن عليهم تبعة، وأنهم سيحاسبون عليه يوم القيامة، فيقال لهم: لم أكلتم نعمة الله وكفرتم به؟ 3ـ أن كل ما في الأرض حلال لنا، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: * هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ [البقرة:٢٩]، وعلى هذا فيكون الأصل فيها في الأرض أنه حل لنا، فمن ادعى تحريم شيء مما في الأرض، قلنا له: انت بالدليل، فإن جاء بالدليل، وإلا فالأصل الحل، و

ولا فرق في ذلك بين الحيوان والجاد، والأشجار والثمار، وغيرها، والأصل فيها الحل، حتى يقوم دليل على المنع، والحيوانات كلها، الأصل فيها: الحل حتى يقوم دليل على المنع. ٤- الإشارة إلى أنه يجب أن يكون كسب الإنسان لهذا الحلال على وجه طيب، والطيب هنا ضد الخبيث، والخبيث : كل ما يحرم من تصر ف؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث»(١)، فيستفاد من هذا أنه يجب أن يكون
ما تأكله مما في الأرض من الحلال، مكتسبا على وجه مشروع. ويتفرع على هذه القاعدة: أنه لا يحل للإنسان ما اكتسب بوجه محرم، فمن اكتسب مالًا بالغش، أو الكذب، أو الربا، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يحل له أكله، بل هو حرام عليه، لكن من جاءه موعظة من وانتهى وتاب، فقد قال الله ـ تعالى ـ في الربا: * فمن جاءه موعظة من ربه، فانتهى فله، ما سلف وأمره إلى الله ﴾ [البقرة: ٢٧٥].
الله

5ـ تحريم اتباع خطوات الشيطان، فإن قال قائل: بأي طريق نعلم خطوات الشيطان؟ قلنا: با ذكر الله ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [النور:٢١]، فإذا هممت بمعصية صغيرة، فذلك من أمر الشيطان، وإن هممت بمعصية كبيرة

(١) رواه مسلم كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب ...، رقم (١٥٦٨).

=

فاحشة، فذلك ـ أيضا ـ من أمر الشيطان، فكل معصية تهم بها، فإنها من أمر الشيطان، فإن اتبعت هواك فيها، فقد اتبعت خطوات الشيطان.
6 - التحذير من الشيطان؛ لقوله: «إنه لكم عدو مبين»، والتحذير من الشيطان يتفرع عنه التحذير من أولياء الشيطان، الذين يأمرون بالفحشاء والمنكر؛ فإن هؤلاء هم أولياؤه، فالواجب على المسلم الحذر من الشيطان؛ لأنه عدو، والحذر من أولياء الشيطان؛ لأنهم ـ أيضا ـ عدو.
ويدل لهذا قوله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [المائدة: 51]، وقوله - ﮩ
تعالى -: ﴿ يتأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة * [الممتحنة:1]، وقوله ـ تعالى ـ في المنافقين: « هم العدو فاحذرهم قتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [المنافقون:4]، فالواجب الحذر من الشيطان وأتباعه؛ لأنهم أعداء لنا.
- بيان ما يأمر به الشيطان، وهو: أنه يأمر بالسوء، وهو: المعاصي الصغار، والفحشاء، وهي: المعاصي الكبار.
٨ـ تحريم القول على الله بلا علم، وهذا يشمل تحريم القول عليه في ذاته، وتحريم القول عليه في أسائه، وتحريم القول عليه في صفاته، وتحريم القول عليه في أحكامه الكونية والشرعية، وذلك من قوله ـ

تعالى -: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»؛ فإن هذا يشمل القول على الله في ذاته، وفي أسمائه، وصفاته، وأحكامه الكونية والشرعية : أما القول على الله في ذاته: فأن يقول قائل: إن ذات الله ـ تعالى ـ، مثل ذواتنا، يعني: مكونة من أجزاء، ينفصل بعضها عن بعض، ويبقى بعضها دون بعض، وما أشبه ذلك، وهذا محرم نفاه الله ـ تعالى ـ عن نفسه في قوله ـ تعالى ـ: « ليس كمثله شيء وهو السميع البصيره [الشورى:11]، ونهى ـ سبحانه وتعالى ـ أن نضرب له الأمثال، في قوله:
ه فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [النحل:74]. أما القول على الله في أسمائه: فيشمل أن يثبت الإنسان الله أساء لم يسم بها نفسه، كما ساه النصارى: «آبا»، فهم

يعنون بالأب، يعني: الرب ـ عز وجل ـ؛ لأنهم يعتقدون أن المسيح ابن الله، فيكون قولًا على الله بلا علم، ويشمل القول على الله في أسمائه ـ أيضا ـ أن ينكر شيئا من أسمائه، كما فعل أهل الجاهلية، حين قيل لهم: « أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾ [الفرقان:60]، فأنكروا أن يكون «الرحمن» من أسمائه، وهذا قول على الله بلا علم، بل بما يعلم أن الأمر بخلافه. ومن القول على الله بلا علم في صفاته: أن نقول: إن صفات الله ـ تعالى ـ كصفاتنا، كما قاله أهل التمثيل، فقالوا: إن كل ما ذكر الله من أوصافه، فإنه مماثل لصفاتنا؛ فالوجه، واليد، والعين، كلها مثل ما لنا من ذلك، وقد كذبوا فيها ادعوا، وخالفوا المسموع والمعقول فإن الله ـ

تعالى ـ يقول ـ وهو أعلم بنفسه) (ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير [الشورى:11].

وينهانا ـ سبحانه وتعالى ـ أن نضرب له الأمثال، وأن ذلك لا
يمكن؛ لأننا لا نعلم، والله ـ تعالى ـ يعلم أنه لا مثيل له. ويشمل القول على الله بلا علم في صفاته ـ أيضا ـ: إنكار الصفات، حيث زعم أهل التعطيل، الذين أنكروا أن يكون الله صفات، أو أثبتوا بعض الصفات وأنكروا بعضها بحجة أن العقل يمنع من ثبوتها الله، فقالوا على الله في ذلك ما لا يعلمون؛ لأننا نقول لهم: أين العقل الذي يمنع أن يكون الله متصفا بصفات الكال؟! كل عقل يمنع أن يكون الله متصفا بصفات الكال، فهو عقل فاسد، وعقل مريج، وإلا فإن العقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات ـ ونعني بالشهوات: الإرادات السيئة ـ لا يمكن أن ينكر ما أثبت الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ

ومن القول على الله بلا علم، في أحكامه القدرية: أن نثبت لشيء من الأشياء سببية، دون علم من الله، فيقول القائل مثلًا: إذا فعل الإنسان كذا، حدث كذا، وهو لم يعلم ذلك، لا بنص، ولا بتجربة، فيكون قد قال على الله ما لا يعلم، ومن ذلك ما يفعله بعض المشعوذين، بأن يعلق التمائم الشركية على المرضى الذين فيهم المرض في أجسامهم، أو في نفوسهم، ويدعي أن ذلك يزيل هذا المرض، دون

١٥٨٧

علم من شرع، ولا علم من واقع، فيكون قد قـال عـلى الله في أحكامـه القدرية ما لا يعلم.

وأما القول على الله با لا يعلم الإنسان، في الأحكـام الـشرعية: فـا أكثرها اليوم!! ما أكثـر الـذيـن يتصدون للفتـوى،وهـم مـن أجـهـل الناس!! فيكونون قد قالوا على الله بلا علم، والمفتي لعباد الله، با يزعم أنه شريعة الله، هو معبر عن الله في الحقيقة؛ لأنه يقول: هـذا حـكـم الله، أو هذا حرام حرمه الله، أو ما أشبه ذلك، فلا بد أن يكون على علم مـن كتاب الله، أو سنة رسـوله ، أو الإجماع، أو القياس الصحيح، أما أن يفتي بلا علم، فإنـه يـدخل في أوامـر الـشيطان، ويكـون عبـدا مطيعـا للشيطان، ولقد كـان الـسلف الصالح بـورعهم، وتـوقي المسؤولية، يتدافعون الفتوى، كل واحد منهم لا يريد أن يكون هـو المفتي، وهـم يعلمون أن هذا المستفتي سيجد من يفتيه بكتاب الله، وسنة رسـوله و، وإلا فمن المعلـوم: أنـه لا يجوز للإنسان إذا سـئـل عـن عـلـم يعلمـه والسائل محتاج إلى بيانه، أن يكتمه، فقد ذكر الله ـ تعالى ـ أن من كتم مـا أنزل الله، فإن عليه الوعيد الشديد.

وعلى هذا فإننا نحذر إخواننـا طلبـة العلـم ـ والعامـة ـ أيـضـا ـ أن يفتوا بلا علم، بل عليهم أن يلتزموا الورع، وأن يقولوا لما لا يعلمـون: لا نعلم؛ فإن هذا ـ والله ـ هو العلم. لكن إذا كان الإنسان عالما بحكـم المسألة من عالم يثق بقوله، وأراد أن ينقل قـول هـذا العـالم للمستفتي،

١٥٨٨||

فإن هذا لا بأس به، مثل أن يأتيه شـخص ويقـول: مـا تقـول في كـذا وكذا؟ والمسؤول عامي، لكن يقول: سمعت الشيخ الفلاني يقـول: إن حكمه كذا وكذا ـ وهو متيقن أن هذا: ما سمعه من العالم ـ فإن هـذا لا بأس به، ويكون هذا راويا، لا مفتيا. وعلى كل حال، فإني أعيد وأكـرر: التحذير من الفتوى بغير علم، وأقـول للإنسان: أنـت في حـل ـ إذا لم يكن عندك علم ـ أن تصرف المستفتي إلى شخص آخـر. وكـان الإمـام أحمد ـ رحمه الله ـ إذا سئل عن شيء ولا علم له به، يقول: اسأل العلماء. وهذا يدل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يعـيـن شـخـصـا معـيـنا عندما يحيل الناس إلى استفتاء شخص آخر، بل يقول: «اسأل العلماء». اللهم إلا أن يخشى أنه إذا قال: «اسأل العلماء»، أن يذهب هـذا الـسائل إلى شخص جريء يتجرأ على الفتوى بغير علم، فهنا يـعـيـن مـن يحيلـه عليه، فيقول: اذهب إلى الشيخ الفلاني، فعنده العلم.

**

أحكام من القرآن الكريم

**

قال الله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا أولوكات اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ←
[البقرة: ١٧٠].
«وإذا قيل لهم » أي: لهؤلاء الـمـتـبـعـيـن لأهـوائهم، الـمـقـتدين
بكبرائهم، من الآباء، أو غيرهم: «أتبعوا ما أنزل الله ؟ . «قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا»، «بـل»
هنـا لـلإضراب

سورة البقرة

١٥٨٩

الإبطالي، أي: بل لا نتبع ما أمرتمونا به، بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. «ألفينا»، أي: وجدنا عليه آباءنا، و«ألفينا»، بمعنى: وجدنا، كقوله تعالى: ﴿ وألفيا سيدها لذا الباب ﴾ [يوسف: ٢٥]، أي: وجداه عند الباب.

قال الله تعالى ردا عليهم: (أولوكان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون»، أي: أيتبعون آباءهم، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيـا ولا يهتدون والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.
وقوله: «لا يعقلون شيئا ؟، أي: لا يفهمونـه، ولا يفقهونـه وليس المعنى: لا يعرفونه، هم يعرفون الأشياء، وهم أذكياء، لكن ليس عندهم عقول يهتدون بها إلى ما ينفعهم، ويتركون بها ما يضرهم؛ ولهذا قال: «لا يعقلون شيئا ولا يهتدون»؛ لأنهـم وإن كانوا أذكيـاء، وعندهم علم وفهم، لكن ليس عندهم عقل. وهناك فرق بين العقـل الذكاء: العقل يحمل صاحبه على حسن التصرف، وأمـا الـذكاء وبين
فقد يحمل صاحبه على حسن التصرف إن كـان مقرونا بالعقـل، وقد يحمله على الطيش وعدم حسن التصرف إذا لم يكن مصحوبا بعقل.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1. أن هؤلاء المخالفين للرسل، معاندون؛ لقوله: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا *
٢. أنه يجب اتباع ما أنزل الله، فيها نص الله عليه، وفيها أرشد إليه:

أما ما نص الله عليه: فمثل قوله تعالى: (فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة ﴾ [الحج: 78] وأما ما أرشد الله إليه: فمثل قوله ـ تعالى ـ: « يتأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [النساء:59، محمد: 33]. وهذا يدلنا على أن ما أمر به الرسول ﷺ، فإنه مطاع كالذي أمر الله به.
ومما يدخل في الإرشاد، قوله تعالى: (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل: 43، الأنبياء: 7].
فأحالنا الله ـ عز وجل ـ إلى أهل الذكر ـ إذا كنا لا نعلم ـ لأن العامي قد لا يعلم حدود ما أنزل الله على رسوله، ولكن يجب عليه في هذه الحال، أن يسأل أهل الذكر، أي: أهل العلم. 3. أن الوحي نازل من عند الله؛ لقوله: «أتبعوا ما أنزل الله ؟ . ٤- إثبات على الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الشيء إذا نزل منه، كان دليلا
على علوه.

وهذا ـ أعني: إثبات على الله ـ هو قول أهل السنة والجماعة، حيث قالوا: إن الله تعالى علي بذاته، علي بصفاته. 5. قبح التعصب المبني على الجهل والضلال؛ لأن الله تعالى ذم هؤلاء الذين قالوا: «بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا؟. 6 ـ أن للبيئة تأثيرا، فإذا عاش الإنسان في بيئة صالحة، كان ذلك من أسباب صلاحه، والعكس بالعكس؛ ويؤيد هذا قول رسول الله : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو

يمجسانه» (ا).
- توبيخ من اتبع آباءه على غير هدى وعقل؛ لقوله تعالى: «أولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون».

هـ نعت هؤلاء الآباء بأنهم لا عقول لهم؛ لقوله: «لا يعقلون»، و«شيئا»: نكرة في سياق النفي. ولا يهتدونه.

فإن قال قائل: العقل ضده الجنون، فإذا انتفى العقل صار الجنـون، والمجنون غير مكلف، فكيف يكون التوبيخ؟

فالجواب: أن العقـل، عقـلان: الأول: العقـل الـذي هـو شرط التكليف، فهذا ضده الجنون، والعقل الذي ضـده الـسفه، هـو: عقـل الرشد، أي: أن يكون الإنسان رشيدا؛ ولهذا لو وجدنا شخـصا عـاقلا من حيث التكليف ـ أي: ليس بمجنون ـ لكن لا يحسن التصرف، قلنا: هذا سفيه، ولنا أن نقول: إنه غير عاقل، أي: العقل الـذي يحمله عـلى الرشد. فأما العقل الذي لا يحمل على الرشـد، فإنـه يـسمى ذكـاء، ولا عقلاً؛ ولهذا يجب أن نفرق بين العقل والذكاء، فنقـول: العقـل عقلان: العقل الذي هو شرط التكليف، وهذا ضده الجنـون، والعقـل الذي هو شرط حسن التصرف، وهذا ضده السفه، وهو المراد هنـا في قوله تعالى: «أولوكات اباؤهم لا يعقلوب شيئا ولا يهتدون».

يسمى

(١) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فيات. . .، رقـم (١٣٥٨،١٣٥٩)، ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. . .» رقم (٢٦٥٨).

=٠٩٢١

9ـ أنه ربا يستدل بها على أن الأجداد يسمون: آباء؛ وهذا كثير في اللغـة وفي القـرآن، أن «الآباء» تطلـق ويـراد بهـا الأجـداد، والآبـاء الأدنون. ويتفرغ على ذلك مسألة فرضية، وهي: أنـه إذا مـات الميـت وترك جدا من قبل أبيه، وإخوانا، فإن ماله لجده من قبـل أبيـه، وليس لإخوانه شيء؛ وذلك لأن جده من قبل أبيه بمنزلـة أبيـه، بـل هـو أب حقيقة والأب لا يرث معه الإخوة شيئا، وهذا ـ أعنى: القول بأن الجـد من قبل الأب يحجب الإخوة مطلقا ـ هو القول الراجح الـذي اختـاره كثير من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله ـ وشيخنا عبدالرحمن بن سـعدي ـ رحمه الله .

قال الله ـ تبارك وتعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة: ١٧١]. المثل:بمعنى الشبه، وبمعنى الصفة. وكلا المعنيين

صحيح، يعني: صفة هؤلاء الذين كفروا كـصفـة الـذي ينعـق بـا لا يـسمع، أو شـبه هؤلاء، كشبه الـذي ينعـق بـا لا يـسمع. والـذي ينعـق هـو مـنـادي الحيوانات، والذي لا يسمع إلا دعاء ونداء هو الحيوان، يعني: كمثـل الراعي ينعق للإبل، ينعق للغنم، ينعق للبقر، فتقبـل إليـه مـن غـيـر أن تدري ماذا يصنع، حتى إنه ربما ينعق بها ليذبحها، فتأتي وهي ! لا تدري. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخـبر أن حـال هـؤلاء الكفـار، وشـبـه هـؤلاء

الكفار، كهذا الذي ينعق بها لا يسمع ـ أي: ينعق بالدابـة والبهـائـم ـ لا يسمع إلا دعاء ونداء، لا يدري ما هو، ووجه الشبه: أن هؤلاء الكفـار يتبعون من يتبعون من آبائهم وكبرائهم، وهم لا يعلمون أنهم يجرونهم إلى الهلاك؛ ولهذا وصفهم بأنهم صم عن الحق؛ فلا يسمعونه، بكم عن

الحق؛ فلا ينطقون به، عمي عن الحق؛ فلا يبصرونه ـ والعياذ بالله ـ. فهم بنـاء عـلى فقـد هـذه الحـواس مـنهم: «لا يعقلون»، أي: لا يعقلون العقل السليم، الذي يحثهم على الرشد، ويحذرهم من الغي. في هذه الآية الكريمة من الفوائد العظيمة والأحكام ما يلي: ١ـ سوء مثل الكفار، حيث شبهوا بالذي ينعق بها لا يسمع إلا دعاء ونداء، وهم أهل لذلك، بل هم أضل من هذه الأنعام؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعايهم غلفلون ﴾ [الأحقاف: 5]، وقال الله تبارك وتعالى: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ [الفرقان: ٤٤]. ٢ـ التحذير من التعصب والمتابعة لغير مـن يعـلـم، أو يغلـب عـلى الظن أنه على هدى؛ لأن الله تعالى ذم هؤلاء الذين يتبعون الكفار، وبين أنهم كالذي ينعق بها لا يسمع إلا دعاء ونداء.

٣ـ نفي الكمال عمن لم ينتفع به؛ فإن الـصمم، والبكم، والعمى، نقص، وهؤلاء الكفار قد يكونون من أقوى النـاس بـصرا، وأشـدهم سمعا، وأفصحهم لسانا، لكن لما كانوا لا يستفيدون من ذلك، صاروا

كالفاقدين له؛ لقوله تعالى: «صم بكم عمى فهم لا يعقلون). 4-الإشارة البينة إلى الفرق بين العقل والذكاء؛ فإن هؤلاء الكفار الذين يتبعون من يتبعونه من آبائهم وكبرائهم، هم أذكياء، ولا يفوتهم شيء مما يشتهونه ويهوونه، لكنهم غير عقلاء في الواقع؛ لأنهم لم يحسنوا التصرف لأنفسهم، حيث أوقعوها في الكفر والضلال ـ والعياذ بالله فهم لا يعقلون.

ثم قال الله تعالى:« يتأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبنت ما رزقتكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة: ١٧٢]. هنا وجه الخطاب للمؤمنين في قوله: «يأيها الذين امنوا . ونقول حول هذا: تصدير الخطاب بالنداء، يدل على أهميته؛ لأن النداء يستلزم أن يسترعي المنادى انتباهه، وينتبه لما وجه إليه، ثم إن توجيهه إلى الذين آمنوا يدل على فضل الإيمان، وأن المتصف به أهل لأن يلقى إليه الخطاب، ويوجه إليه النداء. ثم إن توجيهه إلى الذين آمنوا يدل على أن هذا من مقتضيات الإيمان، كما إذا قال القائل لشخص ما: يا أيها الكريم، نزل عليك ضيف، يعني: ومن مقتضى كرمك أن تكرم هذا الضيف، كذلك: «يتأيها الذين ءامنوا»، يعني: من مقتضى إيمانكم أن تمتثلوا ما أمركم الله به في قوله: «كلوا من طيبات ما رزقتكم». ومن ذلك ـ أي: مما يتعلق بتصديره بـ «يتأيها الذين ءامنوا الإشارة إلى أن

ترك الامتثال ـ ممن وجه إليه هذا النداء ـ إخلال بالإيمان ونقص له. يقول ـ عز وجل : (يأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقتكم، والأمر هنا: «كلوا » للإباحة، ومعنى ، أي: أعطيناكم، واشكروا لله » معطوفة على(كلُوا»، يعني: اجمعوا بين الأكل والشكر. قال العلماء: والشكر هو: الاعتراف بالقلب للمنعم، والتحدث بالنعمة باللسان، شكرا لا افتخارا، والعمل بطاعة المنعم، تصديقا للأخبار، وتنفيذا للأحكام. وعلى هذا: فالشكر أمر عظيم، ليس بالعمل الهين، ولا يكفي فيه أن يقول الإنسان: أشكر الله، أو: أنا شاكر الله، بل لا بد من هذه الأمور الثلاثة؛ الأول: التحدث بها بالقلب. والثاني: الاعتراف بها باللسان، بأنها من الله ـ عز وجل ـ ونشرها بين الناس، لا افتخارا ولا علوا، ولكن إظهارا لنعمة الله - سبحانه وتعالى ـ عليه. والثالث: العمل بالجوارح فيما يرضي المنعم . عز وجل ..

وقوله: «إن كنتم إياه تعبدون»، يعني: أن مـن مقتـض
العبادة الحقة أن يشكر الإنسان ربه ـ عز وجل ـ.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أهمية هذا الأمر الذي وجه للمؤمنين، ووجـه هـذا أنـه صـدر بالنداء وبوصف الإيمان.
٢ـ فضيلة الإيمان، حيث كان أهله محلا لإلقاء الخطاب إليهم.

3- وجوب الأكـل مـن الطيبات؛ لقوله:(كلوا من طيبت ما رزقنكم»، والأصل في الأمر: الوجوب، ولكـن دلـت الـسنة عـلى أن الأكل يكون أحيانا مباحـا، وأحيانـا يـكـون مـستحبا، وأحيانـا يـكـون واجبا؛ فيكون واجبا إذا ترتب عليه بـقـاء الإنسان؛ ولهـذا نقول: إن الذين يضربون عن الطعام والشراب، حتى يهلكوا: منتحرون، أي: بمنزلة الذين نحروا أنفسهم؛ لأنه ـ أي: الأكل والشرب ـ يجـب عنـد خوف الهلاك.

4ـ الإشارة إلى أن ما في الأرض من عطاء الله - عز وجل ـ؛ لقوله تعالى:«ما رزقتكم »، وهذا يستلزم أن نشكر الله - سبحانه وتعالى - على ما رزقنا، وألا نتكل على أنفسنا، وألا نفخر بعملنا، وألا نكون كالذي قال الله عنه: « إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص: ٧٨]. فنسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعا شكر نعمته، وحسن عبادتـه، وأن يزيدنا من فضله.
هـ أن الشكر محله القلب، واللسان، والجوارح؛ كما قال الشاعر : أفادتكم النعاء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا وبين الشكر وبين الحمد عموم وخصوص، فمن جهة ما يكون بـه الشكر : فالشكر أعم، ومن جهة مورد الشكر وموقعـه: فالحمـد أعـم؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يحمد على كمال صفاته وكمال إنعامه. ويشكر ـ سبحانه وتعالى ـ على إنعامه فقط، ويكون الشكر بالقلب

واللسان والجوارح.

6 ـ أن الشكر يكون به تحقيق العبادة الله ـ عز وجـل ـ؛ لقوله: «إن كنتم إياه تعبدون»، وهذه الجملة الشرطية ـ التي يرد مثلها كثيرا في القرآن ـ تفيد معنى التحـدي، أي: إن كنـت صـادقا في عبادة الله، فاشكره، ولا تكفر نعمه.

ثم قال تبارك وتعالى: (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به، لغير الله فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وإنما حرم»: التحريم بمعنى المنع، والجملة هنا فيهـا الحـصر ب إنما »، يقول العلماء: الحصر هو: إثبات الحكم في المذكور، ونفيـه
عا عداه .

فقوله:«إنما حرم عليكم الميتة » بمنزلة قول القائل: مـا حـرم
عليكم إلا الميتة.
و«الميتة» عند أهل العلم: كل ما مات بغير ذكاة شرعية؛ فيشمل مـا

مات حتف أنفه، وما مات بغير ذكاة شرعية. (والدم »، وهو ذلك السائل الأحمر الذي يخرج من الحيوان ذي الروح، وهو معروف، لكنه هنا مطلق، وفي سورة الأنعام مقيد؛ حيث قال تعالى: (قل لا أجد في ما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل

= ٥٩٨

ج
لغير الله به، فمن أضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم * [الأنعام: ١٤٥]؛ فالمراد بالدم هنا: الدم المسفوح . ولحم الخنزير»، والخنزير: حيوان معروف، ولحمه حرام؛ لأنه

رجس وخبث.
وما أهل به، لغير الله »، أي: ما ذبح لغير الله، أو ذكر عليه اسـم غير الله؛ فما ذبح للصنم ـ مثلا،

فهو حرام، وإن سمى عليه أو لم يسم عليه، وما ذبح للأكل وسمي عليه اسم غير الله، فهو حرام، وإن كان الإنسان لم يقصد به التعبد، لكن أهل به لغير الله. وما سمي عليه غير اسم الله، فمثل أن يقول: باسم المسيح، باسم الرئيس، باسم الشعب، ويذبح على هذا الاسم، فهذا أيضا حرام لفقد تسمية الله عليه، ولأنه ذبح علي وجه الإشراك بالله ـ عز وجل -.
وقوله: «فمن اضطر»، أي: من ألجأته الضرورة إلى أكل هذه الأنواع الأربعة : الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله. واضطر أصلها: «اضتر»، وأدغمت التاء في الضاد، فصارت طاء، وهي من الضرر، أي: من حصل له ضرر بترك الأكل، وخاف على نفسه المرض أو الهلاك.

وقوله: «غير باغ ولا عاد هذا شرط للضرورة: (غير باغ»، أي: غير باغ للحرام، وغير طالب له. ولا عاد»، أي: ولا معتد، بحيث يأكل بدون حاجة، بل يأكل

سورة البقرة

منه ما تدعو الضرورة إلى أكله فقط.

فلا إثم عليه ، أي: لا عقوبة: فإن كان باغيا أو معتديا فأكل

فعليه الإثم.

٥٩٩

إن الله غفور رحيمه غفور: ذو مغفرة، فيتجاوز عن عباده

السيئات.

رحيم: رحيم بهم، فلا يحرم عليهم ما اضطروا إلى أكله وكان لهم فيه انتفاع؛ فمن أجل مغفرته ورحمته، رفع الإثم عمن كان مضطرا، كذا معنى الآية:

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن التحليل والتحريم إلى الله ـ عز وجل ـ، لا يملك أحد أن يحرم شيئا حلالا، ولا أن يحل شيئا حراما، إلا الله - سبحانه وتعالى ـ بل قد جاء في الحديث ما يدل على أن من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل

الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله)؛ ولهذا لما قيل يوم خيبر: إن البقول من البصل والثوم والكراث وما أشبهها قد حرمت، قال النبى ﷺ: «إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي"؛ فإذا كـان النبي ﷺ يبرأ من تحريم ما أحل الله، فغـيـره مـن بـاب أولى؛ فـالتحريم والتحليل، والإيجاب والكراهة، كل ذلك إلى الله ـ عز وجـل ـ وحـده؛

(١) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، رقم (3095). (٢) رواه مسـلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا ....، رقم (٥٦٥).

لقوله: «إنّما خرم * والضمير ـ كما هو معلوم ـ يعـود عـلى الله ـ عـز
وجل .
٢ـ أن الميتة حرام، وظاهر الآية العموم، لكن قد دل الدليل أن من الميتات ما هو حلال، ومن ذلك صيد البحر؛ فإن ميتته حلال؛ لقول الله
ل
تبارك وتعالى: «أحل لكم صيد البحر وطعامه متنعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون و [المائدة: 96]؛ قال ابن عباس رضي الله عنها: «صيده ما أخذ حيا، طعامه ما أخذ ميتا». وفي حديث ابن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ أحلت لنا ميتتان ودمان: أما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدمان: فالطحال والكبد»)؛ وعلى هذا فميتة السمك: حلال، وميتة الجراد: حلال. والحكمة في حل ميتة الجراد مع أنه صيد بري، أنه ليس فيه دم، والعلة في تحريم الميتة: احتقان الرطوبات والدم فيها؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه، فكلوا إلا السن والظفر»(٢).
فدل ذلك على أن الحكمة من إباحة المذكى: كونه قد نزف دمه، ولم
يحتقن، ولم يبق في العروق.

(١) رواه أحمد (٥٦٩٠)، وابن ماجة كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، رقم (٣٣١٤). (٢) رواه البخاري كتاب الشركة، باب قسمة الغنم، رقم (٢٤٨٨)، ومسلم كتاب الأضاحي باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر، رقم (١٩٦٨).

سـورة البقـرة

3ـ أن الدم حرام، وقد بينا في تفسيرها أن المراد به: الـدم المسفوح الذي يخرج من الحيوان عند ذبحه وتذكيته، فأما الدم الذي يبقـى بعـد التذكية في العروق، فإنه حلال وليس بحرام؛ كدم الكبـد، ودم القلـب والطحال، وما أشبه ذلك؛ وذلك لأنـه مـن مـذكاة، فيكـون حـلالا كاللحم، أي: اللحم المذكي.
٤ـ تحريم لحم الخنزير، والخنزيـر : حيـوان مـعـروف خبيـث، مـن خصائصه: أنه يأكل القاذورات كالعذرات، وأنه لا غيرة فيه على أنثاه، وأن في لحمه جراثيم مضرة، مهلكة، مفسدة للطبائع؛ ولهذا حرمه الله ـ عز وجل ـ فقال: «ولحم الخنزير ؟ . هـ أنه لا يحل من الخنزير أي جزء من أجزائه؛ لعموم قوله تعالى: ولحم الخنزير ؛ فلا تحل كبده، ولا أمعاؤه، ولا كلاه، كل ما فيه فهو حرام.

وننتقل من هذه الفائدة إلى فائدة أخرى تتعلق بالوضوء، وذلك: أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل؛ فقال: «توضؤوا من لحوم الإبل» ، وسئل ﷺ: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم»، قال: أتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إن شئت» (٢)؛ فكونه ﷺ يرد الوضوء من

(١) رواه أحمد (١٨٦١٧) عن أسيد بن حضير، ورواه ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في الوضوء من لحوم الإبل، رقم (٤٩٧) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنها. (٢) رواه مسلم كتاب الحيض، باب الوضوء من لحوم الإبل، رقم (360).

لحم الغنم إلى المشيئة، ويجزم بالوضوء من لحم الإبل، دليل على أن الوضوء من لحم الإبل واجب، وأن الوضوء من لحم الغنم ليس بواجب، وهو كذلك.
ولكن ما المراد بلحوم الإبل؟ المراد: جميع أجزائها، كما قلنا في لحم الخنزير؛ فإذا أكل الإنسان شيئا من لحم الإبل: من الكبد، أو الأمعاء، أو الكرش، أو القلب، أو الفخذ، أو من أي موضع كان، فإنه يلزمه أن يتوضأ، سواء أكل اللحم نيئا أو مطبوخا. ولكن لا حرج عليه إذا أكل أن يتوضأ وضوءا فقط، دون أن يغسل الفرج، بل لا يغسل الفرج؛ لأن غسله في هذه الحال تعنت وبدعة؛ فإن غسل الفرج إنها يجب من بول أو

غائط، وإذا لم يكن بول ولا غائط فليس هناك شيء يغسل. 6. تحريم ما ذبح لغير الله؛ لقوله تعالى: (وما أهل بي لغير الله ؟ . ـ تحريم ما ذكر غير اسم الله عليه، وإن كان القصد منه ليس لغير الله؛ لقوله: «وما أهل به، لغير الله ؟. فإذا قال الرجل إذا أراد أن يذبح الذبيحة: باسم الوطن، باسم الرئيس، باسم فلان، أو فلان، فإن الذبيحة لا تحل، حتى وإن كان قد قصد بها شيئا مباحا، كما لو قصد بها الأكل، فإنها لا تحل؛ لأنه أهل بها لغير الله.

٨ـ سعة رحمة الله - عز وجل ـ حيث أباح هذه المحرمات عند الضرورة؛ لقوله تعالى: (فمن أضطر غيرباغ ولا عاد فلا إثم عليه ؟. فإن قال قائل: هل تجيزون أن يتداوى الإنسان بالمحرم قياسا على

٦٠٣

أكل هذه الأربعة عند الضرورة؟
قلنا: لا، لا نجيز ذلك؛ وذلك لأن الدواء قد يحصل به الشفاء، وقد لا يحصل، بخلاف أكل الميتة وما عطف عليها للمضطر، فإنه يحصل به الشبع قطعا، والوجه الثاني من الفروق بين هذه وهذه: أن الشفاء لا يتعين بتناول هذا الشيء المحرم، بل قد يشفى بدون تناوله، أو بتناول شيء مباح، وأما المضطر فيتعين زوال ضرورته بأكله من هذه المحرمات؛ لأنه ليس عنده شيء سواها.
9- إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم، وهي: أن الضرورات تبيح المحظورات، كما أن الواجبات تسقط بالعجز؛ لقوله تعالى: «فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيمه . ١٠ - اعتبار النية والمقاصد؛ لقوله: «غير باغ ولا عاد . وهذ أمر معلوم من الشريعة فتجد الرجل يأكل هذه الأكلة ليستعين بها على محرم، فتكون حرامًا، ويأكل هذه الأكلة، ليستعين بها على مأمور، فتكون مأمورا بها، نعم، الأعمال بالنيات، تجد هذا الرجل يبيع السلاح، يكون مرة بيعا حراما، إذا باعه في حال فتنة بين المسلمين، على رجل يقتل به مسلها، ويكون حلالا إذا باعه على من يستعمله في الحلال،،، وهلم جرا.
هذه القاعدة المفيدة، مأخوذة من قوله: «غير باغ ولا عاد ؟ ١١- أن هذا التخفيف على العباد من مقتضيات كونه تعالى: غفورا

٦٠٤

أحكام من القرآن الكريم

رحيها؛ لقوله: «إن الله غفور رجيم
١٢ـ إثبات هذين الاسمين الله ـ عز وجل -: «الغفور» و«الرحيم». و«الغفور»: هو الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عنها؛ فالغفر، بمعنى: الستر والتجاوز، يدل على ذلك اشتقاقه؛ لأنه مشتق من المغفر، والمغفر: ما يوضع على الرأس عند الحرب، لاتقاء السهام أن تقع على الرأس؛ ففيه ستر، وفيه وقاية، وليس الغفر مجرد الستر، فالغفور: هو المتجاوز عن سيئات عباده، الساتر لها. و«الرحيم»: ذو الرحمة، ورحمة الله: عامة، وخاصة. فالعامة: هي التي تشمل المؤمنين والكافرين، والخاصة: هي التي تختص بالمؤمنين؛ ومنها قول الله تعالى: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما * [الأحزاب: ٤٣].
١٣ـ الصفة الكاملة التي تحصل من اجتماع هذين الاسمين: الغفور الرحيم؛ لأن بالمغفرة

زوال المكروه، وبالرحمة حصول المطلوب، فبمغفرته ـ سبحانه وتعالى ـ يحدث العفو، وبرحمته يحصل الفضل؛

ولهذا نجد الله - سبحانه وتعالى ـ يقرن بين هذين الاسمين كثيرا. ١٤ـ جواز أكل هذه المحرمات للمضطر الذي اضطر إلى أكلها، بحيث يخاف التلف إذا لم يأكل.
١٥ـ بيان رحمة الله تعالى بعباده، حيث أحل لهم هذه المحرمات عند

الاضطرار، لدفع ضرورتهم.
١٦ـ أنه لا يحل لمن أبيح له أكل هذه المحرمات للضرورة، إلا ما

تدعو الضرورة إليه؛ بحيث لا يتجاوز أكثر ما يحتاج إليه، ولا يزيد عليه. وعلى هذا فلا يأكل إلا ما يسد حاجته فقط، ولا يملأ بطنه
بذلك.

ولكن إذا خاف أن تبقى ضرورته، فله أن يتزود من هذه المحرمات، حتى يضطر إلى أكلها مرة ثانية. ١٧ـ الرد على المشركين فيها حرموه من بهيمة الأنعام، وهو ما رده الله عز وجل عليهم في قوله: « ما جعل الله من تجيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا
يعقلون) * [المائدة: 103].

].

ثم قال الله تبارك وتعالى: « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتب ويشترون به ثمنا قليلا أولئيك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيم ولهم عذاب أليم
>
[البقرة: ١٧٤].
هذه الجملة مؤكدة بـ «إن»، فإن * أداة توكيد، و الذين » اسمها، وجملة «أولتيك ما يأكلوت في بطونهم إلا النار» خبرها. يكتمون » أي: يخفون.

ما أنزل الله من الكتب : الكتاب هنا مفرد، والمراد به الجنس، أي: الكتب، فيشمل ما أنزل الله من القرآن، والتوراة، والإنجيل

TVL

٦٠٦

وغيرها من الكتب المنزلة على الرسل.
ويشترون به ثمنا قليلًا ؟ أي: يأخذون به ثمنا قليلاً؛ لأنهم

يخفونه لينالوا الجاه، أو لينالوا المال، أو ينالوا الحظوة عند الزعماء.
وأولتيك ما يأكلون في بطونهم إلا النار» وهذا متعين فيها إذا كتموه من أجل المال، فإنهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار؛ لتحريم هذا المال عليهم؛ لأن هذا المال حرام عليهم من وجهين: الوجه الأول: أنهم أخذوه بغير حق.

والوجه الثاني: أنهم كتموا من أجله الحق. ولا يكلمهم الله) يعني: تكليم رضا، ولكنه يكلمهم تكليم إهانة؛ كقوله تعالى حين يقول أهل النار: (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظلمون) قال أخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨] ولا يزكيهم﴾ أي: لا يطهرهم من آثامهم؛ لأنهم ليسوا أهلا
لذلك.

ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: ١- تحريم كتم ما أنزل الله من الكتاب، وهذا يستلزم وجوب بيان ما أنزل الله من الكتاب، ولكنه لا يلزم إلا إذا اقتضت الحال بيانه، إما بسؤال سائل بلسان المقال، أو بسؤال سائل بلسان الحال: أما لسان المقال: فأن يأتي رجل إلى عالم من العلماء، ويقول: ما تقول في كذا

وكذا؟ فيفتيه. وأما لسان الحال: فأن يرى الإنسان شخصا يتعبد الله تعالى عبادة على غير وجه صحيح، فيجب عليه في هذه الحال أن يبين له الحق في ذلك.
٢ـ إثبات علو الله ـ عز وجل ـ؛ لقوله: ما أنزل الله من

الكتب.
3ـ أن الكتب التي جاءت بها الأنبياء منزلة من عند الله . ٤ـ تحريم أخذ العوض على كتمان الحق؛ لقوله: «ويشترون به
ثمنا قليلًا .

فإن قيل: وهل يحرم العوض على بيان الحق؟ بمعنى: أن يعطى العالم أجرة على بيان الحق؟ والجواب على ذلك أن نقول: إن تعين عليه بيان العلم، حرم عليه أخذ العوض عليه، وإن لم يتعين، فله أخذ العوض، ولكن يكون من بيت المال، لا على سبيل الاستئجار.
هـ أن كل ما يكون من متاع الدنيا، فإنه قليل؛ لقوله تعالى: «ثمنا قليلًا» ويشهد لهذا قوله تعالى (قل متنع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى ﴾ [النساء: ٧٧].
6ـ أن كتم ما أنزل الله من الكتاب ليشتري به الإنسان ثمنا قليلا، من كبائر الذنوب؛ لوجود الوعيد عليه في قوله: «أولتيك ما يأكلوت في بطونهم إلا النار».

7- إثبات كلام الله - سبحانه وتعالى ـ لأن نفي تكليمه لهؤلاء، دليل على أنه يكلم غيرهم. وأهل الحق من السلف والخلف يثبتون أن الله تعالى يتكلم بحرف، وصوت مسموع، ومن ذلك: القرآن الكريم، فإنه كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، كما قرر ذلك أهل السنة والجماعة.

٨- إثبات يوم القيامة، وهو اليوم الذي يبعث فيه الناس من قبورهم. وسمي يوم القيامة؛ لأن الناس يقومون فيه من قبورهم الله - عز وجل -، ولأنه يقام فيه العدل؛ كما قال تعالى:« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ [الأنبياء: 47]، ولأنه يقوم فيه الأشهاد؛ كما قال تعالى: ﴿ إنّا لتنصر رسلنا والذين ءامنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهد ﴾ [غافر: ٥١].
9- أن الله تعالى يزكي من يشاء؛ فإن نفي التزكية لهؤلاء، دليل على ثبوتها لضدهم.

10- أن هـؤلاء «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتب ويشترون به ثمنا قليلًا * لا يزكيهم الله يوم القيامـة، بـل هـم أهـل الفسق والجور.
اا۔ أن هؤلاء ۔ مـع إعـراض الله عنهم، وعـدم تكليمـه إيـاهـم، وتزكيته لهم ۔ لهم عذاب أليم، أي: عذاب مؤلم، وذلـك عـذاب النـار؛ لشدته وعظمته ۔ نعوذ بالله من النـار ۔ فـإن النبي ﷺ أخـبر أن: «نـار

سـورة البقـرة

جهنم فضلت على نار الدنيا كلها بتسعة وستيـن جـزءا»(1) أي: أن نـار الدنيا كلها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم.أعاذنا الله وإياكم منهـا، وجعلنا وإياكم من أهل النعيم المقيم في جوار رب رحيم، إنه عـلـى كـل شيء قدير.

قال الله تعالى: « أولئيك الذين اشتروا الضللة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة: 175].
ج
أولتيك» يشير إلى الذين يكتمـون مـا أنـزل الله مـن الكتـاب

ويشترون به ثمنا قليلا.

609

١٧٠

الهدى.

الذين اشتروا الضللة بالهدى » أي: اختـاروا الـضلالة عـلـى

والعذاب بالمغفرة * اختاروا العذاب بالمغفرة. وهم قد يختارون ذلك عمدا، وقد يختارون ذلك عمى؛ لأنهم زاغوا، فأزاغ الله قلوبهم. فما أصبرهم على النار يعني: أن النـار عـذابها ألـيـم، وحرهـا شـديد، وهـؤلاء يصبرون عـلـى ذلـك؛ لأنهـم يـتـادون في طغيانهم وضلالهم.

(١) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، رقم (٣٢٦٥). ومسلم كتاب الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، رقم (٢٨٤٣).

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمنا قليلا، اختاروا هذا اختيار رغبة؛ لأنه شبه اختيارهم إياه، بالاشتراء، والمشتري يرغب ما اشتراه.
-
من
صفات
٢ـ أن الجزاء من جنس العمل؛ لأنهم لما اشتروا الضلالة بالهدى، صاروا كالذين اشتروا العذاب بالمغفرة، أي: مغفرة الله ـ عز وجل ـ. 3ـ إظهار التعجب في كلام الله - عز وجل ؛ لقوله: «فما أصبرهم على النار بل عجبت ويسخرون ﴾ [الصافات: ١٢]. وهل يعجب الله سبحانه وتعالى ـ من شيء؟ الجواب: نعم، العجب: صفة الله تعالى، أثبتها الله تعالى في كتابه، على قراءة من قرأ قوله ـ تعالى ـ بل عجبت ويسخرون، وكذلك النبي ﷺ قال: «ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره»، وفي حديث آخر : أخبر النبي ﷺ أن الله ـ تبارك وتعالى ـ «يشرف عليكم ـ يعني: عباده ـ آزلين آدلين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أن غيركم إلى قرب»(٢) . والعجب الصادر من الله ـ عز وجل ـ، ليس هو كالعجب الصادر من الإنسان؛ لأن العجب الصادر من الإنسان، منشؤه استغراب الأمر، وعدم العلم بمقدماته، أما الله ـ عز وجل ـ، فإنه لا يخفى عليه

(1) أخرجه ابن ماجه: في المقدمة، باب فيها أنكرت الجهمية، رقم (١٨١). (٢) رواه أحمد (١٥٧٧٣).

خافية، ويكون عجبه من أجل خروج الشيء عما ينبغي أن يكون عليه. ٤- إثبات عذاب النار؛ لقوله: «فما أصبرهم على النار .

**

*

*

ثم قال الله تعالى: (ذلك بأن الله نزل الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة: ١٧٦]. ذلك أي: ما أشار الله إليه مـن العـذاب لهـؤلاء، والعقوبات

التي ذكرها الله تعالى في الآيات السابقة. بأن الله نزل الكتب بالحق ؟ وإذا كان نزل الكتاب بالحق، فإن

الذين يضلون عن الحق سوف يكونون في شقاق بعيـد؛ ولهـذا قـال: وإن الذين اختلفوا في الكتب لفي شقاق بعيده .

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1- إثبات أن الله نزل الكتاب.
٢- إثبات على الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «نزل الكتب بالحق»،
والتنزيل لا يكون إلا من أعلى.
٣-أن الكتب نازلة من الله حقـا؛ لقوله: «بالحق، وأنهـا نـازلـة بالحق أيضا، فقد جاءت بالحق، وهو: الصدق في الأخبار، والعـدل في الأحكام.

٤-أن المختلفين في الكتاب، المخالفين لـه، في شـقاق بعيـد، أي: في مشاقة ﷺ مباعدة عن الحق. «بعيد»؛ لأنهم يجادلون في الحق بعدما تبين.

أحكام من القرآن الكريم

ما تتضمنه كتب الله، فهو حـق؛ لأنهـا أخـبـار صـادقة،

ه_أن
، جميع
وأحكام عادلة.

6ـ أن نزول الكتب من عند الله، نزول بالحق الثابت، الذي لا مرية فيه.

ـخـطـر الاختلاف في الكتاب، وأن الإنـسـان قـد يـبـتلى عنـد الاختلاف في الكتاب، بالمشاقة البعيدة الله ولرسله.

ثم قال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والمليكة والكتب والنبيين وءاتي المال على حبه، ذوى القرى واليتمى والمسكين وابن السبيل والشايلين وفي الرقاب وأقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عهدوا والصبرين في البأساء والضراء وجين البأس أوليك الذين صدقوا وأولتيك هم المتفون ﴾ [البقرة: 177].
وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » «البر» هـو الخير، و«التولي» بمعنى: الاتجاه. و«قبـل المـشـرق» أي: جهـة المشرق والمغرب.

يعني: أنه ليس البر في أن يولي الإنسان وجهه قبل المشرق أو قبـل المغرب، وإنما البر هـو الإيان بـالله ـ عـز وجـل ـ، والقيـام بطاعتـه ـ سبحانه وتعالى ـ سـواء أمـر بالاتجاه إلى المشرق أو المغرب، أو إلى

الجنوب، أو إلى أي جهة كانت؛ لأن المقصود هو الإيمان بالله ـ سـبحانه وتعالى ـ ولهذا قال: «ولكن البر من ءامن بالله ؟ أي: أن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر.
و «الإيمان بالله» هـو: التصديق، وهـو الإقرار المستلزم للقبـول

والإذعان.
و «الله» : اسم من أسماء البارئ جل وعلا، وهو الاسم الخاص بـه الذي لا يسمى به غيره، ولا يستحق أن يوصف بمدلوله أحد سواه. و اليوم الآخر يعني: يوم القيامة، وسمي بـ«اليـوم الآخـر»؛ لأنه لا يوم بعده.
و الملائكة»: جمع ملك، وهم العالم الغيبي، الذين وصـفهـم الله - سبحانه وتعـالى ـ بأوصـاف وأفعـال جـاءت في الكتـاب والـسنة، فالملائكة: عالم غيبي، وعباد الله تعالى، يفعلون ما

يؤمرون ، ولهم أعـال وأوصاف مذكورة في الكتاب والسنة.
و الكتاب : اسم جنس، والمراد بـه: جميع الكتـب المنزلـة عـلى الرسل.

«والنبيين » : جمع نبي، وهو شامل في هذه الآية للأنبياء والرسل. واتى المال » : أي: أعطى المال.
على جبه * : أي: على محبته له، وحاجته إليه. وذوى الفرن » : أي: أصحاب القرابة.

= 6141

أحكام من القرآن الكريم

«واليتمى » : جمع يتيم، واليتيم هو: الذي مات أبوه ولم يبلغ . والمسكين » : هم الفقراء الذين أسكنهم الفقر. وابن السبيل * : أي: صاحب السبيل، و«السبيل» هو: الطريق.

والمراد بـ«ابن السبيل»: المسافر الذي انقطع به السفر. والشايلين * : أي: المستجدين، الذين يسألون الناس. (وفي الرقاب ← : أي: وأتى المال في الرقاب، وهم: الأرقاء، يشتريهم ويعتقهم.
وأقام الصلوة»: أتى بها مستقيمة، و«الصلاة» هنا شاملة

للفريضة والنافلة.

وءاتي الزكوة»: أي: أعطاها، ومفعول آتى» الثاني محذوف،
أي: آتى الزكاة مستحقها.
والموفوت بعهدهم إذا عهدوا ← أي: الذين إذا عاهدوا أحدا

من الناس أوفوا بعهدهم، أي: أعطوه وافيا لا نقص فيه. والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس .
والبأساء : الفقر.

والضراء : المرض.
وجين البأس ؟ : القتال والحرب.

أوليك الذين صدقوا » : أي: أولئك المتصفون بهـذه الـصفات،
هم الذين صدقوا، أي: صدقوا مع الله - سبحانه وتعالى ـ بإخلاصـهم

له، وقيامهم بطاعته.
وأولتيك هم المتقون» أي: هم الذين قاموا بالتقوى على حسب
ما جاء في كتاب الله تعالى، وما جاءت به رسله.
هذه الآية الكريمة اشتملت على فوائد عظيمـة وأحكـام

جمة، منها:
1ـ أن البر ليس بالأعمال المطلقة، وإنا هـو ـ أي: الـبـر ـ بـالأعمال الصادرة عن الإيمان بالله، واليوم الآخر . . . إلخ.
٢ـ أن الإيمان بالله من البر. والإيـان بـالله يتضمن أربعـة أشـياء: الأول: الإيمان بوجوده، والثاني: الإيان بربوبيته، والثالث: الإيمان بألوهيته، والرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته. فمن أنكر وجود الله، فليس بمؤمن، ومن أقر به ـ أي: بوجوده ـ ولكنه انتقص شيئا من ربوبية الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن زعم أن ـ الله ـ سبحانه وتعالى ـ، مشاركا في الخلق، أو الملك، أو التدبير، فليس بمؤمن بالله. ومـن آمـن بـذلك، ولكنـه لم يؤمن بألوهيته، بـل صرف شـيـئـا مـن أنـواع العبادة لغير الله، فليس بمؤمن بالله. ومن آمـن بـذلك ولكـنـه أنـكـر أسـاءه وصـفاته، فليس

بمؤمن بالله. فلا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان بالأمور الأربعة. 3ـ الإيمان باليوم الآخر ـ وهو يوم القيامـة ـ وهـو يـشمل الإيـان بوجود هذا اليوم، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة، وكذلك الإيمان با سيكون في هذا اليوم من الأهوال العظام، وما يكون من نشر الكتـب:

كتب الأعمال، وإقامة الوزن، والصراط، وحوض النبي ﷺ، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة.
٤ـ ومنه ـ أي: من الإيمان باليوم الآخر ـ الإيمان بها يكون بعد الموت، من فتنة القبر، وعذاب

القبر، ونعيم القبر؛ فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيسأل المرء عن ربه، ودينه، ونبيه؛* يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظلمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ع

وأنت ترى أن الله تعالى دائما يقرن بين الإيان به والإيـان بـاليوم الآخر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر، هو الذي يحـدو الإنسان إلى العمـل؛ وهو الذي يحدو المرء إلى الاستقامة على دين الله، وعلى شرع الله ـ عـز وجل ؛ لأنه إذا كان يؤمن بأن هناك عقابا في تـرك الـواجـب، وفعـل المحرم، وثوابا في فعل الواجـب، وتـرك المحـرم، فإنـه سـوف يـنهض ويعمل لهذا اليوم العظيم.
هـ الإيمان بالملائكة، والملائكة لهم أعال، ولهم أوصاف، على حسب أمر الله تعالى لهم؛ يقول الله تبارك وتعالى:* جاعل الملتيكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [فاطر: 1].
ومن أجل الملائكة وأشرفهم الملائكة الثلاثة: جبريل، وميكائيل،

وإسرافيل. وكان النبي ﷺ يستفتح صـلاة الليـل فـيقـول: «اللـهـم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيـب والشهادة، أنت تحكم بين عبـادك فـيـا كـانـوا فـيـه يختلفـون، اهـدني لمـا اختلـف فـيـه مـن الحـق بإذنـك؛ إنـك تهـدي مـن تـشاء إلى صراط مستقيم»؛ فجبريـل مـوكـل بـالوحي، وإسرافيـل مـوكـل بـالنفخ في الصور، وميكائيل موكـل بـالقطر والنبات، فكـل واحـد مـن هـؤلاء الثلاثة موكل بما فيه الحياة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستفتح في صلاة الليـل با ذكرنا.

ومن الملائكة: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح، قال الله ـ تبارك وتعالى -: «قل يتوفنكم تلك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ [السجدة: 11]، وقد ورد في بعض الآثار أن اسمه: عزرائيل، ولكنه لا يصح عن المعصوم ﷺ؛ ولهذا يكفينا أن نقول: ملك الموت، دون أن نسميه باسم آخر.

ومن الملائكة المعينين: «مالك»، خازن النار؛ لقوله - تعالى -:
ونادوا ينملك ليقض علينا ربك قال إنكر منكثون ﴾ [الزخرف: 77].

ومن الملائكة: الملائكة الذين يكتبون ما يقوله الإنسان وما يفعله،
بل وما يهم به؛ يقول الله ـ تعالى ـ: « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

(١) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

الشمال قعيد) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: ١٧، ١٨] الملائكة: الملائكة الموكلون بحلق الذكر، يتتبعونها.

ومن
ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى كتاب البداية والنهاية» لابـن كثير ـ رحمه الله .

6-الإيمان بالكتب التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى ـ عـلى الرسـل التي نعرف منها: القرآن الكريم، وهو أشرفها وأجلهـا، وهـو المهيمن عليها، والتوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيـل الـذي أنزله الله على عيسى، والزبور الذي آتاه الله داود، وصحف إبراهيم وموسى، والباقي نؤمن به إجمالا.

7-الإيمان بالنبيين، وقد ذكرنا في تفسير الآية الكريمة، أنـه يـشمل الرسل؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل من عباده رسلاً وأنبيـاء. والرسـل أشرف مـن الأنبياء، وأشرف الرسـل أولـو الـعـزم؛ وهـم: إبراهيم، ومحمد، ونوح، وموسى، وعيسى. وترتيبهم في الأفضلية: محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نـوح وعيسى. فمـن علـمنـا رسـالته بعينه، آمنا به بعينه، وإلا فنؤمن بهم إجمالا.
هـ الثناء على من أتى المال على حبه لمن يحتاج إليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: وءاتي المال على حبه *،

وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ [الإنسان: 8].
9- إعطاء ذوي القربى ـ أي: القرابة ـ من المال الذي يؤتيه الله مـن

يشاء، يعني: أن لـذوي القربى عليـك حـقـا: أن تعطـيهـم مـا أعطـاك الله. ثم إن حق ذوي القربى قد يكون واجبا: وهـو فـيـمـن تجـب عليـك نفقته، وقد يكون تطوعا: فيها سوى ذلك.

١٠ـ الإحسان لليتامى ـ وإن كانوا أغنياء ـ وذلك جبرا لمـا حـصل لهم من انكسار القلب، بفقد أبيهم.
١١ـ الإحسان إلى المساكين مطلقا، وهـم الفـقـراء؛ لحاجتهم إلى
ذلك.
١٢. الإحسان إلى ابن السبيل؛ لحاجته إلى ذلك. 13ـ الإحسان إلى السائل، وإعطاؤه ما سـأل، مـا لـم يـسأل محرما، وهذا يحتاج إلى تفصيل: فمن علمنا أنه محتـاج، كـان إعطاؤه بوصـف واحد وهو: السؤال، ومن علمنا أنه إنا يسأل استكثارا، فهـذا ننصحه ونحذره من السؤال؛ لأن من سأل الناس أمـوالهم تكثـرا، فـإنـها يسأل جمرا)، ولا تزال المسألة بالرجل، حتى يأتي يوم القيامة ومـا في وجهـه مزعة لحم"، نسأل الله العافية.

4 - فـضـل بـذل المـال في إعتـاق الرقـاب؛ لقولـه تعـالى: وفي الرقاب. وهذا يشمل أن يشتـري الرجـل عبـدا فيعتقـه، أو أن يعين

(١) انظر: مسلما كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، رقم (١٠٤١). (٢) انظر: البخاري كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، رقم (١٤٧٤)، ومسلها كتاب الزكـاة، باب كراهية المسألة للناس، رقم (١٠٤٠).

مكاتبا في كتابته، وغير ذلك من صور الإعانة. ١٥ـ الثناء على إقامة الصلاة، وأنها من البر؛ لقوله تعالى: «وأقام
الصلوة * .
١٦ـ الثناء على إيتاء الزكاة؛ لقوله: «وءاتي الزكوة »، ولكن لا بد أن تكون الزكاة في محلها، أي: في أهلها الذين أمر الله تعالى بصرفها إليهم في قوله: « إنما الصدقات للفقراء والمسكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ [التوبة: 60]؛ فلا يجوز أن يحابي الإنسان بها قريبا أو صديقا، أو غير ذلك. بل يعطيها من هو أحوج وأحوج، وإذا اجتمع شخصان مستحقان للزكاة: أحدهما قريب، والثاني غير قريب، فإنها تعطى للقريب؛ لأن صدقتك على القريب صدقة وصلة.
١٧ـ الثناء على الموفي بالعهد، سواء كان العهد مـع مـسلم، أو مع

كافر.
وإن شئت فقل: إنه يدخل في العهد: القيام بحق الله ـ عز وجـل ـ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عهد إلينا ـ بما أعطانا من العقول، وبما أرسل إلينا من الرسل ـ ألا نعبد إلا إياه، وأن نقوم بطاعته عـلى الـوجـه الـذي أمرنا به.
١٨ـ الثناء على الصابرين في الفقر والمرض والحرب؛ لقوله تعالى:

سـورة البقـرة

١٦٢١١

والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس؛ فالـصبر في البأسـاء والضراء: صبر على أقدار الله، والصبر في حال الحرب: صبر على طاعـة الله، وعلى أقدار الله أيضا.

١٩ـ الثناء على هؤلاء السادة الذين اتصفوا بهذه الصفات العظيمة الكاملة، في قوله: «أولتيك الذين صدقوا وأولتيك هم المتفون». نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتصفين بهذه الصفات، وأن يهيئ لنا مـن أمرنـا رشدا.

*

قال الله تعالى: (يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الخر بالحر والعبد بالعبد

والأنثى بالأنى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسن ذالك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله, عذاب أليم ﴾ [البقرة: ١٧٨].
ابتدأ الله - سبحانه وتعالى ـ هذه الآية بنداء المؤمنين: «يأيها الذين ءامنوا»، وابتداء الخطاب بالنداء، يدل على أهميته؛ إذ إن النداء يقتضي تنبيه المخاطب، ثم إن توجيهه إلى المؤمنين يدل على أن امتثاله من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان. وقد قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إذا سمعت الله يقول: «يتأيها الذين ءامنوا»، فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه» . كتب عليكم القصاص» أي: فرض، ويحتمل أن يكون المعنى:

شرع؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية العفو، أو يقال: إن «كتب» أي: فرض فيها إذا طلبه صاحب الحق، فإنه فرض على ولاة الأمور تنفيذه. والقصاص في القتلى» : «القصاص» في الأصل: تتبع الأثر، والمراد به هنا: أخذ الجاني بمثل جنايته، أي: قتله إن كان قد قتل، أو قطع عضو منه إن كان قد قطع عضوا، أو ما أشبه ذلك. الحر بالحر والعبد بالعبد * يعني: أنه يقتل الحر بالحر، ويقتل العبد بالعبد؛ لتام المكافأة؛. فالحر مكافئ للحر، والعبد مكافئ للعبد، والأنثى مكافئة للأنثى.
فمن عفى له من أخيه شيء فأتباع بالمعروف» أي: فمن عفي له في القصاص من أخيه شيء ـ قليلا كان أو كثيرا ـ فإنه يتبع طريقين: الأول: اتباع بالمعروف، يعني: أن صاحب الحق يتبع من عليه الحق بالمعروف، فلا يمن عليه، ولا يشاقه. الثاني: «وأداء إليه بإحسان، هذا بالنسبة للمعفو عنه: يجب عليه أن يؤدي بإحسان.
مثال ذلك:إذا عفا عن القصاص إلى الدية، فإن على العافي أن يتبع القاتل بالمعروف في طلب الدية ، وعلى القاتل أن يؤدي إلى العافي الدية بإحسان.
وذالك تخفيف من ربكم ورحمة » أي: إن هذا الحكم يتضمن شيئين: التخفيف، والرحمة. فكان تخفيفا؛ لأن القصاص في بني

إسرائيل كان مفروضا لا يمكن أن يعفى عنه، وأما في شريعة عيسى - عليه السلام ـ فقد

قيل: إن العفو واجب. ففي التوراة: العفو ممنوع، وفي الإنجيل: العفو واجب، أما هذه الأمة فإنها بالخيار: تخفيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بإسقاط القتل عن القاتل. ورحمة: بكونه يعطي هؤلاء الذين يطالبون بالحق عوضا عن ذلك،
وهو الدية.
فمن اعتدى بعد ذلك؟ أي: بعد تمام القصاص، أو العفو إلى الدية، أو العفو مجانًا.
فله عذاب أليمه ؛ وذلك أن بعض الناس إذا عفا عن القاتل، حمله الشيطان على أن يأخذ بالثأر مرة أخرى، فيعتدي على القاتل مرة
أخرى.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: ١- فضيلة الإيمان؛ حيث نوه بفضله بتوجيه الخطاب إلى من اتصف به، في قوله: «يتأيها الذين امنوا) .

٢ـ وجوب القصاص في القتلى، ولكن له شروط معروفة، وجاءت بها السنة، وتكلم عنها أهل العلم، ببسط واسع، مذكور في المطولات. 3- أن الحر يقتل بالحر، ولو كان القاتل أفضل من المقتول في علمه ودينه وخلقه. وظاهر الآية الكريمة: أنه عام في قتل المسلم بالكافر، والكافر بالمسلم. أما قتل الكافر، فالصحيح: أنه لا يقتل بالكافر، ولو

كان للكافر عهد؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر». ٤ـ أن العبد يقتل بالحر؛ لأنه إذا كان يقتل بالعبد، فقتله بالحر من

باب أولى.
وأما عكسه ـ وهو قتل الحر بالعبد ـ ففيه خلاف بين أهل العلم: فمنهم من قال: إن الحر يقتل بالعبد؛ لقول الله تعالى:* النفس بالنفس * [المائدة: 45]، وقول النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، ولقول النبي ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»(٣).
ومن العلماء من قال : إن الحر لا يقتل بالعبد؛ لأن العبد متقوم،
بخلاف الحر.
والصحيح: أن الحر يقتل بالعبد، إذا علمنا أنه قتله عمدا؛ للأدلة
التي ذكرناها.

هـ أن العبد يقتل بالعبد؛ لقوله: «والعبد بالعبد ، وظاهر عموم

(١) رواه البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١). (٢) رواه البخاري كتاب الديات، باب قوله تعالى: «أن النفس بالنفس والعين بالعين رقم (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، رقم (١٦٧٦). (٣) رواه النسائي كتاب القسامة، باب سقوط القود من المسلم للكافر، رقـم (٤٧٤٦)، وأبو داود كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، رقم (٢٧٥١)، وابن ماجة كتاب الـديات،
باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، رقم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤، ٢٦٨٥)، وأحمد (٢، ٩٦٢، 6973).

الآية: ولو اختلفا في القيمة، يعني: لو كان المقتول لا يساوي إلا عشرة، والقاتل يساوي آلاقا، فإنه يقتل به؛ لعموم قوله: «والعبد بالعبد ؟. 6 ـ أن الأنثى تقتـل بـالأنثى، وهنـا مـسألة: هـل تقتـل بالرجـل؟ الجواب: نعم، تقتل بالرجل، أي: إن الأنثى إذا قتلت رجلاً، فإنها تقتل به. ومسألة أخرى: هل يقتـل الرجـل بـالأنثى؟ الجواب: نعـم، يقتـل الرجل بالأنثى؛ لعموم قوله تعالى: «الخربآخره، ولكن الله تعالى ذكـر في الآية: «الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى »؛ لتام المكافأة مـن
ع

كل وجه.
ـ يستفاد من قوله تعالى: «فمن عفى له، من أخيه شيء ، أنـه إذا عفا أحد من الورثـة عـن القـصاص، فإنـه يـسقط القصاص في حـق الجميع؛ تغليبا لجانب الرحمة. ولا فرق بين أن يكون نصيب العافي كثيرا أو قليلا. مثال ذلك: لو فرضنا أن المقتول له عشرة إخوة، وهم ورثته، فطالب تسعة منهم بالقصاص، وعفا واحد منهم عن القصاص، فـإن القصاص يسقط، وتجب الدية للجميع. ووجه ذلك قوله: «فمن عفى له من أخيه شيء ؛ فـإن كلمـة «شيء» نكـرة في سياق الشرط فتعم القليل والكثير.

هـ أنه يجب على العافي عن القصاص أن يتبـع القـاتـل بـالمعروف، بحيث لا يشق عليه ولا يضجره؛ لأنه عفا عن القصاص، فلـم يـق إلا الدية دينا في ذمة القاتل.

ـ وجوب أداء القاتل للدية بإحسان؛ لأن الذي عفا عنه أحسن إليه بإسقاط القصاص عنه، فكان الأداء إليه بإحسان من مكافأته على هذا العمل الجليل.

أحكام من القرآن الكريم

١٠ـ جواز النسخ في شرائع الله، وهو رفع الحكم الثابت بدليل شرعي، بمقتضى دليل شرعي. وقد سبق الكلام في ذلك عند الكلام] على قوله تعالى: « ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (1)
[البقرة: 106].

١١- محبة الله - سبحانه وتعالى ـ للتخفيف على عباده؛ لقوله: ذلك تخفيف من ربكم ». وهذا أمر ظاهر في جميع الشريعة، فالشريعة مبناها على اليسر؛ لقول النبي ﷺ: «إن الدين يسر»، ولقوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن: 16]، وقوله: « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم »(٣) .

١٢ـ محبة الله - عز وجل ـ لرحمة العباد؛ فإنه جل وعلا أرحم الراحمين بعباده، كا قال يعقوب لبنيه: « فالله خير حافظا وهو أرحم

(٣)

(١) الجزء الأول من كتاب الأحكام، (ص ٣٨٦). (٢) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩). رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم

(٧٢٨٨).

الراحمين ﴾ [يوسف: ٦٤].
١٣- تحريم اعتداء أولياء المقتول على القاتل إذا عفوا عنه، وأنهم إذا اعتدوا بعد ذلك، أخذوا بها يقتضيه عدوانهم. فلو أن أحـدا مـن ورثـة المقتول لم يقتنع بالعفو، فذهب وقتل القاتل، فإنه يقتل، إذا تمت شروط القصاص.
١٤- جواز التعبد الله خوفا من عذابه وعقابه؛ لأن الوعيد بالعذاب، يؤثر في كمال العبادة والتعبد. ويتفرع على هذه الفائدة: غلط من قال من بعض الناس: إن كال العبادة أن تتعبد الله تعالى حبا فيه، لا طمعا في ثوابه، ولا خوفا من عقابه؛ فإن هذا قول ليس بصحيح؛ فقد قال الله تعالى عن أشرف الخلق محمد ﷺ وأصحابه: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ترنهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ [الفتح: ٢٩].
٤

**

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: «ولكم في القصاص حيوة يتأولى الأليب لعلكم تتقون ﴾ [البقرة: 179].
ولكم في القصاص» أي: لكم في قتـل القـاتـل المتعمـد - إذا تمـت الشـروط - حيوة؛ وذلك أن القاتل إذا علم أنه إذا قتل قـتـل، فإنـه سوف يمتنع عن القتل، فتكون الحياة له، ولمن هم بقتله. و يتأولى الألبب؟ يا أصحاب العقول.

٦٢٨١

أحكام من القرآن الكريم

ولعلكم تتقون ؟ أي: فرضنا عليكم القصاص؛ لأجل أن تتقـوا
القتل الموجب للقصاص.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي:

١-
بيان الحكمة من وجوب القصاص، وهـي الحـفـاظ عـلـى حـيـاة البشر؛ لقوله تعالى: (ولكم في القصاص حيوة ؟.
٢- الإشارة إلى أن قتل القاتل: عدل، أي: من العدل؛ حيث سـاه الله تعالى: قصاصا، وهو: أخذ الجاني بمثل جنايته. 3- أن القصاص سبب للحياة، وليس سببا للموت، خلافا للظا المعتدي

الذي يقول: «إن القصاص زيادة في الموت؛ فإن القاتل إذا قتل، انضم قتله إلى قتل المقتول، فيكون المقتول نفسين»، فيقال: لكننا إذا قتلنا القاتل، امتنع عن القتل آلاف الناس، فكان في ذلك حياة البشر، ولولا العقوبات التي قدرها الله ـ عز وجل ـ في بعض المعاصي، لانتهك الناس هذه المعاصي، ولم يبالوا بها. ٤- فضيلة العقل؛ لقوله: «يتأولي الألبب؛ فجعل الله ـ تعالى - العقل: لبا، ومعلوم أن اللب هو المقصود، وأن القشور ما هي إلا غطاء لحفظ اللب.
هـ أنه يجوز الاستدلال بالعقل في بيان حسن الشريعة، فيا أمرت به، وفيها نهت عنه؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: إن الله تعالى لم يأمر بأمر، فيقول العقل: ليته لم يأمر به، ولم ينه عن شيء، فيقول العقل: ليته

لم ينه عنه .
6 - إثبات التحسين والتقبيح العقليين، بمعنى: أن العقل يشهد بأن هذا حسن، وهذا قبيح، لكن ليس للعقل أن يحلل أو يحرم أو يوجب؛ لأن هذا إلى الله وحده.
- إثبات العلل والحكم، فيا شرعه الله؛ لقوله تبارك وتعالى: لعلكم تتقون»؛ لأن «لعل» هنا للتعليل.

قال الله ـ تبارك وتعالى -: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم المؤث إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين *

[البقرة: ١٨٠]
يقول الله ـ عز وجل ـ: «كتب عليكم﴾ أي: فرض. إذا حضر أحدكم الموت» أي: إذا حل به الأجل، وهو كناية عن قرب أجله، با يشاهده في نفسه من المرض. إن ترك خيرا > «الخير» هنا، هو: المال
الكثير.

«الوصية * هذه نائب الفاعل، وعامله: كتب، أي: كتبت عليكم الوصية، وحذفت تاء التأنيث من «كتب»، لوجهين: الوجه الأول: أن الوصية تأنيثها غير حقيقي، والثاني: طول الفصل بينها وبين عاملها. وللوالدين وهما: الأم والأب.

والأقربين؟ وهم: الإخوة وبنوهم، والأبناء وبنوهم، وإن شئت

فقل: الأبناء والبنات وأولادهم. المهم أن المراد بالأقربين: من كان أقرب فأقرب.
بالمعروف» متعلق بالوصية، أي: أن يوصي بالمعروف، لا

يتجاوز فيسرف، ولا يقصر.
«حنا» مصدر مؤكد لقوله: «كتب؟.

* على المتقين» أي: على من اتصفوا بتقوى الله ـ عز وجل - ومعنى الآية: أن الله - سبحانه وتعالى ـ فرض على من ترك مالا كثيرا، أن يوصي لوالديه وأقاربه، بالمعروف، وأكد ذلك بأنه حق على المتقين. في هذه الآية من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ا۔ وجوب الوصية للوالدين والأقربين، بالمعروف، بشرط أن يترك خيرا. ولكن هذا العموم مخصص بقوله ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»)، أي: أنه مخصص بآيات المواريث. فإن آيات المواريث، جعل الله فيها لكل وارث ما اقتضت حكمته أن يكون له. وعلى هذا: فالورثة لا يوصى لهم؛ لأن الوصية للوارث، تعد لحدود الله ـ عز وجل ـ فمثلاً: إذا أوصى الرجل لأمه

(ا) رواه الترمذي: كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث»، رقم (٢١٢١،٢١٢٠)، والنسائي كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية لوارث، رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٣)، وأبو داود كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية لوارث، رقم (٢٨٧٠، ٣٥٦٥)، وابن ماجة كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، رقم (٢٧١٣، ٢٧١٤)، وأحمد (١٧٢١٣، ١٧٦١٧، ٢١٧٩١).

بال زائد على نصيبها من الميراث، فهذا تعد لحدود الله؛ لأن الله جعل للأم السدس، أو الثلث، حسب ما هو معلوم في علم الفرائض. إذا هذه الآية عامة، لكنها خصت بالورثة، فلا يوصى

لهم. وقيل: إن هـذه
الآية منسوخة وأن الوصية لا تجب للأقارب الذين لا يرثون. ولكـن
النسخ يحتاج إلى شرط لا يتحقق في هذه الآية، وهـو ألا يمكـن الجمـع بين النصين، فإن أمكن الجمع بين النصين، فإنـه لا نسخ؛ لأن النسخ يقتضي إبطال أحد النصين ـ وهو أمر ليس بالسهل ـ فإذا أمكن الجمع بين النصين فلا نسخ وهنا يمكن الجمع، فنقول: يجب على الإنسان أن يوصي للأقارب غير الوارثين، إذا ترك مالا كثيرا، وأما الوارثـون فـهـم على ما فرض الله لهم من الميراث. مثال ذلك: رجل مات عن أمه وأبيـه وأخيه الشقيق. أخوه الشقيق لا يرث؛ لأن أباه يحجبه، فيجب على هذا الرجل أن يوصي لأخيه الشقيق بشيء من المال قليلا كـان أو كثيرا، إن ترك مالا كثيرا. أما إذا لم يترك إلا مـالا قليلاً، فإنه لا يجـب عليـه أن يوصي له. وهذا القول ذهب إليه جماعة مـن أهـل الـعـلـم، ومـنـهـم ابـن عباس رضي الله عنها، أي: أنه يجب على الإنسان إذا ترك مالا كثيرا أن يوصي لأقاربه غير الوارثين، بما يشاء، لكن جمهور الأمة على أن الوصية للأقارب غير واجبة.

٢ـ اعتبار قول من حضره الموت، يعني: أن المحـتـضـر يعتبر قولـه لكن بشرط: أن يكون معه عقله، فإن لم يكن معه عقله؛ فلا عبرة بقوله.

3ـ أنه إذا اعتبر قول من حضره الأجل، فإن توبته تقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن الله ـ تعالى ـ يقبل توبة العبد، ما لم يغرغر» (١). 4- أن الأحكام منوطة بأسبابها؛ لقوله: «إن ترك خيرا ، وهذا كما
يقال: على الإنسان الزكاة، إن ملك النصاب. هـ أن الله ـ تعالى ـ أرحم من الأولاد بوالديهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ أوصى الأولاد، بل فرض على الأولاد أن يوصوا لوالديهم، وهذا يدل على أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم من الإنسان بوالده. وفي قوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:*
يوصيكم الله في أولدكم ﴾ [النساء: 11]. دليل على أن الله أرحم بعباده من الوالدين بأولادهما. فيكون الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم بالأصول من فروعهم، وبالفروع من أصولهم. 6ـ اعتبـار الـعـرف؛ لقولـه ـ تعـالى -: «بالمعروف»، وهـذا في مواضع كثيرة. وقد قال أحد الناظمين:

وكـل مـا أتـى ولـم يـحـد بالشرع كالحرز فبالعرف احدد(٢) فالعرف يـكـون مناطـا للأحـكـام في مواضـع كثيرة؛ لقولـه

بالمعروف».

(١) رواه الترمذي كتاب الدعوات، باب رقم (٩٨) حديث (٣٥٣٧)، وابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥٣)، وأحمد: (٦١٢٥، ١٥٠٧٣، ٦٣٧٢، ٢٢٥٥٩)
(٢) هو للمؤلف ـ رحمه الله ـ انظر منظومته في أصول الفقه (ص ١٦).

- أن التقوى توجب للإنسان أن يقوم بأمر الله ـ عز وجل ؛ لقوله:«حقا على المتقين ولا شك أن التقوى تحمل الإنسان على
فعل الطاعات وترك المحرمات، بل إن فعل الطاعات وترك المحرمات هو التقوى حقيقة.
٨- تأكيد الوصية للوالدين والأقربين؛ حيث قال: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية»، ثم قال: «حقا على
المتقين .
9ـ أن من لم يقم بهذه الوصية؛ فإنه يفوته من التقوى بقدر مخالفته.

قال الله تعالى: « فمن بذله، بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبذلونه إن الله سميع عليم ﴾ [البقرة: ١٨١].
وقمن بدل » أي: غيره، أي: غير الوصية التي فرضها الله ـ عز وجل ـ في الآية السابقة.
بعدما سمعه » أي: علم به، بواسطة السمع. فإنما إثمه على الذين يبذلونه » وليس على الموصي؛ لأن
الموصي قام بها يجب عليه، فصار الإثم على المبدل المغير. وإن الله سميع عليم» أي: يسمع قول من غير الوصية بقوله، ويعلم
حال من غير بقوله أو كتابته أو غير ذلك.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ١ـ تحريم تغيير الوصية؛ لقوله: «فمن بذله،

بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبذلونه »، ولأن تغيير الوصية؛ تصرف في حق الغير بغير حق، إلا أنه يستثنى من ذلك ما سيأتي في الآية التالية. ٢ـ أن الإنسان إذا عمل الخير، ثم تصرف فيه الغير، بما ليس بخير، فلا إثم على الأول، وإنما الإثم على الثاني؛ لقوله - تعالى -: «فإنما إثمه على الذين يبذلونه .

3- إثبات هذين الاسمين الكريمين الله - عز وجل -، وهما: «السميع»، و«العليم». وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن السميع» له معنيان: المعنى الأول: إدراك المسموع، والمعنى الثاني: استجابة الطالب السائل. ومثلوا للأول بقوله ـ تعالى ـ: « قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصيره [المجادلة: 1]، ومثلوا للثاني بقوله ـ تبارك وتعالى -: إن ربي لسميع الدعاء ﴾ [إبراهيم: 39]: أي: لمجيبه. وقد سبق لنا تفصيل القول في ذلك. وأما العليم»، فيستفاد منه وصف الله ـ تعالى ـ بالعلم . وعلم الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، جملة وتفصيلا، فيما كان من فعله ـ عز وجل ، أو من فعل عباده، فيما كان ماضيًا، وما كان حاضرا، وما كان مستقبلاً. ولهذا لما قال فرعون لموسى: « قال فما بال القرون الأولى * [طه: 51]، قال موسى ـ عليه السلام ـ: «قال علمها عند ربي في كتب لا

يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يتصف بالجهل ولا بالنسيان. 4- أن الإيمان بكون الله سميعا عليها، يستلزم ألا يقـول الإنسان قولا يغضب الله ـ عز وجل ؛ لأنه إن قال، فقد سـمعه ـ عـز وجـل ـ وألا يعمل عملا يغضب الله ـ عز وجل ؛ لأنه إن عمـل، فقـد علـمـه - عز وجل ـ ، فيوجب الحذر من المخالفة. وبهذه المناسبة، أذكـر إخـواني المسلمين أن ينتبهـوا إلى هـذه المسألة، وهي: أن أسماء الله - سبحانه وتعالى ـ يراد بها الإيمان بها وبمقتضاها، وأن يتعبد الإنسان الله ـ تعـالى ـ
بذلك.

ثم قال ـ تعالى ـ: « فمن خاف من موص جنفا أو إنما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٨٢]. «فمن خاف من موص جنفا » أي: ميلا عن الحق. (أو إنما » أي: تجاوزا للحـق.

«فأصلح بينهم » أي: بين الموصي، ومن وراءه من الورثة. فلا إثم عليه ». وهذه الآية كالاستثناء من الآية السابقة في قوله: « فمن بدله، بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين

يبذلونه إن الله ميع عليم ﴾ [البقرة: ١٨١].
وقوله: «إن الله غفور رحيم﴾ أي: ذو مغفرة ورحمة، فيغفر لمن فعل جنفا أو إثا، ويرحم من عدل إلى الصراط المستقيم.

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: 1ـ أن من غير الوصية لكونها تتضمن الجنف أو الإثم، فإنه لا إثم عليه. ونفي الإثم هنا لا يقتضي أنه ليس له أجر، بل له أجر، لكن لما كان في مقابلة ما سبق من الوعيد على من بدل، قال: «فلا إثم عليه ؟. ونفي الإثم هنا: ليس المراد مطلقا نفي الإثم، بل المراد أنه يؤجر على ذلك؛ لأنه مصلح.

٢ـ أنه إذا حصل في الوصية جور أو إثم، فإنه يجب أن يعدل. مثال ذلك: رجل أوصى لأحد الورثة، فيجب أن تلغى هذه الوصية؛ لأنها جنف. ومثال آخر: لو أن رجلا أوصى بأكثر من الثلث، فإنه يجب أن تعدل الوصية إلى الثلث، إلا أن يشاء الورثة. 3- فضيلة الصلح؛ لقوله: «فأصلح بينهم »، « والصلح خير [النساء: ١٢٨]، كا قال الله ـ عز وجل ـ. ويدخل في جميع المعاملات والحقوق، فمتى أمكن الإصلاح، فهو خير، وإذا لم يكن الإصلاح، رجعنا إلى المحاقة والمطالبة ورفع الأمور إلى الحاكم الشرعي. ٤_ أن الصلح لا بد فيه من رضا الطرفين؛ لقوله: «فأصلح بينهم ؟
ه‍ـ
ولا يجوز أن يفرض الصلح على أحد الطرفين دون الآخر. ه إثبات هذين الاسمين الكريمين الله - عز وجل ـ «الغفور»، «الرحيم».فالغفور: ذو المغفرة، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه. فيستر الله على عبده فلا يعلم به العباد، ويعفو عنه، فلا يعاقبه عليه؛

لأن «المغفرة» مأخوذة من المغفر، وهو: ما يوضع على الرأس لتوقي السهام.والمغفر فيه الستر والوقاية. وأما «الرحيم»: فهو ذو الرحمة. ورحمة الله - سبحانه وتعالى ـ: رحمة واسعة، كما قال ـ تعالى ـ:

ه ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف: 156]. وقالت الملائكة: * ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما [غافر: 7]. وقد سبق لنا تفصيل القول في الرحمة، وأنها تنقسم إلى قسمين:] عامة، وخاصة، فليرجع إلى
ذلك(1).

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعمنا بمغفرته ورحمته، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وأوليائه المتقين؛ إنه سميع قريب.

قول الله ـ تعالى ـ: « يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يقال في قوله: «يأيها الذين امنوا» ما قيل في سابقتها من أن ابتداء الخطاب بالنداء، يدل على أهميته، وتوجيهه إلى المؤمنين يدل على أن امتثاله من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان. وقوله: (كتب عليكم الصيام » أي: فرض. كما كتب على الذين من قبلكم » أي: كما فرض على الذين

ص: ١٦٢.

١٦٣٨

من قبلكم.

ولعلكم تتقون»: لأجل التقوى.

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ١ـ وجوب الصيام؛ لقوله ـ تعالى ـ: «كتب عليكم الصيام ؟. ومرتبة صيام شهر رمضان من الدين، أنه أحد أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها.
٢ـ أهمية الصيام، وأنه عبادة لا تصلح الأمم إلا بها؛ لقوله: «كما كيب على الذين من قبلكم ، ولا يلزم من كتابته على من قبلنا، أن يكون مماثلا أو مساويا لما كتب علينا، قد يختلف في العدد والزمن. ٣ـ تسلية هذه الأمة، بأن هذا الصيام الذي فيه شيء من المشقة، قد كتب على من قبلنا، ومن المعلوم أن الإنسان يتسلى بغيره فيها يناله من
مشقة.

٤ـ فضيلة هذه الأمة، حيث التحقـت بـمـن سـبقها في الفضائل والأعمال الصالحة؛ لقوله: «كما كتب على الذين من قبلكم . هـ أن الصيام سبب للتقوى؛ لقوله: «لعلكم تتقون»، وأن مـن لم يظهر عليه أثر التقوى بالصيام، فصيامه ناقص؛ ولهـذا قـال النبي ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس الله حاجـة في أن يـدع

طعامه وشرابه»(١). ففائدة الصيام وحكمة الصيام: تقوى الصائم الله - عز وجل -، فلا يرفث، ولا يفسق، بل لو قاتله أحـد أو شـاتمه فليقـل: «إني صائم» (٢).
6 ـ إثبات الحكمة في شرع الله ـ عز وجل ـ وأنه ـ جل وعلا ـ لا يشرع شيئا إلا لحكمة، سواء علمناها أم لم نعلمها، فإن علمناها، فهذا من فضل الله علينا؛ حيث نعرف به كمال الله - عز وجل -، وكال شريعته، وتطمئن نفوسنا أكثر، وإن جهلناها، فما علينا إلا التسليم؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله، فقد ضل ضللا مبينا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ـ أن الصيام من مقتضيات الإيمان، حيث وجـه الخطـاب فـيـه إلى المؤمنين بقوله: «يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام » إلخ.

ثم قال ـ تعالى ـ: « أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرله، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم (١٩٠٣). (٢) وذلك كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري كتاب الـصـوم، بـاب هـل يـقـول : إني صائم إذا شتم، رقم (١٩٠٤)، ومسلم كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١).

أياما معدودات ؟ يعني: أن الصوم المفروض ليس شهورا، ولا
سنوات، ولا أياما طويلة. بل هو أياما معدودات. فمن كان منكم مريضا ؟ يعني: وشق عليه الصوم. (أو على سفر فعدة من أيام أخر عدة: مبتدأ خبره محذوف والتقدير: فعليه عدة من أيام أخر.
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * يعني: على الذين

يستطيعونه.
فدية طعام مسكين * أي: إذا لم يريدوا الصوم. «فمن تطوع خيرا فهو خيرله » يعني: فمن تطوع خيرا ببذل

الفدية، فهو خير له.

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون يعني: إن كنتم من

ذوي العلم.
ثم بين هذه الأيام المعدودات في قوله: «شهر رمضان﴾ [البقرة:185].

ع
في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ا- تصوير الأمر الشاق بأمر سهل، حتى تنشط النفوس وتقبل عليه؛ لقوله: «أياما معدودات فإن الله - تعالى - عرض الصوم هذا المعرض الذي يسهل على المرء أن يقوم بالصيام. ٢- أن المريض لا يلزمه الصوم أداء، بل له أن يؤخره حتى يبرأ؛ لقوله: «فعدة من أيام أخر» والمرض هنا مطلق، فيقتضي أي مرض

كان، سواء كان المرض في عضو من أعضائه، أو في كل بدنه، وسواء كان بالحمى أو غيرها. لكن هل يشترط أن يكون المرض شاقا؟ يقال: نعم. لا بد أن يكون هذا المرض شاقا على الإنسان أن يصوم مع وجوده، فأما إذا كان لا يشق عليه، فلا وجه لكونه عذرا. هذا هو الذي عليه جمهور الأمة.

3- أن من كان مسافرا، فإنه لا يلزمه أداء الصوم، بل له أن يؤخره إلى وقت آخر. وقد دلت النصوص على أن السفر إن كان لا توجد فيه مشقة بالصوم، فالأفضل أن يصوم؛ إقتداء برسول الله ﷺ، وتعجلا لإبراء الذمة، ولأنه أسهل من القضاء ـ كما هو معروف ـ وأما إذا كان فيه شيء من المشقة، فالأفضل الفطر، وليس من البر أن يصوم. وأما إذا كان فيه مشقة شديدة، فإن الصوم يحرم؛ لأن النبي ﷺ شكي إليه ما يجده الناس من الصوم، فأفطرو والناس ينظرون إليه، ثم قيل له: إن
بعض الناس قد صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة»(1).

فيكون الصوم في السفر على هذه الوجوه الثلاثة. وللمسافر أن يفطر وإن لم يشق عليه الصوم؛ لأن الصحابة مع النبي ﷺ كان منهم الصائم، ومنهم المفطر، ولا يعيب بعضهم على بعض.

(١) رواه مسلم كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية...، رقم (١١١٤).

٤ـ أن الصيام أول ما فرض، كان الناس فيه مخرين بين الصوم والإطعام؛ لقوله: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون .

وهذا هو الصحيح من تفسير الآية الكريمة: أنها دالة على التخيير الذي كان في أول الأمر، وقد دل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع، الثابت في الصحيحين، قال: (لما نزلت:(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * ، كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها(١).

وقال بعض أهل العلم: إن معنى قوله: «يطيقونه * يطوقونه أي: يبلغ طاقتهم، ويتكلفون به، فعليهم فدية، لكن هذا القول ينقضه قوله: «وأن تصوموا خير لكم »، فإن هذا يدل على أن المخاطب قادر على الصيام. وقال بعضهم: إن معنى يطيقونه» أي: لا يطيقونه. وهذا أبعد

وأبعد. فالصواب ما ذكرنا: أن الآية دالة على التخيير بين الإطعام والصيام الذي كان جائزا في أول الأمر، ثم تعين الصيام. 5ـ بيان حكمة الله - عز وجل ـ في التشريع. وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يشرع الأحكام شيئا فشيئا خصوصا فيما يشق على الناس، ألا ترى أنه

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » رقم (٤٥٠٧)، ومسلم كتاب الصيام، باب بيان نسخ (وعلى الذين يطيقونه فدية ؟ رقم (١١٤٥).

سبحانه وتعالى ـ حين أراد أن يحرم الخمر، جعل تحريمه متدرجا، وهكذا الصوم، لما أراد ـ عز وجل ـ أن يفرضه على العباد، جعل فرضه متدرجا. ففي أول الأمر يخير الإنسان بين أن يصوم أو يفدي، ثم تعين الصوم.

ج
6 ـ أن التطوع بالعبادات خير، سواء كان في أعلى المقامات، أو فيا دونه؛ لقوله: «فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم ـ أن الأعمال تتفاضل جنسا ونوعا؛ لقوله: «فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ؟. ٨ـ محبة الله ـ تعالى ـ للصوم؛ لقوله: «وأن تصوموا خير لكم » ٩ـ توجيه الخطاب لذوي العلم؛ لقوله: «إن كنتم تعلمون . ١٠ـ فضيلة العلم، وأن الإنسان يدرك به ما يخفى على غيره.
ج

*

ثم قال الله ـ تبارك وتعالى -: * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدتكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة: 185].
قوله: «شهر رمضان » هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وسمي بذلك؛ لأنه كان ـ حين التسمية ـ موافقا لشدة الرمضاء والحر.

الذي أنزل فيه القرءان »أي : أنزله الله ـ عـز وجـل ـ فإن الله ـ
تعالى ـ أنزل القرآن في ليلة القدر، أي: ابتـداء إنزالـه، وليلـة القـدر في
رمضان.

وهدى للناس هدي: مفعول لأجله، أي: أنزل القرآن لأجـل
هداية الناس.

وبينت من الهدى والفرقان » أي: علامات واضحة من الهـدى والفرقان؛ لأن هـذا الـقـرآن الـكـريـم يـشتمل على التفريـق بـيـن الحـق والباطل، وبين أهل الخير وأهل الشر.

فمن شهد منكم الشهر فليصمه » شهد، بمعنى: شـاهد، ويحتمـل

أن تكون بمعنى: حضر.
ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وسبق القـول فيها.

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» أي: يحب أن ييسر
عليكم، ولا يحب أن يعسر عليكم، فالإرادة ـ هنا ـ شرعية. ولتكملوا العدة » . «الواو»: حرف عطف، والمعطوف عليـه محذوف يعلم من السياق، فكأنه قال: لتقوموا بطاعته ولتكملوا العـدة. أي: عدة الشهر.

ولتكبروا الله على ما هدنكم» أي: من أجل هدايته إياكم. ولعلكم تشكروت؟ .

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن الصوم الذي كتبه الله علينـا، معيـن

في وقت معين، وهـو
شهر رمضان.
٢ـ أن القرآن نزل في رمضان، أي: ابتدأ الله إنزاله على محمد ﷺ في

رمضان.
3ـ إثبـات علـو الله؛ لقوله: «الذي أنزل فيه القرءان » ؛ لأن مـن المعلوم أن القرآن كلام الله، فإذا كان منزلا، كان الذي تكلم بـه عاليا، جل وعلا.
٤ـ أن القرآن هدى وبيان وفرقان؛ لقوله: «هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان ←.
هـ الحث على تدبر القرآن؛ حيث جعله الله ـ عز وجل -: «هدى للناس»، ومعلوم أن الإنسان يطلب الهدى من أي مكان كـان، وهـذا يحصل بالتدبر ـ أي: تدبر القرآن ـ فمن تدبر القرآن طالبـا الهـدى منـه، تبين له طريق الحق.

6ـ وجوب صوم رمضان بمشاهدة ـ أو شـهود ـ هلاله؛ لقوله: «فمن شـهد منكم الشـهر فليصمة». وقد تبين بالسنة أن دخـول شـهر رمضان يثبت بشهادة واحد من الناس، فإن رجـلا جـاء إلى النبي ﷺ وأخبره أنه رأى الهلال، فقال له: (أتشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا رسـول الله؟ قال: نعـم. فـأمـر بـلالا أن يـؤذن في الناس أن يصوموا

غذا)). وكذلك ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: تراءى الناس الهـلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصامه، وأمر الناس بصيامه). ـأن الهلال إذا شوهد في مكان، ولم يشاهد في مكان آخر، فإنـه لا يجب عـلى مـن لـم يـشاهده أن يصوم؛ لأن الله ـ تعـالى ـ علـق وجـوب الصوم بشـهود الهلال. وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فمنهم من قال: إنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان، وجب على جميع الأمة الإسلامية أن تصوم في أي قطر كانت، ومنهم من قال: إذا كان الناس تحت ولايـة واحدة، وشوهد في هذه الولاية، وجـب عـلى كـل أهـل الولايـة أن يصوموا، ولا فرق بين من رآه ومن لم يـره، ومـنـهـم مـن قـال: مـن رآه وجـب عـلـيـه الـصـوم، ومن لم يره لم يجب عليه. قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: تختلف مطالع الهلال، باتفاق أهل المعرفة.

فإن اتفقت المطالع وجب الصوم، وإلا فلا. وعمل الناس ـ غالبا ـ اليوم أنهم يتبعون من ثبت

الشهر عنده على

(١) رواه الترمذي كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، رقم (691)، والنسائي: كتاب الصيام، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال رمضان، رقم (٢١١٢، ٢١١٣)، وأبو داود كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، رقم (٢٣٤٠)، وابن ماجة: كتاب الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال ، رقم (١٦٥٢)، والدارمي

(١٦٩٢).

(٢) رواه أبو داود كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان رقم (٢٣٤٢)، والدارمي (١٦٩١).

وجه يثقون به.
هـ أن الإنسان إذا فاته الشهر كاملا، وكان الشهر ناقصا ـ أي: كان تسعة وعشرين يوما ـ فإنه لا يلزمه أن يقضي ثلاثين يوما، بل لا يقضي إلا تسعة وعشرين يوما؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فعدة من أيام أخره. وظاهر الآية الكريمة: أنه لا فرق بين أن تكون هذه الأيام في العام الذي حصل فيه الفطر، أو فيها بعدها، ولكن قد دلت السنة أنه لا يؤخر القضاء إلى ما بعد رمضان الثاني، قالت عائشة ـ رضي الله عنها : «كان يكون علي الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان»(). وهذا يدل على أنه لا يؤخر إلى ما بعد رمضان الثاني، وإلا لكان ما بعد رمضان الثاني وما قبله سواء.
9 ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ كتب على عباده ما كتب من الفرائض، لا للإشقاق عليهم، ولا لإلحاق الحرج بهم، ولكنه ـ عز وجل ـ يريد بذلك التيسير والتسهيل؛ لقوله: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العشرة، وفي هذا إشارة إلى أن الأفضل للمريض الذي يشق عليه الصوم، أو المسافر الذي يشق عليه الصوم، أن يفطر؛ لأن هذا هو الأيسر في حقه.
١٠ـ أنه إذا تعارضت الأدلة في حكم من الأحكام، ولم يتبين

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب متى يقضي قضاء رمضان، رقم (١٩٥٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب قضاء رمضان في شعبان، رقم (١١٤٦).

رجحان أحدها على الآخر، فإن مقتضى إرادة الله اليسر على العباد أن يؤخذ بالأيسر. وهذا هو القول الراجح، أنه إذا تعارضت الأدلة في حكم من الأحكام ـ يعني: بعضها يفيد التحريم، وبعضها يفيد الحل - واشتبه الأمر، فإننا نأخذ بالأيسر؛ لأن ذلك هو الموافق لقوله ـ تعالى -:يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. ١١ـ الحث على إكال العدة على الوجه المطلوب؛ لقوله: ولتكملوا العدة ؟.

١٢ـ تكبير الله - سبحانه وتعالى ـ عند انتهاء العدة، على هدايته لنا وتسهيل الصوم علينا؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى : ولتكبروا الله على ما هديكم ؟ . وهذا يكون بعد غروب الشمس من آخر يوم من رمضان إلى أن يحضر الإمام لصلاة العيد، فيكبر الناس في الأسواق والمساجد والبيوت، يجهر بذلك الرجال، وتسر به النساء.وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، أو يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، كل هذا جائز. 13ـ أنه يجب أن نعترف الله بالفضل على هدايته إيانا؛ لقوله ـ تعالى -: (ولتكبروا الله على ما هدنكم ولعلكم تشكروت . ١٤ـ الحث على الشكر، والشكر هو: القيام بطاعة المنعم، عقيدة وقولاً، وعملا.نسأل الله أن يعيننا جميعا على ذكره، وشكره، وحسن

عبادته، وأن ييسر لنا الأمور، رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري. اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدوت »
[البقرة: ١٨٦].

وإذا سألك عبادي ← الخطاب في هذه الآية لرسول الله ﷺ والمراد بالعباد هنا: عباد الشريعة، يعني: العباد الذين يتعبدون الله - تعالى - با شرع، فهي العبودية الخاصة. وقوله - تعالى -: «فإني قريب * هذا القرب حقيقي، ولكنه لا ينافي ما ذكر من علوه جل وعلا. فإنه قريب في علوه، علي في دنوه؛ لأنه - جل وعلا - عال فوق خلقه، مستو على عرشه.

أجيب دعوة الداع إذا دعان) يعني: أن الإنسان إذا دعا ربه

فإن الله - تعالى - يجيب دعاءه..ولكن لإجابة الدعاء شروط: منها: الإخلاص الله - عز وجل - بألا يشرك معه أحدا في دعائه. ومنها: حسن الظن بالله، أن يجيب دعاءه.

ومنها: شعور الإنسان بالافتقار إلى الله تبارك وتعالى. ومنها: اجتناب أكل الحرام؛ لأن أكل الحرام من موانع إجابة

الدعاء، فقد ذكر النبي ﷺ: «الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمـد يديه إلى السماء : يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام. فأنى يستجاب لذلك!!» (١). فاستبعد النبى ﷺ أن يستجاب لمن يأكل الحرام، ويتغذى به. وقوله: «فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » أي: فليستجيبوا لأوامـري،

فيقوموا بها، وليستجيبوا لمقتضى نهيي، فيتركوا ما نهيت عنه . وليؤمنوابي * أي: ليحققوا إيمانهم، بالاستجابة الله ـ عز وجل - . لعلهم يرشدوت * : (لعل) ـ هنا ـ: للتعليل، أي: مـن أجـل أن يرشدوا، والرشد: حسن التصرف. ويفسر في كل موضع بما يناسبه. في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ عالم با يستقبل، كما هو عالم بـا مـضى، وبالحاضر. ووجه الدلالة: قوله: «وإذا سألك» و«إذا» لما يستقبل مـن

الزمان، وهي تفيد وقوع الشرط.
٢ـ حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على الأسئلة النافعة. 3- فضيلة من تعبد الله بشرعه، ووجه ذلك: إضافة عبوديتهم إلى الله، فقال - تعالى -: *عبادى *. وإضافة العبودية إلى الله - تعالى - شرف لا يساويه شرف؛ ولهذا يذكـره في مقـام التشريف كقوله ـ تعالى ـ:

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥).

* تبارك الذي نزل الفرقان على عبده * [الفرقان:1]، وقوله - تعالى -: والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجا ﴾ [الكهف:1]. والعبودية الله ـ عز وجل ـ هي الحرية الحقيقية، وأما من تحرر من عبودية

الله، فقد استرق للشيطان. قال ابن القيم - رحمه الله في النونية: هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان ٤ـ قرب الله ـ تعالى ـ لمن دعاه، ولهـذا يـشـعـر الـداعـي بقـرب

الله - تبارك وتعالى ـ كأنه يراه. وهذا من تمام الإحسان. فإن قـال قـائـل: هـل قرب الله ـ تعالى ـ ينافي علوه؟ قلنا: لا، لا ينافي علـوه؛ لأنـه ـ سـبحانه وتعالى ـ ليس كمثله شيء، في جميع صفاته، كما قال شيخ الإسلام ابـن تيمية - رحمه الله ـ في العقيدة الواسطية: (فإن الله ـ تعـالى ـ ليس كمثلـه شيء، في جميع نعوته، فهو قريب في علوه، على في دنوه». 5- إجابة الله - سبحانه وتعالى ـ للـداعي؛ لقوله: «أجيب دعوة الداع إذا دعان » . وهذا الإطلاق مقيد بألا يدعو بإثم أو قطيعة رحـم،

كا جاءت بذلك السنة. ومن الـدعـاء بـالإثم: أن يـدعو الإنسان عـلى شخص لا يستحق الدعاء عليه. فإن قال قائل: ما أكثر من يدعون الله، ولا يجدون إجابة؟ فالجواب: أن ذلك إما لفـوات الشرط، أو لوجـود مانع، أو أن الله - سبحانه وتعالى ـ ادخر ذلك لهم؛ ليكون مثوبة وقربـةً إلى الله تعالى.

6 ـ اشتراط الإخلاص في الدعاء؛ لقوله: «إذا دعان * يعني: ولم

= ٦٥٢١

يشرك معي أحدا.

٧-

أحكام من القرآن الكريم

وجـوب الاستجابة الله، والإيـان بـه؛ لقولـه ـ تعـالى -: فليستجيبوا لى وليؤمنواي ؟ .

8 - إثبات العلل، وأن أحكام الله ـ تعالى ـ وأفعاله معللة بالحكمـة البالغة التي قد ندركها، وقد لا ندركها.

ج

يقول الله تبارك وتعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسابكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانوت أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالتين بشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى اليل ولا تبشروه وأنتم عكفون في المسجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذالك يبين الله اينته للناس لعلهم يتقون ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(أحل لكم المحلل والمحـرم هـو : الله ـ عـز وجـل ـ ولا أحـد

يحلل أو يحرم من دون الله ـ عز وجل ـ والحلال ضد الحرام. وقوله: «ليلة الصيام يعني: الليلة التي تصومون من غدها. »
والرفث إلى نسايكم يعني بذلك: الجماع ومقدماته.
ثم علل هـذا الحـكـم ـ وهـو الإحـلال ـ بـأنـهـن لبـاس لـلأزواج، والأزواج لبـاس لهـن. وذلك لأن الـزواج سـر لـلـزوج وللزوجـة،

بتحصين الفرج، وغض البصر ، وغير ذلك، مما يترتب عليه من الستر، فقال ـ تعالى ـ: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ؟.

ثم بين ـ عز وجل ـ أنه أحل ذلك؛ لأنـه يعـلـم أن الإنسان يختـان نفسه، ويخدعها، ويمـلـي لهـا، [فقـال ـ تعـالى : (علم الله أنكم كنتم تختانوت أنفسكم»، وسبب ذلك أن في الإنسان نفسين: نفـس أمارة بالسوء، ونفس مطمئنة.
فالنفس الأولى تـأمره بمخالفـة أمـر الله ورسوله، والثانيـة تـأمره بطاعة الله ورسوله.
ثم قال ـ تعالى ـ «فتاب عليكم وعفا عنكم ؟ تـاب عـلـيـكـم أي:
على ما سلف من فعلكم. وعفا عنكم: عما أوجبه عليكم. وكان الناس في أول الأمر، إذا نام الإنسان قبل صلاة العشاء، حرم عليه الرفث إلى امرأته إلى أن تغرب الشمس مـن الغـد، أو إذا تعـشى، حرم عليه الرفث إلى امرأته إلى غروب الشمس من الغد فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية رخصة لهـم، وتسهيلا عليهم. وبيـن ـ سبحانه وتعالى ـ أنه تاب عليهم فيها فعلوا قبل التحليل، وعفـا
عنهم، فأسقط عنهم وجوب الإمساك إذا ناموا أو صلوا العشاء. ثـم بيـن ـ جل وعلا ـ أنه أباح لنا أن نباشـر النساء، وأن نبتغـي مـا
كتب الله لنا.
والمراد بالمباشرة هنا ما دون الجماع، والمراد بـه ما كتب الله لكم »

المراد بها الجماع؛ لأن المراد بقوله: «وابتغوا ما كتب الله لكم » أي: من الولد، وهـذا لا يحصل إلا بالجماع. فأباح الله ـ تعالى ـ أن نباشر النساء ليلة الصيام بها دون الفرج، وبالجماع. وأباح أيضا الأكل والشرب، فقال: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر * والخيط الأبيض: بياض النهار، والخيط الأسود: سواد الليل.
وقوله: ﴿ من الفجر * بيان لوقت تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ثم أمر الله ـ تعالى ـ بإتمام الصيام ـ وهو : الإمساك عن المفطرات تعبدا الله ـ عز وجل ـ من حين أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود إلى الليل، وذلك غروب الشمس. ثم نهى ـ سبحانه وتعالى ـ أن نباشر النساء ونحن عاكفون في المساجد، فقال: «ولا تبشروهن ؟ وهذا يشمل الجماع وما دونه. وأنتم عكفون في المسجد ؟ يعني: والحال أنكم عاكفون في المساجد. والعكوف: هو لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله ـ عز وجل -. وبين ـ عز وجل ـ أن هذا الذي شرعه لنا من حدود الله، ونهانا

عن قربانها
فقال ـ تعالى ـ: «تلك حدود الله فلا تقربوها » وليعلم أن الله ـ تعالى ـ يقول:* تلك حدود الله فلا تعتدوها *، وأحيانا يقول: «تلك حدود الله فلا تقربوها * قال العلماء: والفرق

بينها أنه إن كان الحد في المأمورات، فالنهي عن الاعتداء ـ أي: عن تعديها، والخروج منها ، وإن كان من المنهيات، فالنهي عن قربانها؛ لأن المنهي
عنه منهي عن القرب منه؛ لئلا تسول له النفس أن يقع في الحرام الصريح.
ثم قال: «كذالك يبين الله اينته للناس لعلهم يثقون » أي: مثل هذا البيان يبن الله للناس آياته، أي: آياته الشرعية، «لعلهم يثقون »، أي: لأجل أن يتقوا الله - عز وجل --

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1 ـــ إباحة الجاع، والأكل، والشرب، في ليالي رمضان؛ لقوله: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث» إلى أن قال: «فالن بشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ؟ .
ج

٢ـ بيان ما يحصل بالنكاح من ستر أحد الزوجين للآخر؛ لقوله: هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ؟

3ـ إثبات علم الله ـ عـز وجـل ـ بـا في نفوسنا؛ لقوله: «علم الله أنكم كنتم تختانُون أنفسكم». وعلم الله ـ تعالى ـ عـام شـامل، للظاهر والباطن، والخفي والجلي، والماضي والمستقبل والحاضر، كما قال الله ـ تعـالى -: (إن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ۞ [آل عمران: 5].

٤ـ سعة عفو الله ـ تعالى ـ وحلمه، حيث تاب علينا وعفا عنا، حين علم ما يقع منا من اختيان النفوس.
هـ أنه ينبغي للإنسان في جماعـه أن يبتغـي مـا كـتـب الله لـه مـن الولد. ويتفرع على هذه الفائدة: أن مـن حكمـة النـكـاح كثـرة النسـل، لتزداد الأمة؛ لأن بزيادة الأمة القوة والخير، والاستغناء عن الغير. 6ـ جواز الأكل والشرب والجـاع، إلى أن يتبيـن الفجـر؛ لقولـه ـ تعالى -: «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »، ويتفرع على ذلك: أنه يجوز للإنسان أن يأكل ويشرب ويجامع، مع الشك
في طلوع الفجر؛ لقوله: «حتى يتبين» ولأن الأصل بقاء الليل. ـ جواز صوم الجنب، ووجهه: أن الله إذا أباح للإنسان أن يجـامع إلى أن يطلع الفجر، لزم من ذلك ألا يغتسل إلا بعـد طلـوع الفجـر، فيكون صوم الجنب صحيحا. وقد ثبتت بذلك الـسنة عـن رسـول الله ﷺ: أنه كان يصبح صائما وهو جنب من جمـاع أهـلـه ـ صلوات الله
وسلامه عليه ـ.
ه أن الأصل الثابـت لا يـزول إلا بيقين؛ لقوله: (وكلوا واشـربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض». وهذه الفائدة قد دل عليها ما ثبت في الصحيح من حديث عبدالله بـن زيـد، وأبي هريرة ـ رضي الله عنها ـ

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنبا، رقم (١٩٢٥)، ومسلم كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم (١١٠٩).

فيمن أشكل عليه هل أحدث أم لا؟ فأمر النبي ﷺ ألا يخرج من المسجد، ولا ينصرف من صلاته، حتى يسمع صوتا، أو يجد ريحا). 9- أنه لا يجوز الفطر قبل تحقق غروب الشمس؛ ولهذا لا يجوز للإنسان أن يأكل ويشرب مع الشك في غروب الشمس، ويجوز أن يأكل ويشرب مع الشك في طلوع الفجر. ووجهه من هذه الآية أنه هناك قال: «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وهنا قال: «إلى آليل »؛ ولأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فالأصل في مسألة الفجر بقاء الليل، والأصل في مسألة الفطر بقاء

ج

النهار.

١٠- الإشارة إلى مشروعية الاعتكاف؛ لقوله: (ولا تبشروهر وأنتم عيكفون في المسجد ؟.

١١ـ أنه لا اعتكاف إلا في مسجد؛ لقوله: «وأنتم عكفون في المسجد والمساجد: تشمل جميع المساجد، من حل أو حرم؛ لأن «آل» فيها: للعموم، وليست للعهد، وعلى هذا فيصح الاعتكاف في كل مسجد، سواء كان من المساجد الثلاثة أو من غيرها. وما روي عن

(١) ورد ذلك في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللى ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئا، فأشكل عليه، أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا». وهذا الحديث رواه مسلم كتاب الحيض، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك، رقم (٣٦٢).

= ١٦٥٨

حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى»(١)، فهو حديث ضعيف، وإن صح، فالمراد الاعتكاف التام، وأما الاعتكاف المجزئ، فيصح ويجزئ في كل مسجد.
١٢- أن مباشرة النساء من المعتكف، تبطل الاعتكاف؛ لأنه منهي عنه في نفس الاعتكاف، والمنهي عنه في نفس العبادة، يفسدها كما أفسد الكلام الصلاة؛ لأنه نهي عن الكلام في الصلاة.

١٣- مشروعية الاعتكاف، ووجهه أنه أنيط به أحكام، وهـذا يـدل على أنه من شرائع الله ـ عز وجل .. ولكن ما هـو الاعتكاف المشروع المسنون، الذي هو من سنة الرسول ﷺ؟ الجواب: هـو الاعتكاف في العشر الأواخر، كا اعتكف النبي ﷺ .

١٤ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ حـد لـعبـاده حـدودا، ونهـاهـم عـن قربانها إذا كانت من المحرمات؛ لقوله: «تلك حدود الله فلا تقربوها. وإنها حدد الله ـ عز وجل ـ شريعته لعباده؛ لأن ذلك أضبط وأيسر عـلى المكلف، وأبلغ في امتحان المكلف؛ لأن بعض المكلفين قـد يهـون عـليه شيء من الشريعة دون الشيء الآخر، وبعض المكلفين يصعب عليه كل

(1) أخرجه البيهقي (4/ 319)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٣٧) (9669)، وعبـدالرزاق (4/ ٣٤٧) (٨٠١٤)، والطبراني في الكبـير (٩/ ٣٠١) (٩٥٠٩) و(٩/ ٣٠١) (٩٥١٠) و(٩/ ٣٠٢) (٩٥١١)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٨١).

أحكام الشريعة، وبعض المكلفين يهون عليه الأحكام الشرعية كلهـا، ويقوم بها أوجب الله عليه فيها. فكان في هذا امتحان للعباد. ١٥ـ الحذر من قربان محارم الله؛ لأن النبي ﷺ قال: «فمـن اتـقـى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشـك أن يقع فيه» (١). ١٦ـ أن الله ـ تعالى ـ بيـن لعباده الأحكام؛ ليتقوه؛ لقوله: «كذالك يبين الله اينته للناس لعلهم يثقوب.

17ـ أن في الآية إشارة إلى أن الإنسان لا يكلف قبل العلـم، وعـلى هذا فلا تقوم الحجة عليه، إلا بعد العلم بالحجة. ١٨ ـ أن آيات الله ـ تعالى ـ تنقسـم إلى قسمين: آيات شرعية، كما في هذه الآية. وآيات كونية، كما في قوله ـ تعالى : (ومن اينيه اليل والنهار والشمس والقمر ﴾ [فصلت: ٣٧].

١٩ـ عظم شأن التقوى، حيث جعلها الله ـ تعـالى ـ غايـة، لبيانـه لعباده؛ لقوله ـ تعالى ـ: «لعلهم يثقون.

٢٠ـ جواز النسخ في الشريعة. والنسخ: هو رفع حكـم الـنص، أو لفظه، بدليل. ووجهه من الآية: أن الله ـ تعـالى ـ أبـاح لـعبـاده مبـاشرة

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومسلم كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩)١.

النساء، بالجماع وما دونه، والأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، بعد أن كان ذلك ممنوعا إذا صلوا العشاء أو ناموا. والنسخ هنا: نسخ من أصعب إلى أسهل؛ لأن إحلال هذا الشيء للعباد لا شك أنه من التسهيل عليهم. وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ: أن النسخ يكون من أخف إلى أشد، ومن أشد إلى أخف، ومن مساو لمساو.

فمثاله من الأخف إلى الأشد: أن الله ـ تعالى ـ نسخ التخيير بين الصوم والفطر مع الإطعام، ثم عين الصيام، ومعلوم أن العبادة ـ إذا كان فيها تخيير ـ تكون أيسر من التعيين.
ومثاله من الأصعب إلى الأسهل: هذه الآية.

ومثاله من المساوي لمساويه: نسخ استقبال بيت المقدس، إلى استقبال الكعبة. فإن هذا بالنسبة لعمل المكلف لا فرق بين أن يستقبل بيت المقدس، أو أن يستقبل الكعبة.
والحكمة من ذلك:ابتلاء العباد، وبيان المنة عليهم. فإن كان من أخف إلى أشد، أو من مساو لمساو، فالحكمة فيه: الابتلاء، وإن كان من أشد إلى أخف، فالحكمة فيه: بيان فضل الله ـ عز وجل ـ على العباد، حيث خفف عنهم

ثم قال الله - تبارك وتعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة: ١٨٨].

في هذه الآية ينهى الله ـ عز وجل ـ عباده أن يأكلوا الأموال بينهم، حين يتداولونها بالباطل،

وهو ما كان ضد الحق، وينحصر ذلك في شيئين: إما بجحد ما يجب على الإنسان بذله، وإما بدعوى ما ليس من
حقه.

فمثال الأول ـ أعني جحد ما يجب على الإنسان بذله ـ: أن يكون في ذمة شخص لغيره ألف درهم، فيدعيه صاحبه، فينكر المطلوب، ويقول: إنك لا تستحق علي شيئا. ويكون الطالب ليس عنده بينة، ففي هذه الحال: سوف يحكم القاضي ببراءة المدعى عليه، إذا حلف؛ لقول النبي ﷺ : «البينة على المدعي، واليمين على من أنكر»(1).

ومثال الثاني ـ وهو ادعاء ما ليس من حقه ـ: أن يدعي شخص على آخر أن في ذمته له مائة درهم، ويأتي ببينة زور، تشهد بذلك، فيحكم القاضي على المدعى عليه بالباطل، بناء على هذه الشهادة الباطلة. ومن المعلوم أن القاضي سيحكم بها يظهر؛ لقول النبي ﷺ: «إنكم تختصمون

(1) أخرجه الترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي، رقم (١٣٤١)، ولفظه: «واليمين على المدعى عليه». واللفظ المذكور أخرجه البيهقي في الكبرى (٨/ ١٢٣)، والدارقطني (٣/ ١١٠)؛ وعبدالرزاق في المصنف (٨/ ٢٧٣) ؛

.

إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له، وإنا أقضي بنحو ما أسمع» ().
وقوله ـ تعالى ـ وتدلوا بها إلى الحكام بيان طريق ما يأكل الإنسان به الباطل، أن يدلي بالأمر إلى الحكام، فيأتي بدعوى باطلة ويؤيدها بشهادة زور، وما أشبه ذلك.

وقوله - تعالى -: لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثمه يحتمل أن تكون اللام للتعليل، أي: تفعلون ذلك لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم.

ويحتمل أن تكون للعاقبة، أي: أن أكلكم المال بالباطل يؤدي إلى
هذه العاقبة الوخيمة، وهي أكل فريق من أموال الناس بالإثم. وأنتم تعلمون» أي: تعلمون
أنه لا حق لكم في ذلك، وأن
أكلكم المال بهذه الطريق أكل بالباطل.

في هذه الآية من الأحكام والفوائد، ما يلي: 1ـ حماية الأموال، وأن الله - سبحانه وتعالى ـ قد حمى أموال الناس أن يعتدي بعضهم على بعض فيها؛ لقوله ـ تعالى ـ: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبطل ؟ .

(١) رواه البخاري كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، رقم (٢٤٥٨)، ومسلم كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم (١٧١٣).

٢ـ أن الحاكم إذا حكم بها لا يستحقه المحكوم له، فإن ذلك لا ينجيه عند الله؛ لقوله: «لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم * بعد قوله: «وتدلوا بها إلى الحكام».

3-الإشارة إلى أن الحاكم إذا أخطأ، وحكم بالباطل، فإنه لا إثم عليه؛ لأنه ليس له إلا الظاهر. ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ، فله أجر، وإن أصاب فله أجران»). 4-أن من أكل مال غيره يظن أنه أكله بحق، ولم يعلم أنه أكله بباطل، فإنه لا إثم عليه؛ لقوله: «لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون» ولكن متى علم أنه لا حق له فيه؛ وجب عليه رد الحق إلى صاحبه، أو استحلاله منه .

مثال ذلك: رجل ادعى على شخص بائة ريال، فقال المدعى عليه: إني قد قضيتكها. ومن المعلوم أن دعواه القضاء غير مقبولة إلا ببينة. ولكن إذا لم يكن له بينة، فإنه سوف يقضى عليه بدفعها إلى صاحبها، ويلزم بذلك. فإذا قدر أن المطلوب قد قضاه، ولكن الطالب نسي، فلا إثم على الطالب؛ لقوله ـ تعالى -: «وأنتم تعلمون . لكن متى ذكر أن المطلوب قد أوفى، وجب عليه أن يرد ما أخذ منه.

(١) رواه البخاري كتاب الاعتصام باب أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب

الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (١٧١٦).

5ـ أنه قد يؤخذ منها أن أكل مال المعاهد والمستأمن والذمي بالباطل محرم؛ لقوله: «لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم. وهذا قد جاءت به السنة، بل قد جاء به القرآن، قال الله ـ تبارك وتعالى -: * وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ [التوبة: 6]، وقال ـ تعالى ـ: «كيف يكون للمشركين عهد عبد الله وعند رسولي، إلا الذين عنهدين عند المسجد الحرام فما أستقموا لكم فاستقيموا لهم إن الله تحب المتقين ﴾ [التوبة: 7].

هـرس الموضوعـات

فهارس أحكام من القرآن الكريم

الموضوع

تقديم
نبذة مختصرة عن العلامة محمد بن صالح العثيمين
المقدمة

(١) سورة الفاتحة
قوله تعالى: «الحمد لله رب العلمين ؟
قوله تعالى: (الرحمن الرحيم
قوله تعالى: (مثلك يوم الدين ؟
قوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين
فوائد الآية الكريمة: (إياك نعبد وإياك نستعين)
قوله تعالى: (أهدنا الصراط المستقيم
فوائد وأحكام
قوله تعالى: « صراط الذين أنعمت عليهم ، الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة

(٢) سورة البقرة
قوله تعالى: (التي ذالك الكتب الآية
فوائد وأحكام هذه الآيات الكريات

665ا

الصفحة

٧

15

٢٢

٢٥

٢٦

{

٣٤

مد شداد كے كے

٣٩

٤٥

٤٦

قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب، الآيتان
فوائد الآيات الكريمات
من فوائد وأحكام قوله تعالى: (أولنيك على هدى من ربهم، الآية قوله تعالى: «إن الذين كفروا
سواء عليهم الآية فوائد هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (ومن الناس من يقول امنا بالله ، الآيتان
فوائد وأحكام هذه الآيات
قوله تعالى: (في قلوبهم مرض» الآية

أحكام من القرآن الكريم

من فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذا قيل لهم لا تفسدواه الآية
من فوائد وأحكام هاتين الآيتين
قوله تعالى: (وإذا قيل لهم ءامنوا كما امن الناس الآية
من فوائد الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا» الآيتان من فوائد الآيتين الكريمتين
قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضللة بالهدئ ، الآية
من فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي أستوقد نارا ، الآيتان

66

67

}V

٧٥

٧٦

٧٩
٨٢

كه وى >>

٨٦

٨٦

٩٢

96

٩٨
٩٩

٠

١٠٣
١٠٣

فهـرس الموضوع

ـات

فوائد الآيتين الكريمتين
قوله تعالى: «أوكصيب من السماء ، الآيتان
فوائد الآيتين الكريمتين

قوله تعالى: (يتأيها الناس أعبدوا ربكم ، الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: (الذي جعل لكم الأرض فراشاء الآية
فوائد وأحكام هذه الآية
قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، الآيتان
فوائد الآيتين الكريمتين
قوله تعالى: (وبشر الذين امنوا» الآية

فوائد هذه الآية
قوله تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ، الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميشقه) الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «كيف تكفرون بالله ، الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ، الآية

667

106

١٠٨
١١٢
١١٣
116

١١٧
١٢٠
١٢٢
١٣٣
136

140
١٤٣
١٤٥

147

١٤٩
١٤٩
١٥٢

I668I

فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ قال ربك للمليكة إني جاعل في الأرض خليفة » الآية

فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: (وعلم ادم الأسماء كلها ، الآيتان فوائد هاتين الآيتين

قوله تعالى: (قال يتقادم أنبتهم بأسمايهم﴾ الآية
من أحكام وفوائد هذه الآية
قوله تعالى: (وإذ قلنا للملتبكة اسجدوا لآدم » الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقلنا يتقادم أسكن أنت وزوجك الجنة » الآية

من فوائد هذه الآية
قوله تعالى: (فأزلهما الشيطنى عنها) الآية
فوائد وأحكام هذه الآية
قوله تعالى: (فتلقى ءادم من ربه، كلمت فتاب عليه » الآية

فوائد وأحكام هذه الآية
قوله تعالى: (قلنا أهبطوا منها جميعا » الآية

من فوائد هذه الآية
قوله تعالى: (والذين كفروا وكذبوا بقايينا» الآية

١٥٢

157
161
١٦٢
١٦٤
١٦٤
166
168
١٧٢
١٧٣

١٧٥

١٧٨
١٨١

١٨١

١٨٥

١٨٦
١٨٨

فهرس الموضوعات

فوائد وأحكام هذه الآية
قوله تعالى: (ينبنى إستر ويل اذكروا نعمني » الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وءامنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم» الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ولا تلبسوا الحق بالبطل» الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وأقيموا الصلوة وة اثوا الزكوة ، الآية فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» الآية
فوائد الآية الكريمة

قوله تعالى: (وأستعينوا بالصبر والصلوة) الآية أحكام وفوائد هذه الآية
قوله تعالى: « الذين يظنون أنهم ملقواتهم» الآية
أحكام وفوائد هذه الآية
ما يستفاد من هاتين الآيتين من صور قوله تعالى: (وإذ تجينكم من ال فرعون » الآية
من فوائد هاتين الآيتين

669/

١٨٨
١٩١
١٩٢
194
196
١٩٨
٢
٢٠١

٢٠٣

٢٠٤

٢٠٦
٢٠٨

٢١٠
٢١٢
٢١٤

١٦٧٠

قوله تعالى: (وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة » الآية
فوائد هاتين الآيتين
قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه) الآية
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ قلتة ينموسى لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة، الآيات

أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية، الآيتان

أحكام من القرآن الكريم

مايستفاد من هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومي الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ قلتة ينموسى لن نصبر على طعام وحده الآية فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصرى» الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميتفكم، الآيتان
فوائد هاتين الآيتين
قوله تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في الشبت، الآيتان
فوائد هاتين الآيتين

٢١٧
٢١٩
٢٢١
٢٢٢
٢٢٦
٢٢٩
٢٣٥
٢٣٧
٢٣٩
٢٤١
٢٤٦
٢٤٨
٢٥٤

٢٥٧

٢٦٢
٢٦٣
٢٦٨
٢٦٩

مـرس الموضوعـات

قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومي إن الله يأمركم أن تذكوا بقرة﴾ الآيات
فوائد الآيات الكريمة
قوله تعالى: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم» الآيات
من فوائد هذه الآيات الكريمات
قوله تعالى: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتب إلا أمان ، الآية

فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم » الآية

فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة » الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «بلى من كسب سيئة ، الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (والذين امنوا وعملوا الصلحت» الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثق بني إسراويل لا تعبدون إلا الله ، الآية
فوائد وأحكام هذه الآية
قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دماءكم، الآيتان
فوائد وأحكام هاتين الآيتين

١٦٧١

٢٧٦

٢٨١

٢٩٩

305

٣٠٦

٣٠٧

٣٠٨

٣٠٩

٣١١

٣١٢

314

316

٣١٧

٣١٩
٣٢٣
٣٢٥

١٦٧٢

أحكام من القرآن الكريم

قوله تعالى: (أولتيك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة » الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: ﴿ ولقد ءاتينا موسى الكتب» الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقالوا قلوبنا غلف» الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: (ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم، الآية 337
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (يقسما أشتروابية أنفسهم أن يكفرواه الآية
فوائد وأحكام الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذا قيل لهم امنوا بما أنزل الله ، الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (ولقد جاءكم موسى بالبينت، الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الصوره الآية
فوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة» الآيات
فوائد وأحكام هذه الآيات الكريات

٣٢٩
٣٢٩

٣٣٣

٣٣٦
٣٣٦

٣٣٧

٣٣٩
٣٤٠
٣٤١
٣٤٢
٣٤٤
٣٤٥
٣٤٦
346
٣٤٨

٣٥٠

٣٥٢

فهـرس الموضوعـات

قوله تعالى: «قل من كان عدوا لجبريل» الآيات
فوائد هذه الآيات الكريمات
قوله تعالى: (ولقد أنزلنا إليك ايت بيشت» الآية
من فوائد هذه الآية
قوله تعالى: «أوكلما عنهدوا عهدا نبذه، فريق منهم» الآية
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وأتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمين» الآية
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة» الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «يأيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا» الآية فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتب» الآية فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: « ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها، الآيتان
فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين
قوله تعالى: (أم تريدون أن تسئلوا رسولكم» الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

673

٣٥٥

٣٥٧

٣٥٨
359
360

360
364
367
٣٧٢
٣٧٢
٣٧٤
٣٧٥
٣٧٧
٣٧٨
٣٨٢

٣٨٤

٣٩٠
٣٩١

= 674

قوله تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم﴾ الآية فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرى ، الآيتان

فوائد وأحكام هاتين الآيتين
قوله تعالى: (وقالت اليهود ليست النصري على شيء » الآية
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ومن أظلم ممن منع مسجد الله ﴾ الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (والله المشرق والغرب، الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقالوا اتخذ الله ولدا ، الآيتان

أحكام من القرآن الكريم

فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين
قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ، الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (إنا أرسلتك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصري) الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

396
٣٩٧
٣٩٩
٤٠٠

.

٤٠٧
٤٠٩
410
٤١٢
٤١٣
415
416
419
٤٢١
٤٢٣
٤٢٤
٣٢٧
٤٢٩

فهـرس الموضوعـات

قوله تعالى: (الذين اتيتهم الكتب يتلونه ، الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: « ينبني إسراءيل أذكروا نعمتي» الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ﴾ الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا امناء الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل» الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ربنا واجعلنا مسلمين لك، الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم» الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

١٦٧٥١

٤٣١
٤٣٣
٤٣٥
٤٣٧
438
439
٤٤١
٤٤٢
٤٤٤
٤٤٦
٤٥٢
٤٥٤
٤٥٦
٤٥٧

٤٦٠
٤٦١

٤٦٧

١٦٧٦

قوله تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من شفة نفسه) الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (إذ قال له ربه أسلم ، الآية فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب» الآية فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت» الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (وقالوا كونُوا هودا أو تصرى تهتدواه الآية

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: «قولوا امنا بالله وما أنزل إلينا ، الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

قوله تعالى: (فإن ءامنوا بمثل ما امنتم به ﴾ الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: « صبغة اللّٰه ومن أحسن من اللّٰه صبغة) الآية

أحكام من القرآن الكريم

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (قل أتحاجوننا في اللّٰه وهو ربنا وربكم» الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة

٤٧٤
٤٧٥

٤٧٧

٤٧٧

٤٧٨
٤٧٨
٤٧٩
٤٨٠

٤٨٣

٤٨٤
٤٨٥
٤٨٨
491
٤٩٢
٤٩٤
٤٩٥
٤٩٥

٤٩٦

رس الموضوعـات

قوله تعالى: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق » الآية
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة
قوله تعالى: (تلك أمة قد خلت، الآية
قوله تعالى: (سيقول الشفهاء من الناس» الآية

في هذه الآية من الحكم والفواد ما يلي قوله تعالى: (وكذالك جعلنكم أمة وسطاء الآية وفي هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي
قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء ، الآية
في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (ولين أتيت الذين أوتوا الكتب بكل ءاية » الآية

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (الذين اتيتهم الكتب يعرفونه كما

يعرفون أبناءهم، الآيتان

١٦٧٧

497
٤٩٩

٥٠١

٥٠ ٥

٥٠٨

٥ ١٣

٥١٥

٥٢٠

٥٢٥

في هاتين الآيتين من الفوائد والحكم ما يلي
قوله تعالى: (ولكل وجهة هو موليها ، الآية وفي هذه الآية الكريمة من الحكم والفوائد ما
يلي قوله تعالى: (ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام، الآية 531
في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي
قوله تعالى: (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» الآية 533

٥٢٦
٥٢٩

٥٣٠

٥٣٣

/٦٧٨

في هذه الآيات الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، الآيتان

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي
قوله تعالى: (فاذكروني أذكركم » الآية في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (يأيها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة » الآية

٥٣٦

٥٣٨
٥٣٩
٥٤١
٥٤١
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩

في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموت» الآية
في هذهالآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع » الآية
في الآيات السابقة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعاير الله ، الآية في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينت وأهدئ ، الآيتان 559 في هاتين الآيتين الكريمتين من الفوائد والأحكام ما

يلي قوله تعالى: (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفاره الآيتان في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (وإلهكم إله واحده الآية

٥٥٢

٥٥٧

٥٥٨

559
٥٦٤

٥٦٥

٥٦٦

هـرس الموضوع

ات

في هذه الآية من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض، الآية
في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ الآية
في هذه الآية من الحكم والفوائ ما يلي قوله تعالى: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآيتان

في هاتين الآيتين من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (يتأيها الناس كلوا مما في الأرض، الآيتان

٥٦٨

٥٧١
٥٧٣

٥٧٥

٥٧٧

٥٧٩

٥٨٠

في هاتين الآيتين من الحكم والفوائد ما يلي قوله تعالى: (وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله ، الآية في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الآية ٥٩٢ في هذه الآية الكريمة من الفوائد العظيمة والأحكام ما يلي قوله تعالى: «يتأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقتكم﴾ الآية ٥٩٤ في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي
قوله تعالى: (إنما حرم عليكم الميتة» الآية في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي
قوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله ، الآية

٥٨١
٥٨٨
٥٨٩

٥٩٣

٥٩٥
٥٩٧
٥٩٩

605

٦٨٠

في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (أوليك الذين اشتروا الضللة بالهدى »
الآية

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي
قوله تعالى: «فمن خاف من موص جنفاه الآية في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما
يلي قوله تعالى: «يأيها الذين امنواكيب عليكم الصيام » الآية

٦٠٦

609

في هذهالآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ذلك بأن الله نزل الكتب بالحق» الآية
في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب، الآية ٦١٢
هذه الآية الكريمة اشتملت على فوائد عظيمة قوله تعالى: «يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم
القصاص» الآية في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي:
قوله تعالى: « ولكم في القصاص حيوة» الآية
في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت»
الآية
في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي
قوله تعالى: «فمن بدله، بعدما سمعه الآية

611
611

615

٦٢١
٦٢٣
٦٢٧
٦٢٨
٦٢٩
٦٣٠
633
٦٣٤
٦٣٥
٦٣٦
٦٣٧

فهـرس الموضوعـات

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (أياما معدودات، الآية

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان » الآية في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي على الآية في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: «أجل لكم ليلة الصيام الرفث» الآية

في هذه الآية من الفوائد والأحكام ما يلي قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبنطل» الآية في هذه الآية من الأحكام والفوائد ما يلي

681]

638
639
٦٤٠
٦٤٣

٦٤٥

٦٤٩

٦٥٠

٦٥٢

٦٥٥

661

٦٦٢